تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين عربى اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمى الكتبي ومحمد حسن جمالى الحلبي برخصة نظارة المعارف التى لابد منها فى سنة سبعة عشر وثلاثمائة والف

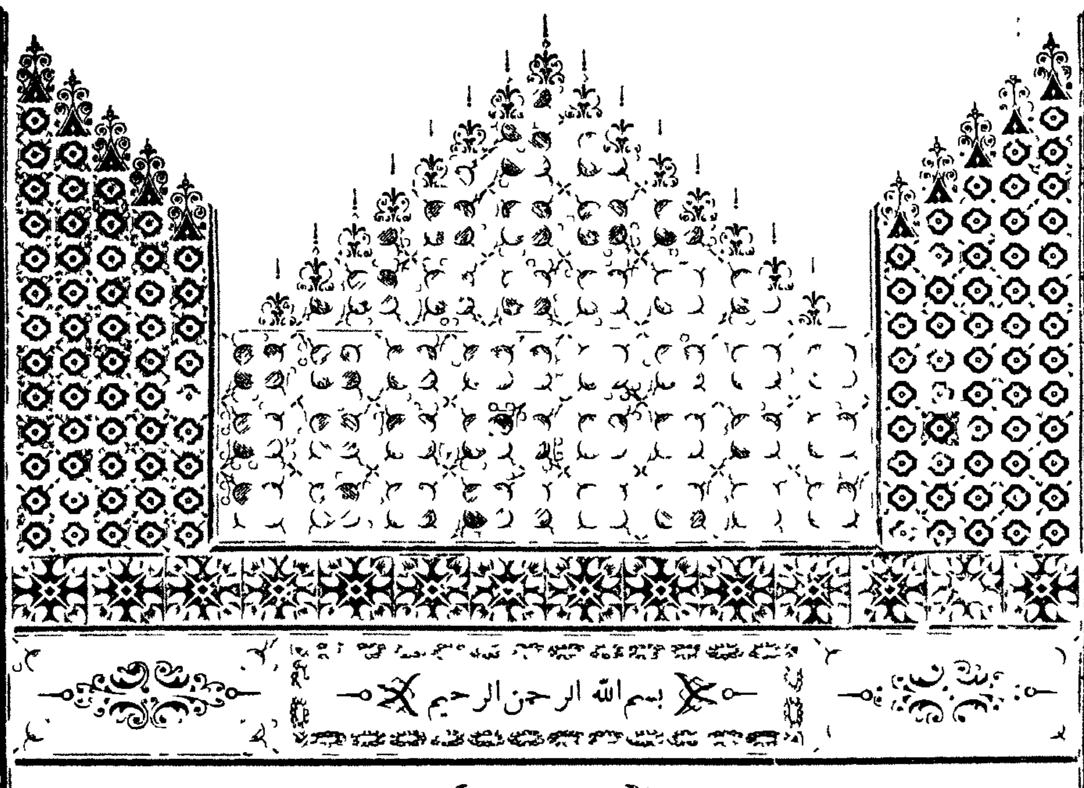


الجزء الرابع

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام
العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحى السنة
علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى
الصوفى المعروف بالخازن تغمده الله
برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيى الدين بن عربى
اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلى الكتبى ومحمد حسن جالى الحلبى برخصة
نظارة المعارف التى لابد منها فى سنة سبع عشرة
وثلاثمائة والف



سورة يس

وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس اخرجه ابو داود وغيره

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيئ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل ياسيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) اى ذى الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (انك لمن المرسلين) اى اقسم بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) اى القرآن تنزيل العزيز فى ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ما انذر آباؤهم) يعنى لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبى قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما انذر آباؤهم من العذاب (فهم غافلون) اى عما يراد بهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) اى وجب العذاب (على اكثرهم فهم لا يؤمنون) وهو اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك * قوله عز وجل (انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا) نزلت فى ابى جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

(يس) اقسم بالصفتين الدالين على كمال استعداده كما ذكر فى طه (والقرآن الحكيم) الذى هو الكمال التام اللائق باستعداده انه بسبب هذه الامور من المرسلين على طريق التوحيد الموصوف بالاستقامة وذلك ان (ى) اشارة الى اسمه الواقى و(س) الى اسمه السلام الذى وقى سلامة فطرتك السالمة عن النقص فى الازل عن آفات حجب النشأة والعادة والسلام الذى هو عينها واصلها والقرآن الحكيم الذى هو صورة كمالها الجامع لجميع الكمالات المشتمل على جميع الحكم (انك) بسبب هذه

من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته
ولا يراه فيرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته
وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لا كلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قيل على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك
وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل
وقيل انها وصف في الحقيقة وهي ما سينزل الله عز وجل بهم في النار (فهي) يعني الايدي (الى
الاذقان) جمع ذقن وهو اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) اي رافعو
رؤسهم مع غض البصر وقيل اراد ان الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال لها
(وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون
الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن اذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فاغشيناهم) اي فاعميناهم (فهم لا يبصرون) يعني سبيل
الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) يعني من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما
تنذر من اتبع الذكر) يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشي الرحمن بالغيب) اي
خافه في السر والعلن (فبشره بمغفرة) اي لذنوبه (واجر كريم) يعني الجنة * قوله تعالى (انا نحن
نحيي الموتى) اي للبعث (ونكتب ما قدموا) اي من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) اي ونكتب
ما سنوا من سنة حسنة او سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء
ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من
اوزارهم شيء وقيل تكتب خطاهم الى المسجد عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كانت بنو
سلمة في ناحية من المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي الموتى ونكتب
ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب (خ) عن انس رضي الله عنه قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بني سلمة الا تحتسبون آثاركم فاقاموا * قوله
تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء (م) عن جابر قال خلت
البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني
انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال بني سلمة دياركم تكتب
آثاركم فقالوا ما يسرنا انا كنا تحولنا قوله بني سلمة اي يا بني سلمة وقوله دياركم الزموا دياركم (ق) عن ابي
موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا في الصلاة
ابعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام
* قوله تعالى (وكل شيء احصيناه) اي حفظناه وعددناه واثبتناه (في امام مبين) يعني اللوح
المحفوظ * قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) اي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة (اصحاب القرية)
يعني انطاكية (اذ جاءها المرسلون) يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام
(ذكر القصة في ذلك) قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من

الثلاثة (لمن المرسلين على
صراط مستقيم تنزيل العزيز
الرحيم) اي القرآن الشامل
للحكمة الذي هو صورة كمال
استعدادك تنزيل باظهاره
مفصلا من مكمن الجمع على
مظهرك ليكون فرقانا من
العزيز الغالب الذي غلب على
انائيتك وصفات نشأتك
وقهرها بقوته لئلا تظهر
وتمنع ظهور القرآن المكنون
في غيبك على مظهر قلبك
وصيرورته فرقان الرحيم
الذي اظهره عليك بتجليات
صفاته الكمالية باسرها
(لتنذر قوما ما انذر آباؤهم)
بلغوا في كمال استعدادهم ما لم
يبلغ آباؤهم فانذروا بما
انذرتهم به (فهم غافلون) عما
اوتي اليهم من الاستعداد
البالغ حدا لم يبلغه استعداد
احد من الامم السابقة كما قال
الذين اصطفينا من عبادنا
(لقد حق القول على
اكثرهم) في القضاء السابق
بانهم اشقياء (فهم لا يؤمنون)
لانه اذا قويت الاستعدادات
عند ظهورك قوى الاشقياء
في الشر كما قوي السعداء في
الخير (انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا) من قيود الطبيعة
البدنية ومحبة الاجرام
السفلية (فهي الى الاذقان)
تمنع رؤسهم عن التطأطؤ

الحواريين الى اهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما امعكما آية قال نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحها ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتمان قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذى اوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى انظر فى امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وامر بهما وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وانس به واكرمه ورضى عشرته فقال للملك ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فقال شمعون ومآيتكما قالا ماتتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان انت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لايسمع ولايبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قدمات منذ سبعة ايام ابن دهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة اودية من النار وانا احذركم ماانتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار بيده الى صاحبيه فتعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد اثر فى الملك اخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحنا وبواس كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) اى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الله تعالى الارسال اليه لان

للقبول اذعنت الاعناق التى هى مفاصل تصرفات الرؤس وانطبقت المفاصل حتى جاوزت اعاليها وبلغت حد الرؤس من قدام فلم يبق لهم تصرف بالقبول ولا تأثر بالانفعال والميل الى الركوع والسجود للانقياد والفناء فان الكمالات الانسانية انفعالية لاتحصل الابالتذلل والانقهار (فهم مقمحون) ممنوعون عن قبولها بامالة الرؤس (وجعلنا من بين ايديهم) من الجهة الالهية (سدا) من حجاب ظهور النفس والصفات المستولية على القلب منعهم من النظر الى فوق ليشتاقوا الى القاء الحق عند رؤية الانوار الجمالية (ومن خلفهم) من الجهة البدنية (سدا) من حجاب الطبيعة الجسمانية ولذاتها المانعة لامتثالهم الاوامر والنواهى فتمنعهم من العمل الصالح الذى يعدهم لقبول الخير والصفات الجلالية فانسد عليهم طريق العلم والعمل فهم واقفون مع اصنام الابدان حيارى يعبدونها لايتقدمون ولا يتأخرون (فاغشيناهم) بالانغماس فى الغواشى الهيولانية والانغمار فى الملابس الجسمانية (فهم لا يبصرون) لكثافة الحجب

عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية
(انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شئ) اى لم يرسل رسولا (ان
انتم الا تكذبون) اى فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) اى وان كذبتمونا (وما علينا الا
البلاغ المبين) اى بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) اى تشأمنا منكم وذلك لان المطر
حبس عنهم فقالوا اصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) اى تسكتوا عنا (لنرجمنكم) اى لنقتلنكم
وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) اى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم
يعني اصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (ائن ذكرتم) معناه
اطيرتم لان ذكرتم ووعظتم (بل انتم قوم مسرفون) اى فى ضلالكم وشرككم متمادون
فى غيكم * قوله عز وجل (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا
وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب
من ابواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق
بنصفه فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان
فى غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لهم اتسألون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل
على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون) اى لا تخسرون
معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له
او انت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالى لا اعبد الذى فطرنى
واليه ترجعون) قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكانت عليه
اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم اليق وقيل معناه واى شئ لى اذا لم اعبد خالقى واليه تردون
عند البعث فيجزيكم باعمالكم (ءاتخذ من دونه آلهة) اى لا اتخذ من دونه آلهة (ان يردن الرحمن
بضر) اى بسوء ومكروه (لا تغن عنى) اى لا تدفع عنى (شفاعتهم شيأ) اى لا شفاعة لها فتغنى عنى
(ولا ينقذون) اى من ذلك المكروه وقيل من العذاب (انى اذا لفى ضلال مبين) اى خطأ ظاهر
(انى آمنت بربكم فاسمعون) اى فاشهدوا لى بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه
فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطؤه بارجلهم حتى خرج
قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى اهلكوه وقبره بانطاكية
فلما لقى الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما افضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى
يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى ان يعلم قومه ان الله تعالى غفر له واكرمه
ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة
والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما انزلنا على قومه من
بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا منزلين) اى ما كنا لنفعل هذا بل الامر
فى اهلاكهم كان ايسر مما تظنون * ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة)قال
المفسرون اخذ جبريل بعضادتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) اى
ميتون (ياحسرة على العباد) يعني يالها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة ان يركب
الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم لما عاينوا من

من جميع الجهالات واحاطتها
بهم واذا لم يبصروا ولم
يتأثروا فالانذار وعدم الانذار
بالنسبة اليهم سواء (وسواء
عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون انما تنذر) اى يؤثر
الانذار وينجع فى (من اتبع
الذكر) لنورية استعداده
وصفائه فيتأثر به ويقبل
الهداية بما فى استعداده من
التوحيد الفطرى والمعرفة
الاصلية فيتذكر ويخشى
الرحمن بتصور عظمته مع
غيبته من التجلى فيتبعه بالسلوك
ليحضر ماهو غائب عنه
ويرى ما استضاء بنوره
(بالغيب فبشره بمغفرة) عظيمة
من ستر ذنوب حجب افعاله
وصفاته وذاته (واجر كريم)
من جنات افعال الحق
وصفاته وذاته (انا نحن نحيى
الموتى ونكتب ما قدموا
وآثارهم وكل شئ احصيناه
فى امام مبين واضرب لهم
مثلا اصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون) يمكن ان يؤول
اصحاب القرية باهل مدينة
البدن والرسل الثلاثة بالروح
والقلب والعقل اذ ارسل
اليهم اثنان اولا (اذ ارسلنا
اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث فقالوا انا اليكم
مرسلون قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا وما انزل الرحمن من

العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تحسر عليهم الملائكة
حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى ياحسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل
*ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ﴿ ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ * قوله
تعالى ﴿ الم يروا ﴾ اى الم يخبروا خطاب لاهل مكة ﴿ كم اهلكنا قبلهم من القرون ﴾ اى من الامم
الخالية من اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود ﴿ انهم اليهم لا يرجعون ﴾ اى لا يعودون
الى الدنيا افلا يعتبرون بهم ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ يعنى ان جميع الامم يحضرون يوم
القيامة ﴿ وآية لهم ﴾ يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى ﴿ الارض الميتة احييناها ﴾ اى بالمطر
﴿ واخرجنا منها ﴾ اى من الارض ﴿ حبا ﴾ يعنى الحنطة والشعير وما اشبههما ﴿ فمنه يأكلون ﴾ اى
من الحب ﴿ وجعلنا فيها ﴾ اى فى الارض ﴿ جنات ﴾ اى بساتين ﴿ من نخيل واعناب وفجرنا فيها
من العيون ليأكلوا من ثمره ﴾ اى من الثمر الحاصل بالماء ﴿ وما عملته ايديهم ﴾ اى من الزرع
والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفى والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس من صنيعهم
بل وجدوها معمولة وقيل اراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة
﴿ افلا يشكرون ﴾ اى نعمة الله تعالى ﴿ سبحان الذى خلق الازواج كلها ﴾ يعنى الازواج كلها
﴿ مما تنبت الارض ﴾ اى من الاشجار والثمار والحبوب ﴿ ومن انفسهم ﴾ اى الذكر والانثى
﴿ ومما لا يعلمون ﴾ يعنى مما خلق الله تعالى من الاشياء فى البر والبحر من الدواب * قوله عز وجل
﴿ وآية لهم ﴾ يعنى تدلهم على قدرتنا ﴿ الليل نسلخ ﴾ اى ننزع ونكشط ﴿ منه النهار فاذاهم مظلمون ﴾
اى فاذاهم فى الظلمة وذلك ان الاصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار
من الليل فتظهر الظلمة ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ اى الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند
انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى الى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع
الى اول منازلها وهو انها تسير حتى تنتهى الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها
نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجرى لا مستقر لها
اى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية ابدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه
ابو ذر قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت
العرش وفى رواية قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس اتدرى اين تذهب الشمس
قال الله ورسوله اعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد
فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله
تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محيي الدين
النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدى فعلى هذا القول اذا غربت
الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجرى الى وقت لها واجل لا تتعداه وعلى
هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا واما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى
فيها والله اعلم ﴿ ذلك ﴾ اى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذى يكل النظر
عن استخراجه وتحير الافهام عن استنباطه ﴿ تقدير العزيز ﴾ اى الغالب بقدرته على كل شئ
مقدور ﴿ العليم ﴾ اى المحيط علما بكل شئ * قوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ اى قدرنا له منازل وهى

شئ ان انتم الا تكذبون قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما
علينا الا البلاغ المبين قالوا
انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب
اليم قالوا طائركم معكم ائن
ذكرتم بل انتم قوم مسرفون)
لعدم التناسب بينهما وبينهم
ومخالفتهم اياهما فى النور
والظلمة فعززوا بالعقل الذى
يوافق النفس فى المصالح
والمناجح ويدعوها وقواها
الى ما يدعو اليه القلب و
الروح فتؤثر فيهم *وتشاؤمهم
بهم تنفرهم عنهم لحملهم اياهم
على الرياضة والمجاهدة ومنعهم
عن اللذات والحظوظ ورجمهم
اياهم رميهم بالدواعى الطبيعية
والمطالب البدنية وتعذيبهم
اياهم استيلاؤهم عليهم
واستعمالهم فى تحصيل
الشهوات البهيمية والسبعية
والرجل الذى جاء من
اقصى المدينة اى من ابعد
مكان منها هو العشق المنبعث
من اعلى وارفع موضع منها
بدلالة شمعون العقل ونظره
لاظهار دين التوحيد والدعوة
الى الحبيب الاول وتصديق
الرسل (وجاء من اقصى
المدينة رجل يسعى قال ياقوم
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا
يسئلكم اجرا وهم مهتدون)
لسرعة حركته ويدعوا

ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فى منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فان كان فى آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذى عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذى اتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) اى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) اى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجئ احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما فى سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا تطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل فى فلك يسبحون) اى والشمس والقمر فى فلك يسيرون ❊ قوله عز وجل (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) يعنى اولادهم (فى الفلك المشحون) اى المملوء (وخلقنا لهم من مثله) اى مثل الفلك (ما يركبون) اى من الابل وهى سفائن البر وقيل اراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين فى اصلاب الذين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا واهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه ابلغ فى الامتنان عليهم وابلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله اى من مثل ذلك الفلك ما يركبون اى من السفن والزوارق فى الانهار الكبار والصغار (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) اى لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) اى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابى (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) اى الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين ايديكم يعنى وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعنى الآخرة (لعلكم ترحمون) اى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) اى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) ❊ قوله عز وجل (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم) اى مما اعطاكم (الله) نزلت فى كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من اموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم) اى انرزق (من لو يشاء الله اطعمه) اى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى منى بك ويقول قد منعه الله افأطعمه انا ومعنى الآية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الدنيا الغنى لا استحقاقا وامر الغنى بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير فيما فرض له من مال الغنى ولا اعتراض لاحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه والمؤمن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان انتم الا فى ضلال مبين) قيل هو من

لكل بالقهر والاجبار الى متابعة الرسل فى التوحيد ويقول (ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) وكان اسمه حبيبا وكان نجارا ينحت فى بدايته اصنام مظاهر الصفات من الصور لاحتجابه بحسنها عن جمال الذات وهو المأمور بدخول جنة الذات قائلا (ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى) المحجوبين عن مقامى وحالى (يعلمون بما غفر لى ربى) ذنب عبادة اصنام مظاهر الصفات ونحتها (وجعلنى من المكرمين) لغاية قربى فى الحضرة الاحدية وفى الحديث ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس فلعل ذلك لان حبيبا المشهور بصاحب يس آمن به قبل بعثه بستمائة سنة وفهم سر نبوته وقال النبى صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن ابى طالب عليه السلام وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (وما انزلنا على قومه من بعده من

قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما انتم الا في خطابين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعني يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) اي ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) اي في امر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله واصله من اللوط وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق واصغى يعني امال عنقه يسمع * وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) اي لا يقدرون على الايصاء بل اعجلوا عن الوصية فاتوا (ولا الى اهلهم يرجعون) يعني لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشيء (ونفخ في الصور) هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة اربعين يوما قال ابيت قالوا اربعين سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذاهم من الاجداث) اي القبور (الى ربهم ينسلون) اي يخرجون منها احياء (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا اهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) اقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الا صيحة واحدة) يعني النفخة الاخيرة (فاذاهم جميع لدينا محضرون) اي للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) * قوله تعالى (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل) قال ابن عباس في افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم (فاكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه (هم وازواجهم في ظلال) يعني اكنان القصور (على الارائك) يعني السرر في الحجال (متكؤن) اي ذوو اتكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) اي في الجنة (ولهم ما يدعون) يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعون اهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعني يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن

جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل) اي ليل ظلمة النفس (نسلخ منه النهار) نهار ونور شمس الروح والتلوين (فاذاهم مظلمون) وشمس الروح (والشمس تجري لمستقر لها) وهو مقام الحق نهاية سير الروح (ذلك تقدير العزيز) الممتنع من ان يصل الى حضرة احديته شيء الغالب على الكل بالقهر والفناء (العليم) الذي يعلم حد كمال كل سيار وانتهاء سيره وقر القلب (والقمر قدرناه) اي قدرنا مسيره في سيره (منازل) من الخوف والرجاء والصبر والشكر وسائر

جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) اى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض * قوله عز وجل (الم اعهد اليكم يا بنى آدم) اى الم آمركم واوصكم يا بنى آدم (ان لا تعبدوا الشيطان) يعنى لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله (انه لكم عدو مبين) اى ظاهر العداوة (وان اعبدونى) اى اطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) اى لا صراط اقوم منه * قوله تعالى (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) اى خلقا كثيرا (افلم تكونوا تعقلون) يعنى ما اتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بها فى الدنيا (اصلوها) اى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) * قوله تعالى (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية احدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول اى فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول اى فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر من نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه قوله اى فل يعنى يا فلان قوله واسودك اى اجعلك سيدا قوله واذرك ترأس اى تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع اى تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاءين اى تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه اى ليقيم الحجة عليها بشهادة اعضائه عليه (م) عن انس بن مالك

المقامات كالتوكل والرضا (حتى عاد) عند فنائه فى الروح فى مقام السر (كالعرجون القديم) وهو بقرب استسراره فيه واضاءة وجهه الذى يلى الروح قبل تمام فنائه فيه واحتجابه لنوريته عن النفس والقوى وكونه بدرا انما يكون فى موضع الصدر فى مقابلة مقام السر (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) فى سيره فيكون له الكمالات الصدرية من الاحاطة بأحوال العالمين والتجلى بالاخلاق والاوصاف (ولا الليل سابق النهار) بادراك القمر الشمس وتحويل ظلمة النفس نهار نور القلب لان القمر اذا ارتقى الى مقام الروح بلغ الروح حضرة الوحدة فلا تدركه وتكون النفس حينئذ نيرة فى مقام القلب لا ظلمة لها فلم تسبق ظلمتها نوره بل زالت مع ان القلب ونوره فى مقام الروح فلم تسبقه على تقدير بقائهما وكل فى فلك) اى مدار ومحل لسيره معين فى بدايته ونهايته لا يتجاوز حديه المعينين (يسبحون) يسيرون الى ان جمع الله بينهما فى حد

قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب الم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قوله لا اجيز اى لا اقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا اى هلاكا قوله فعنكن كنت اناضل اى اجادل واخاصم ❊ قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على اعينهم) اى اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا اعينهم الظاهرة كما اعمينا قلوبهم (فاستبقوا الصراط) اى فبادروا الى الطريق (فانى يبصرون) اى كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعنى لو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعنى ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا ارواح فيها (فما استطاعوا مضيا) اى لا يقدرون ان يبرحوا (ولا يرجعون) اى الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) اى نرده الى ارذل العمر شبه الصبي فى اول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها ونقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان فى ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم فى حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان ابلغ اشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه فى الخلق (افلا يعقلون) اى فيعتبرون ويعلمون ان الذى قدر على تصريف احوال الانسان قادر على البعث بعد الموت ❊ قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغى له اى ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو اراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه اميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه يا نبى الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * اخرجه الترمذى وفى رواية لغيره ان عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت اخى بنى قيس طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغى لى فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع

وخسف القمر بها واطلع الشمس من مغربها فتقوم القيامة (وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) وهو سفينة نوح فيه سر من اسرار البلاغة حيث لم يذكر اباءهم الذين كانوا فيها بل ذرياتهم الذين كانوا فى اصلابهم فلا بد من وجود الذريات حينئذ (وخلقنا لهم من مثله) اى مثل سفينة نوح وهى السفينة المحمديه (ما يركبون وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم) من احوال القيامة الكبرى (وما خلفكم لعلكم ترحمون) من احوال القيامة الصغرى فان الاولى تأتى من جهة الحق والثانية تأتى من جهة النفس بالفناء فى الله فى الاولى والتجرد عن الهيآت البدنية فى الثانية والتجارة منها * والصيحتان هما التنبه عن النفخة الاولى بوقوع مقدماتها وانزعاج القوى كلها دفعة عن مقارها وعن الثانية بوقوعها وانتباههم دفعة وانتشار القوى فى محالها والاجداث الابدان التى هى مراقدهم (وما

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صابه حجر فدميت اصبعه فقال

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

اخرجاه فى الصحيحين ولهما من حديث انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

اللهم ان العيش عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجرة

وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

انا النبى لا كذب * انا ابن عبد المطلب

قلت ماهذا الامن كلامه الذى يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل فى وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعنى ماهو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب الشعر ولا يدخل فى بحوره (وقرآن مبين) اى انه كتاب سماوى يقرا فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين واقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) اى يامحمد وقرئ بالياء اى القرآن (من كان حيا) يعنى مؤمنا حى القلب لان الكافر كالميت الذى لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) اى وتجب حجة العذاب (على الكافرين) * قوله عز وجل (اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا) اى تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة احد فى انشائه كقول القائل عملت هذا بيدى اذا تفرد به ولم يشاركه فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك ابدائع الفطار التى لا يقدر عليها الا هو (انعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لان النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم (فهم لها مالكون) اى خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

اصبحت لا احمل السلاح ولا * املك راس البعير ان نفرا

اى لا اضبط راس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بنى آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) اى الابل (ومنها يأكلون) اى الغنم (ولهم فيها منافع) اى من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) اى من البانها (افلا يشكرون) اى رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى الاصنام (لعلهم ينصرون) اى لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) اى الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كانهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك يامحمد (انا نعلم مايسرون) اى ضمائرهم من التكذيب (ومايعلنون) اى من عبادة الاصنام وقيل مايعلنون بالسنتهم من الاذى * قوله تعالى (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) اى من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) اى جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز

تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا فى ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم) من انوار التجليات ومشاهدات الصفات متلذذون هم ونفوسهم الموافقة لهم فى التوجه (فى ظلال) من انوار الصفات (على الارائك) المقامات والدرجات (متكؤن لهم فيها فاكهة) من انواع المدركات واصاف

لمجادلته فى انكاره البعث وكيف لايتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة قذرة ويدعو الخصومة نزلت فى ابى
بن خلف الجمحى خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى انكار البعث واتاه بعظم قدرم وبلى ففتته بيده وقال
اترى يحيى الله هذا بعد ما رم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه
الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) اى بدء امره (قال من يحيى العظام وهى رميم) اى بالية والمعنى
وضرب لنا مثلا فى انكار البعث بالعظم البالى حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسى
اول خلقه وانه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذى انشأها اول مرة) اى خلقها اول مرة وابتدأ خلقها
(وهو بكل خلق) اى من الابتداء والاعادة (عليم) اى يعلم كيف يخلق لايتعاظمه شئ من خلق المبدا
والمعاد (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضى الله عنهما هما شجرتان يقال
لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن اراد النار قطع منهما غصنين مثل
السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى
تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اى استكثر منها وذلك ان هاتين الشجرتين من
اكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نارا الا العناب (فاذا انتم منه توقدون) اى تقدحون
فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال تعالى (او ليس الذى خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى) اى هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعنى يخلق
خلقا بعد خلق (العليم) اى بجميع ما خلق (انما امره اذا اراد شيأ) اى احداث شئ وتكوينه (ان
يقول له كن) اى يكونه من غير توقف (فيكون) اى فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذى بيده
ملكوت كل شئ) اى هو مالك كل شئ والمتصرف فيه (واليه ترجعون) اى تردون بعد الموت
والله اعلم

﴿ تفسير سورة والصافات ﴾

وهى مكية وهى مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاث آلاف
وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا
للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند
ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون الصف لفظ ابى
داود وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل اراد
بالصافات الطير تصف اجنحتها فى الهواء (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه
وقيل هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعنى الملائكة يتلون ذكر الله
تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم اقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره
ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك ان كفار
مكة قالوا اجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما اقسم بهذه الاشياء
للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى
(رب السموات والارض وما بينهما) يعنى انه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك * وقوله

الواردات والمكاشفات
(ولهم مايدعون) ما يتمنون
من المشاهدات وهى
(سلام) اعنى (قولا) بافاضة
الكمالات وتبرئتهم بها
من وجوه النقص التى
تنبعث منها دواعى التمنيات
صادرا (من رب رحيم)
يرحم بتلك المشتهيات
*والعهد عهد الازل وميثاق
الفطرة وعبادة الشيطان
هو الاحتجاب بالكثرة
لامتثال دواعى الوهم
والصراط المستقيم طريق
الوحدة وقال الضحاك
فى وصف جهنم ان لكل
كافر بئرا من النار يكون
فيه لايرى ولايرى وذلك
صورة احتجابه ومعنى
الختم على الافواه وتكليم
الايدى وشهادة الارجل
تغيير صورهم وحبس
السنتهم عن النطق وتصوير
ايديهم وارجلهم على صور
تدل بهيآتها واشكالها على
اعمالها وتنطق بألسنة
احوالها على ملكاتها من
هيآت افعالها (وامتازوا
اليوم ايها المجرمون الم
اعهد اليكم يابنى آدم ان
لاتعبدوا الشيطان انه لكم
عدو مبين وان اعبدونى
هذا صراط مستقيم ولقد

(ورب المشارق) قيل اراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب فان قلت قد قال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ماتقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب * قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الارض وهى ادنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح ازرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) اى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لايسمعون الى الملا الاعلى) يعنى الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) اى يرمون بها (من كل جانب) اى من آفاق السماء (دحورا) اى يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) اى دائم (الا من خطف الخطفة) اى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فاتبعه) اى لحقه (شهاب ثاقب) اى كوكب مضئ قوى لايخطئه بل يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لايصلون اليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة * وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعنى سل اهل مكة (اهم اشد خلقا ام من خلقنا) يعنى من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اى هذه الاشياء اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعنى آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان العجب من الناس محمول على انكار الشئ وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفى حديث آخر عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من الكم الال اشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لايعجب من شئ ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اى هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبى الله صلى الله عليه

اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه فى الخلق افلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم مايسرون ومايعلنون اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم

وسلم من هذا القرآن حين انزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون) اى واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعني انشقاق القمر (يستسخرون) اى يستهزؤن وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخر (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) اى بين (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون) اى صاغرون (فانما هي زجرة واحدة) اى صيحة واحدة وهي نفخة البعث (فاذا هم ينظرون) يعني احياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) اى القضاء وقيل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) اى في الدنيا (احشروا) اى اجمعوا (الذين ظلموا) اى اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم (وازواجهم) اى اشباههم وامثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اى قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل ازواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس اى دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) اى احبسوهم (انهم مسؤلون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروى عنه عن لا اله الا الله وروى عن ابي برزة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون (ما لكم لا تناصرون) اى تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم (واقبل بعضهم على بعض) يعني الرؤساء والاتباع (يتساءلون) اى يتخاصمون (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) اى من قبل الدين فتضلوننا وترونا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين اى عن العزة والقدرة والقول الاول اصح (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) اى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) اى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) اى ضالين (فحق علينا) اى وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعني كلمة العذاب وهي قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (انا لذائقون) يعني ان الضال والمضل جميعا في النار (فاغويناكم) يعني فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) اى ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ في العذاب مشتركون) يعني الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب

(باستكبارهم)

قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس افوارغ الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون) عند تعلق ارادته بتكوين شيء ترتب كونه على تعلق الارادة به دفعة معا بلا تخلل زماني (فسبحان) اى نزه عن العجز والتشبه بالاجسام والجسمانيات في كونها وكون افعالها زمانية (الذي بيده تحت قدرته وفي تصرف قبضته (ملكوت كل شيء) من النفوس والقوى المدبرة له (واليه ترجعون) بالفناء فيه والانتهاء اليه والله اعلم

﴿ سورة الصافات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

والصافات) اقسم بنفوس السالكين في سبيله طريق التوحيد الصافات في مقاماتهم ومراتب تجلياتهم ومواقف مشاهداتهم (صفا) واحدا في التوجه اليه (فالزاجرات) في دواعي الشياطين

باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) اى يتكبرون عن كلمة التوحيد و يمتنعون منها (و يقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى رداعليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعنى انه انما اتى بما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الشرك والتكذيب (الا) اى لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) اى الموحدين (اولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة عن طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) اى بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) يعنى لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكاس من معين) كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر

* وكأسا شربت على لذة * ومعنى معين اى من خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعنى ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن (لذة) اى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) اى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى خفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقئ والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) اى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف ازواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) اى حابسات الاعين غاضات العيون قصرت اعينهن على ازواجهن فلا ينظرون الى غيرهم (عين) اى حسان الاعين عظامها (كأنهن بيض مكنون) اى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها ابيض فى صفرة ويقال هذا من احسن الوان النساء وهو ان تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن بيضات الخدور * قوله عز وجل (فاقبل بعضهم على بعض) يعنى اهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) اى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) اى من اهل الجنة (انى كان لى قرين) اى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول ائنك لمن المصدقين) اى بالبعث (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون) اى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل انتم مطلعون) اى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من اهل الجنة هل انتم مطلعون اى لننظر كيف منزلة اخى فى النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا (فاطلع) اى المؤمن قال ابن عباس ان فى الجنة كوى

وفوارغ التمنيات النفسانية فى الاحايين (زجرا) بالانوار والاذكار والبراهين (فالتاليات) نوعا من انواع الاذكار بحسب احوالهم باللسان او القلب او السر او الروح كالذكر غير مرة على وحدانية معبودهم لتثبيتهم فى التوجه عن الزيغ والانحراف بالالتفات الى الغير (ان الهكم لواحد رب السموات والارض) سموات الغيوب السبعة التى هم سائرون فيها وارض البدن (وما بينهما ورب المشارق) مشارق تجليات الانوار الصفاتية وصفه بالوحدانية الذاتية فى اطوار الربوبية الكاشفة عن وجوه التحولات بتعدد الاسماء ليتحفظوا عند تعدد تجليات الصفات وترتب المقامات من الاحتجاب بالكثرة (انا زينا السماء الدنيا) اى العقل الذى هو اقرب السموات الروحانية بالنسبة الى القلب (بزينة الكواكب) كواكب الحجج والبراهين كقوله بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (وحفظا) اى وحفظناها (من كل شيطان) من شياطين الاوهام والقوى التخيلية عند الترقي الى افق

ينظر منها اهلها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) اى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشئ
سواء لاستواء الجوانب منه (قال تالله ان كدت لتردين) اى والله لقد كدت ان تهلكنى وقيل
تغوينى ومن اغوى انسانا فقد ارداه واهلكه (ولولا نعمة ربى) اى رحمة ربى وانعامه على
بالاسلام (لكنت من المحضرين) اى معك فى النار (افنحن بميتين الاموتتنا الاولى) اى
فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فيقول الملائكة
لهم لافيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم
لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا
بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقول المؤمن
لقرينة على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) اى المنزل والنعيم
الذى ذكره فى قوله اولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب فى ثواب الله
تعالى وما عنده بطاعته * قوله تعالى (اذلك) اى الذى ذكره لاهل الجنة من النعيم
(خير نزلا) اى رزقا (ام شجرة الزقوم) التى هى نزل اهل النار والزقوم شجرة خبيثة
مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على اشد كراهة وقيل هى شجرة تكون
بأرض تهامة من اخبث الشجر (انا جعلناها فتنة للظالمين) اى للكافرين وذلك انهم قالوا كيف
تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم
والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة اهل اليمن فأدخلهم ابو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا
فأتتهم بالزبد والتمر فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى اصل
الجحيم) اى فى قعر النار واغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) اى ثمرها سمى طلعا لطلوعه (كأنه
رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها
بشئ لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر فى النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكأنه
قيل ان اقبح الاشياء فى الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر والعرب
اذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

اتقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال

شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين
فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا (فانهم لآكلون
منها) اى من ثمرها (فمالؤن منها البطون) وذلك انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم
عليها لشوبا) اى خلطا ومزاجا (من حميم) اى من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم
وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم فى بطونهم فصار شوبا لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك انهم
يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم (انهم الفوا) اى وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون)
اى يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين) اى من الامم الخالية (ولقد
ارسلنا فيهم منذرين) اى وارسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) اى الكافرين
وكانت عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) اى الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف
اهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين * قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) اى دعا ربه على قومه وقيل

العقل بتركيب الموهومات
والمخيلات فى المغالطات
والتشكيكات (مارد) خارج
عن طاعة الحق والعقل (لا
يسمعون الى الملا الاعلى) من
الروحانيات والملكوت
السماوية بتلك الحجج
(ويقذفون من كل جانب
دحورا) من جميع الجهات
السماوية اى من اى وجه
من وجوه المغالطة والتخييل
يركبون القياس ويرتقون
به يقذفون بما يبطله من
الدحور والطرد او
مدحورين مطرودين (ولهم
عذاب واصب) دائم
الرياضات وانواع الزجر
فى المخالقات (الامن خطف
الخطفة) فى الاستراق فوه
كلامه بهيئة جلية واوهم الحق
بصورة نورية استفادها من
كلمة حقة ملكية (فاتبعه شهاب
ثاقب) من برهان نير عقلى
او اشراق نور قدسى
فأبطلها وطرد الجنى بنفى
الصورة الوهمية التى
اوهمها (فاستفتهم اهم اشد
خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم
من طين لازب بل عجبت
ويسخرون واذا ذكروا
لايذكرون واذا رأوا آية
يستسخرون وقالوا ان هذا
الاسحر مبين أئذا متنا وكنا

دعاربه ان ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون) نحن اى دعانا فأجبناه واهلكنا قومه (ونجيناه واهله
من الكرب العظيم) اى من الغم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعنى
ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه
من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله
عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث اخرجه الترمذى وقال حديث حسن
غريب وفى رواية اخرى سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب
وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج وماجوج وما هنالك (وتركنا
عليه فى الآخرين) اى ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة
(سلام على نوح فى العالمين) اى سلام عليه منا فى العالمين وقيل تركنا عليه فى الآخرين ان يصلى عليه
الى يوم القيامة (انا كذلك نجزى المحسنين) اى جزاه الله باحسانه الثناء الحسن فى العالمين (انه من عبادنا
المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين) يعنى الكفار * قوله عز وجل (وان من شيعته) اى من شيعة نوح
(لابراهيم) يعنى انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) اى مخلص من الشرك
والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لابيه وقومه ماذا
تعبدون) استفهام توبيخ (ائفكا آلهة دون الله تريدون) اى اتافكون افكا وهو اسوأ الكذب وتعبدون
آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعنى اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم (فنظر نظرة
فى النجوم فقال انى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون
ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم فى اصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير معبودة
وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين ايديهم
الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم
الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس اى مطعون وكانوا يفرون
من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام
وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض
الطريق القى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) اى الى عيدهم فدخل
ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) اى مال
(الى آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) اى للاصنام استهزاء بها (الا تأكلون) يعنى الطعام
الذى بين ايديكم (ما لكم لا تنطقون فراغ) اى مال (عليهم ضربا باليمين) اى ضربهم بيده اليمنى
لانها اقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله
وتالله لاكيدن اصنامكم (فاقبلوا اليه) اى الى ابراهيم (يزفون) اى يسرعون وذلك
انهم اخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج
(اتعبدون ما تنحتون) اى بايديكم من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) اى وعملكم وقيل
وخلق الذى تعملونه بايديكم من الاصنام وفى الآية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
(قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا
وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب واوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى

ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
او آباؤنا الاولون قل نعم
وانتم داخرون فانما هى
زجرة واحدة فاذا هم
ينظرون وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين هذا يوم
الفصل الذى كنتم به
تكذبون احشروا الذين
ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله
فاهدوهم الى صراط
الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون
مالكم لا تناصرون بل هم
اليوم مستسلمون واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون
قالوا انكم كنتم تأتوننا عن
اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما
طاغين فحق علينا قول ربنا
انا لذائقون فأغويناكم انا
كنا غاوين فانهم يومئذ فى
العذاب مشتركون انا
كذلك نفعل بالمجرمين انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله
يستكبرون ويقولون ائنا
لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
بل جاء بالحق وصدق
المرسلين انكم لذائقوا
العذاب الاليم وما تجزون
الا ما كنتم تعملون الا عباد
الله المخلصين) استثناء
منقطع اى لكن عباد الله

(فارادوا به كيدا) اى شرا وهو ان يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) اى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم وردكيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) اى مهاجرالى ربى واهجر دارالكفر قاله بعدخروجه من النار (سيهدين) اى الى حيث امرنى بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) اى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم ❊ قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع ابراهيم والمعنى بلغ ان ينصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك) قيل انه لم ير فى منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيأ فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى امر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشأم وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرشهر فى روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب عبدالله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء بن ابى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى امر بذبح من بشر به وليس فى القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان اول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح ومما ذكر ايضا فى كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبر على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان اسلم وحسن اسلامه اى ابنى ابراهيم امره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على ان يكون اباكم هو الذى امر الله تعالى

(بذبحه)

المخصوصون به لفرط عنايتهم به الذين اخلصهم الله عن شوب الغيرية والانانية والبقية واستخلصهم لنفسه بفناء الانانية والاثنينية (اولئك لهم رزق معلوم) يعلمه الله دون غيره وهو معلومات الله المقوية لقلوبهم المغذية لارواحهم (فواكه) ملذة غاية التلذذ اذ الفاكهة ما يتلذذ به اى يتلذذون فى مكاشفاتهم بما يحضرهم من معلوماته تعالى (وهم مكرمون) فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى الجنات الثلاث يتنعمون بقرب الحق فى حضرته غاية الاكرام والتنعم (فى جنات النعيم على سرر) مراتب ودرجات (متقابلين) فى الصف الاول متزئين لا يحجب بعضهم عن بعض ولا يتناضلون فى المقاعد (يطاف عليهم بكاس من) خمر اشوق (معين) مكشوف لاهل العيان اذ دنه المعاينة فكيف لا يعاين (بيضاء) نورية من عين الاحدية الكافورية لاشوب فيها ولا مزج من التعينات (لذة للشاربين لا فيها غول) بغتال العقل لانهم اهل صحو اخلصهم الله من الشوائب

بذبحه ويدعون انه اسحق ابوهم ومن الدليل ايضا قرنى الكبش كانا معلقين على الكعبة فى ايدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذى نفسى بيده لقدكان اول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس وقال الاصمعى سألت اباعمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق كان او اسمعيل فقال يااصمعى اين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع ابيه والله تعالى اعلم

﴿ ذكر الاشارة الى قصة الذبح ﴾

قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لى من الصالحين وبشر به قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب فى امر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام ياابت اين قربانك فقال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياابت افعل ماتؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى واخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته امر فى المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح تروى فى نفسه اى فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمى ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى رأى فى المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمى ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك (فانظر ماذا ترى) اى من الرأى على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره فى امر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة فى ذلك قلت لم يشاور ليرجع الى رأيه وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك قلت ان هذا الامر كان فى نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد فى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق (قال ياابت افعل ماتؤمر) اى قال الغلام لابيه افعل ما امرت به قال ابن اسحق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلى ابراهيم بابنه فى الشعب اخبره بما امره الله به فقال افعل ماتؤمر (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لاحول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فلما اسلما) يعنى انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه (وتله للجبين) اى صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه ياابت اشدد رباطى كيلا اضطرب واكفف عنى

والحاب فلا يكرابهم (ولا هم عنها ينزفون) بذهاب القول والعقول والا لم يكونوا اهل الجنات الثلاث فى مقام البقاء (وعندهم قاصرات الطرف) من اهل الجبروت والملكوت والنفوس المجردة الواقفات تحت مراتبهم فى مقام تجليات الصفات وسرادقات الجلال وفى مجالى مشاهداتهم تحت قباب الجمال فى روضات القدس وحضرة الاسماء (عين) لان ذواتهم كلها عيون لايعدون طرفا عنهم لفرط محبتهم وعشقهم لهم لانهم هم المعشوقون (كأنهن بيض مكنون) فى الاداحى لغاية صفائها فى خدور القدس ونقائها من مواد الرجس (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يتحادثون بأحاديث اهل الجنة والنار ومذاكرة احوال السعداء والاشقياء مطلعين على كلا الفريقين وماهم فيه من الثواب والعقاب كما ذكر فى وصف اهل الاعراف (قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واستحد شفرتك واسرع مر
السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرأ عليها السلام مني وان رأيت
ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت
يا بني على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه
وضع السكين على حلقه فلم تحك شيأ ثم انه حدها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيأ
قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا
فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني لوجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك
وبين امر الله تعالى وانا لا انظر الى الشفرة فاجزع ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع
السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحق
عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا آل
ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام فقال لها هل تدرين اين
ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبا من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا
هو ارحم به واشد حباله من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن
ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدري
اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال ان
ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد
ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح
ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع
ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيأ مما اراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى عن ابن عباس
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه
ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند
الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين (وناديناه) اى فنودي
من الجبل (ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا) اى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال
الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى
الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده واتى
بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو اسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك
فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (انا كذلك نجزي المحسنين) يعني جزاء الله باحسانه في طاعته العفو
عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (ان هذا لهو البلاء
المبين) اى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فاذا هو
بجبريل ومعه كبش املح اقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل
وكبر الكبش فاخذه ابراهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى
في الجنة اربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن آدم قيل حق له

لمدينون قال هل انتم مطلعون
فاطلع فرآه في سواء الجحيم
قال تالله ان كدت لتردين
ولولا نعمة ربي لكنت من
المحضرين افما نحن بميتين
الا موتتنا الاولى وما نحن
بمعذبين ان هذا لهو الفوز
العظيم لمثل هذا فليعمل
العاملون اذلك خير نزلا
ام شجرة الزقوم انا جعلناها
فتنة للظالمين انها شجرة تخرج
اصل الجحيم طلعها كانه) وهي
شجرة النفس الخبيثة
المحجوبة النابتة في قعر
جهنم الطبيعة المتشعبة
اغصانها في دركاتها
القبيحة الهائلة ثمراتها
من الرذائل والخبائث
كأنها من غاية القبح والتشوه
والخبث بالتنفر (رؤس
الشياطين) اى تنشأ منها
الدواعي المهلكة والنوازغ
المردية الباعثة على
الافعال القبيحة والاعمال
السيئة فتلك اصول الشيطنة
ومبادي الشرور المفسدة
فكانت رؤس الشياطين
(فانهم لآكلون منها)
يستمدون منها ويغتذون
ويتقوون فان الاشرار
غذاؤهم من الشرور
ولا يلتذون الا بها (فمالئون
منها البطون) بالهيئات

ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمى عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل اعظمه فى الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن مافدى اسمعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه فى الآخرين) اى تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده (سلام على ابرهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) * قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) اى بوجود اسحق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ (وباركنا عليه) يعنى على ابراهيم فى اولاده (وعلى اسحق) اى بكون اكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) اى مؤمن (وظالم لنفسه) اى كافر (مبين) اى ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن * قوله عز وجل (ولقد مننا على موسى وهرون) اى انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعنى بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) يعنى الذى كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق (ونصرناهم) يعنى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) اى على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعنى التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) اى دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما فى الآخرين) اى الثناء الحسن (سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) * قوله عز وجل (وان الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو فى مصحفه وقال اكثر المفسرين هو نبى من انبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

﴿ ذكر الاشارة الى القصة ﴾

قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبى عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل بتجديد مانسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل وان سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من امر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فأخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وامره ان يخبرهما ان الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول اهلكهما فى جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين

الفاسقة والصفات المظلمة كالممتلئ غضبا وحقدا وحسدا وقت هيجانها (ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم) الاهواء الطبيعية والمنى السيئة الرديئة ومحبات الامور السفلية وقصور الشر والموبقة التى تكسر بعض غلة الاشرار (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) لغلبة الحرص والشره بالشهوة والحقد والبغض والطمع وامثالها واستيلاء دواعيها مع امتناع حصول مباغيها * ويمكن تطبيق قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام على حال الروح الساذج من الكمال (انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم

اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابرهيم اذجاء ربه بقلب سليم اذجاء ربه) بسابقة معرفة الازل والوصلة الثابتة فى العهد الاول (بقلب) باق على الفطرة واستعداد صاف (سليم) عن النقائص والآفات محافظ على عهد التوحيد الفطرى منكر على المحتجبين بالكثرة عن الوحدة ناظر فى نجوم العلوم العقلية الاستدلالية والحجج والبراهين النظرية مدرك بالاستبصار والاستدلال سقمه من جهة الاغراض النفسانية والشواغل البدنية الحاجبة فأعرض عنه قومه البدنيون المدبرون عن مقصده ووجهته لانكاره عليهم فى تقيد الاكوان وطاعة الشيطان الى عبدهم واجتماعهم على اللذات والشهوات التى يعودون اليها كل وقت (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ءافكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون مالكم) اى فأقبل

ملقاتين فيها ولا يتنعان فيها الا قليلا فجاء الياس فأخبر الملك بما اوحى الله اليه فى امره وامر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى الى الشعاب والكهوف فبقى سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى الكهوف فى الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى انت فيه الست امينى على وحيى وحجتى فى ارضى وصفوتى من خلقى سلنى اعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يارب تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذى اعرى منك الارض واهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلنى اعطك فقال الياس ان لم تمتنى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل قال الله عز وجل واى شئ تريد ان اعطيك قال تملكنى خزائن السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتى فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقى ولكن اعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأى شئ اعيش يارب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بنى اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها اعندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بى رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امرأة من بنى اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته واخفت امره فدعا لابنها فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يارب دعنى اكن انا الذى ادعو لهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد اهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على

(اخبث)

اخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم
كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا
كان بالموضع الذى امر به اقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب عليه
فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرنى فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان
ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين اظهرهم
وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله عز وجل على
آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته اربيل
فى الجنينة التى اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى
بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بنى اسرائيل
واوحى اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم
اليسع روى السدى عن يحيى بن عبد العزيز عن ابى رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان
ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار
فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا) يعنى اتعبدون
بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن
(وتذرون) اى وتتركون عبادة (احسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاولين
فكذبوه فانهم لمحضرون) اى فى النار (الا عباد الله المخلصين) اى من قومه الذين آمنوا به فانهم
نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل اراد
آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من اسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين
بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين)
※ قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين) اى الباقين
فى العذاب (ثم دمرنا) اى اهلكنا (الآخرين وانكم) اى يا اهل مكة (لتمرون عليهم) اى
على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) اى فى وقت الصباح (وبالليل) اى وبالليل اسفاركم (افلا تعقلون)
اى فتعتبرون بهم ※ قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) اى من جملة رسل الله تعالى (اذ
ابق) اى هرب (الى الفلك المشحون) اى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه
العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال
الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس
فقال انا الآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء
مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب
المركب وجاءت موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقى فريدا
فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال
الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب
ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا
فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) اى فقارع (فكان من المدحضين) يعنى من

مخفيا حاله عنهم على كسر
آلهتهم بفأس التوحيد
والذكر الحقيق يضربهم
(ضربا باليمين فاقبلوا)
بيمين العقل فرجعوا فاقبلوا
(اليه يزفون) غالبين مستولين
عند ضعفه ساعين فى
تخريب قالبه (قال اتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما
تعملون قالوا ابنوا له بنيانا
فألقوه فى الجحيم فأرادوا
به كيدا فجعلناهم الاسفلين)
فى نار حرارة الرحم فجعلها
الله عليه بردا وسلاما اى
روحا وسلامة من الآفات
لبقاء صفاء استعداده ونقاء
فطرته وبنى عليه بنيان
الجسد وجعل الله اعداءه
من النفس الامارة والقوى
البدنية المطاقة اياه فى النار
من الاسفلين لتكامل
استعداده فتوجه الى ربه
بالسلوك (وقال انى ذاهب
الى ربى سيهدين) ودعا ربه
بلسان الاستعداد الكامل
الاصلى ان يهب له ولد
القلب الصالح فبشره به
ورزقه (رب هب لى من
الصالحين فبشرناه بغلام
حليم فلما بلغ معه السعى
قال يا بنى انى ارى فى المنام
انى اذبحك فانظر ماذا ترى
قال يا ابت افعل ماتؤمر

المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ اى ابتلعه ﴿ وهو مليم ﴾ اى آت بما يلام عليه ﴿ فلولا انه كان من المسبحين ﴾ اى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا انه كان من المسبحين ﴿ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴾ وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون اى لصار بطن الحوت قبراله الى يوم القيامة ❊ قوله عز وجل ﴿ فنبذناه ﴾ اى طرحناه انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى ﴿ بالعراء ﴾ اى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل ﴿ وهو سقيم ﴾ اى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية ﴿ وانبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ يعنى القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل انبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن ان يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فارسل الله تعالى اليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا ﴿ وارسلناه الى مائة الف ﴾ قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه والمعنى وكنا ارسلناه الى مائة الف فلما خرج من بطن الحوت وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين ﴿ او يزيدون ﴾ قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل او على اصلها والمعنى او يزيدون فى تقدير الرائى اذا رآهم قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول واما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا ويعضده ماروى عن ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا ﴿ فآمنوا ﴾ يعنى الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب ﴿ فمتعناهم الى حين ﴾ اى الى انقضاء آجالهم ❊ قوله عز وجل ﴿ فاستفتهم ﴾ اى فسل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ ﴿ الربك البنات ولهم البنون ﴾ وذلك ان جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا الله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق ﴿ ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ﴾ اى حاضرون خلقنا اياهم ﴿ الا انهم من افكهم ﴾ اى من كذبهم ﴿ ليقولون ولد الله ﴾ اى فى زعمهم ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ اى فيما زعموا ﴿ اصطفى البنات ﴾ اى فى زعمكم ﴿ على البنين ﴾ وهو

(استفهام)

ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب اباءكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على

استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) اى بالبنات لله ولكم بالبنين (افلا تذكرون) اى افلا تتعظون (ام لكم سلطان مبين) اى برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم ابوبكر الصديق رضى الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) اى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعنى يا اهل مكة (وما تعبدون) اى من الاصنام (ما انتم عليه) اى على ما تعبدون (بفاتنين) اى بمضلين احدا (الا من هو صال الجحيم) اى الا من سبق له فى علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار * قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (وما منا الا له مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى او يسبح وروى ابوذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط اصوات الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما فى السماء من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم اى فى القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانا لنحن الصافون) يعنى الملائكة صفوا اقدامهم فى عبادة الله تعالى كصفوف الناس فى الصلاة فى الارض (وانا لنحن المسبحون) اى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار * قوله عزوجل (وان كانوا ليقولون) يعنى كفار مكة قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم (لو ان عندنا ذكرا من الاولين) يعنى كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) اى لاخلصنا العبادة لله (فكفروا به) اى فلما اتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم * قوله عزوجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) اى بالحجة البالغة (وان جندنا) اى حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) اى لهم النصرة فى العاقبة (فتول) اى اعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى ان يأتيهم العذاب (وابصرهم) اى اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) اى ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عزوجل (افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعنى العذاب (بساحتهم) اى بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) اى فبئس صباح الكافرين الذين انذروا العذاب (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية

الياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون) بالسلوك فى طريق الكمالات الخلقية والفضائل النفسانية اوحى اليه ان يذبحه بالفناء فى التوحيد والتسليم لربه الحق بالتجريد من الصفات الكمالية فأخبره بذلك فانقاد واسلم وجهه بالفناء فى ذاته عن صفاته ففدى على يد جبريل العقل الفعال بذبح النفس الشريفة السمينة بالعلوم العظيمة الاخلاق وكمالات الفضائل وذبحت بالفناء فيه وانجى اسمعيل القلب بالفناء الحقانى الموهوب المفدى من جهة الله وترك الله عليه السلام فى العالمين المتخلفين عن مقامه لاهتدائهم بنوره واقتدائهم بايمانه وهديه (وان يونس) القلب (لمن المرسلين) الى اهل النقصان المحتجبين بالابدان المتبعين للشيطان المتظاهرين بالطغيان (اذ ابق الى الفلك) الى فلك البدن (المشحون)

قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ماتقدم تأكيد الوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر احوالهم فى الدنيا وهذه ذكر احوالهم فى الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وابصر) اى العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) اى الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) اى عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) اى الذين بلغوا عن الله عزوجل التوحيد والشرائع لان اعلى مراتب البشر ان يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلاجرم يجب على كل احد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) اى على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين ان يقولوه ولايخلوا به ولايغفلوا عنه لماروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة ص ﴾

ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهى مكية وهى ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذى الذكر) قال ابن عباس اى ذى البيان وقيل ذى الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذى الذكر ما الامر كما قول الكفار دل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق) والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفى آخر ومجاز الآية ان الله تعالى اقسم بصاد والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا من اهل مكة فى عزة اى حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اى خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الامم الخالية (فنادوا) اى استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) اى ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص اى اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عزوجل ولات حين مناص اى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى كفار مكة (ان جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من انفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) * قوله عزوجل (اجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب

(رضى الله)

بالقوى البدنية وكمالاتها الحسية الجارى فى بحر الهيولى (فساهم) او فاقترع معهم فى الحظوظ البدنية واختيارها بالافكار العقلية (فكان من المدحضين) المحجوبين المزلقين بالحجة البرهانية اليقينيه لانهم بدنيون اهل البحر والسفينة وهو القدسى المجرد من سكان الحضرة الالهية الآبق من سيده الى السفينة الملقى بيده الى التهلكة فألقى فى البحر فالتقمه حوت الرحم كاقطه النطفة (فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه وهو مليم) مستحق للملامة للتعلق بالملابس البدنية الموجبة اوقوعه فى تلك البلية (فلولا انه كان من المسبحين) المنزهين لربه بالتقدس حالة التجريد والتوحيد (للبث فى بطنه) كسائر القوى الطبيعية والنفسانية المنغمسة فى بطون حيتان الصور النوعية الجسمانية من الطبائع الهيولانية (الى يوم يبعثون) اى يوم يبعث المجردون عن مراقد ابدانهم مع بقائه فى مرقده كسائر الغافلين او يوم يبعث رفقاؤه البدنيون

رضي الله عنه اسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى ابي طالب فاتوا الى ابي طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانما اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل اليه ابو طالب فدعا به فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونني قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشرة امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا الشئ عجاب) اى عجب (وانطلق الملا منهم) اى من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي طالب (ان امشوا) اى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) اى اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشئ يراد) اى لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضي الله عنه لما اسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشئ يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا (ماسمعنا بهذا) اى بالذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) قاله ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه (ان هذا الا اختلاق) اى كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) اى القرآن (من بيننا) اى يقول اهل مكة ليس هو باكبرنا ولا اشرفنا قال الله تعالى (بل هم في شك من ذكرى) اى وحيي وما انزلت (بل لما يذوقوا عذاب) اى لو ذاقوه لما قالوا هذا القول (ام عندهم خزائن رحمة ربك) يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) اى في ملكه (الوهاب) الذي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما) اى ليس لهم ذلك (فليرتقوا في الاسباب) يعني ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء ليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وقيل اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا امر توبيخ وتعجيز (جند ما هنالك) اى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك (مهزوم) اى مغلوب (من الاحزاب) يعني ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا اخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون امره ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشئ وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم

في القيامة الصغرى (فنبذناه بالعراء) اى بالفضاء من عرصة الدنيا بالوردة (وهو سقيم) ضعيف ممنو بالاعراض المادية واللواحق الطبيعية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) لا تقوم على ساق وتنسرح على وجه الارض تظلل عليه باوراقها من الغواشي البدنية وقد قيل في التفاسير الظاهرة انه قد ضعف بدنه في بطن الحوت وصار كطفل ساعة يولد (وارسلناه) عند الكمال (الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فتعناهم الى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ومامنا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون

وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد واحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه ﴿ وثمود وقوم لوط واصحاب الأيكة اولئك الاحزاب ﴾ اى الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركى قريش حزب من اولئك الاحزاب ﴿ ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ يعنى ان اولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا انبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفى الآية زجر وتخويف للسامعين ﴿ وما ينظر ﴾ اى ينتظر ﴿ هؤلاء ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ الا صيحة واحدة ما لها من فواق ﴾ اى رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التى هى ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا ﴾ اى خطنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى حصرت كل شئ قيل لما نزلت فى الحاقة فاما من اوتى كتابه بيمينه واما من اوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا ﴿ قبل يوم الحساب ﴾ وقيل قطا اى حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ اصبر على ما يقولون ﴾ اى على ما يقول الكفار من التكذيب ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الايد ﴾ قال ابن عباس ذا القوة فى العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة فى الملك ﴿ انه اواب ﴾ اى رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة ﴿ انا سخرنا الجبال معه يسبحن ﴾ اى بتسبيحه اذا سبح ﴿ بالعشى والاشراق ﴾ اى غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى قوله بالعشى والاشراق قال كنت امر بهذه الآية لا ادرى ما هى حتى حدثتنى ام هانى بنت ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا ام هانى ان هذه صلاة الاشراق قلت والذى اخرجاه فى الصحيحين من حديث ام هانئ فى صلاة الضحى قالت ام هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت انا ام هانى بنت ابى طالب فقال مرحبا يا ام هانى فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت ام هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال ما حدثنا احد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير ام هانئ فانها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود ❁ قوله تعالى ﴿ والطير ﴾ اى وسخرنا له الطير ﴿ محشورة ﴾ اى مجموعة اليه تسبح معه ﴿ كل له اواب ﴾ اى رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه ﴿ وشددنا ملكه ﴾ قويناه بالحرس والجودة قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وروى عن ابن عباس ان رجلا من بنى اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان

وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) والله اعلم

❁ سورة ص ❁

❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁

(ص والقرآن ذى الذكر) اقسم بالصورة المحمدية والكمال التام المذكور بالشرف والشهرة بانه اتم الكمالات وهو العقل القرآنى الجامع لجمع الحكم والحقائق من الاستعداد التام المناسب لتلك الصورة الشريفة كما روى عن ابن عباس ص جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن عامادل عليه قوله (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) وحذف

هذا غصبنى بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر فى امركما فاوحى الله الى داود فى منامه ان يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل عليه حتى اتثبت فأوحى اليه مرة اخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة ان يقتله اوتأتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال ان الله عز وجل اوحى الى ان اقتلك فقال تقتلنى بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لاتعجل حتى اخبرك انى والله ما اخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك اوخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعنى النبوة والاصابة فى الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعنى بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضا وقال على بن ابى طالب هو ان البينة على المدعى واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقاله ابى بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه امابعد اذا اراد الشروع فى كلام آخر واول من قال داود عليه الصلاة والسلام ❊ قوله عز وجل (وهل اتاك) اى وقد اتاك يا محمد (نبأ الخصم) اى خبر الخصم فاستمع نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذتسوروا المحراب) اى صعدوا وعلوا المحراب اى البيت الذى كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى انهم اتوا المحراب من سوره وهو اعلاه وفى الاية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام * واختلف العلماء باخبار الانبياء فى سبب ذلك وسأذكر ماقاله المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لايليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فلا ينسب اليها الا مايليق بها واما ماقاله المفسرون فهو ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابرهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابرهيم واسحق ويعقوب فقال يارب ارى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابرهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتنى بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده الله دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذجاءه الشيطان وقد تمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فديده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تويسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها له فابصر امرأة فى بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من اجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هى تشابع بنت شايع امرأة اوريا بن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ان ابعث اوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لايحل له ان

جواب القسم فى مثل ذلك غير عزيز وهو انه لحق يجب ان يتبع ويذعن له ويقبل بخضوع وذلة (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) جبوا عن الحق بانائيتهم وضادوه فى استكبار وعناد لجوخلاف لظهور انفسهم باطلها فى مقابلة الحق وقوله (كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما فليرتقوا فى الاسباب جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ومانظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق وقالوا ربنا

عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) معناه داوم استقامتك فى التوحيد وعارض اذاهم بالصبر فى التمكين ولا تظهر نفسك فى مقابلة اذاهم بالتلوين فانك قائم بالله متحقق بالحق فلا تحرك الايه (واذكر) حال اخيك (عبدنا) المخصوص بعنايتنا القديمة (داود ذا الايد) اى القوة والتمكين واضطلاع فى الدين كيف زل عن مقام استقامته فى التلوين فلا يكن حالك فى ظهور النفس حاله ثم وصف قوة حال داود عليه السلام وكماله بقوله (انه اواب) رجاع الى الحق عن صفاته وافعاله بالفناء فيه (انا سخرنا الجبال) جبال الاعضاء معه (يسبحن بالعشى والاشراق) بالانقياد والتمرن فى الطاعة اوقات العبادة وقت عشى الاستتار واحتجاب نور شمس الروح بظهور النفس واشراق التجلى وسلطان نور شمس الروح على النفس لا يتفاوت حاله فى العبادة بالفترة والعزيمة فى الوقتين لكمال تمرن نفسه وبدنه فى الطاعة وطيرا القوى باجمعها (والطير محشورة) مجموعة متسالمة بهيئة العدالة والانحراط فى

يرجع واراه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى ام سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود احب ان يقتل اوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غيران الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة فى الدنيا وازدياد من النساء وقد اغناه الله تعالى عنها بما اعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر اجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرا اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام مازال يجتهد فى العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال اخبرونى باى شئ انتم موكلون قالوا نكتب صالح اعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه ليت شعرى كيف اكون او خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله تعالى الى الملكين ان يعتزلاه ليعلم انه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه اعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فاشعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) اى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من ادخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) اى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) اى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من احدهما والمعنى رأيت خصمين بغى احدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) اى لا تجر فى حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) اى ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما (ان هذا اخى) اى على دينى وطريقتى لا من جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) اى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة هذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغى (فقال اكفلنيها) قال ابن عباس اى اعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لا تزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه افصح منى فى الكلام وان حارب كان ابطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر اوريا زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة

ولاوريا امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) اى بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخلطاء) اى الشركاء (ليبغى بعضهم الى بعض) اى يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لايظلمون احدا (وقليل ماهم) اى هم قليل وماصلة والمعنى ان الصالحين الذين لايظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك وصعدا الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) اى ايقن وعلم (انما فتناه) اى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه انما عنى به وروى البغوى باسناد الثعلبى عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم فقطع على بنى اسرائيل اوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل اوينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصه ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة ابعد مابين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد اربعين ليلة فقال ياداود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ماسألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ماشاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله ياداود عن الذى ارسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يارب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه اقاويل السلف من اهل التفسير فى قصة امتحان داود

﴿ فصل ﴾ فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لايليق به وماينسب اليه اعلم ان من خصه الله تعالى بنبوته واكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لايليق ان ينسب اليه مالو نسب الى آحاد الناس لاستنكف ان يحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على لانبياء وقال القاضى عياض لايجوز ان يلتفت الى ماسطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولاورد فى حديث صحيح والذى نصه عليه الله فى قصة داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود واوريا خبر ثابت ولايظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا هو الذى ينبغى ان يقول عليه من امر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلايليق بعاقل ان يظن بداود

سلك الوحدة فى تسبيحاتها المخصوصة بكل واحدة منها (كل له اواب) رجاع لتسبيحه بتسبيحه (وشددنا ملكه) قويناه بالتأييد وايتاء العزة والهيبة واعطاء العز والقدرة لائتلاف نفسه بانوار تجليات القهر والعظمة والكبرياء والعزة واتصافه بصفاتنا الباهرة فيها به كل احد ويجله ويذعن لسلطنته ويجله (وآتيناه الحكمة) لاتصافه بعلمنا (وفصل الخطاب) والفصاحة المبينة للاحكام اى الحكمة النظرية والعملية والمعرفة والشريعة وفصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام المتعلق بالاحكام ثم بين تلوينه وظهور نفسه فى زلته وتبيينه الحق بالعتاب على خطيئته وتأديبه اياه وتداركه بتوبته بقوله (وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب * اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من

الخطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم *وظن) اى تيقن (داود انما فتناه) ابتليناه بامرأة اوريا (فاستغفر ربه) بالتنصل عن ذنبه بالافتقار والالتجاء اليه فى المجاهدة وكسر النفس وقمعها بالمخالفة (وخر) بمحو صفات النفس (راكعا) فانيا فى صفات الحق (واناب) الى الله بالفناء فى ذاته (فغفرنا له ذلك) التلوين بستر صفاته بنور صفاتنا (وان له عندنا لزلفى) بالوجود الحقانى الموهوب حال البقاء بعد الفناء (وحسن مآب) لاتصافه حينئذ بصفاتنا لا بأنانيته ليلتحق بنا ويحكم بأحكامنا فى محل الخلافة الآلهية كما قال (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس) بالحكم (بالحق) لا بنفسك يكون عدلا لاجورا (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بظهور النفس فيجور ضالا عن سبيل الحق الى سبيل الشيطان (وماخلقنا السماء

عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة مانقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا انت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم فان قلت فى الآية مايدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله واناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات واعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان فى الاية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة الى ان داود عليه الصلاة والسلام مازاد على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى ان تكون امرأة اوريا له فاتفق ان اوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان اوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج اوريا لها فعوتب داود بسببين احدهما خطبته على خطبة اخيه والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب اوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله اعلم * وقوله عز وجل (فاستغفر ربه) اى سأل ربه الغفران (وخر راكعا) اى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعد ماكان راكعا والله تعالى اعلم بمراده

(فصل) اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى انها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن احمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر ان يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله عليه وسلم وللنسائى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما
كان في يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي
توبة نبي ولكني رايتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا اخرجه ابو داود قوله تشوف الناس يعني تهيؤا
وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله
رايتني الليلة وانا نائم كاني اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم
اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه
الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره
الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود اربعين يوما لا يرفع رأسه
الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام اربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي
حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده
سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان
خالق النور الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم اقم لفتنته اذ نزلت بي سبحان خالق النور
الهي انت خلقتني وكان في سابق علمك ما انا اليه صائر سبحان خالق النور الهي الويل لداود يوم
يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك يوم القيامة
وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي باي قدم اقوم امامك يوم القيامة
يوم تزل اقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهي من اين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان
خالق النور الهي انا لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي انا لا اطيق
صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم
الذي اصابه سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخاطؤن بخطاياهم دونك وانت تشاهدهم حيث
كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور الهي
اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني سبحان خالق النور الهي اعوذ بوجهك الكريم
من ذنوبي التي اوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي
فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود اربعين يوما لا يرفع
رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي ياداود اجائع انت فتطعم اظمآن انت
فتسقى امظلوم انت فتنصر فاجيب في غير ماطلب ولم يجب في ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى
هاج ماحوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان
داود اتاه نداء اني قد غفرت لك قال يارب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا
فناده وانا اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى
يااوريا فقال من هذا الذي قطع على لذتي وايقظني قال انا داود قال ماجاء بك يانبي الله قال اسألك
ان تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني
للجنة فانت في حل فاوحى الله تعالى اليه ياداود الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي بالتعنت الا اعلمته
انك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي وايقظني قال
انا داود قال ماجاء بك يانبي الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك

والارض وما بينهما) خلقا
(باطلا) لاحق فيها بل حقا
محجبا بصورها لا وجود
لها بنفسها فتكون باطلا
محضا (ذلك ظن الذين
كفروا) المحجوبين عن
الحق بمظاهر الكون
(فويل للذين كفروا من
النار) لهم من نار الحرمان
والاحتجاب والتقلب في
نيران الطبيعة والانانية
بأشد العذاب (ام نجعل) بل
لم نجعل (الذين آمنوا)
بشهود جماله في مظاهر
الاكوان (وعملوا الصالحات)
من الاعمال المقصودة
بذاتها المتعلقة بصلاح العالم
الصادرة عن اسمائه
(كالمفسدين في الارض)
المحجوبين الفاعلين بانفسهم
وصفاتهم الافعال البهيمية
والسبعية والشيطانية في
ارض الطبيعة (ام نجعل
المتقين) المجردين عن
صفاتهم (كالفجار) المتلبسين
بالغواشي الفسانية
والشيطانية في اعمالهم (كتاب
انزلناه اليك مبارك ليدبروا
آياته) بالنظر العقلي مادامو
في مقام النفس فيخلعوا
عن صفاتهم في متابعة صفاته
(وليتذكر) حال العهد
الاول والتوحيد الفطري
عند التجرد (اولو الالباب)

وقد تزوجنها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود اعطيه يوم القيامة من الثواب مالم تر عيناه ولم تسمع اذناه فاقول رضيت عبدي فيقول يارب من اين لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (واناب) اي رجع (فغفرنا له ذلك) اي الذنب (وان له عندنا) اي يوم القيامة بعد المغفرة (لزلفى) اي لقربة ومكانة (وحسن مآب) اي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها اربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء اربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصى فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عادل بكاء داود بكاء اهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته

الحقائق المجردة الصافية عن قشر الخلقة * ثم ذكر تلوين سليمان وابتلاءه تأكيدا لتديته وتقوية له في استقامته وتمكينه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) لصلاحية استعداده للكمال النوعي الانساني وهو مقام النبوة (انه اواب) رجاع الى بالتجريد (اذعرض عليه بالعشي) وقت قرب غروب شمس الروح في الافق الجسماني بميل القلب الى النفس وظهور ظلمتها بالميل الى المال واستيلاء محبة الجسمانيات واستحسانها كما قال الله تعالى زين للناس حب الشهوات الى قوله والخيل المسومة والانعام والحرث فان الميل الى الزخارف الدنيوية والمشتهيات الحسية وهوى اللذات الطبيعية والاجرام السفلية يوجب اعراض النفس عن الجهة العلوية واحتجاب القلب عن الحضرة الالهية (الصافنات الجياد) التي استعرضها وانجذب بهواها واحبها (فقال اني احببت حب الخير) اي احببت منيبا حب المال (عن ذكر ربي)

ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت اوصاله فلا يشهدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل مافعل كانت لاتصغى الى قراءته وقيل انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك * قوله عزوجل (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) اى لتدبر امر الناس بامر نافذ الحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) اى بالعدل (ولاتتبع الهوى) اى لاتمل مع ماتشتهى اذا خالف امر الله تعالى (فيضلك عن سبيل الله) اى عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) اى بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء * قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لاثواب ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقناهما عبثا لا لشئ (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى اهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شئ وانه لابعث ولاحساب (فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما نعطى فى الآخرة من الخير ماتعطون فنزلت هذه الآية (ام نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لانجعل الفريقين سواء فى الآخرة (كتاب انزلناه اليك) اى هذا كتاب يعنى القرآن (انزلناه اليك مبارك) اى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) اى ليتدبروا ويتفكروا فى اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى اوامره ونواهيه (وليتذكر) اى وليتعظ (اولوا الالباب) اى ذووا العقول والبصائر * قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا اهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ما اصاب وهو الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فأقبل فضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقى منها مائة فرس فالذى فى ايدى الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قيل هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل او يد وقيل الصافن القائم وجاء فى الحديث من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اى قياما الجياد اى الخيار السراع فى الجرى واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال انى احببت حب الخير) اى آثرت حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود فى نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعنى المال ومنه الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر ربى) يعنى صلاة العصر (حتى توارت) اى استترت الشمس (بالحجاب) اى ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها على) اى ردوا الخيل على (فطفق مسحا

مشتغلا به لمحبتى اياه كما يحب لمثلى ان يشتغل بربه ذاكرا محباله فاستبدلت محبة المال بذكر ربى ومحبته فذهلت عنه (حتى توارت بالحجاب) شمس الروح بحجب النفس (ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق) اى يمسح السيف مسحا بسوقها يعرقب بعضها وينحر بعضها كسر الاصنام النفس التى تعبدها بهواها وقمعها لسورتها وقواها ورفعا للحجاب الحائل بينه وبين الحق واستغفارا وانابة اليه بالتجريد والترك (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) ابتليناه مرة اخرى بما هو اشد من هذا التلوين وهو القاء الجسد على كرسيه وقد اختلف فى تفسيره على ثلاثة اوجه احدها انه ولد له ابن فهم الشياطين بقتله مخافة ان يسخرهم كابيه فعلم بذلك فكان يغدوه فى السحابة فما راعه الا ان التى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه فى ان لم يتوكل فيه على ربه والثانى انه قال ذات يوم لأطوفن على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن

بالسوق) جمع ساق (والاعناق) اى جعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبى الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك اسفا على مافاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها واعناقها بكى الصدقة وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما انه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر انى لااحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام امر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم امر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه اراد ان يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه باشر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيهما مايدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شئ من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول ان يدعى ان لفظ الآية لايدل على شئ من تلك الوجوه التى ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثانى ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات * قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) اى اختبرناه وابتلينا بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى مافيها واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيأ من نسائه اوكانت على منزلتها عنده لايذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لايذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت انى اذكر ابى واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله به ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته اصابنى ما تراه من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى انا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزنى وان يسلى عنى بعض ما اجد فى نفسى فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها فى دارها حتى لاتنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى ابيها

ولم تحمل الامرأة واحدة جاءت بشق رجل فعلى هذين الوجهين يكون ابتلاؤه بمحبة الولد فظهور النفس عليه اليه اما بشدة الاهتمام بحفظه وتربيته وصونه عن شياطين الاوهام والتخيلات فى سحاب العقل العملى وتغذيته بالحكمة العقلية واعتماده فى ذلك على العقل والمعقول واستحكام اهله لكماله دون تفويض امره فيه الى الله واتكاله فى شانه عليه فابتلاه الله بموته فتنبه على خطئه فى شدة حبه للغير وغلبة اهله واما بظهور النفس فى الانتزاح والتمنى وغلبة الحسبان والظن والاحتجاب عن الاستيهاب بالعادة والفعل وبالتدبير عن التقدير والذهول عن امر الحق بغلبة صفات النفس فابتلاه الله بالمعلول البعيد عن المراد الذى تصوره فى نفسه وقدره فأناب بالرجوع الى الحق عند التنبه على ظهور النفس وتدارك التلوين بالاستغفار والاعتذار فى التقصير والوجه الثالث انه غزا صيدون مدينة فى بعض جزائر البحر فقتل ملكها

بعينه الاانه لاروح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت
اذاخرج سليمان من دارها تغدوا ليه فى ولائدها فتسجدله ويسجدن معها كما كانت تصنع فى ملكه
وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لايعلم بشئ من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن
برخيا وكان صديقا وكان لايرد عن ابواب سليمان اى ساعة ارادد خول شئ من بيوته دخل
حاضرا سليمان اوغائبا فاتاه فقال يانبى الله كبر سنى ورق عظمى ونفد عمرى وقدحان منى الذهاب
وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله تعالى واثنى عليهم بعلمى
فيهم واعلم الناس بعض ماكانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام
فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تعالى واثنى على كل نبى بما فيه وذكر مافضله الله تعالى
به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احكمك فى صغرك واورعك فى صغرك وافضلك فى صغرك
واحكم امرك فى صغرك وابعدك عن كل مايكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان
فى نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال ياآصف ذكرت من مضى من
انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتنى جعلت
تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من امرى فى كبرى فما الذى احدثت فى آخر عمرى
فقال آصف ان غيرالله يعبد فى دارك منذ اربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى
قال فى دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ماقلت الذى قلت الاعن شئ
بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقبت تلك المرأة وولائدها ثم امر
بثياب الطهيرة فاتى بها وهى ثياب لايغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا
الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر
برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا الى الله تعالى
وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره
وكانت له ام ولد يقال لها امينة كان اذا دخل الخلاء اواراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها
حتى يتطهر وكان لايمس خاتمه الاوهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه
فاتاها شيطان اسمه صخر المارد فى صورة سليمان لاتنكر منه شيأ فقال خاتمى امينة فناولته اياه فجعله فى يده
ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان
فاتى امينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال ياامينة خاتمى قالت من انت قال سليمان بن داود
فقالت كذبت قدجاء سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته
قدادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول اناسليمان بن داود فيحثون عليه
التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اى شئ يقول يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر
فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة
ويشوى الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن فى داره ثم ان آصف
وعظماء بنى اسرائيل انكروا حكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال آصف يامعشر بنى اسرائيل هل
رايتم من اختلاف حكم ابن داود مارايتم قالوا نعم فقال امهلونى حتى ادخل على نسائه فاسألهن هل
انكرن من خاصة امره ماانكرنا فى عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن

وكان عظيم الشان واصاب
بنتاله اسمها جرادة من
احسن الناس وجها فاصطفاها
لنفسه بعد ان اسلمت
واحبها وقداشتد حزنها على
ابيها فامر الشياطين فمثلوا
لها صورة ابيها فكستها
مثل كسوته وكانت تغدوا
اليها وتروح مع ولائدها
يسجدن لها كعادتهن فى
ملكه فأخبر آصف سليمان
بذلك فكسر الصورة وعاقب
المرأة ثم خرج وحده الى
فلاة وفرش لنفسه الرماد
فجلس عليه تائبا الى الله
متضرعا وكانت له ام ولد
يقال لها امينة اذا دخل
للطهارة اولاصابة امرأة
وضع خاتمه عندها وكان
ملكه فى خاتمه فوضعه عندها
يوما واتاها الشيطان صاحب
البحر اسمه صخر على صورة
سليمان فقال ياامينة خاتمى
فتختم به وجلس على كرسى
سليمان وغير سليمان عن هيئته
فانكرته وطردته فعرف ان
الخطيئة قد ادركته فأخذ
يدور على البيوت يتكفف
واذا قال اناسليمان حثوا
عليه التراب وسبوه ثم عمد
الى السماكين يخدمهم فمكث
على ذلك اربعين صباحا ثم
طار الشيطان وقذف الخاتم

من ابن داود ما انكرنا فقلن اشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشد مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكف عليه الطير والجن واقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان احدث في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوه بصخر فطلبوه حتى اخذوه فاتى به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذفوه في البحر * وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت ابر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا واعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فاقام آصف في ملك سليمان بسيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وفي رواية لاطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث لينفذ امر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي القي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) اي رجع الى ملكه

في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وقذفه في البحر فان صحت الحكاية في مطابقتها للواقع كان قد اشتد تلوينه وابتلي بمثل ما ابتلي به ذو النون وآدم عليهما السلام والحكاية من موضوعات حكماء اليهود وعظمائهم كسائر ما وضعت الحكماء في تمثيلاتهم من حكايات ابسال وسلامان وامثالها وتأويلها والله اعلم بصحتها ووضعها ان سليمان قصد مدينة صيدون البدن جزيرة في بحر الهيولى وقتل ملكها النفس الامارة العظيم الشان ظاهر الطغيان بالمجاهدة في سبيل الله واصاب بنتاله اسمها جرادة وهي القوى المتخيلة بالطيارة كالجرادة تجرد اشجار الاجسام والاشياء كلها بنزع صورها عن موادها مكنوفة بلواحقها حزينة وهي من احسن الناس صورة في تزيينها وتسويلها نفسها وما تخيلاته من مدركاتها واسلمت على يده اي انقادت للعقل ورجعت

بعد الاربعين يوما وقيل اناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفرلى) اى سأل ربه المغفرة (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) اى لا يكون لاحد من بعدى وقيل لا تسلبنيه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبته منى فيما مضى من عمرى (انك انت الوهاب) فان قلت قول سليمان لا ينبغى لاحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا لنفاسة بها ولكن كان قصده فى ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه احب ان يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيأ يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا ※ قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء) اى لينة ليست بعاصفة (حيث اصاب) اى حيث اراد (والشياطين) اى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) اى يبنون له مايشاء (وغواص) يعنى يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) اى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين فى الاصفاد) اى مشدودين فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد (هذا عطاؤنا) اى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) اى احسن الى من شئت (او امسك) اى عن شئت (بغير حساب) اى لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن ما انعم الله تعالى على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى امر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وامسك اى احبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ما انعم به عليه فى الدنيا اتبعه بما انعم به عليه فى الآخرة ※ قوله عزوجل (واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب) اى بمشقة (وعذاب) اى ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب (اركض) يعنى انه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض اى اضرب (برجلك) يعنى الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) امره الله تعالى ان يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء عذب اخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله عزوجل (وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا) اوانما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لاولى الالباب) يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم ازلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) اى ملء كفك من حشيش اوعيدان اوريحان (فاضرب به ولا تحنث) وكان قد حلف ان يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه فى ضربها وسهل له الامر وامره بان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث

عن دين الوهم فصارت مفكرة فاصطفاها لنفسه واحبها لتوقف حصول كماله عليها وحزنها على ابهاميلها الى النفس بطبعها وتأسفها على فوات حظوظها وامره للشيطان بتمثل صورة ابيها وكسوتها مثل كسوته هو اشارة الى منشأ تلوينه وابتلائه بالميل الى النفس واغتراره بكماله واشتغاله بحظوظ النفس قبل اوانه كما قال امير المؤمنين عليه السلام نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى وطاعة الشيطان له تسخير القوة الوهمية له فى اعادة النفس الى الهيئة الاولى وان لم تكن على قوتها الاولى وحياتها من الهوى لكونه مصونا عن الاحتجاب معنيا به فى العناية وسجود جرادة ولائدها له كعادتهن فى ملكه تعبد الفكرية وسائر القوى البدنية للنفس بالانقياد والمراعاة والخدمة وايصال الحظوظ اليها كعادتهن فى الجاهلية الاولى واخبار آصف سليمان بذلك تنبيه العقل للقلب على تلوينه عند قرب موته وكسر الصورة وعقاب المرأة ندامته وتوبته عن حاله وتنصله متضرعا الى الله

في عينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لافيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن ابي رباح والثاني انه خاص بايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد لايبر وقال ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية (انا وجدناه صابرا) اى على البلاء الذى ابتليناه به (نعم العبد انه اواب) * قوله تعالى (واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب) اى اذكر صبرهم فابراهيم القى فى النار فصبر واسحق اضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (اولى الايدى) قال ابن عباس اولى القوة فى طاعة الله تعالى (والابصار) اى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد اكثر الاعمال وبالبصر اقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية واشرف مايصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى واشرف مايصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدى والابصار (انا اخلصناهم) اى اصطفيناهم وجعلناهم لها خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه اخلصناهم بذكرى الاخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها واخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل اخلصناهم بافضل مافى الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) يعنى من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل) اى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الاخيار) * قوله عز وجل (هذا ذكر) اى الذى يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) اى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح ابوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها انفتحي انغلقي (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب) اى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لايتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) اى قيل للمؤمنين هذا ماتوعدون او قيل هذا مايوعد به المتقون (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) اى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما اخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه * قوله تعالى (هذا) اى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين) يعنى الكافرين (لشر مآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) اى يدخلونها (فبئس المهاد) اى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو مايسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) اى مثل الحميم والغساق (ازواج) اى اصناف اخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار اى داخلوها كما دخلتموها انتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لا مرحبا بهم) اى الاتباع (انهم صالوا النار) اى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) اى

وكسره للنفس بالرياضة وخروجه وحده الى الفلاة تجرده عن البدن عند سقوط قواه وفرش الرماد وجلوسه فيه تغير المزاج وترمد الاخلاط مع بقاء العلاقة البدنية وام الولد المسماة امينة هى الطبيعة البدنية ام الاولاد القوى النفسانية التى يضع هو خاتم بدنه عندها وقت الاشتغال بالامور الطبيعية والضروريات البدنية كالدخول فى الخلوة واصابة المرأة وامثالها وهى امينة على حفظه وكون ملكه فى خاتمه اشارة الى توقف كماله المعنوى والصورى على البدن والشيطان الذى جاءها فأخذ منها الخاتم هو الطبيعة العنصرية الارضية صاحب بحر الهيولى السفلية سمى صخرا لميله الى السفل وملازمته كالحجر للثقل وتختمه به لبسه به بانضمامه الى نفسه وجلوسه على كرسى سليمان هو القاء الله تعالى بدنه ميتا على موضعه وسرير سلطنته كما قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا وتغير سليمان عن هيئته بقاء الهيآت

(قال)

قال الاتباع للقادة (بل انتم لا مرحبا بكم) اى لا رحبت الارض والعرب تقول مرحبا واهلا وسهلا اى اتيت رحبا وسعة (انتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الاتباع للقادة انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر (فبئس القرار) اى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) اى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) اى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وافاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم واشرافهم وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) اى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار) يعنى ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم الابصار اى ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه امهم فى النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) اى الذى ذكر (لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم اهل النار) اى فى النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة * قوله عز وجل (قل) اى يا محمد لمشركى مكة (انما انا منذر) اى مخوف (وما من اله الا الله الواحد) يعنى الذى لا شريك له فى ملكه (القهار) اى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة (انتم عنه معرضون) اى لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوتى وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحى من الله تعالى (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى) يعنى الملائكة (اذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن قلت لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى الى) اى ما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى (الا انما انا نذير مبين) يعنى الا انما انى انذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى ربى فى احسن صورة قال احسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى او قال فى نحرى فعلمت ما فى السموات وما فى الارض قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيها فعلمت ما بين

الجسمانية والآثار الهيولانية من بقايا الصفات النفسانية عليه بعد المفارقة البدنية وتغيره عن النورانية الفطرية والهيئة الاصلية واتيانه امينة لطلب الخاتم ميله الى البدن ومحبته له وشوقه اليه وانكارها اياه وطرده هاله عبارة عن عدم قبول الطبيعة البدنية الحياة لبطلان المزاج ودوره على البيوت متكففا ميله الى الحظوظ واللذات الجسمانية وانجذابه اليها بالشوق للهيآت النفسانية وحثيهم التراب على وجهه وسبهم اياه عبارة عن حرمانه من تلك الحظوظ واللذات وفقدان اسباب تلك الشهوات وقصده الى السماكين وخدمته لهم اشارة الى الميل الى قرارة الارحام المتعلق بالنطفة ومكثه اربعين يوما فى خدمة السماكين اشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الربانى خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا وطيران الشيطان سريان الطبيعة العنصرية فى التركيب والقاؤه الخاتم فى البحر تلاشى التركيب البدنى فى البحر الهيولانى

المشرق والمغرب اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

﴿ فصل فى الكلام على معنى هذا الحديث ﴾ وللعلماء فى هذا الحديث وفى امثاله من احاديث الصفات مذهبان * احدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * المذهب الثانى هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقى هذا حديث مختلف فى اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن ابى كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمى عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو ابو سلام عن ابن السكسكى عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه ابو ايوب عن قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال فى المنام ورواه قتادة عن ابى قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخارى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقى وقد روى من طرق كلها ضعاف وفى ثبوته نظر واحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان فى المنام فاما تأويله فان الصورة هى التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز ان يكون البارى تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصور مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال ان يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله اتانى ربى فى احسن صورة يحتمل وجهين * احدهما وانا فى احسن صورة كأنه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعد ذلك لشدة الوحى وثقله * الوجه الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه فى احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال فى صفات الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل فى افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع الى صفاته العلية من انتناهى فى العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه احد حتى وجد برد النعمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه وانما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة اونقص وهذا هو اليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان فى المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة

وابتلاع السمكة اياه جذب الرحم للمادة البدنية التى هى النطفة ووقوع السمكة فى يد سليمان تعلقه فى الرحم بها واستيلاؤه على الرحم بالاغتذاء منه والتصرف فيه وبقر بطنها واخذ الخاتم منه وتختمه به فتح الرحم واخراج البدن منه وتلبسه به وخروره ساجدا ورجوع ملكه حصول كماله به بالانقياد لامر الله والفناء فيه وجعله لصخر فى صخرة والقاؤه اياه فى البحر ابقاء الطبيعة الارضية على حالها منطبعة محبوسة فى باطن الجرم ملازمة للثقل والميل الى السفل فى بحر الهيولى عند وجود الطبيعة البدنية وتركه اياه فيه غير قادر على استيلاء امينة واخذ الخاتم منها الى حين (ثم اناب) بعد التنبه والتى الى الله بالتجريد والتزكية (قال رب اغفر لى) ذنوب تعلقاتى وهيآتى الساترة لنورى المظلمة المكدرة لصفائى بنورك (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) اى كمالا خاصا باستعداد ى يقتضيه هويتى لا ينبغى لغيرى لاختصاصه بى وهو

بنا الى التأويل ورؤية البارى عزوجل فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائى وسبب اختصام الملا الاعلى وهم الملائكة والكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث فى ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية الشئ باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى اعلم ❊ قوله عزوجل (اذقال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) اى اتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) اضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سريان الضوء فى القضاء وكسريان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر) اى تعظم (وكان من الكافرين قال يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى) اى توليت خلقه (استكبرت) اى تعظمت بنفسك عن السجود له (ام كنت من العالين) اى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله (قال انا خير منه) يعنى لوكنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار اشرف من الطين وافضل منه واخطأ ابليس فى القياس لان مآل النار الى الرماد الذى لاينتفع به والطين اصل كل ماهو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وافضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون افضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) اى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) اى مطرود (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة او السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجئ يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من انواع العذاب ماينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الاولى (قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول) اى انا اقول الحق وقيل الاول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه (لاملأن جهنم منك) اى بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم اجمعين) يعنى من بنى آدم (قل ما اسألكم عليه) اى على تبليغ الرسالة (من اجر) اى جعل (وما انا من المتكلفين) اى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لايعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسئلكم عليه من اجر وما

لغاية التى يمكنه بلوغها (انك انت الوهاب) لجميع الاستعدادات وكل ماسئلت من الكمالات كما قال تعالى وآتاكم من كل ماسألتموه (فسخرنا له الريح) ريح الهوى (تجرى بأمره رخاء) لينة طيعة منقادة لاتزعزع بالاستيلاء والاستعصاء (حيث اصاب) قصد واراد (والشياطين) الجنية الباطنة من القوى النفسانية (كل بناء) مقدر بالهندسة عامل لابنية الحكم العملية وقواعد القوانين العدلية (وغواص) فى بحور العوالم القدسية والهيولانية مخرج لدرر المعانى الكلية والجزئية والحكم العملية والنظرية (وآخرين) من القوى النفسانية والطبيعية (مقرنين فى الاصفاد) اصفاد القيود الشرعية واغلال الرياضات العقلية والانسية الظاهرة من العمال المسخرين فى الاعمال والفساق والعصاة المقرنين فى الاغلال (هذا عطاؤنا) المحض (فامنن اوامسك) اى اطلق ارادتك واختيارك فى الحل والعقد والاعطاء والمنع عند الكمال التام والعطاء الصرف اى

انا من المتكلفين لفظ البخاري (ان هو) يعني القرآن (الا ذكر) اى موعظة (للعالمين) اى للخلق اجمعين (ولتعلمن) يعني انتم يا اهل مكة (نبأه) اى خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزمر ﴾

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث وقيل قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى قوله لا تشعرون وهي اثنتان وقيل خمس وسبعون آية والف ومائة واثنتان وسبعون كلمة واربعة آلاف وتسعمائة وثمانية احرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) اى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) اى لا من غيره (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) اى لم ننزله باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) اى الطاعة (الا لله الدين الخالص) اى شهادة ان لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من الشرك وماسوى الخالص ليس بدين الله الذى امر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي (والذين اتخذوا من دونه) اى من دون الله (اولياء) يعني الاصنام (مانعبدهم) اى قالوا مانعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعني قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) اى من امر الدين (ان الله لا يهدى) اى يرشد لدينه (من هو كاذب) اى من قال ان الآلهة تشفع له (كفار) اى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى) اى لاختار (مما يخلق مايشاء) يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) اى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) اى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد (القهار) اى الغالب الكامل القدرة * قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعني يغشى هذا هذا وقيل يدخل احدهما على الآخر وقيل ينقص من احدهما ويزيد فى الآخر فما نقص من الليل زاد فى النهار وما نقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) يعني الى يوم القيامة (الا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته فى خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج) يعني الابل والبقر والغنم والمعز

الوجود الموهوب حال البقاء بعد الفناء كما شئت (بغير حساب) عليك فانك قائم بنا مختار باختيارنا متحقق بذاتنا وصفاتنا وذلك معنى قوله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا ايوب) فى ابتلائنا اياه عند ظهور نفسه فى التلوين باعجابه بكثرة ماله اومداهنته لكافر النفس فى ظهورها وترك تغذيته اياها بالرياضة والمجاهدة لكون ماشية قواه الطبيعية فى ناحيته اوعدم اغاثته لمظلوم العقل النظرى والقوى القدسية عند استغاثته على اختلاف الروايات فى التفاسير الظاهرة فى سبب ابتلائه ويمكن الجمع بينها وابتلاؤه بالمرض والزمانة ووقوع ديدان القوى الطبيعية فيه واستئكاله وسقوطه على فراش البدن حتى لم يبق منه الا القلب واللسان اى الفطرة والاستعداد الاصليان دون ما اكتسب من الكمالات (اذ نادى ربه) بلسان الاضطرار والافتقار فى مكمن الاستعداد (انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) اى استولى على

والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصنام وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لايعيش الا بالنبات والنبات لايقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت فى الجنة ثم انزلت الى الارض (يخلقكم فى بطون امهاتكم) لما ذكر الله تعالى اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون الامهات وانما قال فى بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) اى الذى خلق هذه الاشياء ربكم (له الملك) اى لا لغيره (لا اله الا هو) اى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فانى تصرفون) اى عن طريق الحق بعد هذا البيان ※ قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) يعنى انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غنى عن جميع العالمين فلو كفروا واصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم ※ ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا (وان تشكروا) اى تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) تقدم بيانه (ثم الى ربكم مرجعكم) اى فى الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا (انه عليم بذات الصدور) اى بما فى القلوب ※ قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر) اى بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) اى راجعا (اليه) مستغيثا به (ثم اذا خوله) اى اعطاه (نعمة منه نسى) اى ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله اندادا) يعنى الاصنام (ليضل عن سبيله) اى ليرد عن دين الله تعالى (قل) اى لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) اى فى الدنيا الى انقضاء اجلك (انك من اصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى ابى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر (امن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله اندادا خير ام من هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من اصحاب النار ويا من هو قانت انت من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى ابى بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت فى عثمان وقيل نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة فى كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (آناء

الوهم بالوسوسة فلقيت بسببه هذا المرض والعذاب من الاخلاق الرديئة والاحتجاب (اركض برجلك) اى اضرب بقوتك التى تلى ارض البدن من العقل العملى لمسى صدر ارض بدنك تنبع عينان من الحكمة العملية والنظرية (هذا مغتسل) اى العملية المزكية للنفوس المطهرة من الواث الطبائع المبرئة من امراض الرذائل (بارد) ذو روح وسلامة (وشراب) من النظرية اى العلم المفيد لليقين الدافع لمرض الجهل الجهل والزمانة من السير فتغتسل وتشرب منه تبرأ باذن الله ظاهرك وباطنك وتصح وتقوى (ووهبنا له اهله) قيل كان له سبعة ابناء وسبع بنات فانهدم عليهم البيت فى الابتلاء فهلكوا فأحياهم الله عند كشف الضر واعادة اموال الكمالات عليه وهى اشارة الى الروحانية والنفسانية الهالكة فى التلوين واستيلاء الطبيعة البدنية او البالغة فى التلوين الاعظم وخراب البدن واستئكال الديدان اياه

الليل) اى ساعات الليل اوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) اى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر (يحذر) اى يخف (الاخرة ويرجوا رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ماروى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال ارجوا الله يارسول الله واخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى مايرجو منه وآمنه مما يخاف اخرجه الترمذى (قل هل يستوى الذين يعلمون) اى ماعند الله من الثواب والعقاب (والذين لايعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لايعلمون ابى حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله (انما يتذكر اولوا الالباب) ❊ قوله تعالى (قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) اى بطاعته واجتناب معاصيه (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين آمنوا واحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية فى هذه الدنيا (وارض الله واسعة) قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل من امر بالمعاصى فى بلد فليهرب منه وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقيل نزلت فى جعفر بن ابى طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) قال على بن ابى طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا وروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا لو ان اجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به اهل البلاء من الفضل ❊ قوله عز وجل (قل) يامحمد (انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) اى مخلصا له التوحيد اى لا اشرك به شيأ (وامرت لان اكون اول المسلمين) اى من هذه الامة قيل امره اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لاتستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو اول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وذلك ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ماحملك على هذا الذى اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وقومك فتأخذ بها فانزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره اولى بذلك (قل الله

حتى لم يبق منه الا القلب ولسان الاستعداد الفطرى فأحياهم عند الانابة والرجوع الى حال الصحة والقوة وكشف المرض والزمانة بالشرب والغسل من العينين المذكورتين (ومثلهم معهم) باكتساب الملكات الفاضلة والاخلاق الحميدة والصفات الجميلة حتى صارت القوى الطبيعية النفسانية ايضا روحانية فى النشأة الثانية وحدوث القوى البدنية الفانية (رحمة منا) بافاضة الكمالات التى سألها استعداده (وذكرى) وتذكيرا (لاولى الالباب) الحقائق المجردة عن قشور المواد الجسمانية الذين يفهمون بسمع القلب حتى يعتبروا احوالهم بحاله ويتذكروا مافى فطرهم من العلوم (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به) قيل انه حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة ان برئ واختلف فى سبب حلفه فقيل ابطأت ذاهبة فى حاجة وقيل اوهمها الشيطان ان تسجد له سجدة ليرد اموالهم الذاهبة وقيل باعت ذوائبتين لها برغيفين وكانتا

اعبد مخلصاله دينى) فان قلت مامعنى التكرار فى قوله قل انى امرت ان اعبدالله مخلصاله الدين
وفى قوله قل الله اعبد مخلصاله دينى قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بانه مأمور من جهة الله
تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بانه امر ان يخص الله تعالى وحده بالعبادة
ولا يعبد احدا غيره مخلصا له دينه لان قوله امرت ان اعبدالله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد
الحصر والمعنى الله اعبد ولا اعبد احدا غيره ثم اتبعه بقوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) ليس امرا بل
المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم) يعنى ازواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى
جعل لكل انسان منزلا واهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن
عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر
نفسه واهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين
اهله (الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) اى اطباق وسرادقات (ومن
تحتهم ظلل) اى فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة
مافوق الانسان فكيف سمى ماتحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد
الضدين على الآخر الثانى ان الذى تحته من النار يكون ظلة الآخر تحته فى النار لانها دركات
الثالث ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل
المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) اى المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار
فى الآخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (ياعباد فاتقون) اى
فخافون * قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعنى الاوثان (ان يعبدوها وانابوا الى الله)
اى رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) اى
فى الدنيا وفى الآخرة اما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر
واما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول
الجنة وفى الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح
والريحان (فبشر عباد الذين يستمعون القول) يعنى القرآن (فيتبعون احسنه) اى احسن مايؤمرون
به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو احسن
الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن
وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما اسلم ابو بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص
وسعيد بن زيد فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو
وابو ذر وسلمان الفارسى (اولئك الذين هداهم الله) اى الى عبادته وتوحيده (واولئك هم اولو
الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى انه فى النار وقيل كلمة
العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا ابالى (افأنت تنقذ من فى النار) اى لاتقدر
عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ابالهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف

متعلق ايوب عند قيامه
وقيل اشارت اليه ايشرب
الخمرة كلها اشارات الى
التلوين المذكور بظهور
النفس بابطائها وتكاسلها
فى الطاعات اوطاعة شيطان
الوهم وانقيادها له فى تمنى
الحظوظ وترك مايتعلق به
القلب فى القيام عن مرقد
البدن والتجرد عن الهيآت
المنشطة المشجعة من العلوم
النافعة والاعمال الفضيلة
واستبدال الحظوظ القليلة
المقدار اليسيرة الوقع
والخطر بها اوالمرآة بها
لاستجلاب حظ النفس
اوشرب خمر الهوى والميل
الى مايخالف العقل وحلفه
اشارة الى نذره المخالفات
والرياضات المتعبة
والمجاهدات المؤلمة او
ماركز فى استعداده فى
محبته التجريد والتزكية
بالرياضة وعزيمة تأديب
النفس بالاخلاق والآداب
بالمخالفات المؤلمة بمقتضى
العهد الاول وحكم ميثاق
الفطرة واخذ الضغث
والضرب به اشارة الى
الرخصة والطريقة السهلة
السمحة من تعديل
الاخلاق بالاقتصار على
الاوساط والاعتدالات

مبنية) اى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى ارفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله
الميعاد) اى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف من فوقهم كما يتراؤن الكوكب
الدرى الغابر فى الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء
لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر اى الباقى
فى الافق اى فى ناحية المشرق او المغرب * قوله تعالى (الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه)
اى ادخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) اى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق
فى الجسد قال الشعبى كل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) اى بالماء (زرعا مختلفا الوانه) اى
مثل اصفر واخضر واحمر وابيض وقيل اصنافه مثل البر والشعير وسائر انواع الحبوب (ثم يهيج)
اى ييبس (فتراه) اى بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) اى فتاتا متكسرا (ان فى ذلك
لذكرى لاولى الالباب) * قوله عز وجل (افمن شرح الله صدره) اى وسعه (للاسلام) وقبول الحق
كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) اى على يقين وبيان وهداية روى البغوى
باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه قلنا يارسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح
قلنا يارسول الله ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل
نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمود وصلابة تحصل فى القلب فان قلت
كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انهم كلما تلى ذكر الله على الذين
يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن
قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك
القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد
بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (اولئك فى ضلال
مبين) قيل نزلت هذه الآية فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى ابى بن خلف وقيل فى على
وحمزة وفى ابى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ابى جهل * قوله عز وجل
(الله نزل احسن الحديث) يعنى القرآن وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ
والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من
جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى اسلوبه واما الوجه الثانى
وهو كونه القرآن من احسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف
مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد
والجنة والنار (كتابا متشابها) اى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه (مثانى) اى
يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهى والاخبار والاحكام (تقشعر) اى تضطرب
وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهى تغير يحدث فى جلد
الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اى قلوب الذين
يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى اذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت

من الرياضات والمخالفات
لصفاء الاستعداد وشرف
النفس ونجابة جوهرها دون
الافراط فيها والاخذ
بالعزائم الصعبة كما قال عليه
الصلاة والسلام بعثت
بالحنيفية السمحة السهلة
(ولا تحنث) بترك التأديب
بالكلية ونقص العزيمة
فى طلب الكمال وترك
الوفاء بالنذر الفطرى (انا
وجدناه صابرا) فى بليته
وطلبه للكمال فرحماه وليس
كل طالب صابرا (نعم العبد
انه اواب) رجاع الى الله
بالتجرد والمحو والفناء
(واذكر عبادنا ابرهيم
واسحق ويعقوب)
المخصوصين من اهل العناية
(اولى الايدى والابصار) اى
العمل والعلم النسبة الاول
الى الايدى والثانى الى
البصر وهم ارباب الكمالات
العملية والنظرية (انا
اخلصناهم بخالصة) صفيناهم
عن شوب صفات النفوس
وكدورة الانانية وجعلناهم
لنا خالصين بالمحبة الحقيقية
ليس لغيرنا فيهم نصيب ولا
يميلون الى الغير بالمحبة
العارضية لا الى انفسهم ولا
الى غيرهم بسبب خصلة
خالصة غير مشوبة بهم آخر

آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت اولياء الله الذى نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا فى جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء اكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) اى القرآن الذى هو احسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) اى هو يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) اى يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) اى يهديه قوله عز وجل (افمن يتقى بوجهه سوء العذاب) اى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه فى النار وقيل يرمى به فى النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية افمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل للظالمين) اى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) اى وبال ما (كنتم تكسبون) اى فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فأذاقهم الله الخزى) اى العذاب والهوان (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) * قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (قرآنا

هى (ذكرى الدار) الباقية والمقر الاصلى اى استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكرهم لعالم القدس واعراضهم عن معدن الرجس مستشرقين لانوارنا لا التفات لهم الى الدنيا وظلماتها اصلا (وانهم عندنا) اى فى الحضرة الواحدية (لمن المصطفين) الذين اصطفيناهم لقربنا من بنى نوعهم (الاخيار) المنزهين عن شوائب الشر والامكان والعدم والحدثان (هذا ذكر) اى هذا باب مخصوص بذكر السابقين من اهل الله المخصوصين بالعناية (وان للمتقين) المجردين من دناءات نفوسهم دون الواصلين الى بساط القرب والكرامة الناظرين اليه فى [illegible] الروح بالمشاهدة (لحسن مآب) فى مقام [illegible] من جنة الصفات (جنات عدن) محامدة (مفتحة لهم الابواب) ابوابها بالحاجات يدخلونها من طرق الفضائل الخلقية والكمالات (متكئين فيها) على ارائك المقامات (يدعون فيها بفاكهة كثيرة) من المكاشفات اللذيذة (وشراب) المحبة الوصفية (وعندهم قاصرات الطرف)

عربيا) اى فصيحا اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) اى منزها عن التناقض
وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن انس
وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم
يتقون) اى الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الآية الاولى والتقوى فى
هذه الآية قلت سبب تقديم التذكر ان الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشئ واختلط
بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) اى متنازعون
مختلفون سيئة اخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سالما
لرجل) اى خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون
فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتجاذبونه
فى مهن شئ فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى امره لا يدرى ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم
يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين
خادمه فى حاجاته فأى هذين العبدين احسن حالا واحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى
يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار اى لا يستويان فى الحال
والصفة قال تعالى (الحمد لله) اى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله
الا الله الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات
وظهور هذه الدلالات (بل اكثرهم لا يعلمون) اى ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له
* قوله تعالى (انك ميت) اى ستموت (وانهم ميتون) اى سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله
صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى
وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم انفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم احياء فانكم فى عداد
الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم
عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله اتكون
علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد اخرجه الترمذى وقال
حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت
فينا وفى اهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا
واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بانها فينا نزلت وعن ابى سعيد الخدرى
فى هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين
وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ)
عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض
او مال فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر
مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن ابى هريرة رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له
ولا متاع قال ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم
هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا

من الازواج القدسية
ومافى مراتبهم من النفوس
الفلكية والانسية (اتراب)
متساوية فى الرتب (هذا
ماتوعدون ليوم الحساب)
لوقت جزائكم من الصفات
الالهية على حساب فنائكم
من الصفات البشرية
(ان هذا لرزقنا ماله من
نفاد) لكونه غير
مادى فلا ينقطع (هذا)
باب فى وصف الجنة واهلها
(وان للطاغين) للذين
طغوا حدودهم بصفات
النفس وظهورها فنازعوا
الحق علوه وكبرياءه
باستعلائهم وتكبرهم
(لشر مآب) الى جهنم
الطبيعة الآثارية ونيران
الظلمات الهيولانية (جهنم
يصلونها فبئس المهاد)
بفقدان اللذات ووجدان
الآلام (هذا فليذوقوه
حميم) الهوى والجهل
(وغساق) الهيآت
الظلمانية والكدورات
الجسمانية (و) خزى
وعذاب (آخر من شكله
ازواج) من نوعه
اومذوقات اخر من مثله
اصناف من العذاب فى
الهوان والحرمان (هذا

من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ماعليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار ❊ قوله تعالى (فمن اظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا او شريكا (وكذب بالصدق اذجاءه) اى بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (اليس فى جهنم مثوى) اى منزلة ومقام (للكافرين) ❊ قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به) اى والذى صدق به قال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلااله الاالله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا بلغه الى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذى جاء بالصدق اهل القرآن وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد ادواحقه فهم الذين صدقوا به (اولئك هم المتقون) اى الذين اتقوا الشرك ادواحقه (لهم مايشاؤن عند ربهم) اى من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) اى فى اقوالهم وافعالهم (ليكفر الله عنهم اسوا الذى عملوا) اى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) اى يجزيهم بمحاسن افعالهم ولا يجزيهم بمساويها ❊ قوله عزوجل (اليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل اوجنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل اليس الله بعزيز) اى منيع فى ملكه (ذى انتقام) اى منتقم من اعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيها من انواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم امره الله تعالى ان يحتج عليهم بان مايعبدون من دون الله لاقدرة لها على جلب خير او دفع ضر وهو قوله تعالى (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان ارادنى الله بضر) اى بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره اوارادنى برحمة) اى بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبى الله) اى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) اى عليه يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) اى اجتهدوا فى انواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد وتقريع (انى عامل) اى فيما امرت به من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) اى انا او انتم (ويحل عليه عذاب مقيم) اى دائم وهو تهديد وتخويف (انا انزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) اى ليهتدى به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) اى ترجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) اى يرجع وبال ضلالته عليه (وماانت عليهم بوكيل) اى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال ❊ قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) اى الارواح (حين موتها) اى فيقبضها عند فناء اكلها

فوج) من اتباعكم واشباهكم اهل طبائع السوء والرذائل المختلفة (مقتحم معكم) فى مضايق المذلة ومداخل الهوان قال الطاغون (لامرحبا بهم صالوا النار) بهم لشدة عذابهم وكونهم فى الضيق والضنك واستيحاش بعضهم من بعض لقبح المناظر وسوء المخابر (قالوا) اى الاتباع (بل انتم لامرحبا بكم) لتضاعف عذابكم ورسوخ هيآتكم (انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار وقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا) باضلالنا والتحريض على اعمالنا وهذه المقاولات قد تكون بلسان القال وقد تكون بلسان الحال والرجال الذين اتخذوهم سخريا هم الفقراء الموحدون والصعاليك المحققون عدوهم من الاشرار فى الدنيا لمخالفتهم اياهم فى الاعراض عماسوى الله والتوجه الى خلاف مقاصدهم وترك عاداتهم ومطالبهم بل (ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل

وانقضاء اجلها وهو موت الاجساد (والتي لم تمت في منامها) والنفس التي يتوفاها عند النوم وهي التي يكون بها العقل والتميز ولكل انسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها التميز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التي قضى عليها الموت) اي فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) اي يرد النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها (الى اجل مسمى) اي الى ان يأتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن ابي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ماشاء الله تعالى فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله تعالى ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لايدري ماخلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وربك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى والملك الموت اعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) اي في البعث وذلك ان توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم تغلط في امساك ماتمسك من الارواح وارسال ماترسل منها * قوله تعالى (ام اتخذوا من دون الله شفعاء) يعني الاصنام (قل) يامحمد (اولو كانوا) يعني الآلهة (لايملكون شيأ) اي من الشفاعة (ولا يعقلون) اي انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) اي لايشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والارض) اي لاملك لاحد فيهما سواه (ثم اليه ترجعون) اي في الآخرة * قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت) اي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) قيل اذا اشمأز القلب من عظيم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (واذا ذكر الذين من دونه) يعني الاصنام (اذاهم يستبشرون) اي يفرحون والاستبشار ان يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل * قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم (انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) اي من امر الدين (م) عن ابي سلمة بن عبدالرحمن قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شئ كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق

الـنار فانما انا منذر) ابصارهم لكونهم محجوبين بالغواشي البدنية والامور الطبيعية عن حقائقهم المجردة وذواتهم المقدسة كما حجبوا بالعادات العامية والطرائق الجاهلية عن طرائقهم وسيرتهم على ان ام منقطعة وانما كان تخاصم اهل النار حقا لكونهم في عالم التضاد ومحل العناد اسراء في قيود الطبائع المختلفة وايدي القوى المتنازعة والاهواء الممانعة والميول المتجاذبة ما انا الا منذر لا ادعوكم الى نفسي ولا اقدر على هدايتكم لاني فان عن نفسي وعن قدري قائم في الانذار بالله وصفاته (ومامن اله) في الوجود (الا الله الواحد) بذاته (القهار) الذي يقهر كل من سواه بافنائه في وحدانيته (رب السموات والارض وما بينهما) الكل الذي يرب كل شئ في حضرة واحديته باسم من اسمائه (العزيز) الذي يغلب المحجوب بقوته ويعذبه بما يحجب به في سترات جلاله لاستحقاقه فيض الربوبية من حضرة القهار المنتقم وسطوات العذاب

باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم ❊ قوله عزوجل (ولوان للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) اى ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا انه نازل بهم فى الآخرة وقيل ظنوا انهم حسنات فبدلت لهم سيآت والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدالهم من الله مالم يحتسبوا وروى ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال اخشى ان يبدولى مالم اكن احتسب (وبدالهم سيئات ما كسبوا) اى مساوى اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله تعالى (وحاق) اى نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) اى شدة (دعانا ثم اذا خولناه) اى اعطيناه (نعمة منا قال انما اوتيته على علم) اى من الله تعالى علم انى له اهل وقيل على خير علمه الله عندى (بل هى فتنة) يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن اكثرهم لايعلمون) يعنى انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندى (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) اى فما اغنى الكفر من العذاب شيئا (فاصابهم سيآت ما كسبوا) اى جزاؤها وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وماهم بمعجزين) اى بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى (اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) اى يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) اى يقتر ويقبض على من يشاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) اى يصدقون ❊ قوله تعالى (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ان الذى تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات قال يبدل شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله اخرجه النسائى وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشى يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وانت تزعم ان من قتل او اشرك او زنى يلق اثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لااقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى ارانى بعد فيه شبهة فلاادرى ايغفر لى ام لا فانزل الله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآيات فى عياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لايقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا جميعا وهاجروا ❊ وعن ابن عمر ايضا قال كنا معشر اصحاب رسول صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول

المحتجب (الغفار) الذى يستر ظلمات صفات النفس بأنوار تجليات جماله لمن بقى فيه نور فطرته فيقبل نور المغفرة لبقاء مسكة من نوريته (قل هو) اى الذى انذرتكم به من التوحيد الذاتى والصفاتى (نبأ عظيم انتم عنه معرضون) ثم احتج على صحة نبوته باطلاعه على اختصام الملا الا على من غير تعلم اذ لاسبيل اليه الا الوحى وفرق بين اختصام الملا الا على واختصام اهل النار بقوله فى تخاصم اهل النار ان ذلك لحق وفى اختصام الملا الا على (ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر و كان من الكافرين) لان ذلك حقيقى لا ينتهى الى الوفاق ابدا وهذا عارضى نشأ من عدم اطلاعهم على كمال آدم عليه السلام الذى هو فوق كمالاتهم وانتهى الى الوفاق عند قولهم سبحانك لاعلم

ونى فى الريح فوالله

(٤٨)

اين قدرتى على ربى ليعذبنى عذابا ماعذبه احدا فلمامات فعل به ذلك فامر الله تعالى الارض فقال اجمعى مافيك منه ففعلت فاذاهو قائم فقال ماحملك على ماصنعت قال خشيتك يارب اوقال مخافتك فغفرله بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بنى اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والآخر فى العبادة مجتهد فكان المجتهد لايزال يرى الآخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلنى وربى ابعثت على رقيبا فقال والله لايغفر لك الله او قال لايدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد اكنت على مافى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال ابوهريرة تكلم والله بكلمة اوبقت دنياه وآخرته اخرجه ابوداود * عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عزوجل يا ابن آدم انك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ماكان منك ولاابالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولاابالى يا ابن آدم لو انك اتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هوماعن لك منها وقراب الارض بضم القاف هومايقارب ملأها * قوله عزوجل (وانيبوا الى ربكم) اى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة (واسلموا له) اى اخلصوا له التوحيد (من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) اى لاتمنعون منه (واتبعوا احسن ماانزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية على ماقال الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه انزل فى القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكرا لادون لئلا يرغب فيه وذكر الحسن لتؤثره وتأثره وتأخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لاتشعرون) يعنى غافلين عنه (ان تقول نفس) اى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوف ان تصيروا الى حال ان تقول نفس (ياحسرتى) اى ياندمى وياحزنى والتحسر الاغتمام والحزن على مافات (على مافرطت فى جنب الله) اى على ماقصرت فى طاعة الله وقيل فى امر الله وقيل فى حق الله وقيل على ماضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ماقصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى (وان كنت لمن الساخرين) اى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها (اوتقول لوان الله هدانى) اى ارشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) اى الشرك (اوتقول حين ترى العذاب) اى عيانا (لو ان لى كرة) اى رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) اى الموحدين ثم اجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى (بلى قدجاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) اى قلت ليس من الله (واستكبرت) اى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) اى زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد (اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) اى عن الايمان * قوله تعالى (وينجى الله الذين اتقوا) اى الشرك (بمفازتهم) اى الطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم اى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لايمسهم السوء)

الذى خلق منه العين اشرف من المادة الكثيفة البدنية ولكن الاحتجاب عن الجمعية الالهية واللطيفة الروحانية بعث اللعين على الاباء حتى تمسك بالقياس وعصى الله فى سجود الناس (قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين) والرجيم واللعين من بعدى عن الحضرة القدسية المنزهة عن المواد الرجسية بالانغماس فى الغواشى الطبيعية والاحتجاب بالكوائن الهيولانية ولهذا وقت اللعن بيوم الدين وحدد نهايته به لان وقت البعث والجزاء هو زمان تجرد الروح عن البدن وموادة وحينئذ لايبقى تسلطه على الانسان وينقاد ويذعن له فى الوقت المعلوم الذى هو القيامة الكبرى فلا يكون ملعونا كما قال عليه السلام الاان شيطانى اسلم على يدى والانظار للاغواء واللعن ينتهيان الى ذلك الوقت لكن الذين اخلصهم الله لنفسه من اهل العناية عن شوب الكدورات النفسية وحجب البشرية والانانية وصفى فطرتهم عن خلط ظلمة النشأة لايمكنه اغواؤهم البتة فى البداية

اى لايصيبهم المكروه ﴿ ولاهم يحزنون الله خالق كل شئ ﴾ اى مما هو كائن اويكون فى الدنيا والآخرة ﴿ وهو على كل شئ وكيل ﴾ اى ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ اى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسى معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد ❊ ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الله الذى يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ اى جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة ﴿ اولئك هم الخاسرون ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون ﴾ وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ﴿ ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ﴾ اى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره ﴿ ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ اى لانعامه عليك ❊ قوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ اى ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره ❊ ثم اخبر عظمته فقال ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ان الله يضع السماء على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفى رواية والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفى رواية يقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفى رواية يقول انا الله ويقبض اصابعه انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شئ منه حتى انى اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخارى ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابى ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف

ايضا فكيف فى النهاية واللعن وان ارتفع باسلامه وانقياده هناك لكن لزومه كونه جهنميا لملازمته الطبيعة الهيولانية والمادة الجسمانية فلا يتجرد اصلا وان كان قد يرتقى الى سماء العقل والافق الروحانية بالوسوسة والالقاء ويتصل فى جنة النفس بآدم عند الاغواء ولا يزال يطرد عن ذلك الجناب ﴿ قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ﴾ وانما اقسم على الاغواء بعزته تعالى لانه مسبب عن تعززه باستار الجلال وسرادقات الكبرياء وتمنعه عن ادراك ابليس لفنائه بسبحات الانوار واقسم الله تعالى فى مقابلته بالحق الثابت الواجب الذى لا يتغير على املائه جهنم منه ومن اتباعه لوجود ذلك التعزز وملازمة هؤلاء جهنم دائما ابدا على حاله لا يتغير ولا يتبدل لان تجرد المجرد بالذات وتعلق المتعلق بالطبع امر تقتضيه الذوات

الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه * قوله عز وجل (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض) اى ماتوا من الفزع وهى النفخة الاولى (الا من شاء الله) تقدم فى سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعنى الله وحده (ثم نفخ فيه) اى فى الصور (اخرى) مرة اخرى وهى النفخة الثانية (فاذاهم قيام) اى من قبورهم (ينظرون) اى ينتظرون امر الله فيهم (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة * قوله تعالى (واشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون فى نوره كما لا يضارون فى الشمس فى اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) اى كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال جميع الخلق من المبدأ الى المنتهى (وجئ بالنبيين) يعنى ليكونوا شهداء على اممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى الحفظة (وقضى بينهم بالحق) اى بالعدل (وهم لايظلمون) اى لا يزاد فى سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ماعملت) اى ثواب ماعملت (وهو اعلم بما يفعلون) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لايحتاج الى كاتب ولا الى شاهد * قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعنى سوقا عنيفا (زمرا) افواجا بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) يعنى السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعنى توبيخا وتقريعا (الم يأتكم رسل منكم) اى من انفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) اى وجبت (على الكافرين) وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) * قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين او المراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان مابين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها) فان قلت قال فى اهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه احدها انها زائدة الثانى انها واو الحال مجازه وقد فتحت ابوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو فى الآية الاولى لبيان ان ابواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة فى ذلك ان اهل الجنة اذا جاؤها وجدوا ابوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك واهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ابواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان ابواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فأين جوابه قلت

والاعيان والحقائق فى الازل غير عارض فلا تزال كذلك ابدا (قل ما اسألكم عليه من اجر) ولا غرض لى فى ذلك فان اقوال الكامل المحقق بالحق مقصودة بالذات غير معللة بالغرض (وما انا من المتكلفين) اى المتصنعين الذين يتحلون الكمالات ويظهرون بانفسهم وصفاتها ويدعون كمالات الله لانفسهم بل فنيت عن نفسى وصفاتها فالله القائل بلسانى (ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين) عند القيامة الصغرى او الكبرى [illegible] تأويله [illegible]

* سورة الزمر *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

هذا (تنزيل الكتاب) كتاب العقل [illegible] بظهوره عليك من الغيوب (من الله) وحضرة الواحدية (العزيز) المحتجب بسترات الجلال فى غيب غيبه (الحكيم) ذى الحكمة الكامنة هناك [illegible] فى مراتب التنزلات (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) اى انزلناه متلبسا بالحق فيك بعد كونه (فاعبد الله) فخصصه بالعبادة

فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ فى الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثانى ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) اى ابشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) اى بالجنة (واورثنا الارض) اى ارض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) اى ننزل (من الجنة) اى فى الجنة (حيث نشاء) فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم وينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل (فنعم اجر العاملين) اى ثواب المطيعين فى الدنيا الجنة فى العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) اى محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول فى ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) بين اهل الجنة واهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) اى يقوله اهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدا الله ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم بالحمد فى آخر الامر وهو استقرار الفريقين فى منازلهم فنبه بذلك على تحميده فى بداءة كل امر وخاتمته والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر ﴾

وهى مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون فى آيات الله والتى بعدها وهى خمس وثمانون آية والف ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب منه واعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم فى القرآن وعن ابن عباس قال لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات الجنة اتأنق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضى الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسم الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح اسمائه حليم وحميد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح اسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء اى قضى

الذاتية حين تجلى لك بذاته ولم يبق احدا من خلقه (مخلصا) محضا (له الدين) عن شوب الغيرية والاثنينية اى اعبده بشهود لذاته ومطالعة تجليات صفاته بعينه وتلاوة كلامه به فيكون سيرك سير الله ودينك دين الله وفطرتك ذات الله (الا لله الدين الخالص) عن شوب الغيرية والاثنينية لالك لفنائك فيه بالكلية فلا ذات لك ولا صفة ولا فعل ولا دين والا لما خلص بالحقيقة فلا يكون لله (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) احتجبوا بالكثرة عن الوحدة واتخذوا الغير وليا بالمحبة للتقرب والتوسل به الى الله (ان الله يحكم بينهم) عند حشر معبوداتهم معهم فيما اختلفوا فيه من صفاتهم واقوالهم وافعالهم فيقرن كلا منهم مع من يتولاه من عابد ومعبود ويدخل المبطل النار مع المبطلين كما يدخل المحق الجنة مع المحقين ويجزى كلا بوصفه الغالب عليه وما وقف معه واحتجب به مع اختلافهم فى الاوصاف وما وقفوا معه (فيما هم فيه

ماهو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) اى الغالب القادر وقيل الذى لامثل له (العليم) اى بكل المعلومات (غافر الذنب) اى ساتر الذنب (وقابل التوب) اى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لااله الا الله وقابل التوب ممن قال لااله الا الله (شديد العقاب) لمن لايقول لااله الا الله (ذى الطول) اى السعة والغنى وقيل ذى الفضل والنعم واصل الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لااله الا هو) اى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لايوصف بها غيره (اليه المصير) اى مصير العباد اليه فى الآخرة ❊ قوله تعالى (مايجادل) اى مايخاصم ويحاجج (فى آيات الله) اى فى دفع ايات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال ابو العالية آيتان ماأشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا فى القرآن كفر اخرجه ابوداود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما انزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلاتكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وماجهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب (فلايغررك تقلبهم) اى تصرفهم (فى البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) اى الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) اى خاصموا (بالباطل ليدحضوا) اى ليبطلوا (به الحق) الذى جاءت به الرسل (فاخذتهم فكيف كان عقاب) اى انزلت بهم من الهلاك ماهموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابى اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) اى وجبت (كلمت ربك) اى كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) اى من قومك (انهم) اى بانهم (اصحاب النار) ❊ قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة اردفهم الله تعالى باربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء فى الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد مابين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش مابين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروى ان اقدامهم فى تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لايموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم اشد

يختلفون ان الله لايهدى) الى النجاة وعالم النور وتجليات الصفات والذوات (من هو كاذب كفار) لبعده عنه واحتجابه بظلمة الرذائل وصفات النفس عن النور وامتناعه عن قبوله (لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) اى نزهه عن المماثلة والمجانسة واصطفاء الولد لكون الوحدة لازمة لذاته وقهره بوحدانيته غيره فلاتماثل فى الوجود كيف فى الوجوب (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بظهوره فى مظاهرها واحتجابه بصورها متصرفا للكل بقدرته وفعله (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) بسلطانه وملكه فلاذات ولاصفة ولافعل لغيره وذلك دليل وحدانيته (الاهو العزيز) القوى الذى يقهر الكل بسطوة قهره (الغفار) الذى يسترهم بنور ذاته وصفاته فلايبقى معه غيره او العزيز الممتنع باحتجابه عن خلقه

خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من التى تليها والتى تليها اشد خوفا من التى تليها وروى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش ان مابين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود واما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ان مابين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض * قوله (ومن حوله) يعنى الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اولئك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر مابين جناحى احدهم مسيرة ثلثمائة عام ومابين شحمة اذنه الى عاتقه اربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه الا الله عز وجل * قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) اى ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) اى يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقول سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بنى آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) اى يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم اولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم فى احد بشئ يكرهه ان يستغفر له (ربنا) اى ويقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو اهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) اى دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم

(ومن)

ستور محاوقاته الغفار الذى يستر لمن يشاء ذنوب وجوده وصفاته فيظهر عليه ويتجلى له بصفاته وذاته (خلقكم من نفس واحدة) [illegible] ادم الحقيقى اى النفس [illegible] الكلية التى تتشعب [illegible] النفوس الجزئية (ثم جعل منها زوجها) النفس [illegible] (وانزل لكم من [illegible] ارواح يخلقكم [illegible] امهاتكم) الكون [illegible] اللوح المحفوظ [illegible] كل ما وجد فى عالم [illegible] من عالم الغيب ([illegible] من بعد خلق [illegible] فى اطوار الخلقة [illegible] (فى ظلمات ثلاث) [illegible] الجسمانية [illegible] النباتية والحيوانية ([illegible] الله ربكم) [illegible] لصوركم المكون [illegible] المتصرف بقدرته [illegible] بملكوته وسلطانه [illegible] للكثرة من وحدته [illegible] وصفاته المنزل لما [illegible] وقدر بافعاله هو [illegible] الموصوفة بجميع [illegible] ربكم باسمائه ([illegible]) يتصرف فيه [illegible] (لا اله الا هو) [illegible] (فانى تصرفون) [illegible] عبادته الى عبادة غيره

ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال اين ابي واين امي واين ولدي واين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان اكمل لسروره ولذته (وقهم السيئات) اى عقوبات السيآت بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) اى من تقه في الدنيا (فقد رحمته) اى في القيامه (وذلك هو الفوز العظيم) اى النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله * قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) اى يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرضت عليهم سيآتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) اى اياكم في الدنيا (اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) اى اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا امواتا في اصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل اميتوا في الدنيا ثم احيوا في القبر للسؤال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا للبعث في الآخرة وذلك انهم عدوا اوقات البلاء والمحنة وهى اربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التي هي من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من اقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهى الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) اى من النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم) معناه فاجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بانكم اذا دعى الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك (وان يشرك به) اى غيره (تؤمنوا) اى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلي) اى الذي لا اعلى منه (الكبير) اى الذي لا اكبر منه * قوله عز وجل (هو الذي يريكم آياته) اى عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعني المطر الذي هو سبب الارزاق (وما يتذكر) اى يتعظ بهذه الآيات (الا من ينيب) اى يرجع الى الله تعالى في جميع اموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) اى الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) * قوله تعالى (رفيع الدرجات) اى رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع اى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذو العرش) اى خالقه ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لانه اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى (يلقي الروح) يعني ينزل الوحي سماه روحا لان به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من امره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بامره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعني الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقي المرء

مع عدمه (ان تكفروا فان الله غني عنكم) وتحتجبوا بصفاتكم وذواتكم فان الله لا يحتاج الى ذواتكم وصفاتكم في ظهوره وكماله لكونها فانية في نفس الامر ليست شيأ الا به فضلا عن احتياجه اليها وهو الظاهر بذاته لذاته والباطن بحقيقته المشاهد لكماله بعينه (ولا يرضى لعباده الكفر) الاحتجاب لكونه سبب هلاكهم ووقوعهم في اسر المسالك والزبانية ولا يتعلق بهم الرضا ولا يقبلون نوره فيدخلوا الجنة (وان تشكروا يرضه لكم) رؤية نعمه واستعمالها في طاعته لتستعدوا لقبول فيضه يرضى الشكر لكم بتجلى الصفات لتتصفوا بها فتبلغوا مقام الرضا وتدخلوا الجنة فاتبعه الكفر الا عليكم ولا ثمرة الشكر الا لكم هذا الكافر المحجوب افضل (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت) مطيع في مقام النفس واوقات ظلمة صفاتها (ساجدا او قائما) بفناء

مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) اى خارجون من قبورهم ظاهرون لايسترهم شئ (لايخفى على الله منهم شئ) اى من اعمالهم واحوالهم فان قلت ان الله تعالى لايخفى عليه شئ فى سائر الايام فاوجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا ان اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لايراهم وتخفى عليه اعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لايتوهمون فيها مثل ماكانوا يتوهمونه فى الدنيا (لمن الملك اليوم) اى يقول الله عزوجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا احد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) اى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرون فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة فى العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعنى يجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته (لاظلم اليوم) اى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد (ان الله سريع الحساب) اى انه تعالى لايشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم فى وقت واحد * قوله تعالى (وانذرهم يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ماهو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلاهى تعود الى اماكنها ولاهى تخرج من افواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) اى مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى بضيق القلب عنه (ماللظالمين من حميم) اى من قريب ينفعهم (ولاشفيع) اى يشفع لهم (يطاع) اى فيهم (يعلم خائنة الاعين) اى خيانتها وهى مسارقة النظر الى ما لايحل وقيل هو نظر الاعين الى مانهى الله عنه (وماتخفى الصدور) اى يعلم مضمرات القلوب (والله يقضى بالحق) اى يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعنى الاصنام (لايقضون بشئ) لانها لاتعلم شيأ ولايقدر على شئ (ان الله هو السميع) اى لاقوال الخلق (البصير) بافعالهم (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا فى الارض) اى المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق) اى يدفع عنهم العذاب (ذلك) اى ذلك العذاب الذى نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب) * قوله عزوجل (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعنى فرعون وقومه (اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) اى استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وماكيد الكافرين) اى وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا فى ضلال) اى يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم مايريده الله تعالى (وقال فرعون) اى لملئه (ذرونى اقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان فى خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لاتقتله فانما هو ساحر ضعيف فلايقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه (وليدع ربه) اى وليدع موسى ربه الذى يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا (انى اخاف ان يبدل دينكم) يعنى يقول فرعون

الافعال والصفات قائما بالطاعة والانقياد عند ظهور النفس بصفاتها وافعالها (يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه) عقاب الآخرة ويرجو الرحمة اذا السالك فى مقام النفس لايخلو عن الخوف والرجاء (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) اى لايستويان وانما ترك المضمر الى الظاهر ليبين ان المطيع فى مقام النفس هو العالم والكافر هو الجاهل اما الاول فان العلم هو الذى رسخ فى القلب وتأصل بعروقه فى النفس بحيث لايمكن صاحبه مخالفته بل سيط باللحم والدم فظهر اثره فى اعضاء لاتنفك شئ منها عن مقتضاه واما المرتسم فى حيز العقل والتخيل بحيث يمكن ذهول النفس عنه وعن مقتضاه فليس بعلم انما هو امر تصورى وتخيل عارضى لايلبث بل يزول سريعا لايغذو القلب ولا يسمن ولا يغنى من جوع واما الثانى فظاهر اذ لو علم لم يحجب بالغير عن الحق (انما يتذكر) ويتعظ بهذا الذكر (اولوا الالباب) العقول الصافية عن قشر التخيل والوهم لتحققها بالعلم الراسخ الذى

اخاف يغير دينكم الذى انتم عليه ﴿ اوان يظهر فى الارض الفساد ﴾ يعنى بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره ﴿وقال موسى﴾ يعنى لما توعده فرعون بالقتل ﴿انى عذت بربى وربكم﴾ يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت فى دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم ان صانه الله عن كل بلية ﴿من كل متكبر﴾ اى متعظم عن الايمان ﴿لايؤمن بيوم الحساب﴾ * قوله عز وجل ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه﴾ قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بنى اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب ﴿ اتقتلون رجلا ان يقول ﴾ اى لان يقول ﴿ربى الله﴾ وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد * وقوله ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه ﴿وان يك كاذبا فعليه كذبه﴾ اى لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه ﴿وان يك صادقا﴾ اى فكذبتموه ﴿يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ قيل معناه يصبكم الذى يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على اصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج اقل مافى صدقه ان يصيبكم بعض الذى يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل ﴿ان الله لايهدى﴾ اى الى دينه ﴿من هو مسرف كذاب﴾ اى على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن اشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم * قوله عز وجل ﴿ ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض اى غالبين فى الارض اى ارض مصر ﴿فمن ينصرنا ﴾ اى يمنعنا ﴿من بأس الله ان جاءنا ﴾ والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم ﴿ قال فرعون ما اريكم ﴾ اى من الرأى والنصيحة ﴿الا ما ارى﴾ اى لنفسى ﴿ وما اهديكم الا سبيل الرشاد ﴾ اى ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به ماحل بالامم قبله بقوله ﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ﴾ اى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى اتاهم العذاب ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ اى لايهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ﴿ وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد ﴾ يعنى يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل اناس بامامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى اصحاب الجنة اصحاب النار وينادى اصحاب النار اصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لايشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لايسعد بعدها ابدا وينادى حين يذبح الموت ياأهل الجنة خلود بلا موت وياأهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر ياليتنى لم اوت كتابيه وقيل يوم التناد يعنى يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه ﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ اى منصرفين عن

يتأثر به الظاهر واما المشوبة بالوهم فلا تتذكر ولا تتحقق بهذا العلم ولا تعيه بل تتلجلج فيه فيذهب (قل ياعباد) المخصوصين فى اهل العناية (الذين امنوا) الايمان العلمى (اتقوا ربكم بمحو صفاتكم (للذين احسنوا) اى اتصفوا بالصفات الالهية فعبدوه على المشاهدة (فى هذه الدنيا حسنة) لايكتنه كنهها فى الآخرة وهى شهود الوجه الباقى وجماله الكريم (وارض الله واسعة) اى النفس المطمئنة المخصوصة بالله لانقيادها له وقبولها لنوره واطمئنانها اليه ذات سعة بيقينها لاتتقيد بشئ ولا يلبث فى ضيق من عادة ومألوف وامر غير الحق (انما يوفى الصابرون) الذين صبروا مع الله فى فناء صفاتهم وافعالهم وسلوكهم فيه وسيرهم فى منازل النفس الواسعة باليقين (اجرهم) من جنات الصفات بغير) حساب) اذ الاجر الموفى بحسب الاعمال فى مقام النفس مقدر بالاعمال فى جنة النفوس متناه لكونه من باب الاثار محصورا فى المواد واما الذى يوفى بحسب

موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) اى يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد) اى يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعنى يوسف ابن يعقوب (من قبل) اى من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله اارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فمازلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لاشريك له والمعنى انهم بقوا شاكين فى نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعنى مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) اى اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لايجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهى والتمنى من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) اى فى شركه وعصيانه (مرتاب) اى فى دينه (الذين يجادلون فى آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) اى بغير حجة وبرهان (اتاهم) من الله (كبر) اى ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) * قوله عز وجل (وقال فرعون) يعنى لوزيره (ياهامان ابن لى صرحا) اى بناء ظاهرا لايخفى على الناظرين وان بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص (لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات) اى طرقها وابوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه) يعنى موسى (كاذبا) اى فيما يدعى ويقول ان له ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح اى وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا فى تباب) اى وما كيده فى ابطال آيات موسى الا فى خسار وهلاك * قوله تعالى (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) اى طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) اى متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هى دار القرار) اى التى لاتزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لامنفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) اى لاتبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل فيصب عليهم عليهم الرزق صبا بغير تقتير (وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) معناه انا ادعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة من النار وانتم تدعوننى الى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ماليس لى به علم) اى لااعلم ان الذين تدعوننى اليه اله وماليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله (وانا ادعوكم الى العزيز) اى فى انتقامه ممن كفر (الغفار) اى

(للذنوب)

الاخلاق والاحوال فهو غير متناه لكونه من باب تجليات الصفات فى جنة القلب وعالم القدس مجردا عن المواد (قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) عن الالتفات الى الغير والسير بالنفس (وامرت لان اكون اول المسلمين) مقدم المسلمين الذين اسلموا وجوههم الى الله بالفناء فيه وسابقهم فى الصف الاول سائرا بالله فانيا عن النفس وصفاتها (قل انى اخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والنظر الى الغير (عذاب يوم عظيم) من الاحتجاب والحرمان والبعد (قل الله اعبد) اخص بالعبادة (مخلصا له دينى) عن شوب الانائية والاثنينية (فاعبدوا ماشئتم من دونه قل ان الخاسرين) بالحقيقة الكاملين فى الخسران هم الواقفون مع الغير المحجوبون عن الحق (الذين خسروا انفسهم واهليهم) باهلاك الانفس وتضييع الاهل من الجواهر المقدسة التى تجانسهم وتناسبهم فى عالمها الروحانية لاحتجابهم بالظلمات الهيولانية عنهم (الاذلك

لذنوب اهل التوحيد (لاجرم) يعنى حقا (ان ماتدعوننى اليه) يعنى الصنم (ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى ليست له استجابة دعوة لاحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته فى الدنيا ولا فى الآخرة لان الاصنام لاتدعى الربوبية ولاتدعو الى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها (وان مردنا الى الله) اى مرجعنا الى الله فيجازى كلا بما يستحقه (وان المسرفين) يعنى المشركين (هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم) اى اذا عاينتم العذاب حين لاينفعكم الذكر (وافوض امرى الى الله) اى ارد امرى الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعنى يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيآت مامكروا) اى ماارادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) اى نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود ارواح آل فرعون فى اجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبدالله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ❋ ثم اخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون) اى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (اشد العذاب) قال ابن عباس الوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ اغرقوا ❋ قوله تعالى (واذ يتحاجون) اى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى اهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا) اى فى الدنيا (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) يعنى الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعنى نحن وانتم (ان الله قد حكم بين العباد) اى قضى علينا وعليكم (وقال الذين فى النار) يعنى حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى الخزنة (اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعنى لاعذر لكم بعد مجئ الرسل (قالوا بلى) اى اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعنى انتم انا لاندعو لكم لانهم علموا انه لايخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) يعنى يبطل ويضل ولاينفعهم ❋ قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم واهلك اعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين الفا (ويوم يقوم الاشهاد) يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لاينفع الظالمين معذرتهم) اى ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) اى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار)

هو الخسران) الحقيق الظاهر البين (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) لانغمارهم فى المواد الهيولانية واستقرارهم فى قعر بئر الطبيعة الظلمانية فوقهم مراتب من الطبائع وتحتهم مراتب اخرى وهم فى غمرات منها (ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) عبادة الغير (وانابوا الى الله) بالتوحيد المحض (لهم البشرى) باللقاء (فبشر عباد) المخصوصين بعنايتى (الذين يستمعون القول) كالعزائم والرخص والواجب والمندوب فى قول الحق والغير (فيتبعون احسنه) كالعزائم دون الرخص والواجب دون المندوب والقول حق الكل لاغير (اولئك الذين هداهم الله) اليه بنور الهداية الاصلية (واولئك اولوا الالباب) المميزون بين الاقوال بألبابهم المجرد فيتلقون المعانى المحققة دون غيرها (افمن حق عليه كلمة العذاب) اى انت مالك امرهم فمن سبق الحكم بشقاوته فأنت تنقذه اى انقاذه اصلا اأنت تنقذ من

يعنى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعنى النبوة وقيل التوراة (واورثنا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على انبيائهم (هدى وذكرى لاولى الالباب) ﴿ قوله تعالى (فاصبر) اى يا محمد على اذاهم (ان وعد الله حق) اى فى اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) يعنى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعنى على ترك الاولى والافضل وقيل على ماصدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة فى قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمد ربك) اى نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك (بالعشى والابكار) يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم) يعنى كفار قريش (ان فى صدورهم) اى ما فى قلوبهم (الا كبر) قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغيه) يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) اى من فتنة الدجال (انه هو السميع) اى لاقوالهم (البصير) اى بأفعالهم ﴿ قوله عز وجل (لخلق السموات والارض) اى مع عظمها (اكبر من خلق الناس) اى من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان الله تعالى خلق السموات والارض وذلك اعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) يعنى ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى اكبر من خلق الناس اى اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى امر الدجال

﴿ فصل فى ذكر الدجال ﴾ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور العين اليمنى كانها عنبة طافئة ولابى داود والترمذى عنه قال قام النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال انى انذركموه ومامن نبى الا وقد انذره قومه لقد انذره نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس بأعور (ق) عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبى الا وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفى رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الا هلكت ومن اشد فتنته انه يأتى الاعرابى فيقول ارايت ان احييت

فى النار لكن الذين اتقوا ربهم) افعالهم وصفاتهم وذواتهم فى التجريد والتفريد من اهل التوحيد (لهم غرف من فوقها غرف مبنية) اى مقامات واحوال بعضها فوق بعض كالتوكل بفناء الافعال فوقه الرضاء بفناء الصفات فوقه الفناء فى الذات (تجرى من تحتها الانهار) انهار علوم المكاشفات (وعد الله لا يخلف الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء) الروح ماء العلم (فسلكه ينابيع فى الارض) الحكم فى اراضى النفوس بحسب استعداداتها (ثم يخرج به زرعا) زرع الاعمال والاخلاق (مختلفا الوانه) اصنافه بحسب اختلاف القوى والاعضاء (ثم يهيج) فينقطع عن اصله بانوار التجليات (فتراه مصفرا) لاضمحلاله وتلاشيه بفناء اصوله القائم هو بها من القوى والنفوس والقلوب (ثم يجعله حطاما) بذهابه وانكساره وانقطاعه عند ظهور صفاته تعالى واستقرارها بالتمكين (ان فى ذلك لذكر لاولى

لك ابلك الست تعلم انى ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كاحسن ماتكون ضروعا
واعظمه اسنمة ويأتى الرجل قدمات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك اخاك واباك الست
تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو اخيه ونحو ابيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت واخذ بلحمتى الباب فقال مهيم اسماء
فقلت يارسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حى فانا حجيجه والا فان ربى خليفتى
على كل مؤمن قالت اسماء فقلت يارسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين
يومئذ قال يجزى اهل السماء من التسبيح والتقديس وفى رواية عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم
يمكث الدجال فى الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام
السعفة فى النار هذا حديث اخرجه البغوى بسنده والذى جاء فى صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله
مالبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم هذه قلنا
يارسول الله فذاك اليوم الذى كسنة اتكفينا له صلاة يوم قال لا اقدرو له قدره قلنا يارسول الله
وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفى رواية ابى داود فمن ادركه منكم فليقرا
عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة
البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذى يرى الناس انه نار فماء بارد والذى يرى
الناس انه ماء فنار محرقة فمن ادرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى انه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن ابى
هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال
ماحدث به نبى قومه انه اعور وانه يجئ بمثال الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى انذركم
كما انذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ماسأل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال
ماسألته وانه قال لى مايضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله
من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فلينأ منه فوالله ان
الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات اوقال لما يبعث به من الشبهات
اخرجه ابو داود (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال
الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة
باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف
الملائكة وجهه قبل الشأم وهنالك يهلك عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان وجوههم
المجان المطرقة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن انس رضى الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة عن مجمع
بن جارية الانصارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب
لد اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض هذه
الاحاديث التى وردت فى قصة الدجال حجة لمذهب الحق فى صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى

الالباب) الحقائق المجرد
من قشر الانانية (افمن
شرح الله صدره للاسلام)
بنوره حال البقاء بعد الفناء
ونقى قلبه بالوجود الموهوب
الحقانى فيسع صدره الحق
والخلق من غير احتجاب
بأحدهما عن الآخر فيشاهد
التفصيل فى عين الوحدة
والتوحيد فى عين الكثرة
والاسلام هو الفناء فى الله
وتسليم الوجه اليه اى شرح
صدره فى البقاء لاسلامه
وجهه حال الفناء (فهو على
نور من ربه) يرى ربه
(فويل للقاسية قلوبهم من
ذكر الله) للذين قست
قلوبهم من قبول ذكر الله
لشدة ميلها الى اللذات البدنية
واعراضها عن الكمالات
القدسية (اولئك فى ضلال
مبين) عن طريق الحق
(الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها) فى الحق
والصدق (مثانى) لتنزلها
عليك فى مقام القلب قبل
الفناء وبعده فتكون مكررة
باعتبار الحق والخلق فتارة
يتلوها الحق وتارة يتلوها
الخلق (تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم) اهل
الخشية من العلماء بالله

الله تعالى به عباده فاقدره على اشياء من المقدورات من احياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وامره السماء ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائى المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى يأتى بها زعموا انها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا انها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون مامعه كالتصديق له وانما يدعى الربوبية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذى فى عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا العوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق او خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما اهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يارسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من ذلك معناه هذا اهون على الله تعالى من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس معه شئ من ذلك لانه ثبت فى الحديث ان معه ماء ونارا فاؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى اعلم * قوله عز وجل (وما يستوى الاعمى والبصير) اى الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) اى لا يستوون (قليلا ماتذكرون ان الساعة) يعنى القيامة (لآتية لاريب فيها) اى لاشك فى قيامها ومجيئها (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) اى لا يصدقون بالبعث بعد الموت * قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) اى اعبدونى دون غيرى اجبكم واثبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن انس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة اخرجه الترمذى وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ اكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذى وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعونى استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص فى الدعاء وان لايدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وان لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يؤخرها له يدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل

لانفعالها بالهيآت النورانية الواردة على القلب النازل اثرها الى البدن (ثم تلين جلودهم وقلوبهم) واعضاؤهم بالانقياد والسكينة والطمأنينة (الى ذكر الله ذلك هدى الله) بالانوار اليقينية (يهدى به من يشاء) من اهل عنايته (ومن يضلل الله) يحجبه عن النور فلا يفهم كلامه ولا يرى معناه (فماله من هاد افمن يتقى بوجهه سوء العذاب) مع كونه اشرف الاعضاء لكون سائر جوارحه مقيدة بهيآت لايتأتى له التحرز بها ولا يتهيأ مغللة باغلال لا يتيسر له بها الحركة فى الدفع ولا يتسنى كمن امن العذاب (يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ماكنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا) فى التوحيد والشرك (رجلا

له به فى الدنيا واما ان يدخرله فى الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع باثم اوقطيعة رحم اويستعجل قالوا يارسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربى فما استجاب لى اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) اى عن توحيدى وقيل عن دعائى (سيدخلون جهنم داخرين) اى صاغرين ذليلين * قوله عز وجل (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) اى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) اى لتحصل لكم فيه مكنة التصرف فى حوائجكم ومهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم) اى ذلكم المميز بالافعال الخاصة التى لايشاركه فيها احد هوالله ربكم (خالق كل شئ لااله الاهو) اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وانه لاشريك له فى ذلك (فأنى تؤفكون) اى فانى تصرفون عن الحق (كذلك) اى كما افكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا) اى فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا فى حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) اى سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فاحسن صوركم) اى خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو ماخلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى) وهذا يفيد الحصر اى لاحى الاهو فوجب ان يحمل ذلك على الذى يمتنع ان يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذى لايوصف بالحياة الكاملة الا هو والحى هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله (لااله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) اى فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لااله الاالله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين (قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وامرت ان اسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى الى الكفر امره الله تعالى ان يقول ذلك * قوله تعالى (هو الذى خلقكم من تراب) يعنى اصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهى من الاغذية والاغذيه من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعنى ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهى الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) اى من قبل ان يصير شيخا (ولتبلغوا) اى جميعا (اجلا مسمى) اى وقتا محدودا لاتجاوزونه يعنى اجل الحيات الى الموت (ولعلكم تعقلون) اى مافى هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) اى يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولاتعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ماذكر من الافعال الدالة على قدرته كانه قال من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شئ واسرعه * قوله تعالى (الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن (انى يصرفون) اى عن دين الحق وقيل نزلت

فيه شركاء متشاكسون) سيؤا الاخلاق لايتسالمون فى شئ بوجهه هذا فى حاجة وعنه هذا ويجذبه احدهما الى جهة والآخر الى مايقابلها فيتنازعون ويتجاذبون وهذا صفة من تستولى عليه صفات نفسه المتجاذبة لاحتجابه بالكثرة المخالفة فهو فى عين التفرقة همه شعاع وقلبه اوزاع (رجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون) لا يبعثه الا الى جهته وهذا مثل الموحد الذى تسالمت له مشايعة السر الى جناب الرب ليس له الاهم واحد ومقصد واحد فى عين الجمعية مجموع ناعم البال خافض العيش والحال (انك ميت وانهم ميتون) معناه كل شئ هالك الا وجهه اى فان فى الله وهم فى شهودك هالكون معدومون بذواتهم (ثم انكم يوم القيامة) الكبرى (عند ربكم تختصمون) لاختلافكم فى الحقيقة والطريقة لكونهم محجوبين بالنفس وصفاتها سائرين بها طالبين لشهواتها ولذاتها وكونك دائما بالحق سائرا به طالبا

فى القدرية ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ﴾ فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما اوعدهم به فقال تعالى ﴿اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ اى يجرون بتلك السلاسل ﴿فى الحميم ثم فى النار يسجرون﴾ اى توقد بهم النار ﴿ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله﴾ يعنى الاصنام ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ اى فقدناهم فلم نرهم ﴿ بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ﴾ قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيئا وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعو من قبل شيئا ﴿ كذلك يضل الله الكافرين﴾ اى كما اضل هؤلاء ﴿ذلكم﴾ اى العذاب الذين نزل بكم ﴿بما كنتم تفرحون﴾ اى تبطرون وتاشرون ﴿فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ اى تختالون وتفرحون به ﴿ادخلوا ابواب جهنم﴾ يعنى السبعة ﴿خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ اى عن الايمان ❊ قوله تعالى ﴿فاصبر ان وعد الله حق﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى بنصرك على الاعداء ﴿فاما نرينك بعض الذى نعدهم﴾ اى من العذاب فى حياتك ﴿او نتوفينك﴾ اى قبل ان يحل ذلك بهم ﴿فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك﴾ اى خبره وحاله فى القرآن ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ اى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم احد الا اعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وما كان لرسول ان يأتى باية الا باذن الله﴾ اى بامره وارادته ﴿فاذا جاء امر الله﴾ اى قضاؤه بين الانبياء والامم ﴿ قضى بالحق ﴾ اى بالعدل ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ اى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم ❊ قوله تعالى ﴿ الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ﴾ اى فى اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم ﴾ اى تحمل اثقالكم من بلد الى بلد فى اسفاركم وحاجاتكم ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ اى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر ﴿ ويريكم آياته ﴾ اى دلائل قدرته ﴿ فاى آيات الله تنكرون ﴾ يعنى ان هذه الآيات التى ذكرها ظاهرة باهرة فليس شئ منها يمكن انكاره ❊ قوله تعالى ﴿ افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض﴾ يعنى مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء فى اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا واموالا من هؤلاء ﴿ فما اغنى عنهم ﴾ اى لم ينفعهم ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ اى اى شئ اغنى عنهم كسبهم ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا ﴾ اى رضوا ﴿بما عندهم من العلم﴾ قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو فى الحقيقة جهل ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا باسنا ﴾ اى عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ اى تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده﴾ يعنى ان سنة الله قد جرت فى الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعنى بتلك السنة انهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب ﴿ وخسر هنالك الكافرون﴾ اى بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر فى كل وقت ولكنه يتبين خسره انه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

❊ تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح وهى مكية وهى اربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا ❊

لوجهه ورضاه ﴿ فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذى عملوا ﴾ من صفات نفوسهم وهيآت رذائلهم ﴿ ويجزيهم اجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون﴾ من تجليات صفاته وجنات جماله فيمحو ظلمات وجوداتهم بنور وجهه ﴿ اليس الله بكاف عبده ﴾ المتوكل عليه فى توحيد الافعال وهو منبع القوى والقدر ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه﴾ لاحتجابهم بالكثرة عنه فينسبون التأثير والقدرة الى ما هو ميت بالذات لاحول له ولا قوة فأنت احق بأن يكفيك ربك شرهم ﴿ومن يضلل الله﴾ يحجبه عنه ﴿فماله من هاد﴾ اذ لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿ ومن يهد الله فماله من مضل اليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ﴾ اى بينت وميزت وجعلت معانى مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد ﴿ قرآنا عربيا ﴾ اى باللسان العربى ﴿ لقوم يعلمون ﴾ اى انما انزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم مافهموه ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ نعتان للقرآن اى بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب ﴿ فاعرض اكثرهم ﴾ اى عنه ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ اى لا يصغون اليه تكبرا ﴿ وقالوا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ قلوبنا فى اكنة ﴾ اى اغطية ﴿ مما تدعونا اليه ﴾ اى فلا نفقه ماتقول ﴿ وفى آذاننا وقر ﴾ اى صمم فلا نسمع ماتقول والمعنى انا فى ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ اى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلا نوافقك على ماتقول ﴿ فاعمل ﴾ اى انت على دينك ﴿ انا عاملون ﴾ اى على ديننا ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ انما انا بشر مثلكم ﴾ اى كواحد منكم ﴿ يوحى الى ﴾ اى لولا الوحى مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع ﴿ انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه ﴾ اى توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله ﴿ واستغفروه ﴾ اى من ذنوبكم وشرككم ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون ايتاءها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون فى طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ اى جاحدون بالبعث بعد الموت ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ﴾ قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ماكانوا يعملون فيه ﴿ خ ﴾ عن ابى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب الله تعالى له كصالح ماكان يعمل وهو صحيح مقيم * قوله عز وجل ﴿ قل ائنكم ﴾ استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى ﴿ لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ﴾ وثانيهما ﴿ وتجعلون له اندادا ﴾ اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين يعنى الاحد والاثنين ﴿ ذلك رب العالمين ﴾ اى هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر ﴿ وجعل فيها رواسى ﴾ اى جبالا ثوابت ﴿ من فوقها ﴾ اى من فوق الارض ﴿ وبارك فيها ﴾ اى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ماخلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل مايحتاج اليه ﴿ وقدر فيها اقواتها ﴾ اى قسم فى الارض ارزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلدة مالم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر فيها اقواتها ﴿ فى اربعة ايام ﴾

دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره اواراد نى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا ﴾ لتوقفها على ارضائه للمشفوع له بتهيئته لقبولها واذن الشفيع بتمكينه منها والتهيؤ من فيضه الاقدس فالقبول والتأثير من جهته له الملك مطلقا ﴿ له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون

اى مع اليومين الاولين فخلق الارض في يومين وقدر الاقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت اربعة ايام رد الآخر على الاول في الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سأل عن ذلك اى فهكذا الامر سواء لازيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات (ثم استوى الى السماء) اى عمد الى خلق السماء (وهى دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض امر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم ايبس الماء فخلقه ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله اعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها) اى ائتيا ما امرتكما به اى افعلاه وقيل افعلا ما امرتكما طوعا ولا الجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع (قالتا اتينا طائعين) معناه اتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول اجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشقي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك * وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) اى اتمهن وفرغ من خلقهن (في يومين) وهما الخميس والجمعة (واوحى في كل سماء امرها) قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقا من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل اوحى الى كل سماء ما اراد من الامر والنهي (وزينا السماء الدنيا) اى التي تلي الارض (بمصابيح) اى بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) اى وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) اى الذى ذكر من صنعه وخلقه (تقدير العزيز) اى في ملكه (العليم) اى بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم * قوله تعالى (فان اعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل انذرتكم) اى خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ (اذ جاءتهم الرسل) يعنى الى عاد وثمود (من بين ايديهم) يعنى الرسل الذين ارسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعنى ومن بعد الرسل الذين ارسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين ارسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (ان لا) اى بان لا (تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة) بدل هؤلاء الرسل (فانا بما ارسلتم به كافرون) وروى البغوى باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره ثم اتاه عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان ما بك

بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله) الرجوع دائما (ما لم يكونوا يحتسبون) مما يشاهدون من هيآت اعمالهم وصور اخلاقهم التي ذهلوا عنها لاشتغالهم بالشواغل الحسية واحصاه الله باثباته في كتبهم بل في الكتب الاربعة من نفوسهم والسماء الدنيا واللوح المحفوظ وام الكتاب (وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هى فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط

للرياسة عقدنا لك الوينا فكنت رئيسا مابقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من اى بنات قريش وان كان بك المال جمعنالك ماتستغنى به انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لايتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يامعشر قريش والله مانرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال ابوجهل والله ياعتبة ماحبسك عنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنالك من اموالنا مايغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لايكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم انى من اكثر قريش مالا ولكنى اتيته وقصصت عليه القصة فاجابنى بشئ والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظى حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يامعشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة ورأوا ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى ياابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياابن اخى انك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكانة فى النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعيبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع منى اعرض عليك امورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل ياابا الوليد فقال ياابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنالك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذى بك رئيا تراه لاتستطيع رده طلبنالك الطب او لعل هذا شعر جاش به صدرك فعذرك فانكم لعمرى بنى عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالا يقدر عليه احد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقد فرغت ياابا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة انصت والقى يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال اسمعت ياابا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك ياابا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط ماهو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يامعشر قريش اطيعونى يامعشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان تظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد ياابا الوليد بلسانه قال هذا رأيى لكم فاصنعوا مابدا لكم ❊ قوله عز وجل (فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا

الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) فان القنوط علامة زوال الاستعداد والسقوط عن الفطرة بالاحتجاب وانقطاع الوصلة من الحق والبعد اذلو بقيت فيه مسكة من النور الاصلى لادرك اثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه بالذات فرجا وصول ذلك الاثر اليه وان اسرف فى الميل الى جهة السفلية وفرط فى جنب الحضرة الالهية لاتصاله بعالم النور بتلك البقية وانما اليأس لايكون الامع الاحتجاب الكلى واسودادا لوجه بالاعراض عن العالم العلوى والتغشى بالغطاء الخلقى المادى (ان الله يغفر الذنوب جميعا) بشرط بقاء نور التوحيد فى القلب وهو مستفاد من اختصاص العباد لاضافتهم الى نفسه فى قوله ياعبادى ولهذا قيل نغفر جميعها للامة المحمدية الموحدين دون سائر الامم كما قال لامة نوح عليه السلام يغفر لكم من ذنوبكم اى بعضها (انه

ذوى اجسام طوال قال الله تعالى رداً عليهم (اولم يروا) اى اولم يعلموا (ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اى عاصفا شديد الصوت وقيل هى الريح ثمانية فأربع منها عذاب وهى الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم واربع منها رحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل ارسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا اجميعا (فى ايام نحسات) اى نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل امسك الله عز جل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزى) اى عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا فى الارض بغير الحق (فى الحيوة الدنيا) اى ذلك الذى نزل بهم من الخزى والهوان فى الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة اخزى) اى اشد اهانة (وهم لا ينصرون) اى لا يمنعون من العذاب (واما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) اى اختاروا الكفر على الايمان (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) اى ذى الهوان (بما كانوا يكسبون) اى من الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) اى يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه * قوله تعالى (ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون) اى يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذا ما جاؤها) يعنى النار (شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم) اى بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم (م) عن انس رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يارب الم تجرنى من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز اليوم على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل (وقالوا) يعنى الكفار الذين يحشرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ) معناه ان القادر الذى خلقكم اول مرة فى الدنيا وانطقكم ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذى انطق كل شئ ثم ابتدا بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) اى تستخفون وقيل معناه تظنون (ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما فى انفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى او قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفى هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية * قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم) اى ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (ارداكم) اى اهلككم قال ابن عباس طرحكم فى النار

هو الغفور) لهيآت الرذائل من الافراط والتفريط (الرحيم) بافاضة الفضائل (وانيبوا الى ربكم) بالتنصل عن هيآت السوء (واسلموا له) وجوهكم بالتجرد عن ذنوب الافعال والصفات من قبل انسداد باب المغفرة بوقوع العذاب الذى تستحقونه بالموت فلا يمكنكم الانابة والتسليم لفقدان الآلات وانسداد الابواب (من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت) بترك السعى فى طلب الكمال والتقصير فى الطاعة حين كنت فى جوار الله قريبا منه لصفاء استعدادى وتمكينى من السلوك فيه بوجود الآلات البدنية المعدة لى (فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين اوتقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين اوتقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من

(فاصبحتم من الخاسرين) ثم اخبرعن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) اى مسكن (وان يستعتبوا) اى يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه واجيب الى ماسأل (فاهم من المعتبين) اى المرضيين (وقيضنا لهم) اى بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء) اى نظراء من الشياطين حتى اضلوهم (فزينوا لهم مابين ايديهم) اى من امر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة (وما خلفهم) اى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) اى وجب (فى امم) اى مع امم (قدخلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) * قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى مشركى قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه مايقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) يعنى محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ) يعنى باسوا (الذى كانوا يعملون) اى فى الدنيا وهو الشرك (ذلك) اى الذى ذكر من العذاب (جزاء اعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) اى دار الاقامة لاانتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) اى فى النار (ربنا) اى يقولون ياربنا (ارنا الذين اضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذى قتل اخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت اقدامنا) اى فى النار (ليكونا من الاسفلين) اى فى الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا * قوله عزوجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته لاجل العمل به وراس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما فى الوسط غير مائل الى طرفى الافراط والتفريط فتكون الاستقامة فى امر الدين والتوحيد فتكون فى الاعمال الصالحة سئل ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لاتشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهى ولاتروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا اخلصوا فى العمل وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ادوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث (ان لاتخافوا) اى من الموت وقيل لاتخافوا على ماتقدمون عليه من امر الآخرة (ولاتحزنوا) اى على ماخلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقيل لاتخافوا من ذنوبكم ولاتحزنوا فانا نغفرها لكم (وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم) اى تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اى انصاركم واحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (فى الحيوة الدنيا و) نحن اولياؤكم (فى الآخرة) لانفارقكم حتى تدخلوا

الكافرين ويوم القيامة) الكبرى (ترى الذين كذبوا على الله) من المحجوبين الذين يسوونه بالمخلوقات اذ يجسمونه ويجوزن عليه ما يمتنع عليه من الصفات لاحتجابهم بالمواد (وجوههم مسودة) بارتكاب الهيآت الظلمانية ورسوخ الرذائل النفسانية فى ذواتهم (اليس فى جهنم) الطبيعة الهيولانية (مثوى للمتكبرين) الذين احتجبوا بصفات نفوسهم المستولية عليهم (وينجى الله الذين اتقوا) الرذائل بتجردهم عن تلك الصفات (بمفازتهم) واسباب فلاحهم من هيآت الحسنات وصور الفضائل والكمالات (لايمسهم السوء) لتجردهم عن الهيآت المؤلمة المنافية (ولاهم يحزنون) بفوات كمالاتهم التى اقتضتها استعداداتهم (الله خالق كل شئ وهو على شئ وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تأمرونى اعبد) هو وحده يملك خزائن غيوبها وابواب خيرها وبركتها يفتح لمن يشاء باسمائه

الجنة (ولكم فيها) اى فى الجنة (ماتشتهى انفسكم) اى من الكرامات واللذات (ولكم فيها ماتدعون) اى تتمنونه (نزلا) اى رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال اهل المعانى كل هذه الاشياء المذكورة فى هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل فاظنك بمابعده من الالطاف والكرامة * قوله تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) اى الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه (وعمل صالحا) فى اجابته وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ارى هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل فى هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء * المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء اقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة بين كل اذانين صلاة وقال فى الثالثة لمن شاء * عن انس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن (وقال اننى من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به * قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى احسن) قال ابن عباس امره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى صديق قريب قيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (ومايلقاها) اى ومايلقى هذه الخصلة والفعلة وهى دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) اى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (ومايلقاها الا ذو حظ عظيم) اى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى مايلقاها الا من وجبت له الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه اى يبعثه الى مالا ينبغى ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن (فاستعذ بالله) اى من شره (انه هو السميع) اى لاستعاذتك (العليم) باحوالك * قوله تعالى (ومن آياته) اى ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) اى انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى خلقهن) اى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون) يعنى ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب

الحسنى اذ كل اسم من اسمائه مفتاح لخزانة من خزائن جوده لا ينفتح بابها الا به فيفيض عليه مافيها من فيض رحمته العامة والخاصة ونعمته الظاهرة والباطنة (والذين كفروا بآيات الله) اى حجبوا عن انوار صفاته وافعاله بظلمات طباعهم ونفوسهم (اولئك هم الخاسرون) الذين لا نصيب لهم من تلك الخزائن لاطفائهم النور الاصلى القابل لها وتضييعهم الاستعداد الفطرى والاسم الذى يفتح به مقاليدها (قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون) بالجهل فأحتجب عن فيض رحمته ونور كماله فأكون (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) بل خصص العبادة بالله موحدا فانيا فيه عن رؤية الغير ان كنت تعبد شيأ (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) به له (وما قدروا الله حق قدره) اى ما عرفوه حق معرفته اذ قدروه فى انفسهم وصوروه وكل ما يتصورونه فهو مجعول مثلهم (والارض

هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وامروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبروا) اى عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسجون له بالليل والنهار وهم لايسأمون) اى لايفترون ولايملون

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعى احدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن ابى حنيفة واحد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند اصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى انه عند قوله تعالى وهم لايسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن ابى حنيفة لان عنده يتم الكلام (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) ✽ قوله تعالى (ان الذين يلحدون) اى يميلون عن الحق (فى آياتنا) اى فى ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لايخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى ابى جهل (افمن يلقى فى النار) هو ابو جهل (خير ام من يأتى آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ماشئتم) امر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) اى انه عالم باعمالكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان احدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه اولئك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ فى وصف الذكر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لايأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولايجئ بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لايتطرق اليه ولايجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لايأتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولافيما تأخر (تنزيل من حكيم) اى فى جميع افعاله (حميد) اى الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل (مايقال لك) اى من الاذى والتكذيب (الا ماقد قيل للرسل من قبلك) يعنى انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) اى لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب اليم) اى لمن اصر على التكذيب ✽ قوله عز وجل (ولو جعلناه) اى هذا الكتاب الذى تقرؤه على الناس (قرآنا اعجميا) اى بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) اى هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (ءأعجمى وعربى) اى اكتاب اعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل اعجميا وقيل فى معنى الآية انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمى الى القوم العرب ولصح قولهم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة وفى

جميعا قبضته يوم القيمة) اى تحت تصرفه وقبضته قدرته وقهر ملكوته (والسموات مطويات بيمينه) فى طى قهره ويمين قوته يصرفها كيف يشاء ويفعل بها مايشاء يطويها ويفنيها عن شهود الشاهد يوم القيامة الكبرى والفناء فى التوحيد لفناء الكل حينئذ فى شهود التوحيد وكل تصرف تراه بيمينه وكل صفة تراها صفته ويرى عالم القدرة بيمينه بل كل شئ عينه فلا يرى غيره بل يرى وجهه فلا عين ولا اثر لغيره (سبحانه وتعالى عما يشركون) باثبات الغير وتأثيره وقدرته (ونفخ فى الصور) عند الاماتة بسريان روح الحق وظهوره فى الكل وشهود ذاته بذاته وفناء الكل فيه (فصعق) اى هلك (من فى السموات ومن فى الارض) حال الفناء فى التوحيد وظهور الهوية بالنفخة الروحية (الا من شاء الله) من اهل البقاء بعد الفناء الذين احياهم الله بعد الفناء بالوجود الحقانى فلا يموتون فى القيامة كرة اخرى لكون حياتهم به وفنائهم عن انفسهم من قبل

آذاننا وقر لانا لا نفهمه ولانحيط بمعناه وانالما انزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة وفى آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا اعجميا تكنى ابافكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار، فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمنى فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يامحمد (هو) يعنى القرآن (للذين آمنوا هدى) اى من الضلالة (وشفاء) اى لما فى القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) اى صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (اولئك ينادون من مكان بعيد) اى كما ان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء فى قلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث لايسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) اى فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) اى فى تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضى بينهم) اى لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفى شك منه مريب) اى من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) اى يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن اساء فعليها) اى ضرر اساءته او كفره يعود على نفسه ايضا (وماربك بظلام للعبيد) يعنى فيعذب غير المسئ ❊ قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعنى اذا سأل عنها سائل قيل له لايعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك (وما تخرج من ثمرات من اكمامها) اى من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل ان ينشق (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) اى يعلم قدر ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو ام انثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم مايحدث من كل شئ كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من اصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لايصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لايشركه فيه احد (ويوم يناديهم) اى ينادى الله تعالى المشركين فيقول (اين شركائى) اى الذين تدعون انها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) اى اعلمناك (مامنا من شهيد) اى يشهدون لك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل) اى يعبدون فى الدنيا (وظنوا مالهم من محيص) اى مهرب ❊ قوله تعالى (لايسأم الانسان) اى لايمل الكافر (من دعاء الخير) يعنى لايزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) اى الشدة والفقر (فيؤس) اى من روح الله تعالى (قنوط) اى من رحمته (ولئن اذقناه رحمة منا) اى آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) اى من بعد شدة وبلاء اصابه (ليقولن هذا لى) اى استحقه بعملى (وما اظن الساعة قائمة) اى ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربى) يقول هذا الكافر اى فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى (ان لى عنده للحسنى) اى الجنة والمعنى كما اعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى اعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه) اى تعظم

ثم نفخ فيه اخرى) عند البقاء بعد الفناء والرجوع الى التفصيل بعد الجمع (فاذا هم قيام) بالحق (ينظرون) بعينه (واشرقت الارض) ارض النفس حينئذ (بنور ربها) واتصفت بالعدالة التى هى ظل شمس الوحدة والارض كلها فى زمن المهدى عليه السلام بنور العدل والحق (ووضع الكتاب) اى عرض كتب الاعمال على اهلها ليقرا كل واحد عمله فى صحيفته التى هى نفسه المنتقشة فيها صور اعماله المنطبع منها تلك الصور فى بدنه (وجئ بالنبيين والشهداء) من السابقين المطلعين على احوالهم الذين قال فيهم يعرفون كلا بسيماهم اى احضروا للشهادة عليهم لاطلاعهم على اعمالهم (وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) حيث وزن اعمالهم بميزان العدل ووفى جزاء اعمالهم لاينقص منها شئ (ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون) لثبوت صور افعالهم عنده (وسيق الذين كفروا) المحجوبون (الى جهنم زمرا)

بنفسه وتكبر وتعظم (واذا مسه الشر) اى الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) اى كثير
(قل) اى قل يامحمد لكفار مكة (ارايتم ان كان من عندالله) يعنى هذا القرآن (ثم كفرتم به)
اى جحدتموه (من اضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم
(سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية (وفى انفسهم) اى بالبلاء
والامراض وقيل مانزل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد
صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفى انفسهم وهو فتح مكة (حتى يتبين لهم انه الحق) يعنى دين
الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عندالله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من
قبل الله تعالى وقيل فى الآفاق يعنى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار
والانهار والنبات وفى انفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعنى
لايقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) يعنى يشهد ان
القرآن من عندالله تعالى وقيل اولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى اوضحها الله لهم على التوحيد وانه
شاهد لايغيب عنه شئ (الا انهم فى مرية من لقاء ربهم) اى فى شك عظيم من البعث والقيامة (الا انه
بكل شئ محيط) اى عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى
عن ابن عباس الا اربع آيات نزلت بالمدينة اولها قل لااسئلكم عليه اجرا وقيل فيها من المدنى
ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا اصابهم البغى هم
ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة الالف
وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف
المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور اوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره
والمر لان حم عسق عدت آيتين وعدت اخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان اهل التأويل لم
يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم من حيز
الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اى قضى وبقى عسق على اصله وقال ابن عباس ح
حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته اقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من
قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول
من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا
شان محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود
والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس
ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد اوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك
والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى اليك اخبار الغيب كما اوحينا الى الذين من قبلك
(الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كانه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم
ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له مافى السموات ومافى الارض وهو العلى العظيم تكاد

بسائق العمل وقائد الهوى
النفسى والميل السفلى
(حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها) لشدة شوقها اليهم
وقبولها لهم لما بينهما من
المناسبة (وقال لهم خزنتها
الم يأتكم رسل منكم يتلون
عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على
الكافرين قيل ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها
فبئس مثوى المتكبرين)
من مالك والزبانية اى
الطبيعة الجسمانية والملكوت
الارضية الموكلة بالنفوس
السفلية (وسيق الذين
اتقوا ربهم) الرذائل وصفات
النفوس (الى الجنة زمرا)
بسائق العمل وقائد المحبة
(حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها) قبل مجيئهم لان ابواب
الرحمة وفيض الحق مفتوحة
دائما والتخلف من جهة
القبول لامن جهة الفيض
بخلاف ابواب جهنم فانها
مطبقة تنفتح بهم وبمجيئهم
اليها لكون المواد غير
مستعدة لقبول النفوس
الا با ثارها (وقال لهم خزنتها)
من رضوان والارواح
القدسية والملكوت السماوية
(سلام عليكم) اى تحييهم

السموات يتفطر من فوقهن ﴾ اى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ اى ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ﴿ ويستغفرون لمن فى الارض ﴾ اى المؤمنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من فى الارض اما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيآتهم وقيل استغفارهم لمن فى الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر ﴿ الا ان الله هو الغفور الرحيم ﴾ يعنى انه تعالى يعطى المغفرة التى سألوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة ❊ قوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه اولياء ﴾ اى جعلوا له شركاء واندادا ﴿ الله حفيظ عليهم ﴾ اى رقيب على احوالهم واعمالهم ﴿ وما انت عليهم بوكيل ﴾ اى لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما انت نذير ﴿ وكذلك ﴾ اى ومثل ما ذكرنا ﴿ اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ﴾ يعنى مكة والمراد اهلها ﴿ ومن حولها ﴾ يعنى قرى الارض كلها ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾ اى وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارضين ﴿ لا ريب فيه ﴾ اى لا شك فى الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى ﴿ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا يا رسول الله فقال للذى فى يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الاصلاب وقيل ان يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الاصلاب وقيل ان يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجالا من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى اخرجه احمد بن حنبل فى مسنده ❊ قوله تعالى ﴿ ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ﴾ قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام ﴿ ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ﴾ اى فى دين الاسلام ﴿ والظالمون ﴾ اى الكافرون ﴿ ما لهم من ولى ﴾ اى يدفع عنهم العذاب ﴿ ولا نصير ﴾ اى يمنعهم من العذاب ﴿ ام اتخذوا ﴾ يعنى الكفار ﴿ من دونه اولياء فالله هو الولى ﴾ قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولى من اتبعك ﴿ وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ يعنى ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولى ﴿ وما اختلفتم فيه من شئ ﴾ اى من امر الدين ﴿ فحكمه الى الله ﴾ اى يقضى فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب وقيل عنه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ﴿ ذلكم الله ﴾ اى الذى يحكم بين المختلفين هو الله ﴿ ربى عليه توكلت ﴾ اى فى جميع امورى ﴿ واليه انيب ﴾ اى

الصفات الالهية والاسماء العلية بافاضة الكمال عليهم وتبرئتهم من الآفة والنقص ﴿ طبتم فادخلوها خالدين ﴾ عن خبائث الاوصاف النفسانية والهيآت الهيولانية فادخلوا جنة الفردوس الروحانية مقدرين الخلود لنزاهة ذواتكم عن التغيرات الجسمانية ﴿ وقالوا الحمد لله ﴾ بالاتصاف بكمالاته والوصول الى نعيم تجليات صفاته ﴿ الذى صدقنا وعده ﴾ بايصالنا الى ما وعدنا فى العهد الاول واودع فينا وانبأنا عنه على السنة رسله ﴿ واورثنا الارض ﴾ جنة الصفات ﴿ نتبوأ من الجنة ﴾ منها ﴿ حيث نشاء ﴾ بحسب شرفنا ومقتضى حالنا ﴿ فنعم اجر العاملين ﴾ الذى عملوا بما علموا فأورثوا جنة القلب والنفس من الانوار والآثار ﴿ وترى الملائكة ﴾ ملائكة القوى الروحانية فى جنة الصفات ﴿ حافين من حول العرش ﴾ عرش القلب ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ بتجردهم عن اللواحق المادية حامدين ربهم بالكمالات الروحانية ﴿ وقضى بينهم بالحق ﴾

﴿ واليه ﴾

اى واليه ارجع فى كل المهمات (فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم) اى من جنسكم
(ازواجا) اى حلائل وانما قال من انفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع ادم (ومن الانعام
ازواجا) اى اصنافا ذكرانا واناثا (يذرؤكم) اى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) اى فى الرحم وقيل
فى البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد
والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس
وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل فى بمعنى الباء اى يذرؤكم به اى يكثركم بالتزويج (ليس
كمثله شئ) المثل صلة اى ليس كهو شئ وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شئ قال ابن عباس
ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض
يقتضى اثبات المثل فما الفرق قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية
فقوله ليس كمثله شئ معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس او يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى
مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد
ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) اى لسائر المسموعات (البصير)
اى لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) اى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر
وفى الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى انه يوسع
على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شئ عليم) اى من البسط
والتضييق * قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) اى بين وسن لكم طريقا واضحا من
الدين اى دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ماوصى به نوحا) يعنى انه اول الانبياء
اصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا (والذى اوحينا اليك) اى من القرآن
وشرائع الاسلام (وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر
لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة واولوا العزم ثم فسر المشروع الذى
اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى (ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة
الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله فى اوامره ونواهيه
وسائر مايكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الامم على حسب احوالها فانها
مختلفة متفاوتة وقال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال
وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله
نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء
كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) اى من التوحيد
ورفض الاوثان (الله يجتبى اليه من يشاء) اى يصطفى لدينه من يشاء من عباده (ويهدى
اليه من ينيب) اى يقبل على طاعته (وماتفرقوا) يعنى اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعنى
اهل الكتاب (الا من بعد ماجاءهم العلم) اى بان الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) اى ولكنهم
فعلوا ذلك للبغى وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك)
اى فى تأخير العذاب عنهم (الى اجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (لقضى بينهم) اى بين
من آمن وكفر يعنى لانزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا (وان الذين اورثوا الكتاب) يعنى اليهود

تسالمهم واتحادهم فى
التوجه نحو الكمال بنور
العدل والتوحيد واختصاص
كل بما حكم بالحق فى تسبيحه
من غير تخاصم وتنازع
(وقيل) على لسان الاحدية
(الحمد لله) المطلق فى الحضرة
الواحدية للذات الالهية
الموصوفة بجميع صفاتها
(رب العالمين) مربيهم على
حسب استعدادات الاشياء
واحوالها * او ملائكة
النفوس والارواح السماوية
حافين فى جنة الفردوس
من حول عرش الفلك
الاعظم يسبحون بحمد ربهم
باتصاف ذواتهم المجردة
بالكمالات الربانية وقضى
بينهم بالحق باختصاص كل
بما حكم به الحق من الافعال
والكمالات وقيل على لسان
الكل الكمال المطلق لله
رب العالمين وان حملت
القيامة على الصغرى
فمعناه وارض البدن جميعا
قبضته يتصرف فيها بقدرته
ويقبضها عن الحركة
ويمسكها عن الانبساط
بالحياة وقت الموت وسموات
الارواح وقواها مطويات
بيمينه ونفخ فى الصور عند
النفس الآخر فصعق من
فى السموات من القوى

والنصارى (من بعدهم) اى من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية (لفى شك منه) اى من امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به (مريب) يعنى مرتابين شاكين فيه (فلذلك) اى الى ذلك (فادع) اى الى ماوصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ماحدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما امرت) اى اثبت على الدين الذى امرت به (ولاتتبع اهواءهم) اى المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب) اى آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وامرت لاعدل بينكم) قال ابن عباس امرت ان لااحيف عليكم باكثر ماافترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم فى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) يعنى ان اله الكل واحد وكل احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله (لاحجة) اى لاخصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وامر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لايجيب خصومة (الله يجمع بيننا) اى فى المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) * قوله عز وجل (والذين يحاجون فى الله) اى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد مااستجيب له) اى من بعد مااستجاب الناس لدين الله تعالى فأسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (حجتهم داحضة) اى خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) اى فى الآخرة (الله الذى انزل الكتاب بالحق) اى الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والاحكام (والميزان) اى العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (ومايدريك لعل الساعة قريب) اى وقت اتيانها قريب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) اى ظنا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) اى خائفون (منها ويعلمون انها الحق) اى انها آتية لاشك فيها (الا ان الذين يمارون) اى يخاصمون (فى الساعة) وقيل يشكون فيها (لفى ضلال بعيد) * قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) اى كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعنى ان الاحسان والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطاء مالابد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله ان يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفع اليكم مرة واحدة (وهو القوى) اى القادر على كل مايشاء (العزيز) اى الذى لايغالب ولايدافع (من كان يريد حرث الآخرة) اى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له فى حرثه) اى بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى مايشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعنى يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة (نؤته منها) اى ماقدر وقسم له منها (وماله فى الآخرة من نصيب) يعنى لانه لم يعمل لها عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن

الروحانية ومن فى الارض من القوى النفسانية الطبيعية الا من شاء الله من الحقيقة الروحانية واللطيفة الانسانية التى لاتموت ثم نفخ فيه اخرى فى النشأة الثانية ؟ور الحياة والاعتدال ووضع الكتاب اى لوح النفس المنتقش فيه صور اعماله فتنتشر بظهور تلك النفوس عليه وجئ بالنبيين والشهداء من الذين اطلعوا على استعدادهم واحوالهم ان يحشروا معهم فيجازوا على حسب اعمالهم وقضى بينهم بالعدل وهم لايظلمون وباقى التأويلات بحالها الى آخر السورة والله تعالى اعلم

سورة المؤمن وهى غافر

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه (حم) اى الحق المحتجب بمحمد فهو حق بالحقيقة محمد بالخليقة احبه فظهر بصورته فكان ظهوره به (تنزيل الكتاب) المحمدى (من الله) اى ذاته الموصوفة قد تجمع صفاته (العزيز) ستو رجلا له حال كون الكتاب قرآنا (العليم) الظاهر بعلمه فيكون فرقانا فقوله حم معناه فى الحقيقة لا اله الا الله محمد رسول الله

فى الآخرة نصيب ذكره فى جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب الستة واخرجه البغوى باسناده * قوله تعالى (ام لهم) يعنى كفار مكة (شركاء) يعنى الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعنى ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله تعالى الذى امر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لايعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعنى ان الله حكم بين الحق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) اى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وان الظالمين) يعنى المشركين (لهم عذاب اليم) اى فى الآخرة (ترى الظالمين) يعنى يوم القيامة (مشفقين) اى وجلين خائفين (مما كسبوا) من الشرك اى والاعمال الخبيثة من الشرك (وهو واقع بهم) اى جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) لان هذه الروضات اطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان فى الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من اهل القبلة (لهم مايشاؤن عند ربهم) اى من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) اى الذى ذكر من نعيم الجنة (الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) * قوله عز وجل (قل لااسئلكم عليه) اى على تبليغ الرسالة (اجرا) اى جزاء (الا المودة فى القربى) (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن قوله الا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة وعن ابن عباس ايضا فى قوله الا المودة فى القربى يعنى ان تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك (خ) عن ابن عمر ان ابابكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى اهل بيته واختلفوا فى قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل اهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا فى جاهلية ولا فى اسلام (م) عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى فقال له حصين من اهل بيته يازيد اليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحى لايجوز لقوله فى قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء ومااسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين قلت لانزاع فى انه لايجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله الا المودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لااطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين امر واجب واذا كان كذلك فى حق جميع المسلمين كان فى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم اولى فقوله قل لااسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى المودة فى القربى ليست اجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم

اى الحق الباطن حقيقته الظاهر بمحمد هو تنزيل الكتاب الذى هو عين الجمع الجامع للكل المكنون بعزته فى سرادقات جلاله المتنزل فى مراتب غيوبه ومظاهر علته فى الصورة المحمدية التى ظهر علمه بها فى مظهر العقل الفرقانى (غافر الذنب) بظهور نوره وستره لظلمات النفوس والطبائع (وقابل التوب) برجوع الحقيقة المجردة من غواشى النشأة اليه (شديد العقاب) للمحجوب الواقف مع الغير بالشرك غير الراجع اليه بالتوحيد (ذى الطول) اى الفضل بافاضة الكمال الزائد على نور الاستعداد الاول على حسب قبوله (لا اله الا هو) اولا واخرا وظاهرا وباطنا معاقبا ومتفضلا (اليه المصير) مصير الكل على كل الاحوال من الراجع التائب والواقف المعاقب اما الى ذاته او صفاته او افعاله كيف كان لايخرج عن احاطته شئ فيكون خارجا عن ذاته موجودا بوجود غير وجوده اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) المحجوبون عن

وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لااجرا البتة والوجه الثانى ان هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لااسئلكم عليه اجرا ثم ابتدأ فقال الاالمودة فى القربى اى لكن اذكركم المودة فى قرابتى الذين هم قرابتكم فلاتؤذوهم وقيل ان هذه الاية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ما سألتكم عليه من اجر فهو لكم ان اجرى الاعلى الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لااسئلكم عليه اجرا الاالمودة فى القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلايجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الاان توادوا الله وتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الاالتقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح ❊ وقوله تعالى (ومن يقترف حسنة) اى يكتسب طاعة (نزدله فيها حسنا) اى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) اى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها (ام يقولون) اى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه ايقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم ان ينسبوا امثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب (فان يشاالله يختم على قلبك) اى يربط على قلبك بالصبر حتى لايشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر به فى هذه الآية (ويمح الله الباطل) اخبره الله تعالى ان مايقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه (ويحق الحق بكلماته) اى يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم واعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لااسئلكم عليه اجرا الاالمودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره انهم اتهموه وانزل الله هذه الآية فقال القوم يارسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اوليائه واهل طاعته

❊ فصل فى ذكر التوبة وحكمها ❊ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لايعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبدالله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن بشار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب اليه فى اليوم

الحق لان غير المحجوب يقبلها بنور استعداده من غير انكار لصفاته واما المحجوب فلظلمة جوهره وخبث باطنه لاتناسب ذاته آياته فينكرها ويجادل فيها (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار) ليدحض بجداله آياته فيحق له العقاب (الذين يحملون العرش) من النفوس الناطقة السماوية اللاتى ارجلهم فى الارضين السفلى بتأثيرهم فيها واعناقهم مرقت من السموات العلى لتجردهم منها وتدبيرهم اياها او الارواح التى هى معشوقاتها العرش (ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) ومن حوله من الارواح المجردة القدسية والنفوس الكوكبية (يسبحون بحمد ربهم) ينزهونه عن اللواحق المادية بتجرد ذواتهم حامدين له باظهار كمالاتهم المستفادة منه تعالى فكانهم يقولون

مائة مرة (ق) عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش اوماشاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد ايس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم انت عبدى وانا ربك اخطا من شدة الفرح * عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لايغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عزوجل (ويعفوا عن السيآت) اى يمحوها اذا تابوا (ويعلم مايفعلون) يعنى من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذا دعوه وقال ابن عباس ويثبت الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) اى سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) * قوله عزوجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده اى وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) اى لطغوا وعتوا (فى الارض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع القبض والفقر اقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر اقل واذا كانت واجدة لها كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر مايشاء) يعنى الارزاق نظر المصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ماروى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عزوجل قال يقول الله عزوجل من اهان لى

بلسان الحال يامن هذه صفاته وهباته (ويؤمنون به) الايمان العيانى الحقيقى (ويستغفرون للذين آمنوا) بالامدادات النورية والافاضات السبوحية لمناسبة ذواتهم ذواتهم فى الحقيقة الايمانية (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى شملت رحمتك واحاط بالكل علمك (فاغفر) بنورك (للذين تابوا) اليك بالتجرد عن الهيآت الظلمانية والظلمات الهيولانية (واتبعوا سبيلك) بالسلوك فيك على متابعة حبيبك فى الاعمال والمقامات والاحوال يتنصلون عن ذنوب افعالهم وصفاتهم وذواتهم (وقهم) بعنايتك (عذاب الجحيم) جحيم الطبيعة (ربنا وادخلهم جنات عدن) صفاتك وحظائر قدسك (التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) بالتجرد عن الغواشى المادية واستعد لذلك بالتزكية والتحلية من اقاربهم المتصلين بهم للمناسبة والقرابة الروحانية (انك انت العزيز) الغالب القادر على التعذيب (الحكيم) الذى لايفعل مايفعل الا بالحكمة ومن الحكمة الوفاء بالوعد (وقهم

وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرد وماتقرب الى عبدى المؤمن بمثل اداءماافترضت عليه ومايزال عبدى المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعانى اجبته وان سألنى اعطيته وماترددت فى شئ انا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابدله منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه ان لايدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الاالغنى ولوافقرته لافسده ذلك من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الفقر ولواغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الاالصحة ولواسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الاالسقم ولو اصححته لافسده ذلك انى ادبر امر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير اخرجه البغوى باسناده ❊ قوله عزوجل (وهو الذى ينزل الغيث من بعدماقنطوا) اى يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله عزوجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم (وينشر رحمته) اى يبسط بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب (وهو الولى) اى لاهل طاعته (الحميد) اى المحمود على مايوصل الى الخلق من اقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض ومابث) اى اوجد (فيهما) اى فى السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق فى السموات انواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم اذايشاء قدير) يعنى يوم القيامة ❊ قوله عزوجل (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصى (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده مامن خدش عود ولاعثرة قدم ولااختلاج عرق الابذنب وما يعفوالله عنه اكثر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سخيلة قال قال على بن ابى طالب رضى الله عنه الا اخبركم بافضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لكم ياعلى ما اصابكم من مصيبة اى من مرض اوعقوبة اوبلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وماعفا الله عنه فى الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة مامن نكبة اصابت عبدا فما فوقها الابذنب لم يكن الله ليغفرله الابها اودرجة لم يكن الله ليرفعه لها الابها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة (وماانتم بمعجزين) اى بفائتين (فى الارض) هربا يعنى لاتعجزوننى حيثما كنتم (ومالكم من دون الله من ولى ولانصير) ❊ قوله عزوجل (ومن آياته الجوار) يعنى السفن وهى السيارة (فى البحر كالاعلام) اى كالقصور وكل شئ مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) اى التى تجرى بها السفن (فيظللن) يعنى السفن الجوارى

السيئات) بتوفيقك وحسن عنايتك وكلاءتك (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) فقد حقت له رحمتك (وذلك هو الفوز العظيم) لان المرحوم سعيد والمحجوب مقت نفسه حين تظهر له هيآتها المظلمة وصفاتها المؤلمة وسواد وجهه الموحش وقبح منظرها المنفر بارتفاع الشواغل الحسية التى كانت تشغله عن ادراك ذاته فينادى (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم) اذهو نور الانوار وكلما كان الشئ اشد نورية واكثر ضوا فهو ابعد مناسبة من الجوهر المظلم الكدر فيكون اشد مقتا له ومقته لنفسه ايضا ناشئ من النور الاصلى الاستعدادى لانطباع محبة النور فى الاصل الاستعدادى النورى بل النور لذاته محبوب والظلمة مبغوضة (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) اى كبر مقته اياكم وقت احتجابكم عنه وعدم قبولكم للدعوة الى الايمان التوحيدى او لاحتجابكم وابائكم عن

(رواكد) اى ثوابت (على ظهره) اى على ظهر البحر لا تجرى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء (اويوبقهن) اى يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) اى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) اى من ذنوبهم فلايعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى مالهم من مهرب من عذابه (فما اوتيتم من شئ) اى من زينة الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا) اى ليس هو من زاد المعاد (وماعندالله) اى من الثواب (خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان فى متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ماعندالله من الثواب خيرا وابقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعنى ماعظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ماغضبواهم يغفرون) يعنى يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعنى اجابوه الى مادعاهم اليه من طاعته (واقاموا الصلاة) يعنى المفروضة (وامرهم شورى بينهم) يتشاورون فيما يبدولهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى مالم يجتمعوا عليه قيل ماتشاور قوم الاهدوا لارشد امرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغى) يعنى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظلمهم فبدا بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ماغضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية وقال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل فى الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال اخزاك الله فقل له اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو القصاص فى الجراحات والدماء يقتص بمثل ماجنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب فى الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى (فمن عفا) اى عن ظلمه (واصلح) اى بالعفو بينه وبين الظالم (فاجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم فلايقوم الا من عفا ثم قرا هذه الآية (انه لايحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدون بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد ظلم الظالم اياه (فأولئك) يعنى المنتصرين (ماعليهم من سبيل) اى بعقوبة ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) اى يبدون بالظلم (ويبغون فى الارض بغير الحق) اى يعملون فيها بالمعاصى (اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر) اى لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظالمه (ان ذلك) اى الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) يعنى تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التى امر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب اتم عزما (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) يعنى ماله من احد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعنى انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) اى على النار (خاشعين من الذل) اى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفى)

الدعوة الايمانية (قالوا ربنا امتنا اثنتين) اى انشأتنا امواتا مرتين (واحييتنا اثنتين) فى النشأتين (فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل) عند وقوع العقاب المرتب عليها وامتناع المحيص عنه (ذلكم) العذاب السرمد والمقت الاكبر بسبب شرككم واحتجابكم عن الحق بالغير (فالحكم لله العلى الكبير) بعقابكم الابدى لا للغير فلا سبيل الى النجاة لعلوه وكبريائه فلا يمكن احدا رد حكمه وعقابه (هو الذى يريكم اياته) آيات صفته بتجلياته (وينزل لكم من السماء) من سماء الروح (رزقا) حقيقيا ما اعظمه وهو العلم الذى يحيا به القلب ويتقوى (وما يتذكر) احواله السابقة بذلك الرزق (الا من ينيب) اليه بالتجرد وقطع النظر عن الغير فانيبوا اليه لتتذكروا بتخصيص العبادة به واخلاص الدين عن شوب الغيرية وتجريد الفطرة عن النشأة ولو انكر المحجوبون وكرهوا (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

يعنى يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة فى انفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى اى ضعيف
من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال الذين آمنوا
ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم) يعنى بان صاروا الى النار (واهليهم يوم القيامة) يعنى
وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم فى الجنة (الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) اى وصول الى الحق فى الدنيا والجنة فى العقبى
فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) اى اجيبوا داعى الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
(من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله) اى لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم
الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) اى مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من
نكير) اى منكر حالكم وقيل النكير الانكار يعنى لا تقدرون ان تنكروا من اعمالكم شيأ (فان اعرضوا)
اى عن الاجابة (فما ارسلناك عليهم حفيظا) اى تحفظ اعمالهم (ان عليك الا البلاغ) اى ليس عليك
الا البلاغ وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس
يعنى الغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) اى قحط (بما قدمت ايديهم) اى من الاعمال الخبيثة
(فان الانسان كفور) اى لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه * قوله عز وجل (لله ملك السموات
والارض يعنى له التصرف فيهما بما يريد (يخلق مايشاء) اى لا يقدر احد ان يعترض عليه فى
ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا) اى فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) اى فلا يولد له
انثى (او يزوجهم ذكرانا واناثا) اى يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء
عقيما) اى فلا يولد له ولد وقيل هذا فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعنى
لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم
يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات
ويجعل من يشاء عقيما يعنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل
والا فالآية فى جميع الناس (انه عليم) اى بما يخلق (قدير) اى على ما يريد ان يخلق * قوله
تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) قيل فى سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبى صلى
الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال
لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى يوحى اليه
فى المنام او بالالهام كما رأى ابراهيم فى المنام ان يذبح ولده وهو وحى وكما الهمت ام موسى ان تقذفه
فى البحر (او من وراء حجاب) اى يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه
الصلاة والسلام (او يرسل رسولا) يعنى من الملائكة اما جبريل او غيره (فيوحى باذنه ما يشاء)
يعنى يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه
لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب فى الدنيا ويأتى بيان هذه المسألة ان شاء الله تعالى فى سورة النجم
(انه على) اى عن صفات المخلوقين (حكيم) اى فى جميع افعاله * قوله عز وجل (وكذلك) اى وكما
اوحينا الى سائر رسلنا (اوحينا اليك روحا من امرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به
حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) اى قبل الوحى (ما الكتاب) يعنى
القرآن (ولا الايمان) اختلف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على ان الانبياء قبل النبوة كانوا

رفيع الدرجات) اى رفيع
درجات غيوبه ومصاعد
سمواته من المقامات التى
يعرج فيها السالكون اليه
(ذو العرش) اى المقام
الارفع المالك للاشياء كلها
(يلقى الروح) اى الوحى
والعلم اللدنى الذى تحيا به
القلوب الميتة (من) عالم
(امره على من يشاء من
عباده) الخاصة به اهل
العناية الازلية (لينذر
يوم التلاق) القيامة الكبرى
الذى يتلاقى فيه العبد
والرب بفنائه فيه او العباد
فى عين الجمع (يوم هم
بارزون) عن حجاب الانيات
او غواشى الابدان (لا يخفى
على الله منهم شئ) مما ستروا
من اعمالهم واستخفوا بها
من الناس توهما انه لا يطلع
عليهم لظهورها فى صحائفهم
وبروزها من الكمون
الى الظهور كما قال احصاه
الله ونسوه وقالوا مال
هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ولا يخفى عليه منهم شئ
لبروزهم عن حجب الاوصاف
الى عين الذات (لمن الملك
اليوم) ينادى به الحق
سبحانه عند فناء الكل فى
عين الجمع فيجيب هو وحده

مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الايمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ماذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) اى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له مافى السموات ومافى الارض الا الى الله تصير الامور) يعنى امور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزخرف وهى مكية وهى تسع وثمانون آية الف وثلاث مائة وثلاث عشرة كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة حرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) اقسم بالكتاب وهو القرآن الذى ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم (اناجعلناه) اى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه واحكامه (وانه) يعنى القرآن (فى ام الكتاب) اى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ماخلق الله عز وجل القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وانه فى ام الكتاب (لدينا) اى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (لعلى حكيم) اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى اى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم اى محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان * قوله تعالى (افنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه افنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى (ان كنتم) اى لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لانفعل ذلك قال قتادة والله لوكان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ماشاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين اى معرضين عنكم وقيل معناه افنطوى الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنترككم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم ارسلنا من نبى فى الاولين ومايأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) يعنى كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فاهلكنا اشد منهم بطشا) اى اقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) اى صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا فى الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل مانزل بالاولين من الخزى والعقوبة * قوله عز وجل (ولئن سألتهم) اى ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعنى انهم اقروا بان الله تعالى خلقهما واقروا بعزته

(لله الواحد) الذى لاشيء سواه (القهار) الذى افنى الكل بقهره (ان الله سريع الحساب) اوقوعه دفعة باقتضاء سيآتهم المكتوبة فى صحائف نفوسهم تبعاتها وحسناتها ثمراتها (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب وانذرهم يوم الآزفة) اى الواقعة القريبة وهى القيامة الصغرى (اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لايقضون بشيء ان الله هو السميع البصير اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق

وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا﴾ معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبى فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ اى طرقا ﴿لعلكم تهتدون﴾ يعنى الى مقاصدكم فى اسفاركم ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر﴾ اى بقدر حاجاتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم ﴿فانشرنا به﴾ اى بالمطر ﴿بلدة ميتا﴾ اى كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿كذلك تخرجون﴾ اى من قبوركم احياء ﴿والذى خلق الازواج كلها﴾ اى الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية ﴿وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون﴾ يعنى فى البر والبحر ﴿لتستووا على ظهوره﴾ اى على ظهور الفلك والانعام ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه﴾ يعنى بتسخير المركب فى البر والبحر ﴿وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا﴾ اى ذلل لنا هذا ﴿وما كنا له مقرنين﴾ اى مطيقين وقيل ضابطين ﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ اى لمنصرفون فى المعاد (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطوعنا بعده اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل اللهم انى اعوذبك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعنى تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من سفره حزينا كئيبا او يصادف ما يحزنه فى اهل او مال عن على بن ربيعة قال شهدت على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وقد اتى بدابة ليركبها فلما وضع رحله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من اى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ❊ قوله تعالى ﴿وجعلوا له من عباده جزأ﴾ يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا ﴿ان الانسان لكفور مبين﴾ اى لجحود لنعم الله تعالى عليه ﴿ام اتخذ مما يخلق بنات﴾ هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿واصفاكم﴾ اى اخلصكم ﴿بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ اى بالجنس الذى جعل للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ﴿ظل وجهه﴾ اى صار وجهه ﴿مسودا وهو كظيم﴾ اى من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدله انثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد وياقوم انى اخاف عليكم (لشدة الخوف) يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله

ما لابى حمزة لا يأتينــا * يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا * ليس لنا من امرنا ماشيئا
وانما نأخذ ما اعطينــا * حكمة رب ذى اقتدار فينا

❁ قوله عز وجل ﴿ اومن ينشأ ﴾ يعنى اومن يتربى ﴿ فى الحلية ﴾ يعنى الزينة والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله ﴿ وهو فى الخصام ﴾ اى المخاصمة ﴿ غير مبين ﴾ للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة فلما تكلمت امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ﴿ وجعلوا ﴾ اى وحكموا واثبتوا ﴿ الملائكة الذين هم عباد ﴾ وقرئ عبد ﴿ الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ﴾ اى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اى لم يشهدوا ذلك ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ اى على الملائكة انهم بنات الله ﴿ ويسئلون ﴾ اى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الآخرة ﴿ وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه ما بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ مالهم بذلك من علم ﴾ اى فيما يقولون ﴿ انهم الايخرصون ﴾ يعنى ماهم الا كاذبون فى قولهم ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ﴿ ام آتيناهم كتابامن قبله ﴾ اى من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ اى يأخذون بما فيه ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة ﴾ اى على دين وملة ﴿ وانا على آثارهم مهتدون ﴾ يعنى انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قدقال هذه المقالة بقوله تعالى ﴿ وكذلك ماارسلنامن قبلك فى قرية من نذير الاقال مترفوها ﴾ اى اغنياؤها ورؤساؤها ﴿ انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ اى بهم ﴿ قل اولو جئتكم باهدى ﴾ اى بدين هو اصوب ﴿ مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ فابوا ان يقبلوا ﴿ قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ❁ قوله تعالى ﴿ واذ قال ابرهيم لابيه وقومه اننى براء ﴾ اى برئ ﴿ مما تعبدون الاالذى فطرنى ﴾ معناه انا اتبرأ مما تعبدون الا من الذى خلقنى ﴿ فانه سيهدين ﴾ اى يرشدنى الى دينه ﴿ وجعلها ﴾ اى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى لااله الاالله ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ اى فى ذريته فلايزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ اى لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عماهم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ بل متعت هؤلاء ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ وآباءهم ﴾ فى الدنيا بالمد فى العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن وقيل الاسلام ﴿ ورسـول ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مبين ﴾ اى يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة واوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن ﴿ قالوا هذا سحر وانا به

من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) كقوله ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب اى الاضلال والخذلان كل واحد منهما مرتب على الرذيلتين العلمية والعملية فان الكذب والارتياب كلاهما من باب رذيلة القوة النطقية لعدم اليقين والصدق والاسراف عن رذيلة القوتين الاخريين والافراط فى اعمالها (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) والصرح الذى امر فرعون هامان ببنائه هو قاعدة الحكمة النظرية من القياسات الفكرية فان القوم كانوا منطقيين محجوبين بعقولهم المشوبة بالوهم غير المنورة بنور الهداية اراد ان يبلغ طرق سموات الغيوب ويطلع على الحضرة الاحدية بطريق الفكر دون السلوك

كافرون) * قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لايليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم (اهم يقسمون رحمت ربك) معناه ابايديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا) اى نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعنى لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضى ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء بأموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعنى الجنة (خير) يعنى للمؤمنين (مما يجمعون) اى يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الآبدين * قوله عز وجل (ولولا ان يكون الناس امة واحدة) اى لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعنى مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يعنى يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم ابوابا) اى من فضة (وسررا) اى وجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكؤن وزخرفا) اى وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) يعنى ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضى لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا * عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد جد بنى فهر قال كنت في اركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يارسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمى سقيمه الماء اخرجه

في الله بالتجريد والمحو والفناء ولاحتجابه بانائيته وعلمه قال (لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك) اى مثل ذلك التزيين والصد (زين لفرعون سوء عمله) لاحتجابه بصفات نفسه ورذائله (وصد عن السبيل) لخطائه في فكره اى فسد عمله ونظره لشدة ميله الى الدنيا ومحبته اياها بغلبة الهوى بخلاف حال الذى آمن حيث حذر اولا من الدنيا بقوله (وما كيد فرعون الا في تباب وقال الذى آمن ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار) لسرعة زوال الاولى وبقاء الاخرى دائما (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة) اى التوحيد والتجريد الذى هو سبب نجاتكم (وتدعوننى الى النار) الى الشرك الموجب لدخول النار (تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ماليس لى به علم)

الترمذی وقال حدیث حسن غریب (م) عن ابی هریرة رضی الله تعالی عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم الدنیا سجن المؤمن وجنة الکافر ❊ قوله تعالی (ومن یعش) ای یعرض (عن ذکر الرحمن) ای فلم یخف عقابه ولم یرجوا به وقیل یول ظهره عن القرآن (نقیض له شیطانا) ای نسبب له شیطانا ونضمه الیه ونسلط علیه (فهو له قرین) یعنی لایفارقه یزین له العمی ویخیل الیه انه علی الهدی (وانهم) یعنی الشیاطین (لیصدونهم عن السبیل) یعنی یمنعونهم عن الهدی (ویحسبون انهم مهتدون) یعنی ویحسب کفار بنی آدم انهم علی الهدی (حتی اذا جاءنا) یعنی الکافر وحده وقرئ جاآنا علی التثنیة یعنی الکافر وقرینه وقد جعلا فی سلسلة واحدة (قال) الکافر لقرینه الشیطان (یالیت بینی وبینك بعد المشرقین) ای بعدما بین المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما علی الآخر کما یقال للشمس والقمر القمران ولابی بکر وعمر العمران وقیل اراد بالمشرقین مشرق الصیف ومشرق الشتاء والقول الاول اصح (فبئس القرین) یعنی الشیطان قال ابو سعید الخدری اذا بعث الکافر زوج بقرینه من الشیاطین فلا یفارقه حتی یصیر الی النار (ولن ینفعکم الیوم اذظلمتم) یعنی اشرکتم (انکم فی العذاب مشترکون) یعنی لاینفعکم الاشتراك فی العذاب ولایخفف عنکم شیأ لان کل واحد من الکفار والشیاطین له الحظ الاوفر من العذاب وقیل لن ینفعکم الاعتذار والندم الیوم فانتم وقرناؤکم الیوم مشترکون فی العذاب کما کنتم مشترکین فی الکفر (افأنت تسمع الصم او تهدی العمی ومن کان فی ضلال مبین) یعنی الکافرین الذین حقت علیهم کلمة العذاب انهم لایؤمنون ❊ قوله عز وجل (فامانذهبن بك) ای بان نمیتك قبل ان نعذبهم (فانا منهم منتقمون) ای بالقتل بعدك (او نرینك) ای فی حیاتك (الذی وعدناهم) ای من العذاب (فانا علیهم مقتدرون) ای قادرون علی ذلك متی شئنا عذبناهم واراد بهم مشرکی مکة وقد انتقم منهم یوم بدر وهذا یفید التسلیة للنبی صلی الله علیه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حیاته او بعد وفاته وهذا قول اکثر المفسرین وقیل عنی به مایکون فی امته وقد کان بعد النبی صلی الله علیه وسلم نقمة شدیدة فی امته ولکن اکرم الله عز وجل نبیه صلی الله علیه وسلم وذهب به ولم یره فی امته الا الذی تقر به عینه وابقی النقمة بعده وروی ان النبی صلی الله علیه وسلم اری مایصیب امته بعده فاروی ضاحکا منبسطا حتی قبضه الله تعالی (فاستمسك بالذی اوحی الیك) یعنی القرآن (انك علی صراط مستقیم) ای علی دین مستقیم لایمیل عنه الا الضال (وانه) یعنی القرآن (اذکر) ای لشرف عظیم (لك ولقومك وسوف تسئلون) یعنی عن حقه واداء شکره وروی ابن عباس ان النبی صلی الله علیه وسلم کان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم یخبر بشئ حتی نزلت هذه الآیة فکان بعد ذلك اذا سئل قال لقریش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لایزال هذا الامر فی قریش مابقی منهم اثنان (خ) عن معاویة قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ان هذا الامر فی قریش لایعادیهم احد الا کبه الله تعالی علی وجهه مااقاموا الدین وقیل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم یختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتی یکون الاکثر لقریش ولبنی هاشم وقیل ذکر لك ای ذلك شرف لك مما اعطاك الله من النبوة والحکمة ولقومك یعنی المؤمنین بما هداهم الله تعالی به وسوف تسئلون القرآن وعمایلزمکم من القیام بحقه ❊ قوله تعالی (واسئل من ارسلنا من

بوجوده علما ولا وجود له (وانا ادعوکم الی العزیز) الغالب الذی یقهر من عصاه (الغفار) الذی یستر ظلمات نفوس من اطاعه بانواره (لاجرم) ای وجب وحق (ان ماتدعوننی الیه لیس له دعوة فی الدنیا ولا فی الآخرة وان مردنا الی الله وان المسرفین هم اصحاب النار) لا دعوة له فی الدارین لعدمه بنفسه واستحالة وجوده فیهما (فستذکرون مااقول لکم وافوض امری الی الله ان الله بصیر بالعباد فوقیه الله سیئات مامکروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار یعرضون علیها غدوا وعشیا) ای تصلی ارواحهم بنار الهیآت الطبیعیة واحتجاب الانوار القدسیة والحرمان عن اللذات الحسیة والشوق الیها مع امتناع حصولها (ویوم تقوم الساعة) بحشر الاجساد او ظهور المهدی علیه السلام قیل لهم آل فرعون (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) لانقلاب هیآتهم وصورهم وتراکم الظلمات وتکاثف الحجب وضیق المحبس وضنك المضجع علی الاول وقهر المهدی علیه السلام ایاهم

قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسرى به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه سل مؤمنى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشرك قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل * قوله تعالى (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون) اى يسخرون (وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها) اى من قرينتها التى قبلها (واخذناهم بالعذاب) اى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة اكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) اى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا ايها الساحر) اى العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) اى بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا العذاب فاسأله ان يكشفه عنا (اننا لمهتدون) اى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) اى ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) يعنى انهار النيل الكبار وكانت تجرى تحت قصره وقيل معناه تجرى بين يدى جنانى وبساتينى وقيل تجرى بامرى (افلا تبصرون) اى عظمتى وشدة ملكى (ام انا) اى بل انا (خير) وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه افلا تبصرون ام تبصرون ثم ابتدا فقال انا خير (من هذا الذى هو مهين) اى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) اى يفصح بكلامه للثغة التى كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا القى عليه) اى ان كان صادقا (اسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا القى رب موسى عليه اسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (او جاء معه الملائكة مقترنين) اى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره * قال الله تعالى (فاستخف) يعنى فرعون (قومه) يعنى القبط اى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) اى على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى حيث اطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا)

وتعذيبه لهم لكفرهم به وبعدهم عنه ومعرفته اياهم بسيماهم على الثانى (واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) بالتأييد الملكوتى والنور القدسى فى الدارين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق) اى احبس النفس عن الظهور فى مقابلة اذاهم واعلم انك ستغلب حال البقاء والتمكين انا غالبون (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) لذنب حالك بالتنصل عن افعالك (وسبح) بالتجريد

اى اغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهو قوله تعالى (افانتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجئ من بعدهم ❊ قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبدالله بن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعنى قريشا (منه) اى من المثل (يصدون) اى يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا ءآلهتنا خير ام هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى ام هو يعنى عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ماعبد من دون الله فى النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة فى النار ❊ قال الله تعالى (ماضربوه) يعنى هذا المثل (لك الا جدلا) اى خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) اى بالباطل * عن ابى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) اى ماعيسى (الا عبد انعمنا عليه) اى بالنبوة (وجعلناه مثلا) اى آية وعبرة (لبنى اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على مايشاء حيث خلقه من غير اب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة (فى الارض يخلفون) اى يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدونى ويطيعونى وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعنى عيسى (لعلم للساعة) يعنى نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفى رواية ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبين عيسى نبى وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفى رواية فامكم منكم قال ابن ابى ذؤيب فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهى التى يقتل بها الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الامن آمن وقيل فى معنى

(بحمد ربك بالعشى والابكار) موصوفا بكماله دائما اى ما دمت فى حال الفناء لاتأمن التلوين بظهور النفس وصفاتها وجب عليك الصبر والاستغفار والتجريد عن الاوصاف التى تظهرها النفس والتحقق بالله وصفاته فاذا حصل لك مقام الاستقامة والتمكين حال البقاء بعد الفناء فذلك وقت الغلبة وظهور النفس والوفاء بالوعد (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لايعلمون وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ قليلا ماتتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لايؤمنون وقال ربكم ادعونى استجب لكم) هذا دعاء الحال لان الدعاء باللسان مع عدم العلم بان المدعو به خير له ام لا دعاء المحجوبين وقال الله تعالى وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى ضياع واما الدعاء الذى

الآية وانه اى وان القرآن لعلم للساعة اى يعلم قيامها ويخبركم باحوالها واهوالها (فلا تمترن بها) اى لاتشكون فيها وقال ابن عباس لاتكذبوا بها (واتبعون) اى على التوحيد (هذا) اى الذى انا عليه (صراط مستقيم ولايصدنكم) اى لايصرفنكم (الشيطان) اى عن دين الله الذى امر به (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) اى بالنبوة (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) اى من احكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى امر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل مااحتاجوا اليه (فاتقوا الله واطيعون) اى فيما آمركم به (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) اى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون) اى ينتظرون (الا الساعة ان تأتيهم بغتة) اى فجأة والمعنى انها تأتيهم لامحالة (وهم لايشعرون الاخلاء) اى على الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) اى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (الا المتقين) اى الا الموحدين المتحابين فى الله عزوجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات احد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب * قوله عزوجل (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس احد منهم الافزع فينادى مناديا عبادى لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون) تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (واكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) اى فى الجنة (ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلاتشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى اى الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فانى احب الابل قال فلم يقل له ماقال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذى (وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) ورد فى الحديث انه لاينزع احد فى الجنة من ثمرها ثمرة الانبت مكانها مثلها * قوله تعالى (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم) اى لايخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) اى آيسون من رحمة الله تعالى (وما ظلمناهم) اى وما

(عذبناهم)

لاتخلف عنه الاستجابة فهو دعاء الحال بان يهيئ العبد استعداده لقبول ما تطلبه ولا تخلف الاستجابة عن هذا الدعاء لكن طلب المغفرة فتاب الى الله واناب بالزهد والطاعة ومن طلب الوصول فاختار الفناء ولهذا قال الله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) اى لايدعوننى بالتضرع والخضوع والاستكانة بل تظهر انفسهم بصفة التكبر والعلو (سيدخلون جهنم داخرين) لدعائهم بلسان الحال مع القهر والاذلال اذ صفة الاستكبار ومنازعة الله فى كبريائه تستدعى ذلك (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شئ) اى ذلكم المتجلى بافعاله وصفاته الله الموصوف بجميع الصفات ربكم باسمائه المختصة بكل واحدة من احوالكم بالاحتجاب به (لااله الاهو) فى الوجود يخلق شيأ ويظهر بصفة (فانى تؤفكون) عن طاعته الى اثبات الغير وطاعته * مثل ذلك الضرب الذى ضربتم به لاحتجابكم بالكثرة يؤفك

عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) اى لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يامالك)
يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) اى ليمتنا ربك
فنستريح والمعنى انهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قاله ابن عباس
وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا
فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم (قال انكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك
وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول ارسلنا
اليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق (ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا) اى
احكموا امرا فى المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) اى محكمون امرا فى
مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله (ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم) اى ما يسرونه
من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعني الحفظة من الملائكة
(لديهم يكتبون) * قوله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين) معناه ان كان
للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لاشريك له ولا ولد له وقال ابن
عباس ان كان اى ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اى الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو
كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين اى انا اول
الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشرى فى معنى
الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا
اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام
وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع الترجمة
عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها
فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون) اى عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) اى فى باطلهم
(ويلعبوا) اى فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعني يوم القيامة (وهو الذى
فى السماء اله وفى الارض اله) اى هو الاله الذى يعبد فى السماء وفى الارض لا اله الا هو (وهو
الحكيم) اى فى تدبير خلقه (العليم) اى بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والارض
وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل
سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة
فهم احق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية واراد بالذين يدعون من
دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (الا من شهد بالحق) لانهم عبدوا من
دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله
تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله
فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) اى بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل
يعلمون ان الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون انهم عباده ولئن سألتهم من
خلقهم ليقولن الله) يعني انهم اذا اقروا بان الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا على عبادة

الجاحدون بآيات الله حين
لم يعرفوها اذ يسترها الى
الغير (كذلك يؤفك الذين
كانوا بآيات الله يجحدون
الله الذى جعل لكم الارض
قرارا والسماء بناء وصوركم
فاحسن صوركم ورزقكم
من الطيبات ذلكم الله ربكم
فتبارك الله رب العالمين هو
الحى لا اله الا هو فادعوه
مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين قل انى نهيت ان
اعبد الذين تدعون من دون
الله لما جاءنى البينات من ربى
وامرت ان اسلم لرب
العالمين هو الذى خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من
علقة ثم يخرجكم طفلا ثم
لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا
شيوخا ومنكم من يتوفى من
قبل ولتبلغوا اجلا مسمى
ولعلكم تعقلون هو الذى
يحيى ويميت فاذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون الم
تر الى الذين يجادلون فى
آيات الله انى يصرفون
الذين كذبوا بالكتاب) لعدم
مناسبتهم له واحتجابهم
بظلماتهم عن النور (وبما
ارسلنا به رسلنا فسوف
يعلمون) وبال امرهم (اذ
الاغلال) اغلال قيود

غيره (فانى يؤفكون) اى يصرفون عن عبادته الى غيره (وقيله يارب) يعنى قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لايؤمنون) قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه (فاصفح عنهم) اى اعرض عنهم وفى ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) اى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الدخان وهى مكية وهى سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست واربعون كلمة والف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

※ قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) اى المبين مايحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (انا انزلناه فى ليلة مباركة) قيل هى ليلة القدر انزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب اخرجه الترمذى (انا كنا منذرين) اى مخوفين عقابنا (فيها) اى فى تلك الليلة المباركة (يفرق) اى يفصل (كل امر حكيم) اى محكم قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب فى ليلة القدر ماهو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوى بسنده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها فى ليلة القدر (امرا) اى انزلناه امرا (من عندنا انا كنا مرسلين) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه فى ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) اى لاقوالهم (العليم) اى باحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) اى ان الله رب السموات والارض ومابينهما (لااله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) ※ قوله تعالى (بل هم فى شك) اى من هذا القرآن (يلعبون) اى يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) اى يامحمد (يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبدالله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يااباعبدالرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجيء فتأخذ بانفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبدالله وجلس وهو غضبان فقال ياايها الناس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل به ومن لايعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لايعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا

الطبائع المختلفة (فى اعناقهم والسلاسل) وسلاسل الحوادث اتغير المتناهية ممنوعين بها عن الحركة الى مقاصدهم (يسحبون فى) الحميم الجهل والهوى (ثم فى النار يسجرون) فى نار الاشواق الى المشتهيات واللذات الحسية مع فقدها ووجدان آلام الهيآت المؤذية بدلها فاقدين لما احتجبوا بها ووقفوا معها من صور الكثرة التى عبدوها قائلين (ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) لاطلاعهم على ان ماعبدوه وضيعوا اعمارهم فى عبادته ليس بشئ فضلا عن اغنائه عنهم شيأ (كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) العذاب بسبب فرحكم بالباطل الزائل الفانى فى الجهة السفلية بالنفس ونشاطكم به لمناسبة نفوسكم الكدرة الظلمانية البعيدة عن الحق له (ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) لرسوخ رذائلكم واستحكام حجابكم (فبئس مثوى المتكبرين) الظاهرين برذيلة

قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شئ حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر احدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان فقال يامحمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عزوجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبدالله افيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شئ بالحاء والصاد المهملتين اى اهلكت واستأصلت كل شئ (ق) عن عبدالله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل اصابهم من الجوع كالظلمة فى ابصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجئ قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل فى اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره (انى لهم الذكرى) اى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ماهو اعظم وادخل فى وجوب الطاعة وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) اى اعرضوا عنه (وقالوا معلم) اى يعلمه بشر (مجنون) اى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال مايعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) اى الجوع (قليلا) اى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر (انكم عائدون) اى الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) اى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة ❊ قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) اى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) اى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (ان ادوا الى عباد الله) اى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولا تعذبوهم (انى لكم رسول امين) اى على الوحى (وان لاتعلوا على الله) اى لاتتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان مبين) اى ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون) اى تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجمونى بالحجارة (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) اى فاتركون لامعى ولا على وقال ابن عباس اعتزلوا اذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) اى مشركون

الكبر (فاصبر ان وعد الله حق فامانرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتى باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض فما اغنى عنهم ماكانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) اى المحجوبون بالعقول المشوبة بالوهم وبعقولهم الخالى عن نور الهداية والوحى اذا جاءتهم الرسل بالعلوم الحقيقية التوحيدية والمعارف الحقانية الكشفية فرحوا بعلومهم وحجبوا بها عن قبول هدايتهم واستهزؤا برسلهم

(فاسر بعبادي ليلا) اى اجاب الله دعاءه وامره ان يسرى ببنى اسرائيل بالليل (انكم متبعون) اى يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) اى اذا قطعته انت واصحابك (رهوا) اى ساكنا والمعنى لاتأمره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كاهو (انهم جند مغرقون) يعنى اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كاهو (كم تركوا) اى بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) اى مجلس شريف حسن (ونعمة) اى وعيش لين رغد (كانوا فيها) اى فى تلك النعمة (فاكهين) اى ناعمين وقرئ فكهين اى اشرين بطرين (كذلك) اى افعل بمن عصانى (واورثناها قوما آخرين) يعنى بنى اسرائيل (فابكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض اربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولالهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن مؤمن الاوله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وماكانوا منظرين اخرجه الترمذى وقال حديث غريب لانعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة اطرافها وقال مجاهد مامات مؤمن الابكت عليه السماء والارض اربعين صباحا فقيل او تبكى فقال وما للارض لاتبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لاتبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد اهل السماء واهل الارض (وماكانوا منظرين) اى لم يمهلوا حين اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها ❋ قوله عز وجل (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) اى من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب فى العمل (من فرعون انه كان عاليا) اى جبارا من (المسرفين ولقد اخترناهم على علم) اى علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) اى عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين) اى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التى انعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعنى مشركى مكة (ليقولون ان هى الاموتتنا الاولى) اى لاموتة الاهذه التى نموتها فى الدنيا ولابعث بعدها وهو قوله (ومانحن بمنشرين) اى بمبعوثين بعد موتتنا هذه (فأتوا بآبائنا) اى الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) اى انا نبعث احياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم ان يحيى لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (اهم خير ام قوم تبع) اى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذى قبله كما يسمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتسبوا تبعا فانه كان قد اسلم اخرجه احمد بن حنبل فى مسنده وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماادرى اكان تبع نبيا اوغير نبى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لاتسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا ❋ وكان من

لاستصغارهم بما جاؤا به فى جنب علومهم فحاق بهم جزاء استهزائهم وهلكوا عن آخرهم والله اعلم (فلما راوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون

❋ سورة حم السجدة ❋

❋ بسم الله الرحمن الرحيم ❋

(حم) ظهور الحق بالصورة المحمدية (تنزيل من الرحمن الرحيم) الكل الجامع لجميع الحقائق من الذات الاحدية الموصوفة بالرحمة الرحمانية العامة للكل بافاضة الوجود والكمال عليه والرحيمية الخاصة بالاولياء المحمديين المستعدين لقبول الكمال الخاص العرفانى والتوحيد الذاتى وهو كتاب العقل القرقانى الذى (كتاب فصلت آياته) بالتنزيل بعد ماأجملت قبل فى عين الجمع حال كونه (قرآنا) اى فصلت بحسب ظهور الصفات وحدوث الاستعدادات فى حال كونه جامعا للكل (عربيا) لوجود نشأته فى العرب (لقوم يعلمون) حقائق آياته لقرب

قصته على ماذكر محمد بن اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو ابوكرب اسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مربها خلف بين اظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينا هو كذلك اذجاء حبران عالمان من احبار بنى قريظة وكانا ابنى عم اسم احدهما كعب والآخر اسد حين سمعا مايريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لاتفعل فانك ان ابيت الاماتريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دارهجرته ومنزلك الذى انت فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير فى اصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا يسيراليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا له اناندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اى بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا مانعلم لله فى الارض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك وماارادالقوم الاهلاكك وماناواه احد قط الاهلك فأكرمه واصنع عنده مايصنعه اهله فلما قالوا له ذلك اخذ اولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب المطابخ وكسا البيت الوصائل وهى برد تصنع باليمن وهو اول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة الاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لاتدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولاتضر المظلوم قال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم ومايتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى اعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت لنا حتى رجعت الى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينها فمن هنالك كان اصل اليهودية باليمن وقال الرياشى كان ابوكرب اسعد الحميرى من التبابعة من آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه ※قوله تعالى (والذين من قبلهم) اى من الامم الكافرة (اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق) اى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن اكثرهم لايعلمون) ※ قوله عز وجل (ان يوم الفصل) اى الذى يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم اجمعين)اى يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لايغنى مولى عن مولى عن شيأ) اى لاينفع

استعداداتهم منه وصفاء فطرهم (بشيرا) للقابلين المستعدين للكمال المستبصرين بنوره باللقاء (ونذيرا) للمحجوبين بظلمات نفوسهم من العقاب (فأعرض اكثرهم) لاحتجابهم بالاغيار وبقائهم فى ظلمات الاستتار (فهم لا يسمعون) كلام الحق لوقر سمع القلب كما قالوا (وقالوا قلوبنا فى اكنة مماتدعونا اليه وفى آذاننا وقر) لان غشاوات الطبيعة وحجب صفات النفوس اعمت ابصار قلوبهم واصمت آذانها وجعلتها فى اغطية واكنة حجب بينهم وبينه (ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انابشر مثلكم يوحى الى) اى انى من جنسكم واناسبكم فى البشرية والمماثلة النوعية لتوجهه للانس والخلطة واباينكم بالوحى المنبه على التوحيد المبين لطريق السلوك فاتصلوا بى بالمناسبة النوعية ومجانسة البشرية لتهتدوا بنور التوحيد والوحى المفيد لبيان الدين وتسلكوا سبيل الحق الذى عرفنيه بقوله (انما الهكم اله واحد) لاشريك

قريب قريبه ولايدفع عنه شيأ (ولاهم ينصرون) اى يمنعون من عذاب الله (الامن رحم الله) يعنى المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) اى فى انتقامه من اعدائه (الرحيم) اى بأوليائه المؤمنين ※ قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) اى ذى الاثم وهو ابو جهل (كالمهل) اى كدردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) اى فى بطون الكفار (كغلى الحميم) يعنى كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه الترمذى وقال لانعرفه الا من حديث رشدين سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الآية ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الاوانتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معائشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ※ قوله تعالى (خذوه) اى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم (فاعتلوه) اى ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) اى الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) اى هذا العذاب (انك انت العزيز الكريم) اى عند قومك بزعمك وذلك ان اباجهل لعنه الله كان يقول انا اعز اهل الوادى واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) اى تشكون فيه ولاتؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين فى مقام امين) اى فى مجلس امنوا فيه من الغير (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ اعجمى قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على وجه الاعراب (متقابلين) اى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) اى كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) اكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) اى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعنى ارادوها واشتهوها (آمنين) اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) اى لايذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لايذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كانه فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعنى كل ماوصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك) اى سهلنا القرآن على لسانك كناية

له فى الوجود (فاستقيموا) بالثبات على الايمان والسكينة والايقان فى التوجه (اليه) من غير انحراف الى الباطل والطرق المتفرقة ولازيغ بالالتفات الى الغير والميل الى النفس (واستغفروه) بالتنصل عن الهيآت المادية والتجرد عن الصفات البشرية ليستر بنور صفاته ذنوب صفاتكم (وويل) للمحتجبين بالغير (الذين) لايزكون انفسهم بمحو صفاتها ليرتفع حجاب الغيرية فتحقق بالوحدة (وهم بالآخرة هم كافرون) لسترهم النور الفطرى المقتضى الشوق الى عالم القدس ومعدن الحياة الابدية بظلمات الحس وهيآت الطبيعة البدنية (قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) اى فى حادثين كما ذكر ان اليوم معبر به عن الحادث لنسبته اليه فى قولهم الحوادث اليومية لتشابههما فى الظهور والخفاء وهما الصورة والمادة (وبارك فيها) اى اكثر خيرها (وقدر فيها) معايشها وارزاقها (فى اربعة ايام) هى الكيفيات الاربع

من غير مذكور (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (فارتقب) اى فانتظر النصر من ربك وقيل انظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) اى منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخارى هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذى وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف والله اعلم

﴿ سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهى مكية وهى سبع وثلاثون آية واربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض) اى ان فى خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفى خلقكم) اى وفى خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة) اى وما يفرق فى الارض من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها فى الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعنى انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعنى بالظلام والضياء والطول والقصر (وما انزل الله من السماء من رزق) يعنى المطر الذى هو سبب ارزاق العباد (فاحيا به) اى بالمطر (الارض بعد موتها) اى بعد يبسها (وتصريف الرياح) اى فى مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان قلت ما وجه هذا الترتيب فى قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا به واقروا انه الاله القادر على كل شئ ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده فى اسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله) اى بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) * قوله تعالى (ويل لكل افاك اثيم) اى كذاب صاحب اثم يعنى النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعنى آيات القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيأ) يعنى آيات القرآن (اتخذها هزوا) اى سخر منها (اولئك) اشارة الى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعنى امامهم جهنم وذلك خزيهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة النار (ولا يغنى عنهم ما كسبوا) اى من الاموال (شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) اى ولا يغنى عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعنى القرآن (هدى) اى هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله) اى بسبب التجارة

والعناصر الاربعة التى خلق منها المركبات بالتركيب والتعديل (سواء) مستوية بالامتزاج والاعتدال للطالبين للاقوات والمعايش اى قدرتها لهم (ثم استوى الى السماء) اى قصد الى ايجادها وثم للتفاوت بين الخلقين فى الاحكام وعدمه واختلافهما فى الجهة والجوهر لا للتراخى فى الزمان اذ لا زمان هناك (وهى دخان) اى جوهر لطيف بخلاف الجواهر الكثيفة الثقيلة الارضية (فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها) اى تعلق امره وارادته بايجادهما فوجدتا فى الحال معا كالمأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع لم يلبث فى امتثاله وهو من باب التمثيل اذ لا قول ثمة (فقضاهن سبع سموات فى يومين) اى المادة والصورة كالارض (واوحى فى كل سماء امرها) اى اشار اليها بما اراد من حركتها وتأثيرات ملكوتها وتدبيراتها وخواص كوكبها وكل ما يتعلق بها (وزينا السماء الدنيا) اى السطح الذى يلينا من فلك

فلك القمر (بمصابيح) الشهب (و) حفظناها (حفظا من تخرق بصعود البخارات اليها ووصول القوى الطبيعية الشيطانية الى ملائكتها (ذلك تقدير العزيز) الغالب على امره كيف يشاء (العليم) الذى اتقن صنعه بعلمه اوائنكم لتكفرون وتحجبون بالغواشى البدنية عن الذى خلق ارض البدن وجعلها حجاب وجهه فى يومين اى شهرين اوحادثين مادة وصورة ويجعلون له اندادا بوقوفكم مع الغير ونسبتكم التأثير الى مالاوجود له ولا اثر ذلك الخالق هو الذى رب العالمين بأسمائه وجعل فيها رواسى الاعضاء من فوقها او رواسى الطبائع الموجبة للميل السفلى من القوى العصرية والصور المادية التى تقتضى ثباتها على حالها وبارك فيها بتهيئة الالات والاسباب والازاجات والقوى التى تتم به المقتنه رافعاله وقدر فيها اقواتها بتدبير الغاذية واعوانها وتقدير مجارى الغذاء وامور التغذية واسبابها وموادها فى تمام اربعة اشهر اى جميع ذلك فى اربعة اشهر

واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم مافى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ※ قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله) اى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمران يبطش به فانزل الله هذه الآية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) اى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) ※ قوله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم) يعنى معرفة احكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) اى الحلالات وهو ماوسع عليهم فى الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) اى على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين فى زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) اى بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجئ العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك انه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) اى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) اى من الدين (فاتبعها) اى اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا افضل منك قال تعالى (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) اى ان يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت اهواءهم (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة (والله ولى المتقين) اى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) اى معالم للناس فى الحدود والاحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات) اى اكتسبوا المعاصى والكفر (ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المومنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة والكافر كافر فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين فى الحال والمآل (ساء ما يحكمون) اى بئس ما يقضون قال لى رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الدارى ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى اصبح اوقرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكى ام حسب الذين اجترحوا السيئآت

الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) اى بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون) ومعنى الآية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لايتم الا فى القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى الدرجات والدركات ※ قوله عز وجل (افرايت من اتخذ الهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيأ الاركبه لانه لايؤمن بالله ولايخافه ولايحرم ماحرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ماتهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا راوا شيأ احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار (واضله الله على علم) اى على علم منه بعاقبة امره وقيل على ماسبق فى علم الله انه ضال قبل ان يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) اى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) اى ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) اى من بعد ان اضله الله (افلا تذكرون) قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعنى منكرى البعث (ماهى الا حياتنا الدنيا) اى ماالحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) اى يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت (ومايهلكنا الا الدهر) اى ومايفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار (ومالهم بذلك من علم) اى لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون) (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار وفى رواية يؤذينى ابن آدم ويقول ياخيبة الدهر فلا يقولن احدكم ياخيبة الدهر فانى انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفى رواية يسب ابن آدم الدهر وانا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله ومايهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل فى الحقيقة للامور التى يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لاتسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله اعلم ※ قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكرى البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لايعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعنى فى ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل امة جاثية) اى باركة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسى ان فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادى ربه لا اسألك الا نفسى (كل امة تدعى الى كتابها) اى الذى فيه

سواء متساوية اوفى مواد العناصر الاربعة ثم استوى اى بعد ذلك قصدا مستويا من غير ان يلوى الى شئ آخر الى سماء الروح وتسويتها وهى دخان اى مادة لطيفة من بخارية الاخلاط ولطافتها مرتفعة من القلب وقد جاء فى الحديث ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقى ام سعيد ثم ينفخ فيه الروح ويعضده حديث آخر فى ان نفخ الروح فى الجنين يكون بعد اربعة اشهر من وقت الحمل فقال لها وللارض البدن ائتيا اى تعلقت ارادته بتكونهما وصيرورتهما شيأ واحدا وخلقا جديدا فتكونا على ماأراد من الصورة وهذا معنى خلو الارض قبل السماء غير مدحوة ودحوها بعده فان المادة البدنية وان تخلف بدنا قبل اتصال الروح وانتفاخه فيها لكن الاعضاء لم تنبسط ولم ينفتق بعضها من بعض الا بعده فقضاهن سبع سموات اى الغيوب

ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) اى من خير وشر (هذا كتابنا) يعنى ديوان الحفظة فان قلت كيف اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لامنافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) اى يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) اى نأمر الملئكة بنسخ اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اى نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام مايكون من اعمال بنى آدم والاستنساخ لايكون الا من اصل فينسخ كتاب من كتاب (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) اى جنته (ذلك هو الفوز المبين) اى الظفر الظاهر (واما الذين كفروا) اى يقال لهم (افلم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى آيات القرآن (فاستكبرتم) اى عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعنى كافرين منكرين * قوله عزوجل (واذا قيل ان وعد الله حق) اى البعث كائن (والساعة لا ريب فيها) اى لا شك فى انها كائنة (قلتم ماندرى ماالساعة) اى انكرتموها وقلتم (ان نظن الاظنا) اى مانعلم ذلك الاحدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) اى انها كائنة (وبدالهم) اى فى الآخرة (سيئات ماعملوا) اى فى الدنيا والمعنى بدالهم جزاء سيآتهم (وحاق بهم) اى نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اى تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين اى مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) اى هذا الجزاء (بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) يعنى حين قلتم لابعث ولاحساب (فاليوم لايخرجون منها) اى من النار (ولاهم يستعتبون) اى لايطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لايقبل ذلك اليوم عذرولاتوبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) اى وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (فى السموات والارض) وحق لمثله ان يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن ابى سعيد وابى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعنى عذبته لفظ مسلم واخرجه البرقانى وابن مسعود رضى الله عنهما يقول الله عزوجل العز ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيأ منهما عذبته ولابى داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى احد منهما قذفته فى النار * شرح غريب الفاظ الحديث قيل هذا الكلام خرج على ماتعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عزوجل الازار والرداء مثلا له فى انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار

(والرداء)

السبعة المذكورة من القوى والنفس والقلب والسر والروح والخفاء والحق الذى ادرج هويته فى هوية الشخص الموجود وتنزل ايجاده فى هذه المراتب واحتجب بها وان جعلت السبعة من المخلوقات حتى تخرج الهوية من جلتها فاحداها وهى الرابعة بين القلب والسر العقل وهى السماء الدنيا باعتبار دنوها من القلب الذى به الانسان انسانا فى يومين شهرين آخرين فتم مدة الحمل ستة شهرا ومدة خلق الانسان ولهذا اذا ولد بعد تمام الستة على راس الشهر السابع عاش مستوى الخلق او فى طورين مجردة وغير مجردة او حادثين روح وجسد والله اعلم واوحى فى كل سماء من الطبقات المذكورة امرها وشأنها المخصوص بها من الاعمال والادراكات والمكاسبات والمشاهدات والمواصلات والمناغيات والتجليات وزينا السماء الدنيا اى العقل بمصابيح الحجج والبراهين وحفظناها من استراق شياطين الوهم والخيال كلام الملا الاعلى من الروحانيات بالترقى الى

والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لايشاركه فى ازاره وردائه احد فكذلك الله تعالى لاينبغى ان يشاركه فيهما احد لانهما من صفاته اللازمة المختصة به التى لاتليق بغيره والله اعلم

﴿ تفسير سورة الاحقاف وهى مكية ﴾

قيل غير قوله قل ارأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهى اربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

✽ قوله عزوجل ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴾ اى بالعدل ﴿ واجل مسمى ﴾ يعنى يوم القيامة وهو الاجل الذى ينتهى اليه فناء السموات الارض ﴿ والذين كفروا عما انذروا ﴾ اى خوفوا به فى القرآن من البعث والحساب ﴿ معرضون ﴾ اى لايؤمنون به ﴿ قل ارأيتم ماتدعون من دون الله ﴾ يعنى الاصنام ﴿ اورنى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا ﴾ اى بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ماتقولون ﴿ اواثارة من علم ﴾ اى بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الارض ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ اى فى ان لله شريكا ﴿ ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له ﴾ يعنى الاصنام لاتجيب عابديها الى شئ يسألونها ﴿ الى يوم القيامة ﴾ يعنى لاتجيب ابدا مادامت الدنيا ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ يعنى لانها جمادات لاتسمع ولاتفهم ﴿ واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ اى جاحدين ﴿ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ﴾ سموا القرآن سحرا ﴿ ام يقولون افتراه ﴾ اى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عزوجل ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ ﴾ اى لاتقدرون ان تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف افترى على الله من اجلكم ﴿ هو اعلم ﴾ اى الله اعلم ﴿ بما تفيضون فيه ﴾ اى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر ﴿ كفى به شهيدا بينى وبينكم ﴾ اى ان القرآن جاء من عنده ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ اى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به ✽ قوله تعالى ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ ماكنت بدعا ﴾ اى بديعا ﴿ من الرسل ﴾ اى لست باول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتى ﴿ وماادرى مايفعل بى ولابكم ﴾ اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ماادرى مايفعل بى ولابكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ماامرنا وامر محمد عندالله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع مايقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بمايفعل به فانزل الله عزوجل ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يانبى الله قد علمت مايفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عزوجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وانزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كثيرا فبين الله مايفعل به وبهم

الافق العقلى واستفادة الصور القياسية لترويج اكاذيبها وتخيلاتها بها ﴿ فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذجاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الاتعبدوا الا الله قالوا لوشاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاماعاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لاينصرون واماثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ اى غيرت صورا عضائهم وصورت اشكالها على هيئة الاعمال التى ارتكبوها وبدلت جلودهم وابشارهم فتنطق

وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلاء امراة من الانصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى ابياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى اثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك اباالسائب فشهادتى عليك لقد اكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك ان الله اكرمه فقلت بابى انت يارسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اماهو فقد جاءه اليقين والله انى لارجو له الخير والله ماادرى وانارسول الله مايفعل بى قالت فوالله لاازكى بعده احدا يارسول الله قالت واريت لعثمان فى النوم عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفى رواية غير البخارى قالت لماقدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار عن سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ماادرى وانارسول الله مايفعل بى ولا بكم وقيل فى معنى قوله ماادرى مايفعل بى ولابكم هذا فى الدنيا امافى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وان من كذبه فى النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لمااشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة ارضاذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التى اريت فسكت فانزل الله هذه الآ وماادرى مايفعل بى ولابكم اترك فى مكانى ام اخرج اناوانتم الى الارض التى رفعت لى وقيل لاادرى الى ماذايصير امرى وامركم فى الدنيا امااناف‍لا ادرى اخرج كما اخرجت الانبياء من قبلى ام اقتل كماقتل بعض الانبياء من قبلى وامااتم ايهاالمصدقون فلاادرى اتخرجون معى ام تتركون ام ماذا يفعل بكم ولاادرى مايفعل بكم ايهاالمكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام يخسف بكم ام اى شئ يفعل بكم ممافعل بالامم المكذبة ثم اخبره الله عزوجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هوالذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال فى امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه مايصنع به وبامته وقيل معناه لاادرى الى ماذا يصير امرى وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر دينه على الاديان وامته على سائر الامم ❊ وقوله (ان اتبع الامايوحى الى) معناه مااتبع غير القرآن الذى يوحى الى ولاابتدع من عندى شيأ (وماانا الانذير مبين) اى انذركم العذاب وابين لكم الشرائع (قل ارايتم) اى اخبرونى ماذاتقولون (ان كان من عندالله) يعنى القرآن (وكفرتم به) ايها المشركون (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) اى انه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) اى عن الايمان به والمعنى اذاكان الامر كذلك اليس قدظلمتم وتعديتم (ان الله لايهدى القوم الظالمين) واختلفوا فى هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ماروى عن انس بن مالك قال بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى ارض يخترف النخل فاتاه وقال انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الانبى مااول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة ومن اى شئ ينزع الولد الى ابيه ومن اى شئ ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى

بلسان الحال وتدل بالاشكال على ماكانوا يعملون ولنطقها بهذا اللسان قالت (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) اذلا يخلو شئ مامن النطق ولكن الغافلين لا يفهمون (وماكنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مماتعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارادكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فاهم من المعتبين (وقيضنا لهم قرناء) اى قدرنا لهم اخدانا واقرانا من شياطين الانس اوالجن من الوهم والتخيل لتباعدهم من الملا الا على ومخالفتهم بالذات للنفوس القدسية والانوار الملكوتية بانغماسهم فى الموادالهيولانية واحتجابهم بالصفات النفسانية وانجذابهم الى الاهواء البدنية والشهوات الطبيعية فناسبوا النفوس الارضية الخبيثة والكدرة المظلمة وخالفوا الجواهر القدسية والذوات المجردة فجعلت

الله عليه وسلم اخبرنى بهن انفا جبريل قال فقال عبدالله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرا هذه الآية من كان عدو الجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المراة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يارسول ان اليهود قوم بهت ان علموا ان تسألهم عنى بهتونى عندك فجائت اليهود ودخل عبدالله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى رجل فيكم عبدالله بن سلام قالوا اعلمنا وابن اعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم عبدالله قالوا اعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبدالله بن سلام هذا الذى كنت اخاف يارسول الله اخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال ماسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من الجنة الا لعبدالله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائل على مثله قال الراوى لاادرى قال مالك الآية او فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله مانزلت فى عبدالله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبدالله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انها من عندالله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم انتم يامعشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لايهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عندالله ثم كفرتم به فانكم لاتكونون مهتدين بل تكونون ضالين ❊ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين آمنوا لوكان خيرا) يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم (ماسبقونا اليه) يعنون عبدالله بن سلام واصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لوكان مايدعونا اليه محمد خيرا ماسبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا يعنى جهينة ومزينة لوكان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا اليه رعاء البهم ❊ قال الله تعالى (واذلم يهتدوا به) اى القران كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) اى كذب متقدم (ومن قبله) اى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما) اى جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) اى من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) اى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ❊ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) اى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (حملته امه كرها) يعنى حين اثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعنى ومدة

الشياطين اقرانهم وحجبوا عن نور الملكوت (فزينوا لهم مابين ايديهم) ما يحضرتهم من اللذات البهيمية والسبعية والشهوات الطبيعية (وما خلفهم) من الآمال والامانى التى يدركونها (وحق عليهم القول) فى القضاء الالهى بالشقاء الابدى كائنين (فى امم قدخلت من قبلهم من الجن والانس) المكذبين بالانبياء والمحجوبين عن الحق من الباطنين والظاهرين (انهم كانوا خاسرين) لخسرانهم نور الاستعداد الاصلى وربح الكمال الكسبى ووقوعهم فى الهلاك الابدى والعذاب السرمدى (وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) اى حنق المحجوبون واغتاظوا على من اضلهم من الفريقين عند وقوع العذاب وتمنوا ان يكونوا فى اشد من عذابهم واسفل من دركاتهم لما لقوا من الهوان والم النيران وعذاب الحرمان والخسران بسببهم وارادوا ان يشفوا صدورهم برؤيتهم فى اسوا احوالهم وانزل مراتبهم كما ترى من وقع فى البلية بسبب

حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) اى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو مابين ثمان عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ اربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن ابى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك انه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب ابى بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به ابو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب اوزعنى) اى الهمنى (ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى) اى بالايمان والهداية وقال على بن ابى طالب فى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى ابى بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان اسلم ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وان اعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس اجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (واصلح لى فى ذريتى) فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابى بكر اسلام ابويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبدالرحمن وابن عبد الرحمن ابى عتيق محمد فهؤلاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابى بكر * وقوله (انى تبت اليك) اى رجعت اليك الى كل ما تحب (وانى من المسلمين) اى واسلمت بقلبى ولسانى (اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعنى اعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ونتجاوز عن سيآتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى اصحاب الجنة) اى مع اصحاب الجنة (وعد الصدق) اى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيآتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يوعدون) اى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت (اف لكما) وهى كلمة كراهية (اتعداننى ان اخرج) اى من قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلى) اى فلم يبعث منهم احد (وهما يستغيثان الله) اى يستصرخان بالله عليه ويقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق) اى بالبعث (فيقول ماهذا) اى الذى تدعوننى اليه (الا اساطير

رفيق اشار اليه بما اوقعه فيها يتجرد عليه ويتغيظ ويكاد ان يقع فيه مع غيبته ويحرق (ان الذين قالوا ربنا الله) اى وحدوه بنفى غيره وعرفوه بالايقان حق معرفته (ثم استقاموا) اليه بالسلوك فى طريقه والثبات على صراطه مخلصين لاعمالهم عاملين لوجهه غير ملتفتين بها الى غيره (تتنزل عليهم الملائكة) للمناسبة الحقيقية بينهم فى التوحيد الحقيقى والايمان اليقينى والعمل الثابت على منهاج الحق والاستقامة فى الطريقة اليه غير ناكثين فى عزيمة ولا منحرفين عن وجهه ولا زائغين فى عمل كما نسيت نفوس المحجوبين من اهل الرذائل الشياطين بالجواهر المظلمة والاعمال الخبيثة فتنزلت عليهم (الا تخافوا) من العقاب لتنور ذواتكم بالانوار وتجردها عن غواسق الهيآت (ولا تحزنوا) بفوات كمالاتكم التى اقتضاها استعدادكم (وابشروا) بجنة الصفات (التى كنتم توعدون) حال الايمان بالغيب او قالوا ربنا الله بالفناء فيه ثم استقاموا به بالبقاء بعد الفناء عند التمكين تتنزل عليهم الملائكة للتعظيم

الاولين) قال ابن عباس نزلت فى عبدالرحمن بن ابى بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول احيوالى عبدالله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا فى عبدالرحمن بن ابى بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال له عبدالرحمن بن ابى بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذى انزل الله فيه والذى قال لوالديه اف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ماانزل الله فينا شيئا من القرآن الاماانزل الله فى سورة النور من براءتى والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت فى عبدالرحمن بن ابى بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى (اولئك الذين حق عليهم القول) اعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبدالرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين فلايكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اى وجب عليهم العذاب (فى امم) اى مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عندالله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى اسفل (وليوفيهم اعمالهم) اى جزاء اعمالهم (وهم لايظلمون) ❁ قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) اى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعنى ان كل ماقدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه فى الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) اى الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثانى الفسق وهو المعاصى والاول من عمل القلوب والثانى من عمل الجوارح

❁ فصل ❁ لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قداثر فى جنبه فقلت استأنس على يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله مارأيت فيه شيأ يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افى شك انت ياابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفرلى يارسول الله (ق) عن عائشة قالت ماشبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتى علينا الشهر مانوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نؤتى باللحيم وفى رواية اخرى قالت انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة فى شهرين وما اوقد فى ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال

عند الرجوع الى التفصيل اذفى حال الفناء لاوجود للملائكة ولا لغيرهم الا تخافوا من التلوين ولا تحزنوا على الاستغراق فى التوحيد فان اهل الوحدة اذا ردوا الى التفصيل ورؤية الكثرة غلب عليهم الحزن والوجد فى اول الوهلة لفوات الشهود الذاتى فى عين الجمع والاحتجاب بالتفصيل حتى يتمكنوا فى التحقيق بالحق حال البقاء وانشراح الصدر بنور الحق فلا تحجبهم الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة شاهدين فى تفاصيل الصفات عين الذات بالذات كما قال تعالى لنبيه عليه السلام فى هذه الحال الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك وابشروا بجنة الذات الشاملة لجميع مراتب الجنان التى كنتم توعدونها فى مقام تجليات الصفات (نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) واحباؤكم فى الدارين للمناسبة الوصفية والجنسية الاصلية بيننا وبينكم كما ان الشياطين اولياء المحجوبين لما بينهم من الجنسية والمشاركة فى الظلمة والكدورة (ولكم فيها

عروة قلت ياخالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه قدكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتابعة طاويا واهله لايجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه الترمذى وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت فى الله مالم يخف احد واوذيت فى الله مالم يؤذ احد ولقد اتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام الاشئ يوارى ابط بلال (خ) عن ابى هريرة قال لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء اماازار واما كساء قد ربطوا فى اعناقهم فنها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم بن عبدالرحمن ان عبدالرحمن بن عوف اتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال واراه قال قتل حمزة وهو خير منى فلم يوجد مايكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا مابسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبدالله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ماهذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر اوكلما اشتهيت ياجابر اشتريت اما تخاف هذه الآية اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ❊ قوله تعالى (واذكر اخاعاد) يعنى هودا عليه السلام (اذانذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف وادبين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل عمل سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احياء باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف مااستدار من الرمل (وقد خلت النذر) اى مضت الرسل (من بين يديه) اى من قبل هود (ومن خلفه) اى من بعده (الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هود اقد انذرهم بذلك واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا اجئتنا لتافكنا) اى لتصرفنا (عن آلهتنا) اى عبادتها (فاتنا بماتعدنا) اى من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى ان العذاب نازل بنا (قال) يعنى هودا (انما العلم عندالله) يعنى هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وابلغكم ماارسلت به) يعنى من الوحى الذى انزله الله على وامرنى بتبليغه اليكم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) يعنى قدر العذاب الذى ينزل بكم (فلما رأوه) يعنى رأوا مايوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعنى رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذى يعرض فى ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل اوديتهم) وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا وابهاتم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله رداعليهم (بل هو مااستعجلتم به) يعنى من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب اليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شئ بامر ربها) يعنى تهلك كل شئ

ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون) من المشاهدات والتجليات والروح والريحان والنعيم المقيم اى اذا بلغتم الكمال الذى هو مقتضى استعدادكم فلاشوق لكم الى ماغاب عنكم بل كل ماتشتهون وتتمنون فهو مع الاشتهاء والتمنى حاضر لكم فى الجنان الثلاث (نزلا) معدا لكم (من غفور) ستر لكم بنوره ذنوب آثاركم وافعالكم وصفاتكم وذواتكم (رحيم) رحمكم بتجليات افعاله وصفاته وذاته وابدالكم بمااياها (ومن احسن قولا) اى حالا اذ كثيرا مايستعمل القول بمعنى الفعل والحال ومنه قالوا ربنا الله اى جعلوا دينهم التوحيد ومنه الحديث هلك المكثرون الا من قال هكذا وهكذا اى اعطى (ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) اى ممن اسلم وجهه الى الله فى التوحيد وعمل بالاستقامة والتمكين ودعا الخلق الى الحق للتكميل فقدم الدعوة الى الحق والتكميل لكونه اشرف المراتب ولاستلزامه الكمال العلمى والعملى والا لما صحت الدعوة وان صحت ما كانت الى الله اى الى ذاته

مرت به من رجال عاد واموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا رأى غيما عرف في وجهه قالت يارسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رأيت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال ياعائشة ومايؤمنني ان يكون فيه عذاب قدعذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة في السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما ادري لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفي رواية اخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسألك خيرها وخير مافيها وخير ماارسلت به واعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ماارسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله ياعائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا غيمت وقولها سري عنه اي كشف وازيل عنه ما كان به من الغم والحزن * وقوله تعالى (فاصبحوا لاترى الامساكنهم) قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ماترى يامحمد الامساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لايرى الاآثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (كذلك نجزي القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) يعني انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ) يعني انه لما نزل بهم العذاب مااغنى ذلك عنهم شيأ (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطالبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد اهلكنا ماحولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر (فلولا) يعني فهلا نصرهم

اي الى ذاته الموصوفة بجميع الصفات فان العالم الغير العامل ان دعا كانت دعوته الى العليم والعامل الغير العالم الى الغفور الرحيم والعالم العامل العارف الكامل صحت دعوته الى الله (ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة) لكون الاولى من مقام القلب تجر صاحبها الى الجنة ومصاحبة الملائكة والثانية من مقام النفس تجر صاحبها الى النار ومقارنة الشياطين (ادفع بالتي هي احسن) اذا امكنك دفع السيئة من عدوك بالحسنة التي هي احسن فلا تدفعها بالحسنة التي دونها فكيف بالسيئة فان السيئة لاتدفع بالسيئة بل تزيد وتعلو ارتفاع النار بالحطب فان قابلتها بمثلها كنت منحطا الى مقام النفس متبعا للشيطان سالكا طريق النار ملقيا اصاحبك في الاوزار وجاعلا له ولنفسك من جملة الاشرار متسببا لازدياد الشر معرضا عن الخير وان دفعتها بالحسنة سكنت شرارته واذلت عداوته وتبت في مقام القلب على الخير وهديت الى الجنة وطردت الشيطان وارضيت

الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة) يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعني بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم * قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الآية

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال المفسرون لما مات ابو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الآخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان اردعليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيد ذلك في تجرئهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فانت رؤف وانت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس

الرحمن وانخرطت في سلك الملكوت ومحوت ذنب صاحبك بالندامة وان دفعتها بالتي هي احسن ناسبت الحضرة الرحيمية بالرحموت وصرت باتصافك بصفاته تعالى من اهل الجبروت وافضت من ذاتك فيض الرحمة على صاحبك فصار (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقيها) ولامر ما قال النبي عليه السلام لوجاز ان يظهر الباري اظهر بصورة الحلم ولا يلاقي هذه الخصلة الشريفة والفضيلة العظيمة (الا الذين صبروا) مع الله فلم يتغيروا بزلة الاعداء لرؤيتهم منه تعالى وتوكلهم عليه وانصافهم بحلمه او طاعتهم لامره (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من الله بالتخلق باخلاقه (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسك نخس بالمقابلة بالسيئة وداعية بالانتقام وهيجان من غضبك (فاستعذ بالله) بالرجوع الى جنابه والالتجاء الى حضرته من شره ووسوسته ونزغه بالبراءة عن افعالك وصفاتك والفناء فيه عن حولك وقوتك (انه هو السميع)

وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخى كان نبيا وانا نبى فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال احدابنى ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى ما فى الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرنى بامر ما يعلمه الا نبى فقالا له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلى فربه نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به واجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفى الآية قول آخر وسيأتى فى سورة الجن وهو حديث مخرج فى الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة بلغنا انهم من بنى الشيطان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعنى فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه احد غيرى قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم امرنى ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى لا اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى فقال لى نمت فقلت لا والله يارسول الله قد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سألونى المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يارسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبى صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يارسول الله وما يغنى ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتانى فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معى اداوة فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ابن مسعود قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة

لما هجس ببالك من احاديث نفسك واقوالك (العليم) بنياتك وما بطن من احوالك (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) ليل ظلمة النفس بظهور صفاتها الساترة للنور لتقعوا فى السيآت وتستعدوا لقبول الوساوس الشيطانية ونهار نور الروح باشراق اشعتها من القلب الى النفس فتباشروا الحسنات وتدفعوا السيآت بها وتمتنعوا عن قبول الوساوس وتتعرضوا للنفحات وشمس الروح وقمر القلب (لا تسجدوا للشمس) بالفناء فيه والوقوف معه والاحتجاب به عن الحق (ولا للقمر) بالوقوف مع الفضائل والكمالات والتبوأ الى جنة الصفات (واسجدوا لله الذى خلقهن) بالفناء فى الذات (ان كنتم اياه تعبدون) موحدين مخصصين العبودية به دون غيره لا مشركين ولا محجوبين (فان استكبروا) عن الفناء فيه بظهور الانائية والطغيان والاستعلاء بصفات النفس والعدوان (فالذين عند ربك) من السابقين الفانين فيه (يسبحون له بالليل والنهار)

الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتاب الخلافيات باسانيده واجاب عنها
كلها والذى صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
منكم احد قال ماصحبه منا احد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه
فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا استطير اواغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا
هو جاء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات قوم قال
اتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم
وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى ايديكم اوفر مايكون لحما وكل بعرة
علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد
فى رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم فى صحيحه * واما تفسير الآية فقوله
تعالى واذصرفنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يامحمد نفرا
من الجن واختلفوا فى عدد اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم
رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زوبعة
من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها
فى الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك
الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس
وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب
والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال
نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (يستمعون القرآن فلما حضروه) الضمير يعود الى القرآن يعني فلما
حضروا القرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا انصتوا) يعني قال بعضهم لبعض
اسكتوا لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شئ فانصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد
يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضى) اى فرغ من قراءته (ولوا)
اى رجعوا (الى قومهم منذرين) يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لايدعون غيرهم الى سماع القرآن
والتصديق الابعد ايمانهم به وتصديقهم له (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا
(لما بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة
على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب
وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب
(يهدى الى الحق والى طريق مستقيم) يعني يهدى الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدى الى
طريق الجنة (ياقومنا اجيبوا داعى الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لايوصف بهذا غيره
وفى الآية دليل على انه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس
والجن قبله (وآمنوا به) فان قلت قوله تعالى اجيبوا داعى الله امر باجابته فى كل ماامر به فيدخل

بالتجريد والتنزيه عن حجب
ذواتهم وصفاتهم دائما بليل
الاستتار فى مقام التفصيل
ونهار التجلى فى مقام الجمع
(وهم لايسأمون) لكونهم
فانين بالله ذاكرين بالمحبة
الذاتية (ومن آياته انك
ترى الارض خاشعة فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت ان الذى احياها
لمحيي الموتى انه على كل شئ
قدير ان الذين يلحدون
فى آياتنا) اى يميلون ويزيغون
فيها من طريق الحق الى
الباطل فينسبونها الى غير
الحق لاحتجابهم عنه
ويتلونها بأنفسهم فيفهمون
منها مايناسب صفاتهم
(لايخفون علينا) وان
خفينا عنهم (افمن يلقى فى
النار خيرام من يأتى آمنا
يوم القيامة اعملوا ماشئتم
انه بما تعملون بصير ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم وانه
لكتاب عزيز) منيع محمى
عن ان يمسه ويفهمه النفوس
الخبيثة المحجوبة فتغيره وتطلع
عليه المبطلة فتبطله لبعده
عن مسالخ عقولهم وما
اعتقدوه من باطلهم اذ (لا
يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد) بعده من الجهات

فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المأمور به واشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم) قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلمو اجرت عليهم احكام الاسلام فمن اتى بذنب اخذ به مالم يتب منه او يبق تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكى عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن ابي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه اولياء) يعني انصارا يمنعونه من الله (اولئك) يعني الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال مبين) * قوله تعالى (اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على ان يحيي الموتى) يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شئ قدير) يعني من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شئ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا اعتراف منهم على انفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) * قوله عز وجل (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر على اذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم وصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم اولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم

لا من جهة الحق فيبطله بما هو ابلغ منه واشد احكاما في كونه حقا وصدقا ولا من جهة الخلق فيبطلونه بالالحاد في تأويله ويغيرونه بالتحريف لكونه ثابتا في اللوح محفوظا من جهة الحق كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) اي هو للمؤمنين بالغيب هداية تهديهم الى الحق وتبصرهم بالمعرفة وشفاء يزيل امراض قلوبهم من الرذائل كالنفاق والشك اي تبصرهم بطريق النظر والعمل فتعلمهم وتزكيهم (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد) من المحجوبين لا يسمعونه ولا يفهمونه بل يشتبه عليهم ويلتبس لاستيلاء الغفلة عليهم وسد الغشاوات الطبيعية والهيآت البدنية طرق اسماع قلوبهم وابصارها فلا ينفذ فيها ولا يتنبهوا بها ولا يتيقظوا الا كالذي ينادي من مكان بعيد لبعدهم عن منبع

اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشر لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الآية روى البغوى بسنده عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة ان الدنيا لاتنبغي لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة ان الله لم يرض من اولى العزم الابالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لابدلى من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولاقوة الابالله ❊ قوله تعالى ﴿ ولاتستعجل لهم ﴾ يعنى اصبر على اذاهم ولاتستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لامحالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب فقال تعالى ﴿ كأنهم يوم يرون مايوعدون ﴾ يعنى من العذاب في الآخرة ﴿ لم يلبثوا ﴾ يعنى في الدنيا ﴿ الا ساعة من نهار ﴾ يعنى انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان مامضى وان كان طويلا فهو يسير الى مايدوم عليهم من العذاب وهو ابدا لآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ بلاغ ﴾ اى هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ ﴿فهل يهلك﴾ يعنى بالعذاب اذا نزل ﴿الا القوم الفاسقون﴾ يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لايهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذ قال قوم مافى الرجاء لرحمة الله اية اقوى من هذه الآية والله اعلم

﴿ تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية وهى ثمان وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عز وجل ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم ﴾ يعنى ابطلها ولم يتقبلها منهم واراد بالاعمال ماكانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم اول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لايضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعنى ابطلها لانها لم تكن لله ولابأمره انما فعلوها من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم ابوجهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة

النور الذى يدرك به الحق ويرى وانما كهم في ظلمات الهيولى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وماربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وماتحمل من انثى ولاتضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائى قالوا آذناك مامنا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من محيص لايسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفى انفسهم) اى نوفقهم للنظر في تصاريفنا للممكنات واحوالها (حتى

ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسلام اومنعوا انفسهم من الدخول فى الاسلام اضل اعمالهم يعنى ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ يعنى القرآن الذى انزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع مايجب من الايمان بجميع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشان القرآن الكريم وتنبيها على انه لايتم الايمان الابه واكد ذلك بقوله ﴿وهو الحق من ربهم﴾ وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ ﴿كفر عنهم سيآتهم﴾ يعنى ستر بايمانهم وعملهم الصالح ماكان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ماكان منهم ﴿واصلح بالهم﴾ يعنى حالهم وشانهم وامرهم بالتوفيق فى امور الدين والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر على اعدائهم وقيل اصلح بالهم يعنى قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم ايام حياتهم يعنى ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لايعصوا ﴿ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ يعنى الشيطان ﴿وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ يعنى القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيآت المؤمنين كائن بسبب اتباع المؤمنين الحق من ربهم ﴿كذلك يضرب الله للناس امثالهم﴾ الضمير امثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب للناس امثال انفسهم اوانه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى ضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله امثال حسنات المؤمنين وامثال اعمال الكافرين للناس * قوله ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فضرب الرقاب﴾ يعنى فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع مايكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولان الرأس من اشرف اعضاء البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء ﴿حتى اذا اثخنتموهم﴾ يعنى بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتهم النهوض والحركة ﴿فشدوا الوثاق﴾ يعنى فى الاسرى والمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لايفلتوا منكم والوثاق اسم لمايوثق به اى يشد به ﴿فاما منا بعد واما فداء﴾ يعنى بعد الاسرا ما ان تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادرهم فداء

﴿فصل فى حكم الآية﴾ اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاماتثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج واليه ذهب الاوزاعى واصحاب الرأى قالوا لايجوز

يتبين لهم) بطريق الاستدلال واليقين البرهانى (انه الحق اولم يكف بربك) للذين شاهدوه من اهل العيان (انه على كل شئ شهيد) حاضر مطلع اى لم يكف شهوده على مظاهر الاشياء فى معرفته وكونه الحق الثابت دون غيره حتى تحتاج الى الاستدلال بافعاله او التوسل بتجليات صفاته وهذا هو حال المحبوب الكاشف بالجذب قبل السلوك والاول حال المحب السالك المجاهد لطلب الوصول (الا انهم فى مرية من لقاء ربهم) لاحتجابهم بالكون عن المكون والمخلوق عن الخالق (الا انه بكل شئ محيط) لايخرج عن احاطته شئ والا لم يوجد اذ حقيقة كل شئ عين علمه تعالى ووجوده به وعلمه عين ذاته وذاته عين وجوده فلا يخرج شئ عن احاطته اذ لا وجود لغيره ولا عين ولا ذات كل شئ هالك الا وجهه كما قال كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

﴿سورة حم عسق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم عسق) اى الحق ظهر بمحمد ظهور علمه بسلامة قلبه

لمن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل او الاسترقاق ايهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من اهل الذمة ويراد بالفداء ان يفادى باسراهم اسرى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء واكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى واحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل فى الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن ابى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه فى سارية من سوارى المسجد فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندى ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض ابغض الى من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الى والله ما كان من دين ابغض الى من دينك فاصبح دينك احب الدين كله الى والله ما كان من بلد ابغض الى من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد كلها الى وان خيلك اخذتنى وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل اصبوت قال لا ولكنى اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخارى عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف اخرجه الشافعى فى مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا * وقوله تعالى (حتى تضع الحرب اوزارها) يعنى اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعنى حتى يضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة اوزارا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون اوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبائح اعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى

فالحق محمد ظاهرا وباطنا والعلم سلامة قلبه عن النقص والآفة اى كماله وبروزه عن الحجاب اذ تجرد القلب ظهور العلم (كذلك) مثل ذلك الظهور على مظهرك وظهور علمه على قلبك (يوحى اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء (الله) الموصوف بجميع صفاته (العزيز) الممتنع بسرادقات جلاله وستور صفاته (الحكيم) الذى يظهر كماله بحسب الاستعدادات ويهدى بالوسايط ولمظاهر جميع العباد على وفق قبول الاستعداد (له ما فى السموات وما فى الارض) كلها مظاهر صفاته وصور مملكته ومحال افعاله (وهو العلى) عن التقييد بصورها والتعين بأعيانها (العظيم) الذى تضاءلت وتصغرت فى سلطانه وتلاشت وتفانت فى عظمته (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) لتأثرهن من تجليات عظمته وتلاشيهن من علو قهره وسلطنته (والملائكة) من العقول المجردة والنفوس المدبرة (يسبحون بحمد ربهم) ذاته بتجرد ذواتهم

يدخل اهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل آخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوى بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا او يسالموا قال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم ﴿ ذلك ﴾ يعني الذى ذكر وبين من حكم الكفار ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ يعني ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم ﴿ ولكن ﴾ يعني ولكن امركم بالقتال ﴿ ليبلو بعضكم ببعض ﴾ يعني فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب ﴿ والذين قتلوا فى سبيل الله ﴾ يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون فى سبيل الله ﴿ فلن يضل اعمالهم ﴾ يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التى عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل ﴿ سيهديهم ﴾ يعني ايام حياتهم فى الدنيا الى ارشد الامور وفى الآخرة الى الدرجات العلى ﴿ ويصلح بالهم ﴾ ويرضى اعمالهم ويقبلها ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ بين لهم منازلهم فى الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطؤنها ولا يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن اهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله فى الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف اى مطيب * قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ﴾ يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله وحزبه ﴿ ينصركم ﴾ يعني على عدوكم ﴿ ويثبت اقدامكم ﴾ يعني عند القتال وعلى الصراط ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم ﴾ قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الاخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وارادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت اقدامكم يعني فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم ﴿ واضل اعمالهم ﴾ يعني ابطل اعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان ﴿ ذلك ﴾ يعني التعس والضلال ﴿ بانهم كرهوا ما انزل الله ﴾ يعني القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله ﴿ فاحبط اعمالهم ﴾ يعني فابطل اعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى ﴿ افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة ﴿ دمر الله عليهم ﴾ يقال دمره الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يختص به والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم ﴿ وللكافرين ﴾ يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ امثالها ﴾ يعني ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الاخرة ﴿ ذلك ﴾ يعني

حامدين له بكمالات صفاتهم (ويستغفرون لمن فى الارض) بافاضة الانوار على اعيانهم ووجوداتهم بعد استفاضتهم اياها من الحضرة الاحدية (الا ان الله هو الغفور) بستر ظلمات ذوات الكل من الملائكة والناس بنور ذاته (الرحيم) بافاضة الكمالات بتجليات صفاته على وجوداتهم لا غيره (والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير) كلهم على الفطرة موحدين بناء على القدرة ولكن بنى امره على الحكمة فجعل بعضهم موحدين عادلين وبعضهم مشركين ظالمين كما قال ولا يزالون مختلفين لتتميز المراتب وتحقق السعادة والشقاوة وتملئ الدنيا والآخرة والجنة والنار ويحصل الكل اهل

الاهلاك والهوان ﴿بان﴾ اى بسبب ان ﴿الله مولى الذين آمنوا﴾ يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى امورهم ﴿وان الكافرين لامولى لهم﴾ يعنى لاناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لاتضر ولاتنفع ولاتنصر من عبدها فلاجرم لاناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لامولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل احد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ يعنى هذا لهم فى الآخرة ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها ﴿ويأكلون كما تأكل الانعام﴾ يعنى ليس لهم همة الابطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لاعقل لها ولاتمييز وكذلك الكافر لاعقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ماعبد مايضره ولاينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما اعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم ﴿والنار مثوى لهم﴾ يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم * قوله تعالى ﴿وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك﴾ يعنى اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله ﴿اهلكناهم﴾ ولم يقل اهلكناها ﴿فلا ناصر لهم﴾ يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله تعالى الى الله واحب بلاد الله الى ولو ان المشركين لم يخرجونى لم اخرج منك فانزل الله هذه الآية ﴿افمن كان على بينة من ربه﴾ يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ وهو الكافر ابوجهل ومن معه من المشركين ﴿واتبعوا اهواءهم﴾ يعنى فى عبادة الاوثان * قوله عزوجل ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون﴾ لما بين الله عزوجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما اعد لكل واحد من الفريقين فبين اولا ما اعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لايقتضى مشابهه وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد فى النار ﴿فيها﴾ يعنى الجنة التى وعد المتقون ﴿انهار من ماء غير آسن﴾ يعنى غير متغير ولامنتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه ﴿وانهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ يعنى كما تتغير البان الدنيا فلا يعود حامضا ولاقارصا ولامايكره من الطعوم ﴿وانهار من خمر لذة للشاربين﴾ يعنى ليس فيها حموضة ولاعفوصة ولامرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولاصداع ولاخمار بل هى لمجرد الالتذاذ فقط ﴿وانهار من عسل مصفى﴾ يعنى ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم تخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا

ويستتب النظام ويحدث الانتظام ﴿ام اتخذوا من دونه اولياء﴾ لاولاية لهم فى الحقيقة اذلاقدرة ولاقوة ولاوجود ﴿فالله هو الولى﴾ دون غيره لتولية كل شئ وسلطانه وحكمه ﴿وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير﴾ المحيى القادر فكيف تستقيم ولاية غيره ﴿وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت﴾ بفناء الافعال فلا اقابل افعالكم بفعلى ﴿واليه انيب﴾ بفناء صفاتى فلا اظهر بصفة من صفاتى فى مقابلة صفات نفوسكم ﴿فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ﴾ اى كل الاشياء فانية فيه هالكة فلا شئ يماثله فى الشيئية والوجود ﴿وهو السميع﴾ الذى يسمع به كل من يسمع ﴿البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم﴾ الذى يبصر به كل من يبصر جمعا وتفصيلا يفنى الكل بذاته ويبدئهم بصفاته بيده مفاتيح الارزاق وخزائن الملك والملكوت يبسط ويقدر بمقتضى علمه

عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه ✲ وقوله تعالى ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان مأكول اهل الجنة للذة لا لحاجة ولهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ فان قلت المومن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه ✲ قوله تعالى ﴿ كمن هو خالد في النار ﴾ يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار لا يخرج منها وهو قوله ﴿ وسقوا ماء حميما ﴾ يعني شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم (و) اذا شربوه ﴿ قطع امعاءهم ﴾ يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معي وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ✲ قوله تعالى ﴿ ومنهم ﴾ يعني ومن هؤلاء الكفار ﴿ من يستمع اليك ﴾ وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه ﴿ حتى اذا خرجوا من عندك ﴾ يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك ﴿ قالوا ﴾ يعني المنافقين ﴿ للذين اوتوا العلم ﴾ يعني من الصحابة ﴿ ماذا قال آنفا ﴾ يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر اي ابتدأته قال

على من يشاء من خلقه بحسب مصالحهم في الغنى والفقر (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) المطلق الذي وصى جميع الانبياء باقامته واجتماعهم عليه وعدم تفرقهم فيه وهو اصل الدين اي التوحيد والعدل وعلم المعاد المعبر عنه بالايمان بالله واليوم الآخر دون فروع الشرائع التي اختلفوا فيها بحسب المصالح كاوضاع الطاعات والعبادات والمعاملات كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فالدين القيم هو المتعلق بما لا يتغير من العلوم والاعمال والشريعة هي المتعلقة بما يتغير من القواعد والاوضاع (كبر على المشركين) المحجوبين عن الحق بالغير (ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) من التوحيد لكونهم اهل المقت ومظاهر الغضب والقهر ليسوا من المحبوبين الذين اجتباهم الله بمحض عنايته ومجرد مشيئته ومن المحبين الذين وفقهم الله للانابة اليه بالسلوك

مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد
سألوا عبدالله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن
سئل ﴿ اولئك ﴾ يعني المنافقين ﴿ الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما
سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ واتبعوا اهواءهم ﴾ يعني في الكفر والنفاق والمعنى
انهم لما تركوا اتباع الحق امات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل
﴿ والذين اهتدوا ﴾ يعني المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة
الهوى بين حال المؤمن المهتدي الذي ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله
اياهم الى الايمان ﴿ زادهم هدى ﴾ يعني انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به
عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع
ايمانهم ﴿ وآتاهم تقواهم ﴾ يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن
جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى * قوله
عز وجل ﴿ فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة ﴾ يعني الكافرين والمنافقين الذين قعدوا
عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد
وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة
قيامها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا
فهل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا
مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن * وقوله تعالى ﴿ فقد جاء اشراطها ﴾ اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما
كان قيام الساعة امرا مستبعدا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها قاله المفسرون من
اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا
والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما (ق) عن انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم
السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل
معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شئ يسير كما بين
الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن انس قال عند قرب وفاته الا
احدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به احد غيري سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب
الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفي رواية ويظهر
الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من اشراط الساعة ان يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر
الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل او قال ويظهر

والاجتهاد والسير فيه
بالشوق والافتقار فهداهم
اليه بنور وجهه وجمال ذاته
لجذب المحبوبين اليه قبل
السلوك والرياضة بسابقة
الاجتباء وخص المحبين بعد
التوفيق بالسلوك والرياضة
بالاصطفاء وطرد المحجوبين
عن بابه وابعدهم عن جنابه
بسابقة كلمة القضاء عليهم
بالشقاء (وما تفرقوا الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ولولا كلمة سبقت من ربك
الى اجل مسمى لقضي بينهم
وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب
فلذلك) التفرق في الدين
(فادع) الى التوحيد (واستقم
كما امرت) في التحقق بالله
والتعبد حق العبودية وانت
على التمكين ولا تظهر نفسك
بصفة عند انكارهم واستمالتهم
اياك في موافقتهم (ولا تتبع
اهواءهم) المتفرقة بالتلوين
فيضلوك عن التوحيد (وقل
آمنت بما انزل الله من كتاب)
اي اطلعت على كمالات جميع
الانبياء وجمعت في علومهم
ومقاماتهم وصفاتهم واخلاقهم
فكمل توحيدي وصرت
حبيبا لكمال محبتي ورسخت
في نفسي فتمت عدالتي وهذا
معنى قوله (وامرت لاعدل

الجهل (خ) عن ابى هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا ذا يارسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة ❊ وقوله تعالى (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعنى فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذ جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذ جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان فى ذلك الوقت (فاعلم انه لا اله الا الله) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر واجيب عنه بان معناه دم على ماانت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس اى دم على ماانت عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته قال ابو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجا ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذى لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذى لا اله الا هو (واستغفر لذنبك) امر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به امته وليقتدوا به فى ذلك (م) عن الاغر المزنى اغر مزينة قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى حتى استغفر فى اليوم مائة مرة وفى رواية قال توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى عزوجل مائة مرة فى اليوم (خ) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم سبعين مرة وفى رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبى الغين التغطية والستر اى يلبس على قلبى ويغطى وسبب ذلك مااطلعه عليه من احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر فى امور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عزوجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذى يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووى عن القاضى عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذى كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر او غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبى خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل فى معنى الآية استغفر لذنبك اى لذنوب اهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعنى من غير اهل بيته وهذا اكرام

بينكم الله ربنا وربكم) هو التثبيت فى مقام التوحيد والتحقيق (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) صورة الاستقامة والتمكين فى العدالة (لا حجة بيننا وبينكم) لكمال المحبة والصفاء لاقتضاء مقام التوحيد النظر اليهم بالسواء (الله يجمع بيننا) فى القيامة الكبرى والفناء (واليه المصير) فى العاقبة للجزاء (والذين يحاجون فى الله) لاحتجابهم بنفوسهم (من بعد ما استجيب له) بالاستسلام والانقياد لديه وقبول التوحيد بسلامة الفطرة (حجتهم داحضة عند ربهم) لكونها ناشئة من عند انفسهم لا اصل لها عند الله (وعليهم غضب) لاستحقاقهم لذلك بظهور رغضبهم (ولهم عذاب شديد) لحرمانهم (الله الذى انزل الكتاب بالحق) اى العلم التوحيدى بالمحبة التى اقتضت استحقاقه لذلك فكان حقا له (والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب) اى العدل واذا حصل العلم والتوحيد فى الروح والمحبة فى القلب والعدل فى النفس قرب الفناء فى الله ووقوع القيامة الكبرى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين

من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة او الى النار وقيل متقلبكم في اشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي * قوله تعالى ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ﴾ وذلك ان المؤمنين كانوا احراصا على جهاد في سبيل الله فقالوا فهلا انزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد ﴿ فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ﴾ قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين ﴿ رايت الذين في قلوبهم مرض ﴾ يعني نفاقا وهم المنافقون ﴿ ينظرون اليك ﴾ يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو ﴿ نظر المغشي عليه من الموت ﴾ يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت ﴿ فاولى لهم ﴾ فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد ويلك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدا بقوله ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ فعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل لهم واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل واحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه ﴿ فاذا عزم الامر ﴾ فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا امر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾ يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم ﴿ فهل عسيتم ﴾ اي فلعلكم ﴿ ان توليتم ﴾ يعني اعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم احكامه ﴿ ان تفسدوا في الارض ﴾ يعني تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام ﴿ وتقطعوا ارحامكم ﴾ قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي

آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده) يلطف بهم في تدبير ايصال كمالاتهم اليهم وتهيئة اسبابها وتوفيقهم للاعمال المقربة لهم اليها (يرزق من يشاء) العلم الوافر بحسب عنايته به في هيئة استعداده له (وهو القوى القاهر (العزيز) الغالب يمنع من يشاء بمقتضى عدله وحكمته ولكل احد نصيب من اللطف والقهر لايخلو احد منهما وانما تتفاوت الانصباء بحسب الاستعدادات والاسباب والاعمال والاحوال (من كان يريد حرث الآخرة) بقوة ارادته وشدة طلبه لزيادة نصيب اللطف وتوجهه واقباله الى الحق لحيازة القرب (نزدله) في نصيبه فنصلح حال آخرته ودنياه لان الدنيا تحت الآخرة وظلها ومثالها وصورتها تتبعها (ومن كان يريد حرث الدنيا) واقبل بهواه الى جهة السفل وتعلق همه بزيادة نصيب القهر وبعد عن الحق (نؤته منها) ماهو

معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عز وجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم امر الناس ان تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجى المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشرى معناه انه لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان ياهؤلاء ماترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا ﴿ اولئك ﴾ اشارة الى من اذا تولى افسد فى الارض وقطع الارحام ﴿ الذين لعنهم الله ﴾ يعنى ابعدهم من رحمته وطردهم عن جنته ﴿ فاصمهم ﴾ يعنى عن سماع الحق ﴿ واعمى ابصارهم ﴾ يعنى عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وان كان لهم اسماع وابصار فى الظاهر ﴿ افلا يتدبرون القرآن ﴾ يعنى يتفكرون فيه وفى مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر فى عاقبة الشئ ومايؤول اليه امره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية ﴿ ام على قلوب اقفالها ﴾ يعنى بل على قلوب اقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطى فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم واقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف مالا يطاق جائز عندنا لان الله امر بالايمان لمن سبق فى علمه انه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل مايريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون القرآن المراد به التاسى وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ماهم فيه من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة اوكالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراد * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فمازال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعى من كبار التابعين واجلهم لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك ※ قوله عز وجل ﴿ ان الذين ارتدوا على ادبارهم ﴾ يعنى رجعوا القهقرى كفارا ﴿ من بعد ماتبين لهم الهدى ﴾ يعنى من بعدما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار اهل

نصيبه وما قسم له وقدر لامزيد عليه (وما له فى الآخرة من نصيب) لاعراضه عنها وعقد همه بالادون و وقوفه معه وجعله حجابا للاشرف وادباره عن النصيب الاوفر فلا يتهيأ لقبوله ولا يستعد لحصوله اذا لايتبع الفرع (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى) استثناء منقطع وفى القربى متعلق بمقدر اى المودة الكائنة فى القربى ومعناه نفى الاجر اصلا لان ثمرة مودة اهل قرابته عائدة اليهم لكونها سبب نجاتهم اذ المودة تقتضى المناسبة الروحانية المستلزمة لاجتماعهم فى الحشر كما قال عليه الصلاة والسلام المرء يحشر مع من احب فلا تصلح ان تكون اجرا له ولا يمكن من تكدرت روحه وبعدت عنهم مرتبته محبتهم بالحقيقة ولا يمكن من تنورت روحه وعرف الله واحبه من اهل التوحيد ان لايحبهم لكونهم اهل بيت النبوة ومعادن الولاية والفتوة محبوبين فى العناية الاولى مربوبين للمحل الاعلى فلا يحبهم الا من

الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن
عباس والضحاك والسدى هم المنافقون آمنوا اولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعنى
زين لهم القبيح حتى راوه حسنا (واملى لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء
على ما لم يسم فاعله يعنى امهلوا ومد لهم فى العمر وقرئ واملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى واملى
لهم الشيطان بان مد لهم فى الامل فان قلت الاملاء والامهال لا يكونان الا من الله لانه الفاعل
المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملى
هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك
على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم فى اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم
الى آخر العمر (ذلك) اشارة الى التسويل والاملاء (بانهم) يعنى بان اهل الكتاب والمنافقين
(قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم فى بعض الامر) يعنى من
التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا
فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم * ثم قال (والله يعلم اسرارهم) يعنى انه تعالى لا تخفى
عليه خافية من امرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعنى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة
(يضربون وجوههم وادبارهم ذلك) يعنى ذلك الضرب (بانهم) يعنى بسبب انهم (اتبعوا ما اسخط
الله) يعنى ترك الجهاد مع رسول الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعنى كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان
والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاحبط اعمالهم) التى عملوها من اعمال
البر لانها لم تكن لله ولا بامره (ام حسب الذين فى قلوبهم مرض) اى شك ونفاق وهم المنافقون
(ان لن يخرج الله اضغانهم) يعنى يظهر احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنين
نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم
بسيماهم) لما قال تعالى ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قائلا
قال لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما اخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال
تعالى ولو نشاء لاريناكهم اى لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم
لزيادة فائدة وهى ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان
المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذى لا يقع معه اشتباه
وقوله بسيماهم يعنى بعلامتهم اى نجعل لك علامة تعرفهم بها قال انس ما خفى على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن
القول) يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطأ صرف الكلام
وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول واما اللحن
المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب او التصحيف ومعنى
الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين امرك وامر المسلمين
وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله

يحب الله ورسوله ويحبه
الله ورسوله ولو لم يكونوا
محبوبين من الله فى البداية
لما احبهم رسول الله اذ محبته
عين محبته تعالى فى صورة
التفصيل بعد كونه فى
عين الجمع وهم الاربعة
المذكورون فى الحديث
الآتى بعد الا ترى ان له
اولادا آخرين وذوى
قرابات فى مراتبهم كثيرين
لم يذكرهم ولم يحرض
الامة على محبتهم تحريضهم
على محبة هؤلاء وخص
هؤلاء بالذكر روى انها لما
نزلت قيل يا رسول الله من
قرابتك هؤلاء الذين
وجبت علينا مودتهم قال
على وفاطمة والحسن والحسين
وابناؤهما ثم لما كانت
القرابة تقتضى المناسبة
المزاجية المقتضية للجنسية
الروحانية كان اولادهم
السالكون لسبيلهم
التابعون لهديهم فى حكمهم
ولهذا حرض على الاحسان
اليهم ومحبتهم مطلقا ونهى
عن ظلمهم وايذائهم ووعد
على الاول ونهى عن الثانى
قال النبى صلى الله عليه
وسلم وعلى آله حرمت
الجنة على من ظلم اهل بيتى
وآذانى فى عترتى ومن

(ويستدل)

ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه * ثم قال تعالى ﴿ والله يعلم اعمالكم ﴾ يعنى اعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله * قوله تعالى ﴿ ولنبلونكم ﴾ يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها ﴿ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ يعنى انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من بادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم اى على الوجود والظهور ﴿ ونبلو اخباركم ﴾ يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد ﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول ﴾ يعنى خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره ﴿ من بعد ما تبين لهم الهدى ﴾ يعنى من بعد ما ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ لن يضروا الله شيأ ﴾ يعنى انما يضرون انفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك ﴿ وسيحبط اعمالهم ﴾ يعنى وسيبطل اعمالهم فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر * قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ﴾ لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ﴿ ولا تبطلوا اعمالكم ﴾ قال عطاء يعنى بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما انتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبى لا تبطلوا اعمالكم بالرياء والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا اعمالكم بالمعاصى والكبائر قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضرهم مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد ان تحبط اعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصى ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما والله تعالى اعدل واكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من اصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل فى صلاة تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم فى الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم اصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد اصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين ايضا ان سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فانى صائم قال لست بآكل حتى تأكل فاكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت فى بنى اسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى ﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ قيل نزلت فى اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر

اصطنع ضيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وقال عليه السلام من مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا الا ومن مات على حب آل محمد مات شهيدا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب محمد وآل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حبه آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة ﴿ ومن يقترف حسنة ﴾ بمحبة آل الرسول

والقوا فى قليب بدر وحكمها عام فى كل كافر مات على كفره فالله لايغفرله لقوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا ايها المؤمنون (وتدعوا الى السلم) يعنى ولا تدعوا الكفار الى الصلح ابدا منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا (وانتم الاعلون) يعنى وانتم الغالبون لهم والعالون عليهم اخبر الله تعالى ان الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين فى بعض الاوقات (والله معكم) يعنى بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب (ولن يتركم اعمالكم) يعنى ان ينقصكم شيأ من ثواب اعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يؤتيكم اجورها * ثم حض على الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) اى باطل وغرور يعنى كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها فى عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما اشغل الانسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب وان اشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم) يعنى يؤتكم جزاء اعمالكم فى الآخرة (ولا يسئلكم اموالكم) يعنى ان الله تعالى لا يسأل من العباد اموالهم لايتاء الاجر عليها بل يأمرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم اموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اموالكم كلها فى الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم وهو زكاة اموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى فى اموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة على انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسئلكموها) الضمير عائد الى الاموال (فيحفكم) يعنى يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة فى المسئلة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح (تبخلوا) يعنى بالمال فلا تعطوه (ويخرج اضغانكم) يعنى بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان الاحفاء بمسئلة الاموال مخرج للاضغان (هاانتم هؤلاء) يعنى انتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) قيل اراد به النفقة فى الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة ووجوه البر والكل فى سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعنى بما فرض عليه اخراجه من الزكاة او ندب الى انفاقه فى وجوه البر (ومن يبخل) يعنى بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) اى على نفسه (والله الغنى) يعنى عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغنى المطلق الذى له ملك السموات والارض (وانتم الفقراء) يعنى اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما امركم به والزمكم اياه (يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم) يعنى يكونون اطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هو العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

(نزله فيها حسنا) بمتابعته لهم فى طريقتهم لان تلك المحبة لاتكون الا لصفاء الاستعداد وبقاء الفطرة وذلك يوجب التوفيق لحسن المتابعة وقبول الهداية الى مقام المشاهدة فيصير صاحبها من اهل الولاية ويحشر معهم فى القيامة (ان الله غفور) بتنويره ظلمة صفات من احب اهله (شكور) لسعى من ناسبهم فيحبهم بتضعيف جزاء حسناته وافاضة كما لاته بتجليات صفاته ليوافقهم (فان يشأ الله يختم على قلبك) اى لايفترى على الله الا من هو مختوم القلب منهم (ويمح الله الباطل) كلام مبتدأ اى ومن عادة الله ان يمحو الباطل (ويحق الحق بكلماته) وقضائه ان كان افتراء يمحه ويثبت نقيضه وان كان الافتراء ما يقولون فكذلك (وما عند الله خير وابقى) لكونه اشرف وادوم (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) الايمان اليقينى ولا يتوكلون الا على ربهم بفناء الافعال اى الذين علمهم اليقين وعملهم التوكل بالانسلاخ عن افعالهم (والذين يجتنبون كبائر

قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا واصحابه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وله فى رواية اخرى عن ابى هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله من هؤلاء الذين ذكرالله عزوجل ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذى نفسى بيده لوكان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق فى الصحيح ترد فى سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الفتح وهى مدنية ﴾

(خ) عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك ياعمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك قال عمر فحركت بعيرى حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل فى قرآن فما لبثت ان سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت ان يكون نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزل على الليلة سورة لهى احب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واخرجه الترمذى وزاد فيه وكان فى بعض اسفاره بالحديبية (ق) عن انس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على آية هى احب الى من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخارى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فانزل الله عزوجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرجه الترمذى عن قتادة عن انس قال انزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على الليلة آية احب الى مما على الارض ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يارسول الله لقد بين لك مايفعل بك فما ذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولاتعب واختلفوا فى هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد انه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التى يفتحها الله عزوجل له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضى قلت وعدالله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم

الاثم) التى هى وجوداتهم وهواخص صفات نفوسهم التى تظهر بأفعالها فى مقام المحو (واذا ما غضبوا) فى تلويناتهم (هم يغفرون) اى الاختصاص بالمغفرة دون غيرهم (والذين استجابوا لربهم) بلسان الفطرة الصافية اذا دعاهم الى التوحيد بتجلى نور الوحدة (واقاموا) صلاة المشاهدة ولم يحتجبوا بآرائهم وعقولهم بل (امرهم شورى بينهم) لعلمهم ان الله مع كل احد شأنا واليه نظرا وفيه سرا ليس لغيره ذلك الشأن والنظر والسر (ومما رزقناهم ينفقون) بالتكميل (والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون) بالعدالة احتراز عن الذلة والانظلام لكونهم فى مقام الاستقامة قائمين بالحق والعدل الذى ظله فى نفوسهم (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم

بالفتح وجئ به بلفظ الماضى جرياعلى عادة الله تعالى فى اخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنالك فى حكمنا وتقديرنا وماقدرنا وحكم به فهوكائن لامحالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهوالاصح وهو رواية عن انس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عزوجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه * عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا وما شيتنا وركابنا وقال الشعبى فى قوله انا فتحنالك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهرى لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام فى قلوبهم فاسلم فى ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم * وقوله عزوجل (ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام فى قوله ليغفرالله لام كى والمعنى فتحنالك فتحا مبينا لكى يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله فى سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنالك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع مافرط منك ماتقدم من ذنبك يعنى قبل النبوة وما تأخر يعنى بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراسانى ماتقدم من ذنبك يعنى من ذنب ابويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعائك لهم وقال سفيان الثورى ماتقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعنى كل شئ لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول اعط من تراه ومن لم تراه واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ماوقع لك من ذنب ومالم يقع فهو مغفورلك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ماعسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيآت المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفورله فاعلمه الله عزوجل بذلك وانه مغفورله ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك

الامور ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان يأتى يوم لامرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) اى الابتلائة اوجه امابوحى وله الى مقام الوحدة والفناء

صراط مستقيما) يعنى ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدى بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعنى غالبا ذا عز وضعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فامعناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية اى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه لحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل او العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا * قوله تعالى (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يعنى الطمأنينة والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن طمانينة الا التى فى سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة والثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب النصر الذى وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم * ثم قال تعالى (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان فى قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم امر اونهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل دينهم فكلما امروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبى هذا فى امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عزوجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهى جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة فى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عزوجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله عزوجل ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل سكينة فى قلوبكم ايها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدائه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعنى بجميع جنوده

فيه ثم التحقق بوجوده فى مقام البقاء فيوحى اليه بلا واسطة كما قال الله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فأوحى الى عبده ما اوحى (او من وراء حجاب) بكونه فى حجاب القلب ومقام تجليات الصفات فيكلمه على سبيل المناجاة والمكالمة والمكاشفة والمحادثة دون الرؤية لاحتجابه بحجاب الصفات كما كان حال موسى عليه السلام (او يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء) من الملائكة فيوحى اليه على سبيل الالقاء والنفث فى الروع والالهام او الهتاف او المنام كما قال عليه السلام ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها (انه على) من ان يواجه ويخاطب بل يفنى ويتلاشى من يواجهه لعلوه من ان يبقى معه غيره ويحتمل شئ حضوره (حكيم) يدبر بالحكمة وجوه التكليم ليظهر علمه فى تفاصيل المظاهر ويكمل به عباده ويهتدوا اليه ويعرفوه * ومثل ذلك الايحاء على الطرق الثلاثة (وكذلك اوحينا اليك

الذين فى السموات والارض (حكيما) يعنى فى تدبيرهم وقيل عليما بما فى قلوبكم ايها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على اعدائكم * قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد تقدم ماروى عن انس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى مايفعل بك فما ذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم) فان قلت تكفير السيئات انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لاتقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيآت والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر اولى (الظانين بالله ظن السوء) يعنى انهم ظنوا ان الله تعالى لاينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعنى وابعدهم وطردهم عن رحمته (واعدلهم جهنم) يعنى فى الآخرة (وساءت مصيرا) يعنى ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره بقى مافائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم اخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلاحاجة لهم بعد ذلك الى شئ واخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان قلت قال فى الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال فى هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه قلت لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب ان تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذى انتقام وقوله اخذناهم اخذ عزيز مقتدر * قوله تعالى (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ذكره فى معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه

روحا) تحيا به القلوب الميتة (من) عالم (امرنا) المنزه عن الزمان المقدس عن المكان (ماكنت تدرى ما الكتاب) اى العقل الفرقانى الذى هو كمالك الخاص بك (ولا الايمان) اى الخفى الذى حصل لك عند البقاء بعد الفناء حال كونك محجوبا بغواشى نشأتك وحال وصولك لفنائك وتلاشى وجودك (ولكن جعلناه نورا) عند استقامتك (نهدى به من نشاء من عبادنا) المخصوصين بالعناية الازلية اما المحبوبين واما المحبين (وانك) ايها الحبيب (لتهدى) بنا من تشاء (الى صراط مستقيم) لا يبلغ كنهه ولا يدرى وصفه (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) المخصوص به اى طريق التوحيد الذاتى الشامل للتوحيد الصفاتى والافعالى المسمى توحيد الملك اعنى سير الذات الاحدية مع جميع الصفات الظاهرة والباطنة بالكلية سموات الارواح وارض الجسم المطلق (الا الى الله تصير الامور) بالفناء فيه فينادى بذاته لمن الملك

الى الكافة شاهدا على اعمال امته ومبشرا يعنى لمن آمن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعنى لمن خالفه وعصى امره بالعقاب ❊ ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى ﴿ ليؤمنوا بالله ورسوله ﴾ فالضمير فيه للناس المرسل اليهم ﴿ ويعزوروه ﴾ يعنى ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم ﴿ ويوقروه ﴾ يعنى ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل ﴿ ويسبحوه ﴾ من التسبيح الذى هو التنزيه من جميع النقائص او من السبحة وهى الصلاة قال الزمخشرى والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال غيره الكنايات فى قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه ﴿ بكرة واصيلا ﴾ على ان الكناية فى ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعنى ويصلوا لله او ويسبحوا الله بالغداة والعشى ❊ قوله عزوجل ﴿ ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ﴾ يعنى ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله عزوجل بالجنة واصل البيعة العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهى قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء فى الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز فى الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اى شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رايتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى ﴿ يد الله فوق ايديهم ﴾ قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا نقله البغوى عنه وقال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازى يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد فى الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق ايديهم اى نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اى الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشرى لما قال انما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله

اليوم ويجيب هو نفسه بقوله لله الواحد القهار والله تعالى اعلم

﴿ سورة الزخرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حم والكتاب المبين انا جعلناه) اقسم بأول الوجود وهو الحق وآخره وهو محمد وما اجل قسما بما هو اصل الكل وكماله ولهذا كانت الشهادة بهما اساس الاسلام وعماد الايمان والجمع بينهما هو المذهب الحق والملة القويمة فان احدية الوجود والتأثير هو الجبر واثبات التفصيل فى الوجود والتأثير هو القدر والجمع بينهما بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله هو الصراط المستقيم والدين المتين او بما يناسب الكتاب وهو اللوح والقلم لقوله تعالى ن والقلم وما يسطرون وقد يكنى عن الكلمة بآخرها كما يكنى عنها بأولها فعلى الوجه الاول يمكن ان يؤول الكتاب بنفس محمد لكونه مبينا للحق جمعا وتفصيلا وكونه منزلا من عندالله (قرآنا) اى جامعا لجميع تفاصيل الوجود حاصرا للصفات الالهية والمراتب .

صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام واما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله هذا مذهب اهل التأويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل * وقوله تعالى (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) يعني من نقض العهد الذي عهده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فان وبال ذلك وضره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) يعني من البيعة (فسيؤتيه اجرا عظيما) يعني في الآخرة وهو الجنة * قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا اموالنا واهلونا) يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) اي انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا (قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان ارادكم ضرا) يعني سوأ (او اراد بكم نفعا) وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر او يجعل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان اراد شيأ من ذلك لم يقدر احد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا) يعني ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى اهليهم (وزين ذلك في قلوبكم) يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان بالشئ ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من امرهم (وكنتم قوما بورا) يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء

الوجودية والكمالية (عربيا لعلكم تعقلون) ما نخاطبكم به (وانه في ام الكتاب) اى اصل الوجود في الرتبة الاولى واول نقطة الوجود الاضا في الممتاز بالتعين الاول عن الوجود المطلق التالى للهوية المحضة المشار اليه بقوله (لدينا لعلي) رفيع القدر بحيث لا رفعة وراءها (حكيم) ذو الحكمة اذ به ظهرت صور الاشياء وحقائقها اعيانها وصفاتها وترتيب الموجودات ونظامها على ما هي عليه واما على الوجه الثاني فلا يستقيم هذا التأويل بل هو القرآن المبين للتوحيد والتفصيل الدال عليهما المقسم به اجمالا وانه في ام الكتاب اى الروح الاعظم المشتمل على كل العلوم بل كل الاشياء لدينا قريبا مما اقرب من سائر العلوم الحاصلة في مراتب التنزلات فان العلم اللدني هو الذي انتقش في الروح الذي هو اول الارواح قبل تنزله في المراتب وكون القرآن ذا الحكمة كونه مشتملا على الحكمة النظرية المفيدة للاعتقادات الحقة من

اخبران له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ * قوله عزوجل ﴿ سيقول المخلفون ﴾ يعني الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿ اذا انطلقتم ﴾ يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المؤمنون ﴿ الى مغانم لتأخذوها ﴾ يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وعدهم الله عزوجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ﴿ ذرونا نتبعكم ﴾ يعني الى خيبر فنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية حيث قالوا اشغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمة وههنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة ﴿ يريدون ان يبدلوا كلام الله ﴾ يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جهور المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير منهم احدا الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب ﴿ قل ﴾ اى قل لهم يا محمد ﴿ لن تتبعونا ﴾ يعني الى خيبر ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾ يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئا ﴿ بل كانوا لا يفقهون الا قليلا ﴾ يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله عزوجل ﴿ قل للمخلفين من الاعراب ﴾ لما قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قل لن تتبعونا ﴾ وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه جعل الله عزوجل لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي بأس شديد فان اطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عادوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله ﴿ ستدعون الى قوم اولي بأس شديد ﴾ من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد واقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعدها قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر امرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن نقي طاهر او كافر مجاهر واما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله

التوحيد والنبوة وبيان احوال المعاد وامثالها فالحكمة العملية من بيان احكام افعال المكلفين كالشرائع وكيفية السلوك في المراتب واحوال المكاسب والمواهب ﴿ افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ﴾ اى انهملكم ونصرف الذكر عنكم لاسرافكم وانما كانت الحاجة الى الذكر للاسراف اذ لو كانوا على السيرة العادلة والطريقة الوسطى لما احتيج الى التذكير بل التذكير يجب عند الافراط والتفريط ولهذا بعث الانبياء في زمان الفترة قال الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين ﴿ وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا

كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ام اتخذمما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشراحدهم بماضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) اى اعترفوا بأنه خالق السموات والارض ومبدعهما وفاطر هما وقد جسموه وجزؤه باثبات الولد له الذى هوبعض من الوالد مماثل له فى النوع لكونهم ظاهر يين جسمانيين لايتجاوزون عن رتبة الحس والخيال ولايتجردون عن ملابس الجسمانيات فيدركون الحقائق المجردة والذوات المقدسة فضلا

عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معى ابدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهى الوجه الثانى قوله اولى بأس شديد ولم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم اولى بأس شديد لان الرعب كان قددخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى ابدا مقيد بقيد هو ان يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى ابدا مادمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لابدمنه من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولايجوزمنعه من الخروج الى الجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم الوجه الثانى فى الجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معى ابدا يعنى فى غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبى صلى الله عليه وسلم لولم يدعهم الى الجهاد معه او منعهم من الخروج الى الجهاد معه لا امتنع ابوبكر وعمر من الاذن لهم فى الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكوة من ثعلبة لامتناع النبى صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه الثانى وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولى بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولو بأس شديد فثبت بهذا البيان ان الداعى للمخلفين هو النبى صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابابكر دعاهم الى قتال بنى حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر فى الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار * وقوله تعالى (تقاتلونهم او يسلمون) فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام او القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا) يعنى الجنة (وان تتولوا) يعنى تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعنى عام الحديبية (يعذبكم عذابا اليما) يعنى النار ولما نزلت هذه الآية قال اهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يارسول الله فانزل الله عزوجل (ليس على الاعمى حرج ولاعلى الاعرج حرج ولاعلى المريض حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة فى جواز ترك الجهاد لان اصحابها لايقدرون على الكر والفر لان الاعمى لايمكنه الاقدام على العدو والطلب ولايمكنه الاحترازمنه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفى معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفى معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لايقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار اخر دون ماذكر وهى الفقر الذى لايمكن صاحبه ان يستصحب معه مايحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التى تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لايمكن الانتفاع به فى حرس ولاغيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به فى الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى امر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول) يعنى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا اليما) يعنى فى الآخرة * قوله عزوجل (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعنى بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولايفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبدالرحمن قال انطلقت حاجا

فررت بقوم يصلون فقلت ماهذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فأخبرته فقال سعيد كان ابى ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم فضحك وفى رواية عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لقد رايت الشجرة ثم اتيتها بعدعام فلم اعرفها وروى ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجر (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن ابى الزبير انه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الانصارى اختفى تحت بطن بعيره زاد فى رواية قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذى عن جابر فى قوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبدالله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة قال ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبدالله بن ابى اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ماذكر محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن امية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ماجاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يارسول الله انى اخاف على نفسى قريشا وليس بمكة من بنى عدى بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها منى عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم اردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به فقال ماكنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وقد تقدم ايضا الجمع بين هذا

عن ذوات الله تعالى فكل ما تصوروا وتخيلوا كان شيأ جسمانيا ولهذا كذبوا الانبياء فى اثبات الآخرة والبعث والنشور وكل مايتعلق بالمعاد اذلا يتعدى ادراكهم الحياة الدنيا وعقولهم المحجوبة عن نور الهداية امور المعاش فلامناسبة اصلا بين ذواتهم وذوات الانبياء الا فى ظاهر البشرية فلا حاجة الى ماوراءها * ولما سمعوا من اسلافهم قول الاوائل من الحكماء فى اثبات النفوس الملكية وتأنيثهم اياها اما باعتبار اللفظ واما باعتبار تأثرها وانفعالها عن الارواح المقدسة العقلية مع وصفهم اياها بالقرب من الحضرة الالهية توهموا انوثها فى الحقيقة التى هى بازاء الذكورة فى الحيوان مع اختصاصها بالله فجعلوها بنات وقلما يعتقدها العامى الا صورا انسية لطيفة فى غاية الحسن (وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) لما سمعوا من الانبياء تعليق الاشياء بمشيئة الله تعالى افترضوه وجعلوه ذريعة فى الانكار وقالوا ذلك لا عن علم وايقان بل على سبيل العناد والافحام

وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بنى اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا جد بن قيس اخو بنى سلمة قال جابر فكأنى انظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر من امر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وقوله تعالى (فعلم ما فى قلوبهم) يعنى من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم مافى قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فانزل السكينة) يعنى الطمأنينة (عليهم) يعنى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لايفروا وفى هذه الآية لطيفة وهى ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عزوجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قول تعالى فى الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة ويشهد لصحة ماتلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء فى فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم مافى قلوبهم من الصدق والايمان فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب فى قوله فعلم مافى قلوبهم قلت قوله فعلم مافى قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم مافى قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التى عندها علم الله بصدقهم والفاء فى قوله فانزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم مافى قلوبهم رضى عنهم فانزل السكينة عليهم * وقوله تعالى (واثابهم فتحا قريبا) يعنى خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى من اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعنى منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على ايديكم * قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعنى المغانم التى تغنمونها من الفتوحات التى تفتح لكم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التى يعطيهم الله عزوجل فى المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهى فى جنب ماوعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف ايدى الناس عنكم) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من بنى اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عزوجل ايديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم وقيل المعنى ان الله عزوجل كف ايدى اهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ماتقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعنى ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على ان ماوهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا ان الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم

ولهذا ردهم الله تعالى بقوله (مالهم بذلك من علم) اذ لو علموا ذلك لكانوا موحدين لاينسبون التأثير الا الى الله فلا يسعهم الا عبادته دون غيره اذ لايرون حينئذ لغيره نفعا ولا ضرا (ان هم الا يخرصون) لتكذيبهم انفسهم فى هذا القول بالفعل حين عظموهم وخافوهم وخوفوا انبياءهم من بطشهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولما خوفوا ابراهيم عليه السلام كيدهم اجاب بقوله ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيأ الى قوله وكيف اخاف ما اشركتم (ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابرهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية

صراطاً مستقيما) يعنى ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتهم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

﴿ ذكر غزوة خيبر ﴾

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع (ق) عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما مالم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * ونحن عن فضلك مااستغنينا

فثبت الاقدام ان لاقينا * وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * اذا الحروب اقبلت تلتهب

قال وبرز له عمى عامر فقال

قد علمت خيبر انى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكى فقلت يارسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلنى الى على وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله او يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ واعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * اذا الحروب اقبلت تلتهب

فقال على رضى الله عنه

انا الذى سمتنى امى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * اوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس بن مالك وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم

فى عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عندربك للمتقين) لما لم يكونوا اهل معنى ولا حظ لهم الامن الصورة لم يتصوروا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ يعظمونه به اذلا مال له ولا حشمة ولا جاه عندهم وعظم فى اعينهم الوليد بن المغيرة واضرابه كأبى مسعود الثقفى وغيره لمكان حشمتهم ومالهم وخدمهم فاستخفوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لايناسب حاله

اصطفاء الله اياه وكرامته عنده ولوكان هذا القرآن من عندالله لاختارله رجلا عظيما كالوليد وابي مسعود فانزل عليه لتناسب حاله عظمة الله فردهم الله لانهم ليسوا بقاسمي رحمة الدين والهداية التي لاحظ لهم منها ولا معرفة لهم بها بل ليسوا بقاسمي ماهم يعرفونه ويتصرفون فيه من المعيشة والحطام الدنيوي الذي يتهالكون على كسبه ولا يقصدون الا اياه فكيف بما لم يشموا عرفه ولم يعرفوا حاله (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو قرين) قرئ يعش بضم الشين وفتحها والفرق ان عشا يستعمل اذا نظر نظر العشى لعارض او متعمد امن غيرافة في بصره وعشى اذا ايف بصره فعل الاول معناه ومن كان له استعداد صاف وفطرة سليمة لادراك ذكر الرحمن اى القرآن النازل من عنده وفهم معناه وعلم كونه حقا فتعامى عنه لغرض دنيوي وبغي وحسدا ولم يفقهه ولم يعلم حقيقته لاحتجابه بالغواشي الطبيعية واشتغاله باللذات الحسية عنه او لاغترازه

فخرج الى الناس فاخذ ابوبكر الراية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن ابى طالب فضربه الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى اخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت امه صفية بنت عبدالمطلب يقتل ابنى يارسول الله قال ابنك يقتله ان شاءالله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحق فكان اول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن ابى الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيى بن اخطب جاء بها بلال وباخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وامر بصفية فجهزت خلفه والقى عليها رداء فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى انزعت منك الرحمة يابلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ماهذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها فسألها عن ذلك ماهو فاخبرته الخبر واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ارأيت ان وجدناه عندك انقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله مابقى فابى ان يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام ان يعذبه حتى يستأصل ماعنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى اشرف عن نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة الغلس فركب نبى الله صلى الله عليه وسلم وركب ابوطلحة وانا رديف ابو طلحة فاجرى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعنى الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبى فجاء دحية فقال يارسول الله اعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله

اعطيت دحية صفية بنت حي سيدة قريضة والنضير لاتصلح الالك قال ادعوه فجاء بهافلما نظر اليهاالنبي صلى الله عليه وسلم قال خذجارية من السبي غيرها قال فاعتقهاالنبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت ياابا حزة مااصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتهاله ام سليم فاهدتهاله من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعافجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الآخر يجئ بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به ربسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الآخر يجئ بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبدالله بن ابى اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالى خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفؤا القدور ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيأ فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة (ق) عن انس ان امرأة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجئ بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقال اردت لاقتلك فقال ماكان الله ليسلطك على ذلك او قال على قالوا انقتلها قال لا فمازلت اعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه ياعائشة ماازال اجد الم الطعام الذى اكلت بخيبر فهذا او ان وجدت انقطاع ابهرى من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر فى امارته الى تيماء واريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ان يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلواله الاموال ففعل بهم ثم ان اهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولاركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعنى مشوية وسألت اى عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فامابشر فاساغها يعنى ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم

بدنـه وما هو عليـه من اعتقـاده ومذهبه الباطل نقيض له شيطانا جنيـا فيغويه بالتسويل والتزيين لما انهمك فيه من اللذات وحرص عليه من الزخارف اوبالشبه والاباطيل المغوية لما اعتكف عليه بهواه من دينه اونسيا يغويه ويشاركه فى امره ويجانسه فى طريقه ويبعده عن الحق وعلى الثانى معناه ومن ايف استعداده فى الاصل وشق فى الازل بعمى القلب عن ادراك حقـائق الذكر وقصر عن فهم معناه نقيض له شيطانا من نفسه اومن جنسه يقـارنه فى ضلالته وغوايته (وانهم ليصدونهم عن السبيل) وان الشياطين يصدون قرناءهم عن طريق الوحدة وسـبيل الحق (ويحسبون انهم مهتدون) الهداية فيما هم عليه (حتى اذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) اى حضر عقابنـا اللازم لاعتقاده واعماله والعذاب المستحق لمذهبه ودينه تمنى غاية البعد بينه وبين شيطانه الذى اضله عن الحق وزين له ماوقع بسببه فى العذاب واستوحش من قرينـه

يخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك فقال بلغت من قومي مالا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال ياام بشر مازالت اكلة خيبر التى اكلت مع ابنك تعاودنى فهذا اوان انقطاع ابهرى فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة * عن عبيدالله بن سلمان ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبى فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يارسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ماربحه احد من اهل هذا الوادى قال ويحك وماربحت قال مازلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلثمائة اوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئك بخير ربح قال وماهو يارسول الله قال ركعتان بعد الصلاة اخرجه ابوداود ※ قوله تعالى (واخرى لم تقدروا عليها) يعنى وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها (قد احاط الله بها) يعنى حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هى فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هى خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هى مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى آخر الزمان (وكان الله على كل شئ قديرا) اى من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) اى اسد وغطفان واهل خيبر (لولوا الادبار) اى لانهزموا عنكم (ثم لايجدون وليا ولانصيرا) يعنى من تولى الله خذلانه فلاناصر له ولا مساعد (سنة الله التى قد خلت من قبل) يعنى هذه سنة الله فى نصر اوليائه وقهر اعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) ※ قوله عزوجل (وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ماروى عن انس ابن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزنى كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى اصل الشجرة التى قال الله فى القرآن وعلى ظهره غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته على ظهره وعلى بن ابى طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد اوهل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لافخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذى كان اعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم يعنى ايدى اهل مكة وايديكم عنهم اى قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادى مكة (من بعد ان اظفركم عليهم) اى مكنكم حتى ظفرتم بهم (وكان

واستذمه لعدم الوصلة الطبيعية او انقطاع الاسباب بينهما بفساد الآلات البدنية (ولن ينفعكم اليوم اذظلمتم انكم فى العذاب مشتركون افانت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون ومانريهم من آية الا هى اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا ياايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولايكاد يبين فلولا القى عليه اسورة من

الله بما تعملون بصيرا) * قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)
﴿ذكر صلح الحديبية﴾ روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة قلد الهدى واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتى عتبة الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا على ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فتصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله او ترون ان نؤم البيت لا نريد قتال احد ولا حربا فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يارسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذير القريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كانت بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت القصوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصوا وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينا هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشئ وقال ذووالراى منهم هات ماسمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اى قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم

ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير ام هو ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون ان هو الاعبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) التمنى وقت حلول العذاب واستحقاق العقاب اذ ثبت وصح ظلمكم في الدنيا وتبين عاقبته وكشف عن حاله لا نكم مشتركون في العذاب لاشتراككم في سببه اولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب من شدته وايلامه (وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها) اى ان عيسى عليه السلام مما يعلم به القيامة الكبرى وذلك ان نزوله من اشراط الساعة قيل في الحديث ينزل على ثنية من الارض المقدسة اسمها افيق وبيده حربة يقتل بها الدجال ويكسر الصليب ويهدم

البيع والكنائس ويدخل بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على دين محمد صلى الله عليه وسلم فالبنية المسماة افيق اشارة الى مظهره الذى يتجسد فيه والارض المقدسة الى المادة الطاهرة التى يتكون منها جسده والحربة اشارة الى صورة القدرة والشوكة التى تظهر فيها وقتل الدجال بها اشارة الى غلبته على المغلب المضل الذى يخرج هو فى زمانه وكسر الصليب وهدم البيع والكنائس اشارة الى رفعه للاديان المختلفة ودخوله بيت المقدس اشارة الى وصوله الى مقام الولاية الذاتية فى الحضرة الالهية الذى هو مقام القطب وكون الناس فى صلاة الصبح اشارة الى اتفاق المحمديين على الاستقامة فى التوحيد عند طلوع صبح يوم القيامة الكبرى بظهور نور شمس الوحدة وتأخر الامام اشارة الى شعور القائم بالدين المحمدى فى وقته بتقدمه على الكل فى الرتبة

فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد ارايت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابوبكر رضى الله عنه امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابوبكر قال اما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى ولم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اى غدر الست اسعى فى غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امر ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه وقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال قد رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من عرض الوادى فى قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابى لاعلم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى تأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال مكرز بن حفص فقال دعونى آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرنى ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال

سهيل اماالرحمن والله ماادرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله مانكتبها الابسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال لما اكتب هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لوكنا نعلم انك رسول الله ماصددناك عن هذا البيت ولاقاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبدالله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبدالله قال الزهرى وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لايسالونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لاتتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لايأتيك منا رجل وان كان على دينك الارددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله مامنعناك شيأ ولكن انت محمد بن عبدالله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبدالله ثم قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لاامحوك ابدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وفى رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبدالله قال البراء على ثلاثة اشياء على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولايدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس ان قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاء نامنكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يارسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا * رجعنا الى حديث الزهرى * قال بينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد اول من اقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انالم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شئ ابدا قال النبى صلى الله عليه وسلم فأجره لى قال ماانا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ماانا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال ابوجندل اى معشر المسلمين اردالى المشركين وقد جئت مسلما الاترون مالقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يااباجندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لانغدر فوثب عمر الى جنب ابى جندل وجعل يقول اصبر يااباجندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم امر ابى جندل شرا الى مابهم قال عمر والله ماشككت منذ اسلمت الايومئذ قال الزهرى فى حديثه عن مروان والمسور ورواه ابووائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل

لمكان قطبيته وتقدم عيسى عليه السلام اياه واقتداؤه به على الشريعة المحمدية اشارة الى متابعته لملة المصطفوية وعدم تغييره للشرائع وان كان يعلمهم التوحيد العيانى ويعرفهم احوال القيامة الكبرى وطلوع الوجه الباقى هذا اذا كان المهدى عيسى بن مريم على ماروى فى الحديث لامهدى الا عيسى بن مريم وان كان المهدى غيره فدخوله بيت المقدس وصوله الى محل المشاهدة دون مقام القطب والامام الذى يتأخر هو المهدى وانما يتأخر مع كونه قطب الوقت مراعاة لادب صاحب الولاية مع صاحب النبوة وتقديم عيسى عليه السلام اياه لعلمه بتقدمه فى نفس الامر لمكان قطبيته وصلاته خلفه على الشريعة المحمدية اقتداؤه به تحقيقا للاستفاضة منه ظاهرا وباطنا والله اعلم وانما قال (واتبعون هذا صراط مستقيم) لان الطريقة المحمدية هى صراط الله لكونه باقيا به بعد الفناء فدينه دين الله وصراطه صراط الله واتباعه اتباع

قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى قلت اولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى افاخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به قال بلى افاخبرك انه آتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ماقام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على ام سلمة فذكر لها مالقى من الناس قالت ام سلمة يا نبى الله اتحب ذلك اخرج ثم لاتكلم منهم احدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى هداياه جملا لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا فى الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابى سفيان والاخرى صفوان بن امية قال فنهاهم ان يردوا النساء وامرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارنى انظر اليه فاخذه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فوالله مابرح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله اوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم فانجانى الله تعالى منهم فقال

الله فلا فرق بين قوله واتبعونى وقوله واتبعوا رسولى ولهذا كان متابعته تورث محبة الله اذ طريقه هى طريق الوحدة الحقيقية التى لااستقامة الا بها ولهذا لم يسع عيسى الا اتباعه عند الوصول الى الوحدة وارتفاع الاثنينية يوجب المحبة الحقيقية (ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لايشعرون) اى ظهور المهدى دفعة وهم غافلون عنه (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ماتشتهيه الانفس

النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لوكان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل امه مسعر حرب لوكان معه احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابوجندل فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه فهو آمن فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وانزل الله عزوجل وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت اخرجه البخاري بطوله سوى الفاظ منه وهي مستثناة فى الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله مازال يجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا ياحليس حتى نأخذ لانفسنا ما ترضى به ومنها قوله هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهرى ومنها قوله وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياابا جندل الى قوله قال عمر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري فى صحيحه * شرح غريب الفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع فى العدد بالكسر وقد يفتح هو مابين الثلاثة الى التسعة وقيل مابين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له اى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء من القارة انضموا الى بني ليث فى محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين اى منقوصين قوله فنفذوا اى مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدى الجيش ليطلعوا على اخبار العدو قوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير الذى يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصواء يعنى انها لما توقفت عن المشي وتقهقرت ظنوا ذلك خلا فى خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت اى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اى منعها عن المسير والذى منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصواء اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق الاذن قوله خطة اى حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروضه ومايجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهى قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه فى المطالع والثمد الماء القليل الذى لامادة له والتبرض اخذ الشئ قليلا قليلا وقوله فما زال يجيش بارى يقال جاشت

وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون) الخلة امان تكون خيرية اولا والخيرية اما ان تكون فى الله اولله والغير الخيرية اما ان يكون سببها اللذة النفسانية او النفع العقلى والقسم الاول هو المحبة الروحانية الذاتية المستندة الى تناسب الارواح فى الازل لقربها من الحضرة الاحدية وتساويها فى الحضرة الواحدية التى قال فيها فما تعارف منها ائتلف فهم اذا برزوا فى هذه النشأة واشتاقوا الى اوطانهم فى القرب وتوجهوا الى الحق وتجردوا عن ملابس الحس ومواد الرجس فلما تلاقوا تعارفوا واذا تعارفوا تحابوا لتجانسهم الاصلى وتماثلهم الوضعى وتوافقهم فى الوجهة والطريقة وتشابههم فى السيرة والغريزة وتجردهم عن الاغراض الفاسدة والاعراض الذاتية التى هى سبب العداوة وانتفع كل منهم بالآخر فى سلوكه وعرفانه وتذكره لاوطانه والتذ بلقائه وتحقق بصفاته وتعاونوا فى امور الدنيا والآخرة فهى الخلة التامة الحقيقية التى لاتزول ابدا

البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والرى ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته فى ذلك قوله نزلوا على اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذى لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهى الناقة اذا وضعت الى ان يقوى ولدها وقيل هى كل انثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهى الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس واراد بهم ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب اى اضرت بهم واثرت فيهم وقوله مادتهم اى جعلت بينى وبينهم مدة قوله والا فقد جموا اى استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتى السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله انى استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت فى الجاهلية معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد واصل التبلح الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك اجتاح اصله من الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان فى مبالغة الاذى قوله انى لارى وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك اى جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهى اسم صنم كانوا يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهى الخاتنة من الهنة التى تكون فى فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتمًا لهم يدور فى السنتهم قوله لولا يد لك عندى اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله اى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غى والرشد والرشاد خلاف الغى والمراد منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا فى هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن اى الابل تهدى الى البيت فى حج او عمرة وتقليدها هو ان يجعل فى رقابها شئ كالقلادة من لحاء الشجر او نعل او غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه اى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى اى جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث فى شر وهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه اى فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشئ واتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء وروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق فى مؤخرة الرجل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان وهو مشى المقيد قوله فاجزه لى قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاى من الاجازة اى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم او اطلقه لى وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح فى هذا الموضع قوله فلم نعطى الدنية اى القضية التى لا نرضى بها اى لم نرض بالادون والاقل فى ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لا يجوز لاحد تركه قوله ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها ايضا ومسعر حرب اى موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه

كمحبة الاولياء والانبياء والاصفياء والشهداء والقسم الثانى هو المحبة القلبية المستندة الى تناسب الاوصاف والاخلاق والسير الفاضلة ونشاته الاعتقادات والاعمال الصالحة كمحبة الصلحاء والابرار فيما بينهم ومحبة العرفاء والاولياء اياهم ومحبة الانبياء العامة اممهم والقسم الثالث هو المحبة النفسانية المستندة الى اللذات الحسية والاغراض الجزئية كمحبة الازواج لمجرد الشهوة ومحبة الفجار والفساق المتعاونين فى اكتساب الشهوات واجتلاب الاموال والقسم الرابع هو المحبة العقلية المستندة الى تسهيل اسباب المعاش وتيسير المصالح الدنيوية كمحبة التجار والصناع ومحبة المحسن اليه للمحسن فكل ما استند الى غرض فان وسبب زائل زال بزواله وانقلب عند فقدانه عداوة لتوقع كل من المتحابين ما اعتاد من صاحبه من اللذة المعهودة والنفع المألوف مع عدمه وامتناعه لزوال سببه ولما كان الغالب على اهل العالم احد القسمين

وساحله والله اعلم واما تفسير الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم اى منعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به (والهدى) اى وصدوا الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) اى محبوسا (ان يبلغ محله) اى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) اى لم تعرفوهم (ان تطؤهم) اى بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) اى اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله اوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعتبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة اوسيئة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم فى دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك السبب (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) اى فى دين الاسلام من يشاء اى من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لو تزيلوا) اى او تمكن المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما) اى بالسبى والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثانى لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات فى رحمته اى فى جنته قال قتادة فى الآية ان الله تعا يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة ❁ قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) اى الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لايدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التى دخلت قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) اى حتى لايدخلهم مادخلهم من الحمية فيعصون الله فى قتالهم (والزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لااله الا الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال على وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال عطاء الخراسانى هى لااله الا الله محمد رسول الله وقال الزهرى هى بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا احق بها) اى من كفار مكة (واهلها) اى كانوا اهلها فى علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شئ عليما) يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير ❁ قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين رؤياه التى رآها فانزل الله هذه الآية ودخلوا فى العام المقبل وروى عن مجمع ابن حارثة الانصارى قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم مابال الناس قال اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا

الاخيرين الطاق الكلام وقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لانقطاع اسباب الوصلة بينهم وانتفاء الآت البدنية عنهم وامتناع حصول اللذة الحسية والنفع الجسمانى وانقلابهما حسرات وآلاما وضررا وخسرانا قد زالت اللذات والشهوات وبقيت العقوبات والتبعات فكل يمحق صاحبه ويبغضه لانه يرى مابه من العذاب منه وبسببه ثم استثنى المتقين المتناولين للقسمين الباقيين لقلتهم كما قال وقليل ما هم وقليل من عبادى الشكور ولعمرى ان القسم الاول اعز من الكبريت الاحمر وهم الكاملون فى التقوى البالغون الى نهايتها الفائزون بجميع مراتبها اجتنبوا اولا المعاصى ثم الفضول ثم الافعال ثم الصفات ثم الذوات فمابقيت منهم بقايا حتى يتمنا فسوافيها ويفنوا بها عن حبيبهم فيفسد محبتهم بل ماءبقى منهم الا نفس الحب واما الفريق الثانى فانتصروا على الرتبة الاولى وقنعوا بظاهر التقوى فرضوا من الآخرة بما اوتوا من النعيم وتسلوا

نرجف فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمرا هو فتح يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح هو صلح الحديبيه وتحقيق الرؤيا كان فى العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اخبر ان الرؤيا التى اراه اياها فى مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق اى الذى رآه حق وصدق وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما لان الحق من اسماء الله تعالى اوقسما بالحق الذى هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عزوجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتأكيد القوله ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول فى عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لابقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لاعلى الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم انا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لايشك فى الموت (محلقين رؤسكم) اى كلها (ومقصرين) اى تأخذون بعض شعوركم (لاتخافون) اى من عدو فى رجوعكم لان قوله آمنين فى حال الاحرام لانه لاقتال فيه وقوله لاتخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفى حال الرجوع (فعلم مالم تعلموا) يعنى علم ان الصلاح كان فى الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم فى السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه فى السنة الاولى (فجعل من دون ذلك) اى من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعنى صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر ❊قوله عزوجل (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا بيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لايرى رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله امر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) اى يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) اى فى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ماصددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا اى فى انه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) اى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره فى قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال (والذين معه) يعنى اصحابه المؤمنين (اشداء على الكفار) اى غلاظ اقوياء كالاسد على فريسته لاتأخذهم فيهم رافة (رحماء بينهم) اى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال فى حقهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) اى يطلبون (فضلا من الله) يعنى الجنة (ورضوانا) اى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله تعالى والمرائى بعمله لايبتغى له اجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين

عن الدنيا ومافيها بالفضل الجسيم فتبقى محبتهم فيما بينهم لبقاء اسبابها وهى الصفات المتماثلة والهيآت المتشابهة فى ابتغاء مرضاة الله وطلب ثوابه واجتناب سخط الله وعقابه فهم العباد المرتضون اى كلا القسمين لاشتراكهما فى طلب الرضا فلذلك نسبهم الى نفسه بقوله ياعباد لاخوف على الفريقين لأمنهم من العقاب ولاهم يحزنون على فوات لذات الدنيا لكونهم على الذها وابهج واحسن حالا واجل وان تفاوت حالهم فى اللذة والسرور والروح والحبور بما لايتناهى وشتان بين محمد ومحمد * والجنة التى امروا بدخولها هى جنة النفس لاشتراك الفريقين فيها دون جنتى الصفات والذات المخصوصتين بالسابقين بدليل قوله بعده (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) وانما الجنة التى هى ثواب الاعمال جنة النفس لقوله وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم

معه يعنى ابابكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن ابى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) اى علامتهم (فى وجوههم من اثر السجود) واختلفوا فى هذه السيما على قولين احدهما ان المراد فى يوم القيامة قيل هى نور وبياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله فى الدنيا وهى رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود فى وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك فى رجلين احدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر فى اللهو واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلى نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم فى التوراة) يعنى ذلك الذى ذكر صفتهم فى التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم فى الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) اى صفتهم (فى الانجيل كزرع اخرج شطأه) اى افراطه قيل فراخه قيل هو نبت فاخرج بعده فهو شطؤه (فآزره) اى قواه واعانه وشدازره (فاستغلظ) اى غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) اى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق اى على اصوله (يعجب الزراع) اى يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء اصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابوبكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن ابى طالب يعجب الزراع يعنى جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن انس من اصبح وفى قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية

﴿ فصل فى فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال القرن الذى انا فيه ثم الثانى ثم الثالث قوله خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم يعنى الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل اهل زمان قيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر فى الجنة وعمر بن الخطاب فى الجنة وعثمان بن عفان فى الجنة وعلى بن ابى طالب فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن ابى وقاص

فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يامالك) سمى خازن النار مالكا لاختصاصه بمن ملك الدنيا وآثرها لقوله تعالى فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى كما سمى خازن الجنة رضوانا لاختصاصه بمن رضى الله عنهم ورضوا عنه وقيل الرضا بالقضاء باب الله الاعظم وهو الطبيعة الجسمانية الموكلة بأجساد العالم والهيولى الظلمانية اوالنفس الحيوانية الكلية الموكلة بالتأثير فى الاجساد الحيوانيه المستعلية على النفوس الناطقة المحبوسة فى قيود اللذات الحسية والمطالب السفلية وانما لاتعذب بالنار لكونه من جوهر تلك النار فهى له جنة وللجهنميين نار لتنافى جواهرهم وجوهرها وتباينهما واختصاص ندائهم بمالك دون الله تعالى لاحتجابهم وبعدهم عن الله بالكلية وتعبدهم لمالك بالنية والامنية وماذلك النداء الا توجههم اليه وطلب المراد منه ودعوتهم بقولهم (ليقض علينا ربك)

فى الجنة وسعيدبن زيد فى الجنة وابو عبيدة بن الجراح فى الجنة اخرجه الترمذى واخرج عن سعيدبن زيدنحوه وقال هذا اصح من الحديث الاول * عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتى بامتى ابوبكر واشدهم فى امر الله عمر واشدهم حياء عثمان واقضاهم على واعلمهم بالحلال والحرام معاذبن جبل وافرضهم زيدبن ثابت واقرؤهم ابى بن كعب ولكل قوم امين وامين هذه الامة ابوعبيدة بن الجراح وما اظلت الخضراء ولااقلت الغبراء اصدق لهجة من ابى ذراشبه عيسى فى ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يارسول الله قال نعم اخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين احدهما الى قوله ابوعبيدة بن الجراح والآخر الى ابى ذر (خ) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت احدا راه ضربه برجله فانما عليك نبى وصديق وشهيدان * عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اقتدوا باللذين بعدى من اصحابى ابى بكر وعمر واهتدوا بهدى عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اى الناس احب اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا * عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابابكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار واعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن زر بن جبيش قال سمعت عليا يقول والذى فلق الحبة وبرا النسمة انه لعهد النبى الامى الى انه لايحبنى الا مؤمن ولا يبغضنى الا منافق عن عبدالله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد يموت من اصحابى بارض الابعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقد روى عن ابى بريدة مرسلا وهو اصح (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن ابى هريرة نحوه اخرجه مسلم * عن عبدالله بن معقل المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى لاتتخذوهم غرضا من بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد آذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من فى قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعنى من الشطء الذى اخرجه الزرع وهم الداخلون فى الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لاعلى لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة واجرا عظيما) يعنى الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الحجرات ﴾

﴿ وهى مدنية وهى ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث واربعون كلمة والف واربعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

اشارة الى تمنى زوال بقية الاستعداد بالكلية واماتة الغريزة الفطرية لئلا يتأذوا بالهيئآت المؤذية والنيران المردية اوتمنى تعطل الحواس وعدم الاحساس لشدة التألم بالعذاب الجسمانى و (قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم) اشارة الى المكث المقدر بحسب رسوخ الهيآت وارتكام الذنوب والآثام ان كانت الاستعدادات باقية والاعتقادات صحيحة او الخلود فيها ان لم تكن فان المكث اعم من المتناهى وغيره وكذا المجرم اعم من الشقى الاصلى وغيره وعلى هذا حملنا الخلود فى قوله ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون على المكث الطويل الاعم من المتناهى وغيره فانه قد يستعمل فى العرف بمعناه كثيرا مجازا وانما جعلنا المجرم شاملا للقسمين المذكورين من الاشقياء لمقابلته للتقى الشامل للقسمين المذكورين من السعداء

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) من التقديم اى لاينبغى لكم
ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لاتقدموا فعلا بين يدى الله ورسوله والمعنى لاتقدموا بين يدى
امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لاتجعلوا لانفسكم تقدما عند النبى صلى الله عليه وسلم وفيه
اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لاتعجلوا
بقول اوفعل قبل ان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقبل ان يفعله وقيل لاتقولوا
بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا فى معنى الآية فروى عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى اى
لاتذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبى صلى الله عليه وسلم
فامروا ان يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول مانبدأ به
يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلى فانما هو لحم
عجله لاهله ليس من النسك فى شئ زاد الترمذى فى اوله قال خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم
يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك اى لاتصوموا قبل نبيكم
* عن عمار بن ياسر قال من صام فى اليوم الذى يشك فيه فقد عصى اباالقاسم صلى الله عليه وسلم
اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقيل فى سبب نزول هذه الآية ماروى
عن عبدالله بن الزبير انه قدم وفد من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابوبكر امر
القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابوبكر مااردت الا خلافى
وقال عمر مااردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل فى ذلك ياايها الذين امنوا لاتقدموا بين
يدى الله ورسوله حتى انقضت زاد فى رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
حتى يستفهمه اخرجه البخارى وقيل نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو نزل فى كذا اوصنع كذا
وكذا فكره الله ذلك وقيل فى معنى الآية لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى
يقضيه الله على لسانه وقيل فى القتال وشرائع الدين اى لاتقضوا امرا من دون الله ورسوله
(واتقوا الله) اى فى تضييع حقه بمخالفة امره (ان الله سميع) اى لاقوالكم (عليم) اى
بافعالكم * قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى لاتجعلوا
كلامكم مرتفعا على كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على
قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لاتقدموا نهى عن فعل وقوله لاترفعوا اصواتكم نهى عن
قول (ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) امرهم ان يجلوه ويفخموه ويعظموه
ولايرفعوا اصواتهم عنده ولاينادوه كماينادى بعضهم بعضا فيقول يامحمد بل يقولون يارسول الله
يانبى الله (ان تحبط اعمالكم) اى لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم (وانتم لاتشعرون)
اى بذلك (ق) عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبى الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبى صلى الله
عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ماشأن ثابت ايشتكى
فقال سعد انه لجارى وماعلمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

وان خصصناه بالشق
المردود المطرود فى الازل
كان المكث فى قوله انكم
ماكثون عبارة عن الابد
(بلى ورسلنا لديهم يكتبون)
كل ماخطر فينا بالباطل من
الاشرار ينتقش فى النفوس
الفلكية كما ينتقش فى الانسانية
لاتصالها بها وانتقاشها كما
هى اما فى القوى الخيالية
ان كانت جزئية واما فى
القوى العاقلة ان كانت
كلية وكلاهما يظهر على
النفس عند ذهولها عن
الحس ورجوعها الى ذاتها
وما كانت نساها تنعكس
اليها من النفوس الفلكية
عند المفارقة فتذكرها
دفعة وذلك معنى قوله
احصاه الله ونسوه فالرسل
الكاتبون هم النفوس
الفلكية المناسبة لكل واحد
واحد من الاشخاص
البشرية بحسب الوضع
المقارن لانصال النفس
بالبدن (قل ان كان للرحمن
ولد فأنا اول العابدين)
اى لذلك الولد وهو اما
ان يدل على نفى الولد عن
الله بالبرهان واما ان يدل
على نفى الشرك عن الرسول
بالمفهوم اما دلالته على
الاول فلما دل قوله (سبحان

فقال ثابت انزلت هذه الآية ولقدعلتم انى من ارفعكم صوتا على رسوالله صلى الله عليه وسلم فأنا من اهل النار فذكر ذلك سعدللنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زاد فى رواية فكنا نراه يمشى بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم وللبخارى نحوه وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى فمر به عاصم بن عدى فقال مايبكيك ياثابت قال هذه الآية اتخوف ان تكون انزلت فى وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم اخاف ان يحبط عملى وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبدالله بن ابى بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرشى فشدى على الضبة بمسمار فضربتها بمسمار وقال لااخرج حتى يتوفانى الله او يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده فى بيت الفرش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياثابت فقال اناصيت واتخوف ان تكون هذه الآية نزلت فى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لاارفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله تعالى (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) الآية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشى بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعى فذهب به وهو فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعى وأت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دينا حتى يقضيه عنى وفلان من رقيق عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ماوصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابابكر بتلك الرؤيا فاجاز ابوبكر وصيته قال مالك بن انس لااعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابوهريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان ابوبكر لايكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخى السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ماحدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اى يخفضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اجلالا له وتعظيما (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اى اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه (لهم مغفرة واجر عظيم) * قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزازى فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا فى اهله فلما رأتهم الذرارى اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء

رب السموات ورب الارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) على نفى التلى وهو عبادة الولد اى اوحده وانزهه تعالى عما يصفونه من كونه مماثلا لشئ لكونه ربا خالقا للاجسام كلها فلا يكون من جنسها فيفيد انتفاء الولد على الطريق البرهانى واما دلالته على الثانى فاذا جعل قوله سبحان رب السموات الى آخره من كلام الله تعالى لامن كلام الرسول اى نزه رب السموات عما يصفونه فيكون نفيا للمقدم ويكون تعليق عبادة الرسول من باب التعليق بالمحال والمعلق

رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجرة فجعلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا
ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل
عليه السلام فقال الله تعالى يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اترضوا ان يكون بينى وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم
وعمى شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (اكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل
فى معنى الآية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله
وهم الاكثر (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا
به من سوء الادب وطلب العجلة فى الخروج (لكان خيرا لهم) اى الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا
وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم
وقيل نزلت الآية فى ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان
بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد
اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله
الذى مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك
ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا فقام
منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان
خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا المؤتى له تكلم
خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم احسن شعرا وقولا ثم دنا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان
تخلف فى ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازرى
به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) اى لمن تاب
منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش فى جنابه
فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الآيات * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان
جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن ابى معيط بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فلما
سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله
فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم
وارادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد

بالشرط عند عدمه لحوى
بدلالة المفهوم ابلغ عند
علماء البيان من دلالة المنطوق
كما قال فى استبعاد الرؤية
فان استقر مكانه فسوف
ترانى والله تعالى اعلم

سورة حم الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم والكتاب المبين انا
انزلناه فى ليلة مباركة)
الليلة المباركة هى بنية
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكونها حادثة مظلمة
ساترة لنور شمس الروح
ووصفها بالمباركة لظهور
الرحمة والبركة من الهداية
والعدالة فى العالم بسببها
وازدياد رتبته وكماله بها كما
سماها ليلة القدر لان قدره
عليه السلام معرفته بنفسه
وكماله انما يظهر بها الا ترى
ان معراجه انما كان بجسده
اذ لو لم يكن جسده لم يمكن
ترقيه فى المراتب الى التوحيد
وانزال الكتب فيها اشارة
الى انزال العقل القرآنى
الجامع للحقائق كلها
والفرقانى المفصل لمراتب
الوجود المبين لتفاصيل
الصفات واحكام تجلياتها
المميز لمعانى الاسماء واحكام
الافعال فيها وهو معنى قوله
فيها يفرق كل امر حكيم

فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى له ماقبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية فى عسكر وامره ان يخفى عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم مايدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ماتستعمل فى الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم اذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعنى الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو اولى من حكم الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ اى بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا اى فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولاتعتمدوا على قول الفاسق (ان تصيبوا) اى كيلا تصيبوا بالقتل والسبى (قوما بجهالة) اى جاهلين حالهم وحقيقة امرهم (فتصبحوا على مافعلتم) اى من اصابتكم بالخطا (نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله) اى فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفضحوا (لو يطيعكم) اى الرسول (فى كثير من الامر) اى مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) اى لاثمتم وهلكتم * عن ابى سعيد الخدرى انه قرأ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم فى كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) اى جعله احب الاديان اليكم (وزينه) اى حسنه وقربه منكم وادخله (فى قلوبكم) حتى اخترتموه لان من احب شيأ اذا طال عليه قد يسأم منه والايمان فى كل يوم يزداد فى القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصى الله تعالى وفى هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء فى مقابلة الايمان الكامل المزين فى القلب المحبب اليه والايمان الكامل مااجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر فى مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب فى مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجود وحبب اليه العمل الصالح بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (اولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين فى قلوبهم اى اولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) اى فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) اى بكم وبما فى قلوبكم (حكيم) فى امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما فى خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم * قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن انس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابى فانطلق اليه النبى صلى الله عليه

(وسلم)

او الى انزال الروح المحمدى الذى هو الكتاب المبين حقيقة فى صورتها او القرآن (انا كنا منذرين) لاهل العالم بوجوده (فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا) خص الامر الحكمى يكونه من عنده لان كل امر يبتنى على حكمة وصواب كما ينبغى من الشرائع والاحكام الفقهية انما يكون من عنده مخصوصا به مطابقا لما فى نفس الامر والا كان امرا مبنيا على الهوى والتشهى (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) تامة كاملة على العالمين بانزاله لاستقامة امورهم الدينية والدنيوية وصلاح معاشهم ومعادهم وظهور الخير والكمال والبركة والرشاد فيهم بسببه او مرسلين اياك لرحمة كاملة شاملة عليهم (انه هو السميع العليم) لاقوالهم المختلفة فى الامور الدينية الصادرة عن اهوائهم (العليم) بعقائدهم الباطلة وآرائهم الفاسدة وامورهم المخيلة ومعايشهم الغير المنتظمة فلذلك رحمهم بارسال الرسول الهادى الى الحق فى امر الدين الناظم لمصالحهم فى امر الدنيا المرشد الى

وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى ارض سبخة فلما اتاه النبى صلى الله عليه
وسلم قال اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل
واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدى والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن اسامة بن زيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد وراءه
يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه
عبدالله بن ابى ابن سلول وذلك قبل ان يسلم عبدالله بن ابى واذا فى المجلس اخلاط من المسلمين
والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفى المسلمين عبدالله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة
الدابة خمر عبدالله بن ابى انفه بردائه ثم قال لاتغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبدالله بن ابى بن سلول ايها المرء انه
لااحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص
عليه فقال عبدالله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا فى مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون
والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى
سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما
مماراة فى حق بينهما فقال احدهما للآخر لآخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر
دعاه ليحاكمه الى النبى صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول
بعضهم بعضا بالايدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها ام
زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقى بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها
فجاؤا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فانزل الله عزوجل وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج (فاصلحوا بينهما) اى بالدعاء الى حكم
كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) اى تعدت (احداهما على الاخرى)
وابت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ) اى ترجع (الى امر الله)
اى الى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته فى الصلح الذى امرت به (فان
فاءت) اى رجعت الى الحق (فاصلحوا بينهما بالعدل) اى الذى يحملهما على الانصاف والرضا
بحكم الله (واقسطوا) اى اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين (انما المؤمنون
اخوة) اى فى الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب والقرابة كعقد النسب
الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

ابى الاسلام لا اب لى سواه * اذا افتخروا بقيس او تميم

(فاصلحوا بين اخويكم) اى اذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) اى فلا تعصوه ولا تخالفوا
امره (لعلكم ترحمون) (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم
لايظلمه ولا يشتمه ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله

الصواب فيهما بتوضيح
الصراط المستقيم وتحقيق
التوحيد بالبرهان وتفنين
الشرائع وسنن الاحكام
لضبط الانتظام (رب
السموات والارض وما
بينهما ان كنتم موقنين لا اله
الا هو يحيى ويميت ربكم
ورب آبائكم الاولين بل هم
فى شك يلعبون فارتقب
يوم تأتى السماء بدخان مبين)
اى وقت ظهور آيات
القيامة الصغرى او الكبرى
فان الدخان من اشراطها
فاعلم ان الدخان هو من
الاجزاء الارضية اللطيفة
المتصاعدة عن مركزها
لتلطفها بالحرارة فان فسرنا
القيامة بالصغرى فالدخان
هو السكرة والغشية
والانقباضية العارضة لسماء
الروح عند النزع بسبب
هيئة التعلق البدنى والفترة
المرتكبة على وجهها من
مباشرة الامور السفلية
والميل الى اللذات الحسية
ولهذا قال عليه السلام فى
وصفه اما المؤمن فيصيبه
كهيئة الزكمة واما الكافر
فهو كالسكران يخرج من
منخريه واذنيه ودبره فان
المؤمن لقلة تعلقه بالامور
البدنية وضعف تلك الهيئة

بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ فصل فى حكم قتال البغاة ﴾ قال العلماء فى هاتين الآيتين دليل على ان البغى لايزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ماروى عن على بن ابى طالب وهو القدوة فى قتال اهل البغى وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لان المنافقين لايذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على البغى قاتلهم الامام حتى يفيؤا الى طاعته ثم الحكم فى قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على يوم الجمل الا لا يتبع مدبر ولا يقتل اسير ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتى على يوم صفين باسير فقال لا اقتلك صبرا انى اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى فى حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رايته اقتص من احد ولا اغرم مالا امن لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لامنعة لهم اولم يكن لهم تأويل اولم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق فى الحكم وروى ان عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لاحكم الا لله فقال على كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لانمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفئ مادامت ايديكم مع ايدينا ولانبدؤكم بقتال * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم) الآية نزلت فى ثلاثة اسباب السبب الاول من اولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان فى اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع مايقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلايكاد يوسع احد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا اقام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر اما له كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل راسه واستحيا فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى وفد بنى تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة

المستفادة من مباشرة الامور السفلية يقل انفعاله منها ويسهل زواله وخصوصا اذا اكتسب ملكة الاتصال بعالم الانوار واما الكافر فلشدة تعلقه وقوة محبته للجسمانيات وركونه الى السفليات تغشاه تلك الهيئة فتحيره وتشمله حتى عمت مشاعره الظاهرة والباطنة ومخارجه العلوية والسفلية فلايهتدى الى طريق لاالى العالم العلوى ولاالى العالم السفلى (يغشى الناس هذا عذاب اليم) ولما كان الغالب عليه التمنى والتندم فيتمنى ماكان فيه من الحياة والصحة ويندم على ماكان عليه من الفسوق والعصيان والفجور والطغيان قال بلسان الحال (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) او بلسان المقال على ماترى عليه حال بعض من وقع فى النزع من العصاة من التوبة وموعدة الرجوع الى الطاعة (انى لهم الذكرى) اى الا تعاظ والايمان بمجرد انكشاف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين) ماهو ابلغ منه من الرسول المبين طريق الحق بالمعجز والبرهان ودعاهم الى

لماراوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا لايسخرقوم من قوم اى لايستهزئ غنى بفقير ولامستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذوحسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عندالله خيرمنه ❊ وهوقوله تعالى (عسى ان يكونوا خيرامنهم) السبب الثانى قوله (ولانساء من نساء) اى لايستهزئ نساء من نساء (عسى ان يكن خيرا منهن) روى عن انس انها نزلت فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيى قال لها بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودى فبكت فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى فقال مايبكيك قالت قالت لى حفصة انى بنت يهودى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبى وعمك لنبى وانك لتحت نبى ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقى الله ياحفصة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولاتلمزوا انفسكم ولاتنابزوا بالالقاب) عن ابى جبيرة بن الضحاك هواخو ثابت بن الضحاك الانصارى قال فينا نزلت هذه الآية فى بنى سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الاوله اسمان اوثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يافلان فيقولون مه يارسول الله انه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ولاتنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اخرجه ابوداود وفى الترمذى قال كان الرجل منايكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الآية ولاتنابزوا بالالقاب قال الترمذى حديث حسن قوله تعالى ولاتلمزوا انفسكم اى لايعب بعضكم بعضا ولايطعن بعضكم فى بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لاتعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب احدا بعيب فكانه عاب نفسه وقيل لايخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو العائب لنفسه ولاتنابزوا بالالقاب اى لاتدعوا الانسان بغير ماسمى به وقال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله وقيل هوقول الرجل للرجل يافاسق يامنافق ياكافر قيل كان الرجل اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يايهودى يانصرانى فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك ياكلب ياحمار ياخنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب مايكرهه المنادى به اويفيد ذماله فاما الالقاب التى صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وماأشبه ذلك فلابأس بها اذالم يكرهها المدعوبها واما الالقاب التى تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلاتكره كما قيل لابى بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذوالنورين ولعلى ابوتراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الاسم ان تقول له يايهودى اويانصرانى بعدما اسلم اويافاسق بعدماتاب وقيل معناه ان من فعل مانهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلاتفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) اى من ذلك كله (فاولئك هم الظالمون) اى الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك ❊ قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذاغزا اوسافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما مايصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيأ لهما فلما قدما قالا له

سبيله بالطرق الثلاثة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى احسن (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) اعرضوا ونسبوه الى الجنون والتعليم المنافيين لفرط احتجابهم وعنادهم (انا كاشفوا العذاب قليلا) بتعطيل الحواس والادراكات (انكم عائدون) اليه (يوم نبطش البطشة الكبرى) اى وقت تمام الفراغ الى ادراك العذاب المؤلم بتلك الهيآت وتحقق الخلود (انا منتقمون) معذبون بالحقيقة او بالرد الى الصحة والحياة البدنية انكم عائدون الى الكفر لرسوخه فيكم يوم نبطش البطشة الكبرى بزوال الاستعداد وانطفاء نور الفطرة بالرين الحاصل من ارتكاب الذنوب والاحتجاب الكلى الموجب للعذاب الابدى كما قال كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ننتقم منهم بالحقيقة بالحرمان الكلى والحجاب الابدى والعذاب السرمدى وان فسرنا القيامة بالكبرى فالدخان هو حجاب الانية الذى يغشى الناس عند

ماصنعت شيأ قال لاغلبتني عيناي فنمت قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادم فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ماعندى شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ماامر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا آالى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تاكلان لحم سلمان واسامة فانزل الله عز وجل ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعنى ان يظن باهل الخير سوء نهى الله المؤمن ان يظن باخيه المؤمن شرا وقيل اهو ان يسمع من اخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ او يدخل مدخلا لا يريد به سوا فيراه اخوه المسلم فيظن شرا لان بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الرائى مخطئا فاما اهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثورى الظن ظنان احدهما اثم وهو ان نظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم (ولا تجسسوا) اى لاتبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم حتى لايظهر على ماستره الله منها (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن لان الظن اكذب الحديث ولاتجسسوا ولاتحسسوا ولا تنافسوا ولاتحاسدوا ولا تباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشران يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لاينظر الى اجسادكم ولاالى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر مايقال فى الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولاتنافسوا اى لاترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها قوله ولاتدابروا اى لايعطى كل واحد منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولاتعيروهم ولاتتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال مااعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به اخرجه ابوداود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله

ظهور نور الوحدة بطغيان النفس لانتحال صفات الربوبية وغلبة سكرة يوم الجمع الموروثة للاباحة اذ هو من بقية النفس الارضية اللطيفة بنور الوحدة المرتقية الى محل الشهود التى تأتى بهما سماء الروح التأثيره فيها بالتنوير اذ لم تحترق بالكلية بنار العشق بل صفت وتلطفت وتصعدت فأما المؤمن بالايمان الحقيقى الموحد التام الاستعداد المحب الغالب المحبة فيصيبه كهيئة الزكمة اى السكرة التى قال فيها ابو يزيد قدس الله روحه سبحانى مااعظم شانى والحسين بن منصور رحمه الله اناالحق ثم يرتفع عنه سريعا لمزيد العناية الالهية وقوة الاستعداد الفطرية وشدة المحبة الحقيقية فيتنبه لذلك ويتعذب به غاية التعذب ويشتاق الى الانطماس فى عين الجمع غاية الشوق فيقول هذا عذاب اليم ويطلب الفناء الصرف كما قال الحلاج قدس الله روحه

* بينى وبينك انى ينازعنى *
* فارفع بفضلك انى من البين *

ويدعو بلسان التضرع والافتقار ربنا اكشف

عليه وسلم قال من راى عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة (م) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة ※ قوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) اى لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قلت وان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة ※ قوله تعالى (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه آكد فى المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ فى الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس تخمشون وجوههم ولحومهم وفى نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم اخرجه ابو داود وقال ميمون بن سيار بينا انا نائم اذا بجيفة زنجى وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب احدا عنده ※ قوله تعالى (واتقوا الله) اى فى امر الغيبة واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) ※ قوله عز وجل (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقوله فى الرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله قال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الآية ونزل فى الذى لم يفسح له يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن العيص الحمد لله الذى قبض ابى ولم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيأ يغيره وقال ابو سفيان انى لا اقول شيأ اخاف ان يخبره رب السماء فنزل جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعنى آدم وحواء والمعنى انكم متساوون فى النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم ابناء رجل

عنا العذاب انا مؤمنون بالايمان العينى عند كشف الحجاب الانى انى لهم الذكرى من اين لهم ذكر الذات والايمان العينى فى مقام حجاب الانائية وقد جاءهم رسول مبين اى رسول العقل المبين لوجوداتهم وصفاتهم اى انما احتجبوا بحجاب الانية لظهور العقل واثباته لوجوداتهم فكيف ذكرهم للذات تحجب من تذكرهم مع كونهم عقلاء ثم بين كونهم عشاقا مشتاقين بقوله ثم تولوا عنه لقوة المحبة وفرط العشق وقالوا معلم اى من عند الله بافاضة العلم عليه مجنون مستور الادراك محجوب عن نور الذات كما قال جبريل عليه السلام لو دنوت انملة لاحترقت انا كاشفوا العذاب اى عذاب الحجاب والحرمان لاعراضهم بقوة العشق عن الرسول قليلا بطلوع نور الوجه الباقى واشراق سبحاته واحراقها ما انتهى اليه بصره من خلقه انكم عائدون بالتلوين الى حجاب بعد تجلى نور الذات لبقية الآثار الى وقت التمكين يوم نبطش البطشة الكبرى اى وقت الفناء الكلى

واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهى دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وبنى امية من لؤى ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبنى العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شئ يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والاسباط من بنى اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى احد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينسبون الى آبائهم (لتعارفوا) اى ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) قيل اكرم الكرم التقوى والام اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن ابى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذى اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس ان الناس رجلان برتقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم والمحجن عصا محنية الراس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعنى كبرها وفخرها (ان الله عليم) اى بظواهركم ويعلم انسابكم (خبير) اى ببواطنكم لا تخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهى ويأتى بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق ان يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب فى الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بتقى لان المتقى لم يترك ما امر به ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين ❊ قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت فى نفر من بنى اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات

والانطماس الحقيقى بحيث لا عين ولا اثر انا منتقمون اى ننتقم بالقهر الاحدى والافناء الكلى من وجوداتهم وبقاياهم فيطهرون عن الشرك الخفى بالوجود الاحدى واما الكافر اى المحجوب عن نور الذات المنزو بحجب الصفات المحروم عن الطمس عن عين الجمع بتوهم الكمال فيبقى فى مقام الانائية ويتفرعن وراء حجاب الانية كما قال اللعين انا ربكم الاعلى ما علمت لكم من آله غيرى فيخلع عن عنقه ربقة الشريعة ويسير بسيرة الاباحة ويجسر على المخالفات ويتزندق بارتكاب المعاصى وترك الطاعات فيكون من شرار الناس الذين قال فيهم شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حى فهو فى عدم التمييز والرجوع الى التفصيل والانهماك فى الدواعى الطبيعية والتعمق فى الجاهلية كالسكران غلب الهوى على عقله واحاط به الحجاب من جميع جهاته وظهر اثر الغى من مشاعره هذا عذاب اليم لكنه لا يشعر به لشدة انهماكه فى تفرعنه

واغلوا اسعارها كانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عزوجل قالت الاعراب آمنا اى صدقنا (قل لم تؤمنوا) اى لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا اسلمنا) اى استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابد ان لايكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد ابن ابى وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الى فقلت مالك عن فلان والله انى لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه بمثل ذلك ثم قال انى لاعطى الرجل وغيره احب الى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه زاد فى رواية قال الزهرى فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدى اعلم ان الاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ماهو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ماهو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لايحصل الابالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولايكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم ❊ وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله) اى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان (لايلتكم) اى لاينقصكم (من اعمالكم شيئا) اى من ثواب اعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) اى لم يشكوا فى دينهم (وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون) اى فى ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عزوجل (قل اتعلمون الله بدينكم) اى تخبرون الله بدينكم الذى انتم عليه (والله يعلم مافى السموات ومافى الارض) اى لاتخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) اى لايحتاج الى اخباركم (يمنون عليك ان اسلموا) هو قولهم اسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك ان اسلامهم لم يكن خالصا (قل لاتمنوا على اسلامكم) اى لاتعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) اى لله المنة عليكم ان ارشدكم

وقوة شكيمته فى تشيطنه كما دعاه الموحد القائم بالحق المهدى الى نور الذات بالفناء المطلق المنصور من عند الله بالموجود الموهوب المتحقق ونبهه على مابه من الاحتجاب ابى واستكبر وطغى وتجبر لاستغنائه بنفسه وثباته فى غيه حتى اذا وقع فى الارتياب وتفطن بالحجاب عند ارتتاج الباب بتعين المآب وتيقن العقاب قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون كما قال فرعون حين ادركه الغرق آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل انى لهم الذكرى اى الاتعاظ والايمان الحقيقى وقد عاندوا الحق واعرضوا عن القائم بالحق فلعنوا وطردوا انا كاشفوا العذاب بكشف الحجاب قليلا ريثما تحققوا ماهم فيه من الوقوف مع النفس وتبينوا التفريط فى جنب الحق انكم عائدون لفرط تمكن الهوى من انفسكم وتشرب قلوبكم بمحبة نفوسكم واستيلاء صفاتها عليكم وقوة الشيطنة فيكم يوم نبطش البطشة الكبرى بالقهر الحقيقى والاذلال الكلى والطرد

وامدكم بتوفيقه حيث هدا كم للايمان على مازعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) اى انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) اى انه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شئ في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) اى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة ق ﴾

وهى مكية وهى خمس واربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربعة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء الله وقيل اسم من اسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الامر اوقضى ماهو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولايعلم ماوراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه عسيرة سنة (والقرآن المجيد) اى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا فى جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل مايلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مماليس بعجب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) اى معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) اى احين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) اى يبعد ان نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ماتنقص الارض منهم) اى ماتأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لايعزب عن علمنا شئ (وعندنا) اى مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ اى من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ اى حافظ لعددهم واسمائهم ولماتنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه مايكون (بل كذبوا بالحق) اى بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم فى امر مريج) اى مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط امرهم قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة معلم مجنون ويقولون فى القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا مقتبسا عليهم وقيل فى هذه الآية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ماترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) اى بغير عمد (وزيناها) اى بالكواكب (ومالها من فروج) اى شقوق وصدوع (والارض مددناها) اى بسطناها على وجه الماء (والقينا فيها رواسى) اى جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل زوج بهيج) اى من كل صنف حسن كريم يبتهج اى يسر به (تبصرة) اى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) اى تذكرة (لكل عبد منيب) اى راجع الى الله والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر (فانبتنا به) اى بذلك الماء (جنات) اى بساتين (وحب الحصيد) يعنى البر والشعير وسائر

(الحبوب)

والابعاد تنتقم منهم لمكان شركهم وعبادتهم لانفسهم ومبارزتهم علينا بالظهور فى مقابلتنا ومنازعتهم رداء الكبرياء منا كما قلنا العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار واما حكاية قوم فرعون فاستنبهت تطبيقها على حالك فافهم منها (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) النفس الامارة من قبط القوى الحيوانية (وجاءهم رسول كريم) هو موسى القلب الشريف المجرد (ان ادوا الى عباد الله) المخصوصين به من القوى الروحانية المأسورين فى قيود طاعتكم المستضعفين باستيلائكم المستعبدين لقضاء حوائجكم وتحصيل مراداتكم من اللذات الحسية والشهوات البدنية (انى لكم رسول امين) بحصول علم اليقين المأمون من تغيره (وان لاتعلوا على الله) بعصيانه وترك ما ادعوكم اليه واستكباركم (انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة من الحجج العقلية (وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون) باحجار الهيولى السفلية والاهواء

الحبوب التى تحصد (والنخل باسقات) اى طوالا وقيل مستويات (لهاطلع) اى ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل ان ينشق (نضيد) اى متراكب بعضه على بعض فى اكمامه فاذا تشقق وخرج من اكمامه فليس بنضيد (رزقا) اى جعلناذلك رزقا (للعبادواحيينابه) اى بالمطر (بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة) قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال واخوان لوط (وقوم تبع) هو ابو كرب اسعد تبع الحميرى وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عزوجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم (كل كذب الرسل فحق وعيد) اى كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدى اى وجب لهم عذابى وقيل فحق وعيدى للرسل بالنصر (افعيينابالخلق الاول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجز ناحين اخنقاهم اولافنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث (بل هم فى لبس) اى شك (من خلق جديد) وهو البعث * قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) اى مايحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه اى نحن اعلم به منه والوريد العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شئ وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه امرنا كما يجرى الدم فى عروقه (اذ يتلقى المتلقيان) اى يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن اليمين وعن الشمال) يعنى ان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيآت (قعيد) اى قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذى لايبرح (مايلفظ من قول) اى مايتكلم من كلام يخرج من فيه (الا لديه رقيب) اى حافظ (عتيد) اى حاضر اينما كان سوى وقت الغائط وعندجماعه فانهما يتأخران عنه فلايجوز للانسان ان يتكلم فى هاتين الحالتين حتى لا يؤذى الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا مايتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شئ يتكلم به حتى انينه فى مرضه وقيل لايكتبان الا ماله اجر وثواب اوعليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصرى يعجب ان ينظف عنفقته روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر * قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) اى غمرته وشدته التى تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) اى بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤل اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) اى يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذى كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) اى ذلك

النفسية والدواعى الطبيعية فيجعاونى بحيث لاحراك فى طلب الكمالات الروحانية والانوار الرحانية وتهلكونى وان لم تؤمنوا الى) بطاعتى ومتابعتى فى التوجه الى ربى وطلب كمالى والتنور بأنوارى (فاعتزلون) بعدم ممانعتى وترك محاجزتى ومعاوقتى فى سيرى وسلوكى (فدعا ربه) بلسان التضرع والافتقار (ان هؤلاء قوم مجرمون) فى اكتساب المطالب الجرمية والذات الحسية منهمكون فيها لا يرفعون منها رأسا (فأسر) اى فقال الله اسر (بعبادى) الروحانيين من القوى العقلة والفكرية والحدسية والقدسية وصفاتك المخلصة الى حضرة القدسية وراء بحر الهيولى (ليلا) وقت نعاس القوى الحسية وتعطل القوى البدنية (انكم متبعون) بمطالبتهم اياكم بكمالات الحس ومجاذبتهم لكم عن جناب القدس (واترك البحر رهوا) بحر الهيولى والمواد الجسمانية ساكنة على قرارها ساجية عن امواجها غير مزاحمة اياكم باضطراب احوالها

اليوم الذي وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه (وجاءت) اى فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) اى يسوقها الى المحشر (وشهيد) اى يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدى والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت فى غفلة من هذا) اى من هذا اليوم فى الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) اى الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك فى الدنيا (فبصرك اليوم حديد) اى قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به فى الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيآتك (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا مالدى) اى عندى (عتيد) اى معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد احضرته واحضرت ديوان عمله (القيا فى جهنم) اى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا امر للسائق والشهيد (كل كفار) اى شديد الكفر (عنيد) اى عاص معرض عن الحق معاند لله فيما امر به (مناع للخير) اى للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه فى ماله (معتد) اى ظالم لايقر بتوحيد الله (مريب) اى شاك فى التوحيد (الذى جعل مع الله الها آخر فالقياه فى العذاب الشديد) يعنى النار (قال قرينه) يعنى الشيطان الذى قيض لهذا الكافر (ربنا ما اطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى فى النار يقول ربنا اطغانى شيطانى فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته اى ما اضللته وما اغويته (ولكن كان فى ضلال بعيد) اى عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعنى الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد على فى الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اى ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان فى ضلال بعيد اى طويل لايرجع عنه الى الحق (قال) الله تعالى (لا تختصموا لدى) اى لا تعتذروا عندى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) اى بالقرآن وانذرتكم على السن الرسل وحذرتكم عذابى فى الآخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدى) اى لا تبديل لقولى وهو قوله عز وجل لاملأن جهنم وقضيت عليكم ما انا ناقض فلا يغير قولى ولا يبدل وقيل معناه لايكذب عندى ولا يغير القول عن وجهه لانى علام الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدى ولم يقل ما يبدل قولى (وما انا بظلام للعبيد) اى فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسئ او انقص من احسان المحسن * قوله عز وجل (يوم يقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعنى جهنم (هل من مزيد) يعنى تقول قد امتلأت ولم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكارى وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع اهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لايلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شئ فتقول الست قد اقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس فى مزيد (ق) عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفى رواية رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا

وانحراف مزاجها ومتسعة طرقها منفرجة لنفوذ تلك القوى وسريانها وتصرفها فيها (انهم جند مغرقون) هالكون بتموج البحر وطمسه اياهم عند خراب البدن (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لايعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ ولاهم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) شجرة الزقوم هى النفس

فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة نحوه وزاد ولايظلم الله من خلقه احدا
﴿ فصل ﴾ هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات وللعلماء فيه وفى امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلم فى تأويلها بل نؤمن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انها تاول بحسب مايليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ فى اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان فى المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلفوا الها قال القاضى عياض اظهر التأويل انهم قوم استحقوها وخلفوا لها قال المتكلمون ولابد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعى العقلى على استحالة الجارحة على الله تعالى والله اعلم قوله قط قط اى حسبى حسبى قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه احدا يعنى انه يستحيل الظلم فى حق الله فمن عذبه بذنب او بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى * قوله تعالى ﴿ وازلفت الجنة ﴾ اى قربت وادنيت ﴿ للمتقين ﴾ اى الذين اتقوا الشرك ﴿ غير بعيد ﴾ يعنى انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها اهل الموقف قبل ان يدخلوها ﴿ هذا ماتوعدون ﴾ اى يقال لهم هذا الذى وعدتم به فى الدنيا على السنة الانبياء ﴿ لكل اواب ﴾ اى رجاع من المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلى ﴿حفيظ﴾ قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو الحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر ﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ اى خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه فى الخلوة بحيث لا يراه احد اذا القى الستر واغلق الباب ﴿وجاء بقلب منيب﴾ اى مخلص مقبل على طاعة الله ﴿ ادخلوها ﴾ اى يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة ﴿بسلام﴾ اى بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ﴿ذلك يوم الخلود﴾ اى فى الجنة لانه لاموت فيها ﴿ لهم مايشاؤن فيها﴾ وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهى مسئلتهم فيعطون ماسألوا ثم يزيد الله عبيده مالم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى ﴿ ولدينا مزيد ﴾ وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد * قوله تعالى ﴿ وكم اهلكنا قبلهم ﴾ اى قبل كفار مكة ﴿ من قرن هم اشد منهم بطشا ﴾ يعنى سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف ﴿ فنقبوا فى البلاد ﴾ اى ساروا وتقلبوا فى البلاد وسلكوا كل طريق ﴿ هل من محيص ﴾ اى فلم يجدوا لهم محيصا اى مهربا من امر الله وقيل لايجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم ﴿ان فى ذلك لذكرى﴾ اى ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ قال ابن عباس اى عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله ﴿او القى السمع﴾ اى استمع القرآن واستمع مايقال له لايحدث نفسه بغيره ﴿وهو شهيد﴾ اى حاضر القلب ليس بغافل

المستعلية على القلب فى تعبد الشهوة وتعود اللذات سميت زقوما لملازمتها اللذة اذ الزقم والتزقم عندهم اكل الزبد والتمر ولكونه لذيذا انسبت تبعة اللذة اليه واشتق لها اسم منه ولايطعم منها ويستمد من قواها وشهواتها الا المنغمس فى الاثم المنهمك فى الهوى ﴿كالمهل﴾ اى دردى الزيت لقلها وترسبها وسرعة نفوذها فى المسام للطافتها وحرارتها اللازمة لطلبها مايهواها او النحاس الذائب فى ميلها الى الجهة السفلية وايذائها القلب بشدة الداعية ولهج الحرص ولهب نار الشوق مع الحرمان ﴿يغلى فى البطون﴾ تضطرب وتقلق فى البواطن من شدة حر التعب فى الطلب فتقلق القلوب وتحرقها بنار الهوى ومنافاة ظلمتها لنورتها وتسرى فيها بالاذى لاستيلاء هيئتها عليها ولطف هواها الذى هو روح النفس ورسوخ محبتها فيها ولهذا تميل ذواق السلاطين محرقة الشفتين ﴿كغلى الحميم﴾ السارى بحرة فى المسام للطافته وقوله فى البطون كقوله نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ﴿خذوه فاعتلوه الى سواء

ولاساء ✽ قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب) اى اعياء وتعب قال المفسرون نزلت فى اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية رداعليهم وتكذيبالهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما فقوله وما مسنا من لغوب اى ما تعبنا بالخلق الاول حتى لانقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى افعيينا بالخلق الاول الآية واما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم اولم يعلموا تأويله وذلك ان الاحد والاثنين ازمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولاقمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان اى مدة كانت ✽ قوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى اصبر يا محمد على ما يقولون اى من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) اى صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) اى صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعنى صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعنى صلاة المغرب والعشاء وقيل يعنى صلاة الليل اى وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية عن ابن عباس وروى مرفوعا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر (م) عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعنى بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما احصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى قوله وادبار السجود التسبيح باللسان فى ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسبح فى ادبار الصلوات كلها يعنى قوله وادبار السجود (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وماذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون

لجحيم ثم صبوا فوق أسه من عذاب الحميم ذق لك انت العزيز الكريم) شارة الى انعكاس احوالها لانتكاس فطرتها فان اللذة والعزة الجسمانية والكرامة لنفسانية موجبة للالم والهوان والذلة الروحانية (ان هذا ما كنتم به تمترون) لحسبانكم انحصار اللذات والالام فى الحسية واحتجابكم بها عن العقلية (ان المتقين) الكاملين فى التقوى باجتناب البقايا (فى جنات) عالية من الجنان الثلاث (وعيون) من علوم الاحوال والمعارف وغيرها من المنافع الحقيقية (يلبسون من سندس) لطائف الاحوال والمواهب لاتصافهم بها كالمحبة والمعرفة والفناء والبقاء (واستبرق) فضائل الاخلاق كالصبر والقناعة والحلم والسخاوة (متقابلين) على رتب متساوية فى الصف الاول من صفوف الارواح لاحجاب بينهم لتجرد ذواتهم وبروزهم الى الله عن صفاتهم (كذلك وزوجناهم بحور عين) اى قرناهم بما فيه قرة اعينهم واستئناس قلوبهم لوصولهم بمحبوبهم وحصولهم على كمال

عشرا ❊ قوله تعالى (واستمع يوم يناد المناد) يعنى استمع يامحمد حديث يوم يناد المناد وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادى هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى بالحشر فيقول ياايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى فى وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) اى الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) اى من القبور (انا نحن نحيي) اى فى الدنيا (ونميت) يعنى عند انقضاء الاجل (والينا المصير) اى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) اى يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) اى هين (نحن اعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة فى تكذيبك (وما انت عليهم بجبار) اى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) اى ماأوعدت به من عصانى من العذاب قال ابن عباس قالوا يارسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اى عظ بالقرآن من يخاف وعيدى والله اعلم بمراده

❊ تفسير سورة والذاريات ❊

وهى مكية وهى ستون آية وثلثمائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عزوجل (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذرو التراب (فالحاملات وقرا) يعنى السحاب يحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعنى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا (فالمقسمات امرا) يعنى الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ماامروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحى الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة فى الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ماتوعدون) اى من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) اى لحق (وان الدين) اى الحساب والجزاء (لواقع) اى لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لاترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله (انكم) يعنى يا اهل مكة (لفى قول مختلف) يعنى فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم يقولون فى القرآن سحر وكهانة واساطير الاولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفى قول مختلف اى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من افك) اى يصرف عن

مرادهم (يدعون فيها بكل فاكهة) اى كل مايتلذذ به من لذائذ الجنان الثلاث (آمنين) من الفناء والحرمان عن تلك النعماء (لايذوقون فيها الموت الاالموتة الاولى) اى الطبيعة الجسمانية لاالفناء من الافعال والصفات والذات فان كل فناء منها وان كان موتا اراديا لكنه حياة اصفى والذ واشهى وابهج مما قبلها وكل منها فى جنة (ووقاهم عذاب الجحيم) اى جحيم الحرمان بوجود البقية فضلا عن الخذلان فى جحيم الطبيعة (فضلا من ربك) موهبة محضة وعطاء صرفا من ربك بالوجود الحقانى عند تلاشى الآلات النفسانية (ذلك الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون) والله اعلم

❊ سورة حم الجاثية ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(حم) جواب القسم محذوف لدلالة تنزيل الكتاب عليه اى اقسم بحقيقة الهوية اى الوجود المطلق الذى هو اصل الكل وعين الجمع وبمحمد اى الوجود الاضافى الذى هو كمال الكل وصورة

الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به (قتل الخراصون) اى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) اى فى غفلة وعمى وجهالة (ساهون) اى لاهون غافلون عن امر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه (يسئلون ايان يوم الدين) اى يقولون يامحمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) اى يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) اى يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) اى عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) اى فى الدنيا تكذيبا به ❊ قوله تعالى (ان المتقين فى جنات وعيون) يعنى فى خلال الجنان عيون جارية (آخذين ما آتاهم) اى ما اعطاهم (ربهم) اى من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) اى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ❊ ثم وصف احسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الاصلوا فيها شيئا امامن اولها اومن اوسطها وعن انس بن مالك فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابو داود وقيل كانوا لاينامون حتى يصلون العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا اى من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون اى لاينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة (وبالاسحارهم يستغفرون) اى ربما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم اخذوا فى الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضئ الفجر وزاد فى رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

❊ فصل ❊ هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمركما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفى امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفى ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى اعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال

التفصيل لا نزان الكتاب المبين لهما او يجعل حم مبتدأ و (تنزيل الكتاب) خبره على تقدير حذف مضاف اى ظهور حقيقة الحق المفصلة تنزيل الكتاب اى ارسال الوجود المحمدى او انزال القرآن المبين الكاشف عن معنى الجمع والتفصيل فى غير موضع كما جمع فى قوله شهد الله انه لا اله الا هو ثم فصل بقوله والملائكة واولوا العلم (من الله) من عين الجمع (العزيز الحكيم) فى صورة تفاصيل القهر واللطف اللذين هما اما الاسماء ومنشؤه الكثرة فى الصفات اذ لا صفة الا وهى من باب القهر او اللطف (ان فى السموات والارض) اى فى الكل (لآيات للمؤمنين) بذاته لان الكل مظهر وجوده الذى هو عين ذاته (وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) بصفاته لانكم وجميع الحيوانات مظاهر صفاته من كونه حيا عالما مريدا قادرا متكلما سميعا بصيرا لانكم بهذه الصفات شاهدون بصفاته (و) فى (اختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيى به الارض بعد موتها وتصريف

كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفرلى ماقدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد فى رواية وما انت اعلم به منى انت اعلم به منى وانت المؤخر لااله الا انت اولااله غيرك زاد النسائى ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لااله الاالله وحده لاشريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفرلى اوقال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت ❊ قوله عزوجل (وفى اموالهم حق) اى نصيب قيل انه مايصلون به رحما اويقرون به ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة (للسائل) اى الذى يسأله الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذى ليس له فى الغنائم سهم ولايجرى عليه من الفئ شئ قال ابن عباس رضى الله عنهما المحروم الذى ليس له فى فئ الاسلام سهم وقيل معناه الذى حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذى لايسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذى اصيب زرعه اوثمره ونسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم فى الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب واظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لايسأل ولايكاد الناس يعطون من لايسأل وانما يفطن له متيقظ (وفى الارض آيات) اى عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وانواع النبات (للموقنين) اى بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفى انفسكم) اى آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان تنفخ الروح وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقويم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن آدم (افلاتبصرون) يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وماتوعدون) يعنى من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه لحق) اى ماذكر من الرزق وغيره (مثل ماانكم تنطقون) اى بلااله الاالله وقيل شبه تحقق مااخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لايمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لايقدر ان يأكل رزق غيره ❊ قوله تعالى (هل اتاك حديث ضيف ابرهيم) يعنى هل اتاك يامحمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عندالله

الرياح آيات لقوم يعقلون) افعاله فان هذه التصرفات افعاله وانما فرق بين الفواصل الثلاث بالايمان والايقان والعقل لان شهود الذات اوضح وان خفى لغاية وضوحه والوجود اظهر والمصدقون به اكثر لكونه من الضروريات ومشاهدة الصفات ادق والطف من القسمين الباقين فعبر عنها بالايقان فكل موقن مؤمن بوجوده ولاينعكس وقد يوجد الايقان بدون الايمان بالذات لذهول المؤمن بالوجود الموقن بالصفات عن شهود الذات لاحتجابه بالكثرة عن الوحدة واما الافعال فمعرفتها استدلال بالعقل اذالتغير فى الاشياء لابد له من تغييره مغير عند العقل لاستحالة التأثر بدون التأثير عقلا والاول فطرى روحى والثانى علمى قلبى اى كشفى ذوقى والثالث عقلى فالمحبوب الباقى على الفطرة يؤمن اولا بالذات ثم يوقن بالصفات ثم يعقل الافعال واما المحب المحتجب عن الفطرة بالنشأة والمادة فهو فى مقام النفس يعقل اولا افعاله ثم يوقن

وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن ابى شريح العدوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) اى غرباء لانعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل انكر اسلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) اى عدل ومال (الى اهله فجاء بعجل سمين) اى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف ان يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعى اليه فلما لم يأكلوا (قال الا تأكلون) يعنى انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يأمرهم (فاوجس) اى فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم) اى يبلغ ويعلم وقيل عليم اى نبى (فاقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه (فى صرة) اى فى صيحة والمعنى انها اخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيأ (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء ايضا اذا انكرن شيأ (وقالت عجوز عقيم) معناه اتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) اى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) اى فما شانكم وماطلبكم (ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو الآجر (مسومة) اى معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعنى المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها (فاخرجنا من كان فيها) اى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) اى اهل بيت (من المسلمين) يعنى لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه مامن مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لامانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لايدل على اتحاد مفهوميهما (وتركنا فيها) اى فى مدينة قوم لوط (آية) اى عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم * قوله عزوجل (وفى موسى) اى وتركنا فى ارسال موسى آية وعبرة (اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين) اى بحجة ظاهرة (فتولى) اى اعرض عن الايمان (بركنه) اى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) اى فاغرقناهم فى البحر (وهو مليم) اى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفى عاد) اى وفى اهلاك عاد ايضا آية وعبرة (اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم) يعنى التى لاخير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولاتحمل مطرا (ماتذر من شئ انت عليه) اى

بصفاته التى هى مبادى افعاله ثم يؤمن بذاته ولهذا لما سئل حبيب الله صلى الله عليه وسلم بم عرفت الله قال عرفت الاشياء بالله (تلك ايات الله) اى آيات سموات الارواح وارض الجسم المطلق اى الكل وآيات الاحياء من الموجودات وآيات سائر الحوادث من الكائنات (نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه) اى آيات ذاته وصفاته وافعاله (فبأى حديث بعد الله وآياته) وآيات صفاته وافعاله (يؤمنون) اذلا موجود بعدها الاحديث بلا معنى واسم بلا مسمى كما قال ان هى الا اسماء سميتموها اى بلا مسميات (ويل لكل افاك اثيم) منغمس فى افك الوجود المزخرف الباطل الموهوم واثم الشرك بنسبة الافعال لذلك الموجود (يسمع آيات الله) من كل موجود قائل بلسان الحال او القال (تتلى عليه) على لسان كل شئ لاعلى لسان النبى وحده (ثم يصر مستكبرا) فى نسبتها الى

من انفسهم واموالهم وانعامهم (الا جعلته كالرميم) اى كالشئ الهالك البالى وهو مايبس ودبس
من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه واصله من رم العظم اذا بلى (وفى ثمود اذقيل لهم
تمتعوا حتى حين) يعنى الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا فى
داركم ثلاثة ايام (فعتوا عن امر ربهم) اى تكبروا عن طاعة ربهم (فاخذتهم الصاعقة) اى بعد
مضى ثلاثة ايام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة
كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) اى يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) اى فما
قاموا بعد نزول العذاب بهم ولاقدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) اى
ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من امر الله (وقوم نوح) قرئ بكسر الميم ومعناه
وفى قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح (من قبل) اى من قبل هؤلاء وهم عاد
وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) اى خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسماء
بنيناها بايد) اى بقوة وقدرة (وانا لموسعون) قيل هو من السعة اى اوسعنا السماء بحيث صارت
الارض وما يحيط بها من السماء والفضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة
وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون اى الرزق على خلقنا
وقيل معناه وانا ذوو السعة والغنى (والارض فرشناها) اى بسطناها ومهدناها لكم
(فنعم الماهدون) اى نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) اى صنفين ونوعين مختلفين
كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف
والشتاء والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة
والحق والباطل والحلو والحامض (لعلكم تذكرون) اى فتعلموا ان خالق الازواج فرد
لانظير له ولاشريك معه (ففروا الى الله) اى قل يا محمد ففروا الى الله اى فاهربوا من عذابه الى ثوابه
بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا
مما سوى الله الى الله (انى لكم منه نذير) اى مخوف (مبين) اى بين الرسالة بالحجة الظاهرة
والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) اى وحدوه ولاتشركوا به
شيأ (انى لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة
والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لاينفع الامع العمل كما ان العمل لاينفع الامع الايمان
وانه لايفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) اى كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون
كذلك (ما اتى الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة والامم الخالية (من رسول) يعنى
يدعوهم الى الايمان والطاعة (الا قالوا ساحر او مجنون) * قال الله تعالى (اتواصوا به)
اى اوصى اولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم
طاغون) اى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة
واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) اى اعرض عنهم
(فما انت بملوم) اى لالوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وماقصرت فيما امرت به
قال المفسرين لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا
ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل
الله عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن

الغير لاحتجابه بوجوده
واستكباره وانائيته لفرط
تفرعنه او لغرته وغفلته
(كان لم يسمعها) لعدم تأثره
بها (فبشره بعذاب) الحجاب
المؤلم والحرمان الموبق
(واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها
هزوا) بنسبتها الى من لا
وجود له اصلا (اولئك لهم
عذاب مهين) فى ذل الامكان
(من ورائهم جهنم ولايغنى
عنهم ماكسبوا شيأ ولاما
اتخذوا من الله اولياء ولهم
عذاب عظيم هذا هدى
والذين كفروا بآيات ربهم
لهم عذاب من رجز اليم الله
الذى سخر لكم البحر لتجرى
الفلك فيه بأمره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم
تشكرون وسخر لكم مافى
السموات ومافى الارض
جميعا منه ان فى ذلك لآيات
لقوم يتفكرون) اى فى
تسخير مافى السموات وما
فى الارض لكم دلائل لمن
يتفكر فى نفسه من هو ولما
ذا سخر له هذه الاشيأ حتى
الملكوت والجبروت منه
من جهته فيرجع الى ذاته
ويعرف حقيقته وسر وجوده
وخاصيته التى بها شرف
وفضل عليها واهل لتسخيرها
له فيأنف عن التأخر عن

كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ❊ قوله عز وجل (وما خلقت الجن والانس) اى من المؤمنين (الا ليعبدون) قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتى والاشقياء منهم الا لمعصيتى وهو ماجبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن ابى طالب الا ليعبدون اى الا لآمرهم ان يعبدونى و ادعوهم الى عبادتى وقيل معناه الا ليعرفونى وهذا حسن لانه لولم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا لى ويتذللوا لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئة لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدونى فأما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء واما الكافر فيوحد اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخا (ما اريد منهم من رزق) اى ما اريد ان يرزقوا احدا من خلقى ولا ان يرزقوا انفسهم لانى انا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وما اريد ان يطعمون) اى ان يطعموا احدا من خلقى وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه لما صح من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدى فلانا مرض ولم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى اخرجه مسلم ❊ ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (ان الله هو الرزاق) اى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذى لا يلحقه فى افعاله مشقة (فان للذين ظلموا) اى من اهل مكة (ذنوبا) اى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) اى مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) اى بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى اعلم بمراده

❊ تفسير سورة الطور ❊

❊ مكية وهى تسع واربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل (والطور) اراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) اى مكتوب (فى رق) يعنى الاديم الذى يكتب فيه المصحف (منشور) اى مبسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صريرا لاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل

رتبة اشرفها فضلا عن اخسها ويترقى الى غايته التى يندب اليها (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر) طريقة من امر الحق هى طريقة التوحيد (فاتبعها) بسلوكها على بينة وبصيرة (ولا تتبع اهواء) جهالات اهل التقليد (الذين لا يعلمون) علم التوحيد (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) اى لن يدفعوا عنك ضرا بأفعالهم لعدم تأثيرهم ولا جهالة وحجابا بأوصافهم لعدم قواهم وقدرهم وعلومهم اذ لا حول ولا قوة الا بالله ولا وحشة بحضورهم اذ لا مناسبة بينك وبينهم فتستأنس بهم بل لا انس لك

هو القرآن (والبيت المعمور) يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج من افراد مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه وفى رواية اخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ماهذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لايعودون يسبحون الله ويقدسونه وفى افراد البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه راى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايركبن رجل البحر الاغازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون من قبورهم اقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعنى انه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة (ماله من دافع) اى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسارى بدر فدفعت له وهو يصلى باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكانما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن اسلم يومئذ فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن انى اقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب * ثم بين انه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) اى تدور كدور الرحى وتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) اى تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لارجوع ولاعود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء ومابينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) اى شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) اى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) اى يخوضون فى الباطل (يلعبون) اى غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) اى يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدى الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا فى اقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) اى فى الدنيا (افسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا (ام انتم لاتبصرون اصلوها) اى قاسوا اشدتها (فاصبروا) اى على العذاب (اولا تصبروا) اى عليه (سواء

الا بالحق وهم لاشئ محض فى شهودك فلا موالاة بينك وبينهم بوجه وانما موالاة الظالمين ليست الامع الظالمين لمابينهم من الجنسية والمناسبة فى الاحتجاب (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولى المتقين) اى متولى امور من اتقى افعاله بالتوكل عليه فى شهود توحيد الافعال او ناصر من اتقى صفاته فى مقام الرضا بمشاهدة تجليات الصفات او حبيب من اتقى ذاته فى شهود توحيد الذات اذ الولى يستعمل بالمعانى الثلاثة لغة (هذا) اى هذا البيان (بصائر للناس) اى بينات لقلوب الذين طالعوا بهجة الصفات يطالعون بكل بصيرة تجلى طلعة صفته (وهدى) لارواحهم الى محل شهود الذات (ورحمة) لنفوسهم من عذاب حجاب الافعال (لقوم يوقنون) هذه البيانات (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق

عليكم) اى الصبر والجزع (انمــا تجزون ما كنتم تعملون) اى من الكفر والتكذيب فى الدنيا ❊ قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) اى معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) اى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) اى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيأ) اى مأمون العاقبة من التخمة والقسم (بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الايمان والطــاعة (متكئين على سرر مصفوفة) اى موضوعة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان) يعنى الحقنا اولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمــان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعــا لاحد ابويه (الحقنابهم ذرياتهم) يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم لتقر بذلك تكرمة لآبائهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية عن ابن عبــاس وفى رواية اخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم يعنى البالغين بايمــان الحقنابهم ذرياتهم الصغــار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير ان ينقص الآباء من اعمالهم شيأ وذلك قوله تعالى (وما التناهم من عملهم من شئ) يعنى وما نقصنا الآباء من اعمالهم شيا ❊عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم الى آخر الآية عن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتالها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النــار فلما راى الكراهة فى وجههــا قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يارسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم فى الجنة وان المشركين واولادهم فى النار ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعنا هم ذرياتهم بايمــان الحقنابهم ذرياتهم اخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى (كل امرئ) اى كافر (بما كسب) اى عمل من الشرك (رهين) اى مرتهن بعمله فى النار والمؤمن لايكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين ثم ذكر ماوعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وامددناهم بفاكهة) يعنى زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) اى من انواع اللحوم (يتنــازعون) اى يتعاطون ويتنــاولون (فيها) اى فى الجنة (كأسا لالغو فيها) اى لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) اى لايكون فيها ما يؤثمهم ولا يجرى بينهم ما فيه لغو واثم كما يجرى بين شربة الخمر فى الدنيــا وقيل لايأثمون فى شربهــا (ويطوف عليهم) اى للخدمة (غلمــان لهم كأنهم) اى الحسن فى البياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) اى مخزون مصون لم تمسه الايدى قال عبدالله بن عمرو مامن احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يانبى الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ❊ قوله تعالى (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعنى يسأل بعضهم بعضا فى الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ماكانوا فيه من الخوف والتعب فى الدنيا (قالوا انا كنا قبل فى اهلنا) اى فى الدنيا (مشفقين) اى خائفين من العذاب

ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون افرأيت من اتخذ الهه هواه) الاله المعبود ولما اطاعوا الهوى فقد عبدوه وجعلوه الها اذ كل مايعبده الانسان بمحبته وطاعته فهو الهه ولو كان حجرا (واضله الله على علم) عالما بحاله من زوال استعداده وانقلاب وجهه الى الجهة السفلية او مع كون ذلك العابد للهوى عالما يعلم مايجب عليه فعله فى الدين على تقدير ان يكون على عــلم حالا من الضمير المفعول فى اضله الله لامن الفاعل وحينئذ يكون الاضلال لمخالفته علمه بالعمل وتخلف القــدم عن النظر لتشرب قلبه بمحبة النفس وغلبة الهوى كحال بلعام بن باعورا واضرابه كما قال عليه السلام كم من عالم ضل ومعه علمه لاينفعه اوعلى علم منه غير نافع لكونه من باب الفضول لاتعلق له بالسلوك (وختم على سمعه وقلبــه) بالطرد عن باب الهــدى والابعاد عن محل سماع كلام الحق وفهمه لمكان الرين وغلظ الحجاب (وجعل على بصره غشاوة) عن رؤية جماله وشهود لقائه (فمن يهديه من بعد الله) اذ لاموجود

(فمن الله علينا) اى بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من اسماء جهنم (انا كنا من قبل) اى فى الدنيا (ندعوه) اى نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذى عم بره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده * قوله عز وجل (فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمت ربك) اى برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذى يوهم انه يعلم الغيب و يخبر بما فى غد من غير وحى والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن او مجنون انما تنطق بالوحى نزلت فى الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون (ام يقولون) يعني هولاء المقتسمين (شاعر) اى هو شاعر (نتربص به) اى ننتظر به (ريب المنون) يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك من كان قبله من الشعراء او يتفرق عنه اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمون اسم للموت وللدهر واصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعا الاجل (قل تربصوا) اى انتظروا بى الموت (فانى معكم من المتربصين) اى من المنتظرين حتى يأتى امر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبى (ام تأمرهم احلامهم) اى عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تر لهم معرفة الحق من الباطل (ام هم قوم طاغون) اى يتجاوزون الحد فى الطغيان والكفر (ام يقولون تقوله) اى اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا فى الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) اى بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) اى مثل القرآن فى نظمه وحسنه وبيانه (ان كانوا صادقين) يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه (ام خلقوا من غير شئ) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى ام خلقوا من غير شئ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (ام هم الخالقون) اى لانفسهم وذلك فى البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل فى معنى الآية اخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ام هم الخالقون اى لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر (ام خلقوا السموات والارض) يعني ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون) اى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (ام عندهم خزائن ربك) يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق (ام هم المسيطرون) اى المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت امر ولا نهى ويفعلون ما يشاؤن (ام لهم سلم) يعني مرقى ومصعدا الى السماء (يستمعون فيه) اى يستمعون عليه الوحى من السماء فيعلمون ان ما هم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) اى ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) اى بحجة بينة (ام له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم (ام تسئلهم اجرا) اى جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه

سواء يقوم بهدايته (افلا تذكرون) ايها الموحدون (وقالوا ماهى الاحياتنا الدنيا) اى الحسية (نموت) بالموت البدنى الطبيعى (ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) الحياة الجسمانية الحسية لاموت ولاحياة غيرهما ولاينسبون ذلك الا الى الدهر لاحتجابهم عن المؤثر القابض للارواح والمفيض للحياة على الابدان (قل الله يحييكم ثم يميتكم) لا الدهر (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون) اليه بالحياة الثانية عند البعث اوالله يحييكم لا الدهر بالحياة الابدية القلبية بعد الحياة النفسانية ثم يميتكم بالفناء فيه ثم يجمعكم اليه بالبقاء بعد الفناء والوجود الموهوب لتكونوا به معه (ولله ملك السموات والارض) لا مالك غيره فى نظر الشهود (ويوم تقوم الساعة يومئذ) القيامة الكبرى (يخسر المبطلون) الذين يثبتون

من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعنى اثقلهم ذلك المغرم الذى سألتهم فمنعهم عن الاسلام (ام عندهم الغيب) اى علم الغيب وهو ماغاب عنهم حتى علموا ان مايخبرهم به الرسول من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) اى يحكمون قال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون مافيه ويخبرون الناس به (ام يريدون كيدا) اى مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) اى المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به فى دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (ام لهم اله غير الله) يعنى يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى انه نزه نفسه عما يقولون * قوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مركوم) اى بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) اى يعاينوا (يومهم الذى فيه يصعقون) اى يموتون ويهلكون (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون) اى لاينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) اى كفروا (عذابا دون ذلك) اى عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن اكثرهم لايعلمون) اى ان العذاب نازل بهم * قوله عزوجل (واصبر لحكم ربك) اى الى ان يقع بهم العذاب حكما عليهم به (فانك بأعيننا) اى بمرأى مناقال ابن عباس نرى مايعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلايصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) اى وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لااله الاانت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لمابينهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله باللسان من حين تقوم من الفراش الى ان تدخل فى الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة باى شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتنى عن شئ ما سالنى عنه احد قبلك كان اذاقام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفرلى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابوداود والنسائى وقيل اذاقمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ماروى عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولااله غيرك اخرجه الترمذى وابوداود وقد تكلم فى احد رواته * وقوله عزوجل (ومن الليل فسبحه) اى فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اى تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب

(اخرجه)

الغير اذ كل ماسواه باطل ومن اثبته واحتجب به عنه مبطل (وترى) ياموحد (كل امة جاثية) لاحراك بها اذهى بنفسها ميتة غير قادرة كما قال انك ميت وانهم ميتون اوتراها جاثية فى الموقف الاول وقت البعث قبل الجزاء على حالها فى النشأة الاولى عند الاجتنان وفيه سر (كل امة تدعى الى كتابها) اى اللوح الذى اثبت فيه اعمالها وتجسد صورها وانتقشت فيه على هيئة جسدانية فان كتابة الاعمال انماتكون فى اربعة الواح احدها اللوح السفلى الذى يدعى اليه كل امة ويعطى بيمين من كان سعيدا وشمال من كان شقيا والثلاثة الاخرى سماوية علوية اشير اليها فيما قبل وانما قلنا هذا الكتاب هو اللوح السفلى لان الكلام ههنا فى جزاء الاعمال لقوله (اليوم تجزون ماكنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون) والناسخون هم الملكوت السماوية والارضية جميعا (فأما الذين آمنوا) الايمان الغيبى التقليدى او اليقينى

اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هى فريضة صلاة الصبح (ق) عن
جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا فى المغرب بالطور والله تعالى اعلم
بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النجم ﴾

﴿ وهى مكية وهى اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس يعنى الثريا اذا سقطت وغابت والعرب
تسمى الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وجاء فى الحديث عن ابى هريرة
مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هى نجوم
السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس انه الرجوم من
النجوم وهى ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة
وقيل اراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وهو قول
ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذى لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض
وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله
تعالى (ما ضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى (وما غوى) اى
ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغى ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا
والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية
(وما ينطق عن الهوى) اى بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن
من تلقاء نفسه (ان هو) اى ما هو يعنى القرآن وقيل نطقه فى الدين (الا وحى) من الله (يوحى)
اليه (علمه شديد القوى) يعنى جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه عز وجل
وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح
صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء اسرع من رجعة الطرف (ذو مرة)
اى ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعنى
جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل
ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن
جبريل ايضا اى قام فى صورته التى خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه الصلاة
والسلام كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى الانبياء قبله
فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التى جبل عليها فاراه نفسه مرتين
مرة فى الارض ومرة فى السماء فاما التى فى الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب
المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام
من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل
جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه
وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى واما التى فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك

العلى (وعملوا الصالحات)
ما صلح به حالهم فى المعاد
الجسمانى من ابواب البر
(فيدخلهم ربهم فى رحمته
ذلك هو الفوز المبين)
رحمة ثواب الاعمال فى
جنة الافعال (واما الذين
كفروا افلم تكن آياتى تتلى
عليكم فاستكبرتم وكنتم
قوما مجرمين) احتجبوا
عن الحق بالكفر الاصلى
والانغماس فى الهيآت
الجرمانية المظلمة بالاجرام
بدليل قوله (واذا قيل ان
وعد الله حق والساعة
لا ريب فيها قلتم ما ندرى
ما الساعة ان نظن الا ظنا
وما نحن بمستيقنين وبدا لهم
سيئات ما عملوا وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن وقيل
اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء
يومكم هذا) اى نترككم
فى العذاب كما تركتم العمل
للقائى فى يومكم هذا لعدم
اعترافكم او نجعلكم كالشئ
المنسى المتروك بالخذلان
فى العذاب كما نسيتم لقاء
يومكم هذا بنسيان العهد
الازلى (ومأواكم النار
وما لكم من ناصرين ذلكم
بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا
وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم
لا يخرجون منها ولاهم

الصورة التي خلق عليها الانبيا محمد صلى الله عليه وسلم ※ قوله تعالى ﴿ ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين اودنى ﴾ اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه اتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق اخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله تعالى فكان قاب قوسين اوادنى وفي قوله ما كذب الفؤاد مارأى وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد في رواية اخرى رأى جبريل في صورته اخرجه مسلم والبخارى في قوله تعالى فكان قاب قوسين اوادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين اوادنى اى بل ادنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين اوادنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن عبدالله بن ابى نمر عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين اوادنى وهذه رواية ابى سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبدالحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يأت احد منهم بما اتى به وفي رواية شريك قدم واخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر والقوس الذى يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفاء والعهد بينهما اخرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبدالله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس اوادنى بل اقرب (فاوحى) اى فاوحى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ما اوحى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال اوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك ※ قوله عز وجل (ما كذب الفؤاد) قرئ بالتشديد اى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) اى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف اى ما كذب فؤاد محمد الذى رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا في الذى رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة اخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة

يستعتبون فلله الحمد) الكمال المطلق الحاصل للكل ببلوغ الاشياء الى غاياتها وحصولها على اجل ما يمكن من كمالاتها (رب السموات) مكمل الارواح ومدبرها (ورب الارض) مدبرا لاجساد ومالكها ومصرفها (رب العالمين) موجه العالمين الى كمالاتهم بربوبيته اياهم (وله الكبرياء في السموات والارض) اى الاستعلاء ونهاية الترفع والكبر على كل شئ وغاية العلو والعظمة باستغنائه عنه وافتقاره اليه فكل يحمده باظهار كماله وجميع صفاته بلسان حاله ويكبره بتغيره وامكانه وانخراطه في سلك المخلوقات المحتاجة اليه الفانية بالذات القاصرة عن سائر الكمالات غير ما اختص به (وهو العزيز) القوى القاهر لكل شئ بتأثيره فيه واجباره على ما هو عليه (الحكيم) المرتب لاستعداد كل شئ بلطف تدبيره المهئ لقبوله لما ارادمنه من صفاته بدقيق صنعته وخفى حكمته

سورة الاحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم تنزيل الكتاب من الله

الى انه رآه بعينه حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عزوجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عزوجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين اخرجه الترمذى باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة ياامه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم مافى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى ارض تموت ومن حدثك ان محمدا كتم امرا فقد كذب ثم قرأت ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين اخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور انى اراه ❊ قوله عزوجل ﴿ افتمارونه على مايرى ﴾ يعنى افتجادلونه على مايرى وذلك انهم جادلوه حين اسرى به وقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه ﴿ ولقد رآه نزلة اخرى ﴾ يعنى راى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه رآه فى صورته مرتين مرة فى الارض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن ابى هريرة ولقد رآه نزلة اخرى قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة اخرى هو انه كانت للنبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عزوجل فى بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذيغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب وفى رواية الترمذى اليها ينتهى علم الخلائق لاعلم لهم فوق ذلك وفى حديث المعراج المخرج فى الصحيحين ثم صعد بى الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفى افراد مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكر مالى ان قال فيه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ماغشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة فى اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وماخلفها غيب لايعلمه الا الله عز وجل وعن اسماء بنت ابى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة اوقال يستظل بظلها مائة الف راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذى وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل

العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) اى بالوجود المطلق الثابت الاحدى الصمدى الذى يتقوم به كل شئ او بالعدل الذى هو ظل الوحدة المنتظم به كل كثرة كما قال بالعدل قامت السموات والارض (و) بتقدير (اجل مسمى) اى كمال معين ينتهى به كمال الوجود وهو القيامة الكبرى بظهور المهدى وبروز الواحد القهار بالوجود الاحدى الذى يفنى عنده كل شئ كما كان فى الازل (والذين كفروا) بالاحتجاب عن الحق (عما انذروا) من امر هذه القيامة (معرضون قل ارايتم ماتدعون من دون الله) تسمونه وتثبتون له وجودا و تأثيرا اى شئ كان (ارونى) ماتأثيره فى شئ ارضى بالاستقلال اى شئ سماوى بالشركة (ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا اواثارة من علم) على ذلك بدليل نقلى من كتاب سابق اوعقلى من علم متقن (ان كنتم صادقين ومن اضل

والثمار من جميع الالوان ولوأن ورقة وضعت منها فى الارض لاضاءت لاهل الارض وهى شجرة طوبى التى ذكرها الله فى سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوى اليها جبريل والملائكة وقيل يأوى اليها ارواح الشهداء (اذ يغشى السدرة مايغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة امثال الغربان وقيل امثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى امثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نوررب العزة ويروى فى الحديث قال رايت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عزوجل (مازاغ البصر وما طغى) اى مامال بصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولاجاوز ماراى وقيل ماامر به وهذا وصف ادبه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام الشريف اذلم يلتفت الى شئ سوى ماامر به وفى معنى الآية ان قلنا الذى يغشى السدرة فراش من ذهب اى لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذلم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذى يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان احدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولايسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثانى مازاغ البصر بصعقة ولا غشية كما اخبر عن موسى بقوله وخرموسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نور على الجبل قطع نظره وغشى عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت فى ذلك المقام العظيم الذى تحار فيه العقول وتزل الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عزوجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام العظيم بقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى * وقوله تعالى (لقدراى من آيات ربه الكبرى) يعنى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل اراد ماراى تلك الليلة فى مسيره ورجوعه وقيل معناه لقدراى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبدالله بن مسعود قال لقدراى من آيات ربه الكبرى قال راى جبريل فى صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقدراى من آيات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضرسدافق السماء

﴿ فصل من كلام الشيخ محيى الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقدرآه نزلة اخرى وهل راى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل ليلة الاسراء ﴾ قال القاضى عياض اختلف السلف والخلف هل راى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع فى صحيح مسلم وجاء مثله عن ابى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس انه رآه بعينه ومثله عن ابى ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وابى هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب المقالات عن ابى الحسن الاشعرى وجماعة من اصحابه انه رآه ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عزوجل فى الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذلايجهل نبى مايجوز او يمتنع على ربه واختلفوا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة ام لا فحكى عن الاشعرى وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا فى قوله ثم دنافتدلى فالاكثر على ان هذا الدنو والتدلى مقسم بين جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الآخر

ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) شيأ اى شئ كان كدعاء الموالى للسادة مثلا اذلايستجيب له احد الا الله (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ماكنت بدعا من الرسل وما ادرى مايفعل بى ولابكم ان اتبع الا مايوحى الى وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عندالله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لايهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لوكان خيرا ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين)

اومن سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه
دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه اومن الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولا
ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لاحدله ومن العباد بالحدود فيكون
معنى دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار معرفته
عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على مالم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار
ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين اوادنى هنا عبارة عن
لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله
تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضى عياض قال الشيخ محيي الدين واما
صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج فى المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لانتمسك
الابالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى
والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل راى محمد صلى
الله عليه وسلم ربه قال نعم وقدروى باسناد لابأس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال راى محمد
ربه عزوجل وكان الحسن يحلف لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل والاصل
فى المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه فى المعضلات وقدراجعه ابن
عمر فى هذه المسئلة وراسله هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل فاخبره انه رآه
ولايقدح فى هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لم
ارربى وانما ذكرت ماذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء
حجاب اويرسل رسولا ولقوله لاتدركه الابصار والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم
لم يكن قوله حجة واذاقد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب
المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولايستجيز احد
ان يظن بابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر
اختلاف عائشة وابن عباس ماعائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس اثبت مانفاه غيره والمثبت
مقدم على النافى هذا كلام صاحب التحرير فى اثبات الرؤية قال الشيخ محيي الدين فالحاصل ان
الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عزوجل بعينى رأسه ليلة
الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لايأخذونه الابالسماع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا مما لاينبغى ان يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولوكان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح
الجواب عنها فنقول اما احتجاج عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله تعالى لاتدركه الابصار فجوابه
ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لايحاط به واذاورد النص بنفى الاحاطة لايلزم منه
نفى الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب فى نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها بقوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا الآية فالجواب عنه من اوجه احدها انه لايلزم مع الرؤية
وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثانى انه عام مخصوص
بما تقدم من الادلة الوجه الثالث قاله بعض العلماء ان المراد بالوحى الكلام من غير واسطة

لان عبادة اهل الدنيا لسادتهم
وخدمتهم اياهم لا تكون
الالغرض نفسانى وكذا
استعباد الموالى لخدمهم
فاذا ارتفعت الاغراض
وزالت العلل والاسباب
كانوا لهم اعداء وانكروا
عبادتهم يقولون ماخدمتمونا
ولكن خدمتم انفسكم كما
قيل فى تفسير قوله الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو
(ان الذين قالوا ربنا الله)
اى تجردوا عن العلائق
ورفضوا العوائق وانقطعوا
الى الله عن كل ما سواه
ورجعوا البصر عن طغواه
فصدقا قالوا ربنا الله اذلو
بقيت منهم بقايا ولم يأمنوا
التلوينات فى عرصة الفناء
لم يقولوا صادقين ربنا الله
(ثم استقاموا) بالتحقق به
فى العمل والتحفظ به فى
مراعاة آداب الحضرة عن
الزلل والخطل بحيث لم
ينبض منهم عرق ولم يتحرك
منهم شعرة الابالله ولله (فلا
خوف عليهم) اذ لاحجاب
ولاعقاب (ولاهم يحزنون)
اذ لامرغوب الا وهو
حاصل لهم فلم يفت منهم
شئ ولايفوت كما قيل ان
فى الله عزاء لكل مصيبة
ودركا عن كل مافات (اولئك

وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحى هنا الالهام والرؤية فى المنام وكلاهما يسمى وحيا واماقوله تعالى اومن وراء حجاب فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة فى اول الحديث لقد قف شعرى معناه قام شعرى من الفزع لكونى سمعت مالا ينبغى ان يقال تقول العرب عند انكار الشئ قف شعرى واقشعر جلدى واشمأزت نفسى وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابى ذر نورانى اراه فهو بتنوين نورو بفتح الهمزة فى انى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال الماوردى الضمير فى اراه عائد على الله تعالى والمعنى ان النور يمنعنى من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حلت بين الرائى وبينه وفى رواية رايت نورا معناه رايت النور فحسب ولم ار غيره وفى رواية ذاته نورانى اراه ومعناه هو خالق النور المانع من رويته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة المسلمين والله اعلم ❊ قوله عز وجل (افرأيتم اللات والعزى) هذه اسماء اصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها اسماء من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى اخبرونا عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة شئ وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبده وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فمرت الطائف على موضع اللات واما العزى فقيل هى شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

ياعز كفرانك لا سبحانك ❊ انى رايت الله قد اهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال مارايت فقال مارايت شيأ فقال ماقطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقيل هى صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفانى وقيل انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى اخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذى اخذ المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار واسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا

اصحاب الجنة) المطلقة الشاملة للجنان كلها (خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) فى حال السلوك حتى الوصول (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة) لما كانت النفس ممنوة بتدبير البدن لتوقف استكمالها عليه مشغولة عن كمالها به فى اول النشأة لم تنفتح بصيرتها ولم يصف ادراكها ولم يتبين رشدها الا وقت بلوغ النكاح كما قال فى اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وذلك هو الاشد الصورى الا ترى ان الطبيعة من وقت الطفولة الى هذا الحد لا تتفرغ الى تحصيل مادة النوع عن ايرادها ما يزيد فى الاقطار من الغذاء زائدا على بدل المتحلل من البدن لضعف الاعضاء وشدة الاحتياج الى النمو والتصلب فالنفس حينئذ منغمسة فى البدن مستعملة للطبيعة فى ذلك العمل ذاهلة عن كمالها الى هذا الاجل فلما قربت الآلات من حد كمالها

يطوفون بين الجرين ويعبدون الجرين ويعبدون الجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وامر برفع الجارة وامر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كان تعبده ثقيف وقوله (ومناة) قيل هي الخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هي بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من الجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة اذهي الثالثة في الذكر واما الاخرى فان العرب لاتقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب اخرى ولم يقل اخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره افرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمي والعزى شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي في اخريات المراتب ومعنى الآية هل رايتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لاتصلح للعبادة لانها لاتضر ولاتنفع وقيل افرأيتم ايها الزاعمون اللات والعزى ومناة بنات الله الكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عزوجل منكرا عليهم (الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس اى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ماتكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هي) اى ماهذه الاصنام (الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولاعزة لها فلايكون لها مسمى حقيقة (ماانزل الله بها من سلطان) اى حجة بماتقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) اى في قولهم انها آلهة (وماتهوى الانفس) يعنى هو مازين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذى ينبغى ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس (ولقدجاءهم من ربهم الهدى) اى البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل ان الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لاتصلح الا لله الواحد القهار ❊ قوله تعالى (ام للانسان ماتمنى) معناه ايظن الكافر ان له ماتمنى ويشتهى من شفاعة الاصنام اى ليس الامر كما يظن ويتمنى (فلله الآخرة والاولى) اى لايملك احد فيهما شيئا ابدا الاباذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ماتمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء في الدنيا والآخرة وان شاء امهله الى الآخرة (وكم من ملك في السموات) اى ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عندالله (لاتغنى شفاعتهم شيأ) يعنى ان الملائكة مع علو منزلتهم لاتغنى شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم اخبر ان الشفاعة لاتكون الاباذنه فقال تعالى (الامن بعد ان يأذن الله) اى في الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) اى من اهل التوحيد قال ابن عباس يريد لاتشفع الملائكة الالمن رضى الله عنه وقيل الامن بعد ان يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (ان الذين لايؤمنون بالآخرة) يعنى الكفار الذين انكروا البعث (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) اى بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى

ووصلت الى ما يصلح لاستعمالها في تصرفاتها وانتقص الاحتياج الى ما يزيد في اقطارها تفرغت الطبيعة الى ذخيرة مادة النوع من الشخص لاستغنائها بكمال الشخص عن مادته فتفرغت النفس الى تحصيل كمالها فانفتحت بصيرة علقا وظهرت انوار فطرتها واستعدادها وتنبهت عن نومها في مهدها وتيقظت عن سنة غفلتها وتفطنت لقدس جوهرها وطلبت مركزها وغايتها لامرين صلاحية الآلات للاستعمال في الاستكمال وفراغها من تخصيص البدن بالاقبال لقلة الاشغال لكنها مادامت سن النمو باقية وزيادة الآلات في القوة والشدة ممكنة ماتوجهت بالكلية الى الجهة العلوية وماتجردت لتحصيل الكمالات العقلية والمطالب القدسية للاشتغال المذكور وان قل وذلك الى منتهى الثلثين من السن كما تبين في علم الطب فلما جاوزتها واخذت في سن الوقوف اقبلت الى عالمها واشرقت انوار فطرتها فاشتدت في طلب كمالها لوقوع الفراغ لها اليها فأخذ كافل الايتام

ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (وما لهم به من علم) اى بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل مايستيقنون ان الملائكة اناث (ان يتبعون الا الظن) اى فى تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لايغنى من الحق شيأ) اى لايقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ بالعلم واليقين لابالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لاتستخرج بالظنون (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القران وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحيوة الدنيا) يعنى انهم لايؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) اى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم ان آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) اى هو عالم بالفريقين ويجازيهم باعمالهم (ولله مافى السموات ومافى الارض) وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزى الذين اساؤا بما عملوا) والمعنى اذا كان اعلم بهم جازى كل احد بما يستحقه فيجزى الذين اساؤا اى اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين احسنوا) اى وحدوا ربهم (بالحسنى) يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسئ اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله مافى السموات وما فى الارض ثم وصف المحسنين فقال عزوجل (الذين يجتنبون كبائر الاثم) قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل مالايحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهى ماعظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هى مافحش من الكبائر (الا اللمم) اى الاماقل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك الممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول ابى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبدالله بن عمرو بن العاص اللمم مادون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عزوجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لايعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عزوجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما * واى عبدلك لا الما

اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل اصل اللمم والالمام مايعمله الانسان الحين بعد الحين ولايكون له اعادة ولااقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ماسلف فى الجاهلية فلايؤاخذهم به فى الاسلام

الحقيقية الذى هو روح القدس ان آنس رشدها فى دفع اموالها التى هى الحقائق والمعارف والعلوم والحكم اليها لبلوغها نكاح الغوانى من المفارقات القدسية والنورانيات الجبروتية وذلك وقت سيرها فى صفات الله الى ذات الله حتى الفناء التام بالاستغراق فى عين الجمع لامكان السير فى افعاله من وقت الاشد الصورى الى اشد هذا الاشد المعنوى الذى نهايته الاربعون تقريبا ولهذا قيل الصوفى بعد الاربعين ابدا ذلم يستعد بالتوجه والطلب والسير فى الافعال بالتزكية لقبول تلك الاموال والتصرف فيها فلم يأنس روح القدس منه الرشد فلم يدفع اليه واذا تم سيره فى الله عند ذلك الاشد بالفناء فيه كان وقت البقاء بعد الفناء واوان الاستقامة فى العمل واشار اليها بقوله (قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى) ولهذا لم يبعث نبى قط الا بعد الاربعين سوى عيسى ويحيى ومع ذلك وقفا فى بعض السموات ولما كانت النعم اوابد يجب

(وذلك)

وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لامحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان مالم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو مالم على القلب اى خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان اعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة ﴾ قال العلماء اكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لاخفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ماسواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل واحكام تعرف بها مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من اكبر الكبائر بالنسبة الى مادونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر اسبع هي قال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى سبعمائة اقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الائمة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروى عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه بنار في الآخرة او حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف او استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجرئ عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لايمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا اردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وان ساوت ادنى

تقييدها بالشكر استوزع الشكر على نعمة الكمال الحاصل المسبوق بالنعم الغير المتناهية لمحافظتها لئلا يحتجب برؤية الفناء فيترك الطاعة تبرما لحاله واتكالا على كماله فان آفة مقام الفناء رؤية الفناء والمبتلى بها يقع في التلوين ويحرم نعمة التمكين ولهذا قال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا فطلب محافظة نعمة الهداية والكمال عليه بابقافه على الطاعات التي هي شكر نعمته التي انعم بها عليه وعلى والديه اللذين هما السبب القريب لوجوده اذ لو لم يكن فيهما خير وخلق حسن وسر صالح لم يظهر عليه ذلك الكمال لانه سرهما ولهذا وجب الاحسان والدعاء بالوالدين ولهما (وان اعمل صالحا ترضيه) بتكميل المستعدين فان الواجب على الكامل اولا محافظة كماله ثم تكميل المستكملين اذ العمل انما هو من الامور النسبية فربما كان صالحا بالنسبة الى احدسيئا بالنسبة الى غيره كما قال حسنات الابرار سيئات المقربين ولهذا قال (واصلح لي في ذريتي) اى اولادي الحقيقية

مفاسد الكبائر او زادت عليه فهى من الكبائر فمن امسك امرأة محصنة لمن يزنى بها او امسك مسلما لمن يقتله فلاشك ان مفسدة ذلك اعظم ممن اكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك او دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستأصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم انه يؤخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه انه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب او السنة ومنها ما وصف فاعلها بالفسق او يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله اعلم ❊ وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام اى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة ايضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل فى حد الاصرار هو ان يتكرر منه الصغيرة تكرارا ويشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى (هو اعلم بكم) اى قبل ان يخلقكم وهو قوله (اذ انشأكم من الارض) اى خلق آباءكم ادم من التراب (واذ انتم اجنة) جمع جنين (فى بطون امهاتكم) سمى جنينا لاستتاره فى بطن امه (فلا تزكوا انفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا انفسكم فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الآية هو اعلم بكم ايها المؤمنون على حالكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن تعرفوا حقيقته انا خير منك او انا ازكى منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو اعلم بمن اتقى) اى بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا انفسكم اى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم ادم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية ❊ قوله عز وجل (افرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا اتركت دين الاشياخ وضللت قال انى خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى للذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله افرايت الذى تولى اى ادبر واعرض عن الايمان (واعطى) اى لصاحبه الذى عيره (قليلا واكدى) اى بخل بالباقى وقيل اعطى قليلا اى من الخير بلسانه واكدى اى قطعه وامسك ولم يتم بالعطية وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم

سواء كانوا صلبية او لا لان عمله الصالح الذى هو التكميل وتربية المريدين لا ينجع الا بعد تهيؤ استعدادهم والصلاح فى اعمالهم واحوالهم وذلك من فيضه الاقدس ولو لم يكن هذا الصلاح والقبول التام الذى لا يكون الا من عند الله لما كان للاصلاح والتكميل والارشاد اثر كما قال انك لا تهدى من احببت وهما اى محافظة الكمال بالشكر بالقيام بحق الملهم بالطاعات والتكميل بالارشاد ملاك العمل فى الاستقامة ووظيفة المتحقق بالوجود الحقانى فى مقام البقاء (انى تبت اليك) من ذنب رؤية الفناء وهذه التوبة هى التى تاب بها موسى عليه السلام عند الافاقة كما قال تعالى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك (وانى من المسلمين) المنقادين المستسلمين فى سلك العباد لمكان الاستقامة (اولئك) الموصوفون بتلك التوبة والاستقامة هم (الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) بظهور آثار تربيتهم وحسن هدايتهم فى مريديهم لان التكميل احسن اعمالهم الا ترى ان كل من لم يبشت على طريق

في بعض الامور وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله مايامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اى لم يؤمن به ومعنى الآية اكدى اى قطع واصله من الكدية وهى حجر يظهر فى البئر يمنع من الحفر (اعنده علم الغيب فهو يرى) اى ماغاب عنه اى ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (ام لم ينبأ) اى يخبر (بما فى صحف موسى) يعنى اسفار التوراة (وابرهيم) اى وبخبر بما فى صحف ابراهيم (الذى وفى) اى كمل وتمم ماامربه وقيل عمل بما امربه وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه سهام الاسلام وهو قوله واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شان المناسك وروى البغوى بسنده عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذى وفى عمله كل يوم باربع ركعات اول النهار عن ابى الدرداء وابى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن آدم اركع لى اربع ركعات من اول النهار اكفك آخره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ثم بين مافى صحفهما فقال تعالى (الا تزر وازرة وزر اخرى) اى لاتحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لاتؤخذ نفس باثم غيرها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد ابن المغيرة انه يحمل عنه الاثم قال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه واخيه وامرأته وعبده حتى كان ابرهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى (وان ليس للانسان الا ماسعى) اى عمل وهذا فى صحف ابراهيم وموسى ايضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلها ماسعوا وماسعى لهم غيرهم لماروى عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يارسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امى توفيت اينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفى رواية ان سعد بن عبادة اخا بنى سعد وذكر نحوه واخرجه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امى افتلتت نفسها واظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه فى الصحيحين وفى حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك واحمد وجماهير العلماء ان حج الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لايجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو حنيفة لايصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفى الحديثين الآخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك اجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة فى ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعى واختلف العلماء فى الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعى ان قراءة القرآن لايصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل واما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعى والجمهور وقال احمد تصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ماعمل هو فيثاب عليه فى الدنيا بان يوسع عليه

المتابعة ولم يتشدد فى حفظ السنة من الكمل لم يكن له اتباع ولم يقم منه كامل لخلله فى الاستقامة واتكاله على حاله من الكرامة وذلك علامة عدم قبول عمله الصالح وهؤلاء لما قاموا بشكر نعمة الكمال قبل عملهم (ونتجاوز عن سيئاتهم) التى هى بقايا صفاتهم وذواتهم بالمحو الكلى والطمس الحقيقى فى مقام التمكين فلا يقعون فى ذنب رؤية الفناء ولاتلوين ظهور الانية والانانية (فى اصحاب الجنة) المطلقة (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) حيث قال الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شئ (والذى قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ماهذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات) لماذكر السابقين وعقبهم بذكر من يقابلهم من المطرودين الذين حق عليهم القول وبين ان الفريق الاول فى عداد السعداء

في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروى ان عبدالله بن ابى ابن سلول كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ماسعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله مايشاء من فضله وكرمه (وان سعيه سوف يرى) اى يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها و يحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) اى السعى (الجزاء الاوفى) اى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء الاوفى ❊ قوله عزوجل (وان الى ربك المنتهى) اى اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الآخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفى المخاطب بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها السامع اوالعاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسئ وحث شديد للمحسن ليقلع المسئ عن اساءته و يزداد المحسن في احسانه الوجه الثانى ان المخاطب بهذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الآية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى البغوى باسنادا لثعلبى عن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله وان الى ربك المنتهى قال لافكرة في الرب وهذا مثل ماروى عن ابى هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لايحيط به الفكرة ومعناه لافكرة في الرب اى انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت انه لابدلها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وانه هو اضحك وابكى) اى هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على ان جميع مايعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل افرح واحزن الان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل (ق) عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط فقال لو تعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة اى بكاء مع صوت يخرج من الانف (وانه هو امات واحيى) اى امات في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الآباء واحيا الابناء وقيل امات الكافر بالنكرة واحيا المؤمنين بالمعرفة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) اى من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التى تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شئ لايصل اليه فهم العقلاء ولايعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لابفعل الطبيعة (من نطفة اذا تمنى) اى تصب في الرحم وقيل تقدر وفى هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شئ واحد خلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجب صنعه وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق

والفريق الثانى من جملة الاشقياء تناول الكلام الاصناف السبعة المذكورة في اول الكتاب للتصريح بذكر الصنفين اللذين هما الاصل في الايمان والكفر والتعريض بذكر الخمسة الباقية فقال ولكل درجات (مما عملوا) اى ولكل صنف من اصناف الناس درجات من جزاء اعمالهم من اعلى عليين الى اسفل سافلين وغلب الدرجات على الدركات بل لكل احد من كل صنف رتبة ومقام وموقع وقدم من احدى الجنان او طبقات النيران (وليوفيهم اعمالهم وهم لايظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) انكر عليهم اذهاب جميع الحظوظ في لذات الدنيا لان لكل احد بحسب استعداده الاول كمالا ونقصا يقابله وبحسب وقت تكونه في هذا العالم سعادة عاجلة وشقاوة تقابلها فله بحسب كل واحدة من النشأتين طيبات وحظوظ تناسب كلا كماليه فمن اقبل بوجهه على طيبات الدنيا وحظوظها والاستمتاع بها واعرض بقلبه

لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولاخلقها ولاخلق غيره كما لم يقدر احد ان يدعى خلق السموات والارض (وان عليه النشأة الاخرى) اى الخلق الثانى بعد الموت للبعث يوم القيامة (وانه هو اغنى واقنى) اى اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهى اصول الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اى اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اى اعطى فأرضى وقيل اغنى يعنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شئ لان الغنى ضد الفقر واقنى اى زاد فوق الغنى (وانه هو رب الشعرى) اى انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب فى الدين سموه ابن كبشة تشبيها له به فى خلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضئ خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما واراد بالشعرى هنا العبور (وانه اهلك عادا الاولى) وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعنى اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح اهلكم الله بالصيحة (فما ابقى) يعنى منهم احد (وقوم نوح من قبل) يعنى اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (انهم كانوا هم اظلم واطغى) يعنى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (اهوى) اى اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم اهوى بها (فغشاها) اى البسها الله (ماغشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى آلاء ربك تتمارى) اى تشك ايها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى اى تكذب (هذا نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الاولى) اى رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذرت الرسل من قبله (ازفت الآزفة) اى قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) اى مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لايكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لايكشف عنها ولايظهرها غيره وقيل معناه ليس لها رد يعنى اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها يكشفها ولم يردها عنهم احد * قوله تعالى (افمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) تكرون (وتضحكون) اى استهزاء (ولا تبكون) اى مما فيه من الوعيد (وانتم سامدون) اى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا واصل السمود فى اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمغنى وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعنى ايها المؤمنين شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض فى الصلاة (واعبدوا) اى اعبدوا الله وانما قال واعبدوا امالكونه معلوما واما لان العبادة فى الحقيقة لاتكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله

عن طيبات الاخرى ولذاتها حرم الثانية اصلا لانغماسه فى الامور الظلمانية واحتجابه عن المطالب النورانية كما قال تعالى فنهم من يقول ربنا اتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق وذلك معنى قوله اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا لان حظوظ الاخروية التى تقتضيها هويته ذهبت فى هذه فكأن مازاد فى النهار نقص من الليل واما من اقبل بوجهه الى الاخرى وتنزه عن هذه بالزهد والتقوى ورغب فى المعارف الحقيقية والحقائق الالهية والاذات العلوية والانوار القدسية التى هى الطيبات بالحقيقة فقد اوتى منها حظه ولم ينقص من حظوظه العاجلة على قياس الاول بل وفر منها نصيبه كما قال من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وذلك لان الاستغراق فى عالم القدس والتوجه الى جناب الحق يورث النفس قوة وقدرة تؤثر بها فى عالم الحس فكيف اذا اتصلت بمنبع القوى والقدر اما ترى

بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصباء او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخارى فى رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال فى آخره وهو امية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففى هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعى واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع وهو قول سفيان واصحاب الرأى والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة القمر وهى مكية وهى خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان واربعون كلمة ﴾

﴿ والف وار بعمائة وثلاثة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴿ اقتربت الساعة ﴾ اى دنت القيامة ﴿ وانشق القمر ﴾ قيل فيه تقديم وتاخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ماروى عن انس ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخارى ومسلم وزاد الترمذى فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذا انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد اعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا مايستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه الترمذى وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم قد راوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابى كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رايناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لايشك فيه مؤمن وقد اخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفى الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه مايشاء كما يفنيه ويكوره فى آخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم فى رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب

ان عالم الملكوت مؤثر فى عالم الملك متصرف فيه قاهر له باذن الله تعالى وتسخيره والانهماك فى عالم الحس يخمد قوة الفطرة ويطفئ نور القلب فلا تبقى له قدرة ولا قوة وتأثير فى شئ وكيف وقد تأثرت عما من شأنه التأثر المحض وتسخرت لما من شأنه التسخر الصرف والانفعال المطاق ولهذا قيل الدنيا كالظل تتبع من اعرض عنها وتفوت من اقبل اليها قال امير المؤمنين رضى الله عنه من اقبل اليها فاتته ومن اعرض عنها اتته ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴾ اى الذلة والصغار الملازمتكم بالطبع للجهة السفلية وتوجهكم بالعشق الى المطالب الدنية فأنتم اخترتم الدناءة والانقهار بالجبروا لاستكبار وذلك معنى قوله ﴿ بما كنتم تستكبرون ﴾ اى فى مقام النفس باستيلاء القوة الغضبية التى شأنها الاستكبار ﴿ فى الارض بغير الحق ﴾ اذ لو تجردوا عن الهيآت الغضبية والشهوية وترفعوا عن الصفات النفسية ونضوا جلابيب الانية والانانية لاستكبروا بالحق فى السماء

العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل فى الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر فى السماء او ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث فى السماء فى الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهر القوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم وقيل فى معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضى وحمل الماضى على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفى قوله تعالى ﴿ وان يروا آية يعرضوا ﴾ دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية اى تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا اى عن التصديق بها ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ اى دائم مطرد وكل شئ دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما راوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر اى قوى محكم شديد يعلوه يعلو كل سحر وقيل مستمر اى ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا ﴿ وكذبوا ﴾ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله ﴿ واتبعوا اهواءهم ﴾ اى ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر ﴿ وكل امر مستقر ﴾ اى لكل امر حقيقة فما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان منه فى الآخرة فسيعرف وقيل كل امر مستقر فالخير مستقر بأهله فى الجنة والشر مستقر باهله فى النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب او العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعنى ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من اموره مستقر وان امر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق ﴿ ولقد جاءهم ﴾ يعنى اهل مكة ﴿ من الانباء ﴾ اى من اخبار الامم الماضية المكذبة فى القرآن ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ اى منتهى وموعظة ﴿ حكمة بالغة ﴾ يعنى القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية ﴿ فما تغنى النذر ﴾ يعنى اى غنى تغنى النذر اذا خالفوهم وكذبوهم ﴿ فتول عنهم ﴾ اى اعرض عنهم نسختها آية القتال ﴿ يوم يدع الداع ﴾ اى اذكر يا محمد يوم يدع الداعى وهو اسرافيل ينفخ فى الصور قائما على صخرة بيت المقدس ﴿ الى شئ نكر ﴾ اى منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له ﴿ خاشعا ﴾ وقرئ خشعا ﴿ ابصارهم ﴾ اى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب ﴿ يخرجون من الاجداث ﴾ اى من القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ مثل فى كثرتهم وتموج بعضهم فى بعض حيارى فزعين ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين مادى اعناقهم مقبلين ﴿ الى الداع ﴾ اى الى صوت الداعى وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ اى صعب شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين ❊ قوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم ﴾ اى قبل اهل مكة ﴿ قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ يعنى نوحا ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ اى

والارض ولكان تكبرهم كبرياء الله كما قال الصادق عليه السلام لمن قال له فيك كل فضيلة وكمال الا انك متكبر لا والله بل انخلعت عن كبرى فخلع على كبرياء الله او ما هذا معناه فهذا هو التكبر بالحق (وبما كنتم تفسقون واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكنى اراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى

زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعني نوحا (ربه) وقال (انى مغلوب) اى مقهور (فانتصر) اى فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولايستبعد ذلك لانه قد صح فى الحديث ان للسماء ابوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) اى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع اربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) اى وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) اى قضى عليهم فى ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الماآن سواء فكانا على ماقدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات الواح) اى سفينة ذات الواح واراد بالالواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هى المسامير التى تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هى عوارض السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها (تجرى) يعنى السفينة (باعيننا) اى بمراى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفربه وجحد امره وقيل لمن بمعنى لما اى جزاء لما كان كفر من ايادى الله ونعمه عند الذين اغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح واصحابه (ولقد تركناها آية) يعنى الفعلة التى فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة (فهل من مدكر) اى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها على وفى رواية اخرى سمعته يقول مدكر دالا (فكيف كان عذابى ونذر) اى انذارى (ولقد يسرنا القرآن) اى سهلنا القرآن (للذكر) اى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) اى متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى وغيرهم * قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) اى انذارى لهم بالعذاب (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اى شديدة الهبوب (فى يوم نحس) اى فى يوم شؤم (مستمر) اى دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم احد الاهلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) اى الريح تقلعهم ثم ترمى بها على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم اعجاز نخل) قال ابن عباس اصول نخل (منقعر) اى منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من اجسامهم فتبقى اجسامهم بلارؤس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) اى بالانذار الذى جاءبه صالح (فقالوا ابشرا منا واحدا) يعنى آدميا واحدا منا (نتبعه) اى ونحن جماعة كثيرون (انا اذا لفى ضلال) اى خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفى عناء وعذاب ممايلزمنا من طاعته وقيل لفى جنون وقيل لفى بعد عن الحق (ءألقى الذكر عليه) يعنى ءانزل عليه الوحى (من بيننا بل هو كذاب أشر) اى بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) اى حين ينزل بهم

وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وماكانوا يفترون) باستيلاء القوة الشهوانية التى خاصيتها الفسق والفساد (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الجن نفوس ارضية تجسدت فى ابدان لطيفة مركبة من لطائف العناصر سماها حكماء الفرس الصور المعلقة ولكونها ارضية متجسدة فى ابدان عنصرية تومشاركتها الانس فى ذلك سميا ثقلين وكما امكن الناس التهدى بالقرآن امكنهم وحكاياتهم من المحققين وغيرهم اكثر من ان يمكن رد الجميع واوضح من ان يقبل التأويل وان شئت التطبيق فاسمع واذ صرفنا اليك نفرا من جن القوى الروحانية من العقل والفكر والمخيلة والوهم حال القراءة فى الصلاة اى املناهم نحوك واتبعناهم سرك بالاقبال بهم اليك وصرفهم عن جانب النفس والطبيعة بتطويقهم اياك وتسخيرهم لك حتى يجتمع همك ولا يتوزع قلبك ولايتشوش بالك

(العذاب)

العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكرا لغد للتقريب (من الكذاب الاشر) اى صالح ام من كذبه (انا مرسلوا الناقة) اى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنة) اى محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) اى فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) اى على اذاهم (ونبئهم) اى اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) اى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) اى نصيب من الماء (محتضر) اى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعني قدار بن سالف (فتعاطى) اى فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعني الناقة (فكيف كان عذابي ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) يعني صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا) يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعني من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) اى جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزي) اى كما انعمنا على آل لوط كذلك نجزي (من شكر) يعني ان من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد انذرهم) اى لوط (بطشتنا) يعني اخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) اى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) اى طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه (فطمسنا اعينهم) وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب واخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا اعينهم اى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم (فذوقوا عذابي ونذر) يعني ما انذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) اى جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) اى دائم استقر فيهم حتى افضى بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التي انذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعني الآيات التسع (فأخذناهم) اى بالعذاب (اخذ عزيز مقتدر) اى غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (اكفاركم خير من اولئكم) يعني اقوى واشد من الذين احللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون

بحركاتهم في وقت حضورك عند طلوع فجر نور القدس (يستمعون القرآن) الوارد اليك من العالم القدسي (فلما حضروه) اى حضروا العقل القرآني الجامع للكمالات عند ظهور النور الفرقاني عليك (قالوا انصتوا) اى سكتوا وسكت بعضهم بعضا عن كلامهم الخاص بهم مثل الاحاديث النفسانية والمتصورات والهواجس والوساوس والخواطر والحركات الفكرية والانتقالات التخيلية والقول ههنا حالي كما ذكر غير مرة اذ اولم يسكتوا وينصتوا مستمعين لما يفيض عليهم من الواردات القدسية لم يبق من الوارد اثر بل لم يكن بتلقي الغيب ولا وورود المعنى القدسي ولا تلاوة الكلام الالهي كما ينبغي ولهذا قال ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ولأمر ما كان مبدأ الوحي منامات صادقة وذلك كون هذه القوى ساكنة متعطلة عند النوم حتى قوى على عزلها عن اشغالها وتعطيلها في اليقظة (فلما قضي) اى الوارد المعنوي والنازل القدسي

وهذا استفهام انكار اى ليسوا بأقوى منهم (ام لكم براءة) يعنى من العذاب (فى الزبر) اى فى الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية (ام يقولون) يعنى كفار مكة (نحن جميع) اى امرنا (منتصر) اى من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآى وقيل معناه نحو كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اى كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعنى كفار مكة (ويولون الدبر) اى الادبار فوحد لاجل رؤس الآى وقيل فى الافراد اشارة الى انهم فى التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم فى ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة يوم بدر اللهم انى انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم ابدا فأخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك فخرج وهو فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادرى اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعنى جميعا والساعة ادهى وأمر اى اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر * قوله عز وجل (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى ضلال وسعر) قيل فى بعد عن الحق وسعر اى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسعرة فى الآخرة وقيل فى ضلال اى عن طريق الجنة وسعر اى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال (يوم يسحبون) اى يجرون (فى النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) اى ذوقوا ايها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (انا كل شئ خلقناه بقدر) اى مقدور مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

﴿ فصل فى سبب نزول الآية وما ورد فى القدر وما قيل فيه ﴾ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن ابى هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز * عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفى حديث جبريل المتفق

الكشفى (ولوا الى قومهم منذرين) القوى النفسانية والطبيعية ينذرونهم عقاب الطغيان والعدوان على القلب بالتأثير فيهم بالملكات الفاضلة وافاضات الهيآت النورية المستفادة من المعنى القدسى النازل ويمنعونهم الاستيلاء على القلب بالتسخير والارتياض (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى) اى ما تأثرنا بمثل هذا التأثر النورى فى الوجود المحمدى الا فى زمن موسى ومن بعده الى هذا الزمان ما ترقينا هذا المعنى لان عيسى عليه السلام ما تم معراجه وما بلغ حاله حال النبيين المذكورين موسى ومحمد فى الانخراط فى سلك القدس فى حياته ومتابعة جميع قواه لسره وما كمل فناؤه ليتحقق جميع قواه بالوجود الحقانى ولذلك بقى فى السماء الرابعة واحتجب فيها بخلافهما وسيتبع الملة المحمدية بعد النزول ليتم حاله (مصدقا لما بين يديه) لكونه مطابقا له فى الهداية الى التوحيد والاستقامة كما اشير اليه بقوله (يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا

عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية * عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لاقدر من مات منهم
فلاتشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم
بالدجال اخرجه ابوداود وله عن ابي هريرة مثله وزاده فلاتجالسوهم ولاتفاتحوهم في الكلام
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب
المرجئة والقدرية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزي في تفسيره
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق
يوم القيامة امر منـاديا فينـادي نداء يسمعـه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم
القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزي
وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون في انه لايجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها
وروي عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما
حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر
قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان
الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة عنده
سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسـب ماقدرها الله تعالى وانكرت
القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستأنفة العلم اي
انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن اقوالهم الباطلة علوا
كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب المقـالات من المتكلمين وقد
انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع البـاطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه
وصارت القدرية في الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر
من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * وحكى ابو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث
وابو المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قالوا لسنا
بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من
هؤلاء الجهلة ومبـاهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون
القدر والافعـال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعي الشئ لنفسـه
ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد
قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير
والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن
ولاخفاء باختصـاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه ابو
حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابوداود في سـننه والحاكم
ابو عبدالله في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم عن ابن
عمر وقال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم
بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصـار والثنوية

داعي الله) بمطاوعة القلب
في التوجه الى الله والتأدب
بآدابه والاستسلام لاحكامه
والانقياد لاوامره ونواهيه
في طاعته (وآمنوا به) بالتنور
بنوره والانخراط في سلك
عبادته (يغفر لكم من ذنوبكم)
الهيآت الرذائل والميل الى
الجهات السـفلية بمتابعة
الهوى وحجب الصفـات
النفسانية دون التعلقـات
البدنية والشواغل الطبيعية
لامتناع تجريدها عن المادة
ولهـذا المعنى اورد من
التبعيضية (ويجركم من عذاب
اليم) بسـبب النزوع
والانجـذاب الى اللذات
والشـهوات مع الحرمان
لفقـدان الآلات وماقال
بعض المفسرين ان الجن
لاثواب لهم وانما اسـلامهم
يدفع عقابهم في تفسير الآية
ان ثبت اشارة الى ان هذه
القوى البدنية لاحظ لها من
المعـاني الكلية العقليـة
والهيآت النورية واللذات
القدسـية لكن انقيادهـا
ومطاوعتها للسر يدفع آلامها
الحسية والنزوعية (ومن
لايجب داعي الله فليس بمعجز
في الارض وليس له من دونه
اولياء اولئك في ضلال مبين
اولم يروا ان الله الذي خلق

السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) والله اعلم

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تطبيق (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم) على القوى النفسانية المانعة عن السلوك فى سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا واتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فامامنا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك

وكذلك القدرية يضيفونه الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شئ الخير والشر جميعا لايكون شئ منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهر على ماقدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقد راسم لمصدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اى خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله اعلم * واما معانى الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ماقدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ اوغيره لااصل القدر فان ذلك ازلى لااول له وعرشه على الماء اى قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شئ بقدر حتى العجز والكيس اوقال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك مايجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم فى امور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه ❊ قوله تعالى (وماامرنا الا واحدة) اى وماامرنا الامرة واحدة وقيل معناه وماامرنا لشئ اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لامراجعة فيه فعلى هذا اذا اراد الله سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لاحاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد ان قضائى فى خلق اسرع من لمح البصر وعن ابن عباس ايضا معناه وماامرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد اهلكنا اشياعكم) اى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة (فهل من مدكر) اى متعظ بان ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شئ فعلوه) يعنى الاشياع من خير وشر (فى الزبر) اى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) اى من الخلق واعمالهم وآجالهم (مستطر) اى مكتوب ❊ قوله عزوجل (ان المتقين فى جنات) اى بساتين (ونهر) اى انهار وانما وحده لموافقة رؤس الآى واراد انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه فى ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لاليل عندهم (فى مقعد صدق) اى فى مجلس حق لالغو فيه ولاتأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لاكذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لامعنى المكان (مقتدر) اى قادر لايعجزه شئ وقيل مقربين عند مليك امره فى الملك والاقتدار

اعظم شئ فلاشئ الاهو تحت ملكه وقدرته فاى منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم

﴿ تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل ﴾

وهى مكية وذكر ابن الجوزى انها مدنية فى قول من قولين عن ابن عباس وهى ست وسبعون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لانعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعنى الذى انكرتموه هوالذى علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعنى علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهوالقرآن العزيز لانه اعظم وحى الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه فى ابواب الدين اثراوهو سنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البرية (خلق الانسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعنى اسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان اى النطق الذى يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف مايقول ومايقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعنى بيان مايكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعنى بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب مايريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو مايدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ماليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ماله ساق يبقى فى الشتاء وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هوالكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر فى مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان فى مقابلة سمائيين (والسماء رفعها) اى فوق الارض (ووضع الميزان) قيل اراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله (الا تطغوا فى الميزان) اى لاتجاوزوا العدل وقيل اراد به الآلة التى يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير ان لاتطغوا فى الميزان اى لئلا تميلوا وتجاوزوا الحق فى الميزان (واقيموا الوزن بالقسط) اى بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولاتخسروا) اى لاتنقصوا (الميزان) اى لاتطففوا فى الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه

ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ياايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم) على الروحانية المعاونة الى آخر الكلام ظاهر مما سبق فلا تكرر (مثل الجنة) اى صفة الجنة المطلقة المتناولة للجنان كلها (التى وعد المتقون) من الاصناف

(والارض وضعها) اى خفضها مدحوة على الماء (للانام) اى للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ماظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها) اى فى الارض (فاكهة) اى من انواع الفاكهة وقيل ماتتفكهون به من النعم التى لاتحصى (والنخل ذات الاكمام) يعنى الاوعية التى يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون فى غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شئ سترشيأ فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه اعظمها واكثرها بركة (والحب) يعنى جميع الحبوب التى يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا فى الاماكن (ذو العصف) قال ابن عباس يعنى التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذاقطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولاورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث فى الاكمام الحب (والريحان) يعنى الرزق قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ريحان فى القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذى يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) يعنى ايها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية فى هذه السورة فى احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا فى التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن احسن اليه وتابع اليه بالايادى وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع فى كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر فى هذه السورة مايدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأى آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم * عن جابر رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا لابشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه ولابشئ * قوله تعالى (خلق الانسان من صلصال) يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعنى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات فى صفة خلق الانسان الذى هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فى هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار (وخلق الجان) وهو ابو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعنى الصافى من لهب النار الذى لادخان فيه وقيل هو مااختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا اوقدت (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس

الجنة المذكورة غير مرة (فيها انهار من ماء غير آسن) اى اصناف من العلوم والمعارف الحقيقية التى تحيا بها القلوب وتروى بها الغرائز كما تحيا بالماء الارض وتروى الاحياء غير آسن غير متغير بشوائب الوهميات والتشكيكات واختلاف الاعتقادات الفاسدة والعادات وهى للمتقين المجتنبين من الصفات النفسانية الواصلين الى مقام القلب (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) اى من علوم نافعة متعلقة بالافعال والاخلاق مخصوصة بالناقصين المستعدين الصالحين للرياضة والسلوك فى منازل النفس قبل الوصول الى مقام القلب بالاتقاء عن المعاصى والرذائل كعلوم الشرائع والحكمة العملية التى هى بمثابة اللبن المخصوص بالاطفال الناقصين لم يتغير طعمه بشوب الاهواء والبدع واختلافات اهل المذاهب وتعصبات اهل الملل والنحل (وانهار من خمر) اى اصناف من محبة الصفات والذات (لذة) اى لذيذة (للشاربين) الكاملين البالغين الى مقام مشاهدة حسن تجليات

ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعني ارسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) اى حاجز من قدرة الله (لايبغيان) اى لايبغى احدهما على صاحبه وقيل لايختلطان ولايتغيران وقيل لايطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل اراد يخرج من احدهما لحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشئ الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولايخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا امطرت السماء تفتح الاصداف افواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة ❊ وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ماعظم من الدر (والمرجان) صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعني السفن الكبار (المنشآت) اى المرفوعات التي يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هي مارفع قلعها من السفن اما مالم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (في البحر كالاعلام) اى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبل في البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ❊ قوله عز وجل (كل من عليها) اى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء (فان) اى هالك لان وجود الانسان في الدنيا عرض فهو غير باق وماليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب وجهان احدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني انه يحتمل ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم (ذو الجلال) اى ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والاكرام) اى المكرم لانبيائه واوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا منها ❊ قوله تعالى (يسئله من في السموات والارض) يعني من ملك وانس وجن فلايستغني عن فضله اهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسألونه المغفرة واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل كل احد يسأله الرحمة ومايحتاج اليه في دينه اودنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل مايحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى (كل يوم هو في شان) قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لايقضي يوم السبت شيأ قال المفسرون من شأنه انه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل

الصفات وشهود جمال الذات العاشقين المشتاقين الى الجمال المطلق في مقام الروح والاستغراق في عين الجمع من المتقين عن صفاتهم وذواتهم (وانهار من عسل مصفى) اى حلاوات الواردات القدسية والبوارق النورية واللذات الوجدانية في الاحوال والمقامات للسالكين الواجدين للاذواق والمريدين المتوجهين الى الكمال قبل الوصول الى مقام المحبة من الذين اتقوا الفضول فان الآكلين للعسل اكثر من الشاربين للخمر وليس كل من ذاق حلاوة العسل ذاق لذة الخمر دون العكس (ولهم فيها من كل الثمرات) اى انواع اللذات من تجليات الافعال والصفات والذات باسرها كما قال الشاعر

وكل لذيذة قد نلت منه ❊ سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

لان شهود المعذب وتجلى صفة القهر له لذة خاصة من ذاتها يعرفها من يعرفها وينكرها من ينكرها (ومغفرة من ربهم) بستر هيآت المعاصي وتكفير سيآت الرذائل لاصحاب الاالبان

قوما ويشفى مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى مالا يحصى من افعاله واحداثه وخلقه مايشاء سبحانه وتعالى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عزوجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شان قال سفيان بن عيينة الدهر كله عندالله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيامة والشان الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة ايام الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عزوجل كتب مايكون فى كل يوم وقدر ماهو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده فى ذلك الوقت وقال ابوسليمان الدارانى فى هذه الآية له فى كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شانه تعالى انه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان) قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغا عن شغل لان الله تعالى لايشغله شان من شان فهو كقول القائل لمن يريده لاتفرغن لك ومابه شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشان وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى امركم فهو كقول القائل الذى لاشغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد اهل التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ماوعدناكم فتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض احياء وامواتا وقيل كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما قال جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب (فباى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا) اى تخرجوا (من اقطار السموات والارض) اى جوانبها واطرافها (فانفذوا) اى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت بالخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لايقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضاء وتخرجوا من ملكى ومن سمائى وارضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على ذلك ❊ ثم قال تعالى (لاتنفذون الا بسلطان) يعنى لاتقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك لانكم حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اى بينة من الله تعالى (فباى آلاء ربكما تكذبان) وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة بلسان من نار ثم ينادى يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا

ثم يستر الافعال ايضا لاصحاب المياه ثم يمحو الصفات لاصحاب العسل وبعض اصحاب الخمر ثم بطمس ذنوب الاحوال والمقامات وافناء البقيات واخفاء ظهورها بالانوار والتجليات لاهل الفواكه والثمرات ثم بافناء الذات بالاستغراق فى جمع الاحدية والاستهلاك فى عين الهوية لشراب الخمور الصرفة وكلهم اصناف المتقين (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم) كمن هو فى مقابلتهم فى دركات جحيم الطبيعة وشرب حميم الهوى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لااله الا الله واستغفر لذنبك) اى حصل علم اليقين فى التوحيد ثم اسلك طريقه اذ الاستغفار الذى هو صورة السلوك مسبوق بالايمان العلمى دون الظنى لان من لم يرزق ثبات الايمان لم يمكنه السلوك

من اقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار) قال اكثر المفسرين هو اللهب الذى لادخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذامرة وهذامرة وقيل يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر (فلا تنتصران اى فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه (فباى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) اى انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ماهو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ الوانا كألوان الفرس الورد يكون فى الربيع اصفر وفى اول الشتاء احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان اى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان اى كاديم الاحمر (فباى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان) قيل لايسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لاتسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله مابعده وعن ابن عباس ايضا فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال لايسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسئل فى بعضها ولايسئل فى بعضها وعن ابن عباس ايضا قال لايسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لايسئل غير المجرم عن ذنب المجرم (فباى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بسواد وجوهكم وزرقه عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى اصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم) اى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التى يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعنى قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى قد صار كالمهل وقال كعب الاحبار آن واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان قلت هذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قلت المذكور فى

والثبات لايكون الابالبقين اذا الاعتقاد التقليدى يمكن تغيره وكل حجاب ذنب سواء كان بالهيآت البدنية او الصفات النفسانية او القلبية او الانية كما قيل

* وجودك ذنب لايقاس به ذنب * فالامر بالعلم ههنا هو الحث على شهود الوحدة وبالاستغفار لذنبه هو التحريض على التنصل عن ذات ظهور البقية والانانية (وللمؤمنين والمؤمنات) بتكميلهم وارشادهم ودعوتهم الى الحق وهدايتهم الى سلوك طريق التوحيد وهذا وامثاله مما يدل على ان اكثر سلوكه فى الله انما كان بعد البعثة والنبوة (والله يعلم متقلبكم) انتقالاتكم فى السلوك من رتبة الى رتبة وحال الى حال (ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم

هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ماعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله فى السر والعلانية بعمله فماعرض له من محرم تركه من خشيته وماعمل من خير اخلصه لله ولايحب ان يطلع عليه احد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا الله مع الاخلاص ودابوا الليل والنهار ﴿ جنتان ﴾ يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته ❊ عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الاان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذى قوله ادلج الادلاج مخففا سير اول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى اول الامر فان من سار اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوى بسنده عن ابى ذر انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم انف ابى ذر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم وصف الجنتين فقال تعالى ﴿ ذواتا افنان ﴾ اى اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا الوان يعنى الوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواهما ﴿ فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان ﴾ قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ اى صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل مايتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولامرة الاوهى فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش ﴾ جمع فراش ﴿ بطائنها ﴾ جمع بطانة وهى التى تلى الارض من تحت الظهارة ﴿ من استبرق ﴾ وهو ماغلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة هذه البطائن فماظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس فى الارض احد يعرف ماالظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر ان بطائنها من الاستبرق ولابد ان تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لايعلمه البشر ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ يعنى ان ثمرهما قريب يناله والقائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لاتنال الابكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لايرد ايديهم عنها بعد ولاشوك ﴿ فبأى آلاء ربكما

﴿ تكذبان ﴾

اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم) ومقامكم الذى انتم فيه فيفيض عليكم الانوار وينزل الامداد على حسبها (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم) توفى الملائكة مخصوص بالقاطنين فى مقام النفس المنخرطين فى سلك الملكوت الارضية اى ما حيلتهم او كيف يعملون اذا توفتهم الملائكة الارضية بقبض ارواحهم على الصفة المؤلمة المؤذية من جهتهم بالحجب عن الانوار القدسية من وجوههم والمنع عما يميلون اليه من اللذات الحسية من ادبارهم اذ وجه النفس هو الجهة التى تلى القلب والضرب فيه هو الايلام من جهته بالحجب عن انواره ومافيه قرة العين من تجليات الصفات والدبر هو الجهة التى تلى البدن والضرب فيه هو التعذيب من جهته بالعجز عن الجهة

تكذبان فيهن) فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) اى غاضات الاعين قصرن اطرافهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربى ما ارى فى الجنة شيأ احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمثهن) اى لم يجامعهن ولم يفرعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمثن قبل ❊ وهن اصح من بيض النعام

اى لم يمسهن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (انس قبلهم) اى قبل ازواجهن من اهل الجنة (ولا جان) قيل انما نفى الجن لان لهم ازواجا فى الجنة منهم وفى الآية دليل على ان الجنى يغشى كما يغشى الانسى وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرا هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه واختلف فى هؤلاء اللواتى لم يطمثن فقيل هن الحور العين لانهن خلقهن فى الجنة فلم يمسهن احد قبل ازواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر ابكارا كما وصفهن لم يمسهن منذا نشئن خلقا آخر احد وقيل هن الآدميات اللاتى متن ابكارا ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيرهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) اراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ واشد بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشوب بحمرة والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ماروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان المرأة من نساء اهل الجنة ليروى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه اخرجه الترمذى قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد فى رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخارى قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعنى بخورهم العود (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) اى ماجزاء من احسن فى الدنيا الا ان يحسن اليه فى الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى

السفلية واللذات الحسية التى انجذبت اليها بالميل الطبيعى والهوى والحجب عنها باخذ الآلات الموصلة اليها منهم (ذلك) اى ذلك الضرب والايلام من الجهتين (بـ) سبب (انهم اتبعوا ما اسخط الله) من الانهماك فى المعاصى والشهوات البدنية المبعدة عن جنابه فاستحقوا الضرب فى الادبار (وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم) الذى هو الانسلاخ عن صفاتهم للاتصاف بصفاته والتوجه الى جنابه الموجب لمقام الرضا والقرب فاستحقوا الضرب فى الوجوه (ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم) لما كانت سراية هيآت النفس الى البدن اسرع من تعدى هيآت البدن الى النفس لكونها من الملكوت التى من شأنها التأثير وكون البدن من عالم الملك الذى من شأنه الانفعال لم يكن اخفاء الاحوال النفسانية كما يرى من ظهور هيآت الغضب والمساءة والمسرة على وجوه اصحابها لكن الجهل الذى هو من اصعب امراض القلوب

البغوى باسناد الثعلبي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله
اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدى بغير سند عن
ابن عمرو ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء
من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية
هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان يؤتى في مقابلته بفعل حسن وفي الآية اشارة الى رفع التكليف
في الآخرة لان الله وعد المؤمنين بالاحسان وهو الجنة فاو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد
لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان
ومن دونهما جنتان ﴾ اى ومن دون الجنتين الاوليين جنتان اخريان وقال ابن عباس
من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال ابوموسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين
وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن اربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما
من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان (ق)
عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما
ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم بين ان ينظروا الى ربهم الارداء
الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكتاني ومن دونهما جنتان يعني امامهما وقبلهما يدل
عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما
افضل من الاوليين ﴿ فباى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم وصف الجنتين فقال تعالى ﴿ مدهامتان ﴾
اى سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد ﴿ فباى
آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان ﴾ اى فوارتان بالماء لاينقطعان وقال ابن عباس
والضحاك ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور
على اولياء الله وقال انس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كطش المطر
﴿ فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ يعني فيهما من انواع الفواكه كلها
وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على
سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص
والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر
وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان
ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال ابوحنيفة اذا
حلف لايأكل الفاكهة فأكل رطبا اورمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول
اهل اللغة ولاحجة له في الآية وروى البغوى بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة
جذوعها زمرد اخضر وكرمها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها
مثل القلال اوالدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وروى
ان الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل اهل الجنة مثل البعير المقتب وقيل

يغر صاحبه ويعمه فيحسب
ان ما في قلبه من الغل والحقد
والحسد يخفيه والله يظهرها
على صفحات وجهه في فلتات
لسانه كما قال النبي عليه السلام
ما اضمر احد شيأ الا واظهره
الله في فلتات لسانه وصفحات
وجهه وذلك معنى قوله (ولو
نشاء لأريناكهم فلعرفتهم
بسيماهم ولتعرفنهم في لحن
القول والله يعلم اعمالكم)
ولهذا قيل لو بات احد على
معصية اوطاعة في مطمورة
وراء سبعين بابا مغلقة لاصبح
الناس يتقاولون بها لظهورها
في سيماه وحركاته وسكناته
وشهادة ملكاته (ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلو اخباركم
ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى لن
يضروا الله شيأ وسيحبط
اعمالهم يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل
الله ثم ماتوا وهم كفار فلن
يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا
الى السلم وانتم الاعلون والله
معكم ولن يتركم اعمالكم انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وان
تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم

ان نخل اهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها اخرى العنقود منها اثناعشر ذراعا (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) اى فى الجنان الاربع (خيرات حسان) روى عن ام سلمة قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات) اى مخدرات مستورات لايخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لأضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن اطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا (فى الخيام) قيل هى البيوت قال ابن الاعرابى الخيمة لاتكون الامن اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور فى الجنة (ق) عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحد مجوفة طولها فى السماء وفى رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) تقدم تفسيره (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروى عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هى مجالس خضر فوق الفرش وقيل هى المرافق وقيل الزرابى وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقرى حسان) قيل هى الزرابى والطنافس الثخان وقيل هى الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقرى وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقرى عند العرب ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر لم ار عبقريا يفرى فريه واصل هذا فيماقيل انه نسب الى عبقر وهى ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شئ رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد فى الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل امر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شئ عجيب بديع (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقى هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيد وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الامقدار مايقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اخرجه ابوداود والنسائى غير قولها لم يقعد الامقدار مايقول والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الواقعة ﴾

وهى مكية وسبع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف روى البغوى بسنده عن ابى ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لايدعها ابدا

ولايسئلكم اموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم هاانتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم) علم الله تعالى قسمان سابق على معلوماته اجمالا فى لوح القضاء وتفصيلا فى لوح القدر وتابع اياها فى المظاهر التفصيلية من النفوس البشرية والنفوس السماوية الجزئية فمعنى حتى نعلم حتى يظهر علمنا التفصيلى فى المظاهر الملكوتية والانسية التى يثبت بها الجزاء والله اعلم

﴿ سورة الفتح ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) فتوح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة اولها الفتح القرب المشار اليه بقوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهو فتح باب القلب بالترقى عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية والانوار اليقينية وقد شاركه فى ذلك اكثر المؤمن كما اشار اليه بقوله واخرى

واخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عزوجل (اذا وقعت الواقعة) اى اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهى النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) اى لمجيئها (كاذبة) اى ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة اى كل ما اخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة اى ان كل من خبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) اى تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة (اذا رجت الارض رجا) اى اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عزوجل اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبى في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) اى فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) اى غبارا متفرقا كالذى يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم ازواجا) اى اصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فاصحاب الميمنة) يعنى اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا ابالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اى مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله وهم التابعون باحسان (ما اصحاب الميمنة) تعجب من حالهم في السعادة والمعنى اى شئ هم (واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة) يعنى اصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا ابالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصى لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون في الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في اول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فامامحسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسئ فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى (اولئك المقربون) اى من الله في جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (في جنات النعيم) ❊ قوله تعالى (ثلة) اى جماعة غير محصورة العدد (من الاولين)

تحبونها نصر من الله وفتح قريب وقوله فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ويلزمه البشارة بالانوار الملكوتية والتجليات الصفاتية كما قال وبشر المؤمنين وحصول المعارف اليقينية وكشوف الحقائق القدسية المشار اليها بقوله ومغانم كثيرة يأخذونها وثانيها الفتح المبين بظهور انوار الروح وترقى القلب الى مقامه وحينئذ تترقى النفس الى مقام القلب فتستتر صفاتها اللازمة اياها السابقة على فتح القلب من الهيئات المظلمة بالانوار القلبية وتنتفى بالكلية وذلك معنى قوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك) وكذا الحادثة المتأخرة عنه من الهيئات النورانية المكتسبة بالتنور بالانوار القلبية التى تظهر بها في التلوينات وتخفى حالها وهى الذنوب المشار اليها بقوله (وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) ولا تنتفى هذه بالفتح القريب وان انتفت الاولى به لان معلم السلب لا يتم ولا يكمل الا بعد الترقى الى مقام الروح

اى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعنى التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين اى ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) اى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعنى مصفوفة (متكئين عليها) اى على السرر (متقابلين) يعنى لا ينظر بعضهم فى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة فى المجالسة وقيل لانهم صاروا ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور (يطوف عليهم) اى للخدمة (ولدان) اى غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق فى الاذن واختلفوا فى هؤلاء الولدان فقيل هم اولاد المؤمنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله اخبر انه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بابى الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول اقرب من الاول لانه قد اختلف فى اولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذى لا معدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولد لان العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت (باكواب) جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا (واباريق) جمع ابريق وهى ذوات الخراطيم والعرا سميت اباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكاس من معين) اى من خمرة جارية (لا يصدعون عنها) اى لا تتصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون) اى لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاى ومعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) اى يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير فيقع مثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير فان قلت هل فى تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفى كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذى يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار واهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله اعلم (وحور عين) اى ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء فى تفسير حور اى بيض عين اى ضخام العيون (كامل

واستيلاء انواره على القلب فيظهر بلون القلب حينئذ وينتفى تلوين النفس الذى كان فى مقام القلب بالكلية وتنقطع مادته ويحصل فى هذا الفتح مقام المشاهدات الروحية والمسامرات السرية وثالثها الفتح المطلق المشار اليه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق فى عين الجمع بالشهود الذاتى وظهور النور الاحدى فهذا الفتح المذكور ههنا هو المتوسط يترتب عليه امور اربعة المغفرة المذكورة واتمام النعمة العيانية والمشاهدات الجمالية والجلالية بكمال مقام القلب كما ذكر والهداية الى طريق الوحدة الذاتية بالسلوك فى الصفات واحتراق حجبها النورية وانكشاف غيومها الرقيقة حتى الوصول الى فناء الانية والنصرة العزيزة بالوجود الموهوب والتأييد الحقانى الموروث بعد الفناء (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين) السكينة نور فى القلب يسكن به الى شاهده ويطمئن وهو من مبادى عين اليقين بعد

اللؤلؤالمكنون) اى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء روى انه سطع نور فى الجنة فقيل ماهذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شرا كهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون) اى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا (لايسمعون فيها) اى فى الجنة (لغوا) قيل اللغو مايرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولا تأثيما) قيل معناه ان بعضهم لايقول لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لايأتون تأثيما اى ماهو سبب التأثيم من قول او فعل قبيح (الا قيلا) معناه لكن يقولون قيلا او يسمعون قيلا (سلاما سلاما) يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (واصحاب اليمين مااصحاب اليمين) لمابين حال السابقين شرع فى بيان حال اصحاب اليمين فقال تعالى (فى سدر مخضود) اى لاشوك فيه كانه خضد شوكه اى قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها اعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية (وطلح) هو الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل مايحبون ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) اى متراكم قد نضد بالحمل من اوله الى اخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه ثمر وليس شئ من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) اى دائم لا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لاشمس فيها (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون فى اصلها فيشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عزوجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا (وماء مسكوب) اى مصبوب يجرى دائما فى غير اخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة) قال ابن عباس لاتنقطع اذا جنيت ولاتمتنع من احد اذا اراد اخذها وقيل مقطوعة بالازمان ولاممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتاء ولايوصل اليها الابالثمن وقيل لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث ماقطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله عزوجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال على مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى مرفوعة عالية عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كمابين السماء والارض ومسيرة مابينهما خمسمائة عام اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال الترمذى قال بعض اهل العلم معنى

علم اليقين كأنه وجد ان يقبنى معه لذة وسرور (ليزدادوا ايمانا) وجدانيا ذوقيا عينيا (مع ايمانهم) العلمى (ولله جنود السموات) من الانوار القدسية والامداد الروحانية (والارض) من الصفات النفسانية والملكوت الارضية كالقوى البشرية وغيرها يغلب بعضها على بعض بمقتضى مشيئته كما غلب الملكوت السماوية الروحية على الارضية النفسه فى قلوبهم بانزال السكينة وغلب الارضية على السماوية فى قلوب اعدائهم فوقعوا فى الشك والريبة (وكان الله عليما) بسرائرهم ومقتضيات استعداداتهم وصفات فطرة الفريق الاول وكدورة نفوس الفريق الثانى (حكيما) بما يفعل من التغليب على مقتضى الحكمة والصواب (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) بانزال السكينة (جنات تجرى من تحتها الانهار) الصفات الجارية من تحتها انهار علوم التوكل والرضا والمعرفة وامثالها من علوم الاحوال والمقامات والحقائق والمعارف (ويكفر عنهم

هذا الحديث ارتفاع الفرش المرفوعة فى الدرجات والدرجات مابين كل درجتين كمابين السماء والارض وقيل اراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة اى رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله فى عقبه ﴿ انا انشأ هن انشاء ﴾ اى خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى الآدميات العجائز الشمط يقول خلقنا هن بعد الكبر والهرم خلقا آخر ﴿ فجعلناهن ابكارا ﴾ يعنى عذارى عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انشأناهن انشاء قال ان من المنشآت اللاتى كن فى الدنيا عجائز عمشا رمصا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وضعت بعض رواته وروى البغوى بسنده عن الحسن قال اتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكى قال اخبروها انها لاتدخلها وهى عجوز ان الله تعالى قال انا انشأنا هن انشاء فجعلناهن ابكارا هذا حديث مرسل وروى باسناد الثعلبى عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله انا انشأنا هن انشاء قال عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا انشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن فى الدنيا وقيل هن الحور العين انشاهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلنا هن ابكارا عذارى وليس هناك وجع ﴿ عربا ﴾ جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس فى رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام ﴿ اترابا ﴾ يعنى امثالا فى الخلق وقيل مستويات فى السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عيه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ لاصحاب اليمين ﴾ يعنى انشأناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذى ذكرنا لاصحاب اليمين ﴿ ثلة من الاولين ﴾ يعنى من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة ﴿ وثلة من الآخرين ﴾ يعنى من مؤمنى هذه الامة يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يانبى الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولايستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهيط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه احد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت انهم امتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم فى اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماالذى تخوضون فيه فاخبروه

سيئاتهم) من صفات النفوس (وكان ذلك عند الله فوزا) بنيل درجات المقربين (عظيما) بالنسبة الى جنات الافعال (ويعذب المنافقين والمنافقات) المبطلين لاستعداداتهم المكدرين لصفائها بأفعالها وملكاتهم (والمشركين والمشركات) المردودين المطرودين عن جناب الحق من الاشقياء الذين لا يمكنهم موافقة المؤمنين ظاهرا لما بينهم من التضاد الحقيقى والتباغض الذاتى اصلى بحسب الفطرة (الظانين بالله ظن السوء) (لمكان الشك والارتياب وظلمة نفوسهم بالاحتجاب (عليهم دائرة السوء) بالتعذيب فى الدنيا بأنواع الوقائع كالقتل والاماتة والاذلال (وغضب الله عليهم) بالقهر والجب (ولعنهم) بالطرد والابعاد فى الآخرة (واعد لهم جهنم وساءت مصيرا) انواع العذاب (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما) كررها ليفيد تغليب الجنود الارضية على السماوية فى المنافقين والمشركين بعكس مافعل بالمؤمنين ويدل عليها بقوله عزيزا ليفيد معنى القهر

فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين (ق) عن عبدالله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده انى لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان اهل الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود او كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول ابي العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة ايضا في آخر الزمان يدل على ذلك ماروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة من آمن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين قلت الآية الاولى في السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في اصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين * وحكى عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه القول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ * قوله تعالى (واصحاب الشمال مااصحاب الشمال) قد تقدم انه يعني التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) اى في حر النار وقيل في ريح شديد الحرارة (وحميم) اى ماء حار يغلي (وظل من يحموم) يعني في ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء واهلها سود وكل شئ فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار (لا بارد ولا كريم) يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك) يعني في الدنيا (مترفين) يعني منعمين (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل ان الاولين والآخرين) يعني الآباء والابناء (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم انكم ايها الضالون) يعني عن الهدى (المكذبون) اى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب (لآكلون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب

(الهيم)

والنفع لان العلم من باب اللطف والعزة من باب القهر (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) هذه المبايعة هي نتيجة العهد السابق المأخوذ ميثاقه على العباد في بدء الفطرة وانما كانت مبايعته مبايعة الله لان النبي قد فني عن وجوده وتحقق بالله في ذاته وصفاته وافعاله فكل ماصدر عنه ونسب اليه فقد صدر عن الله ونسب اليه فبايعته مبايعة الله تعالى وانما قلنا انها نتيجة ميثاق الفطرة اذ لم تكن جنسية ومناسبة اصلية بينهم وبينه لما وجدت هذه البيعة لانتفاء الالفة والمحبة المقتضية لها بانتفاء الجنسية فهي دليل سلامة فطرتهم وبقائها على صفائها الاصلي (يد الله) الظاهرة في مظهر رسوله الذي هو اسمه الاعظم (فوق ايديهم) اى قدرته البارزة في يد الرسول فوق قدرتهم البارزة في صور ايديهم فيضرهم عند النكث وينفعهم عند الوفاء (فمن نكث) العهد بتكدير صفاء فطرته والاحتجاب به

الهيم) يعني الابل العطاش قيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذا نزلهم) يعني ماذكر من الزقوم والحميم اي رزقهم وغذاؤهم وما اعدلهم (يوم الدين) يعني يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعني ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك (فلولا) اي فهلا (تصدقون) يعني بالبعث بعد الموت * قوله عزوجل (افرأيتم ماتمنون) يعني ماتصبون في الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) اي أأنتم تخلقون ماتمنون بشرا (ام نحن الخالقون) اي انه خلق النطفة وصورها واحياها فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشأكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) يعني لا يفوتني شئ اريده ولا يمتنع مني احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى (على ان نبدل امثالكم) اي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في اسرع حين (وننشئكم) اي نخلقكم (فيما لا تعلمون) اي من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ماهو اسمج منها من اي خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم اي ان اردنا ان نفعل ذلك بكم مافاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لوشاء ان يبدلهم بامثالهم من بني آدم قدر ولوشاء ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعاني هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشئكم في وقت لا تعلمونه يعني وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا في الازمان ولا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الاولى) اي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيأ وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) اي باني قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم اول مرة * قوله تعالى (افرأيتم ماتحرثون) لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق ومافيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقاء وذكر امورا ثلاثة المأكول والمشروب ومابه اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول اولا لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التي بها الاصلاح وذكر من انواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله افرأيتم ماتحرثون اي ماتثيرون من الارض وتلقون به البذر (ءانتم تزرعونه) اي تنبتونه وتنشؤنه حتى يشتد ويقوم على سوقه (ام نحن الزارعون) معناه أأنتم فعلتم ذلك ام الله ولاشك في ان ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس (ولو نشاء لجعلناه) يعني ماتحرثونه وتلقون

بهيآت نشأته وتغلب ظلمة صفاء نفسه على نور قلبه الموجب لمخالفة العهد (فانما ينكث على نفسه) اي يعود ضرر نكثه عليه دون غيره لسقوطه عن الفطرة الاصلية واحتجابه في الظلمات البدنية وحرمانه عن اللذات الروحانية وتعذيبه بالآلام النفسانية وهذا هو النفاق الحقيقي (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) بالمحافظة على نور فطرته (فسيؤتيه اجرا عظيما) بانوار تجليات الصفات ولذات المشاهدات ولهذا سميت هذه البيعة بيعة الرضوان اذ الرضا هو فناء الارادة في ارادته تعالى وهو كمال فناء الصفات وليحقق هذا الثواب لاطلاع الله تعالى على صفاء فطرتهم قال (سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء

فيه من البذر (حطاما) اى تبنا لاقمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند
يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء
لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه او هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التى تصيبه ولا يشك
احد فى ان دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه (فظلتم تفكهون) اى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم
وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى اوجبت تلك العقوبة
وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات (انا لمغرمون) اى وتقولون لحذف القول ومعنى الغرم
ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لمعذبون يعنى انهم
عذبوا بذهاب اموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض
(بل نحن محرومون) اى ممنوعون والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه من الريع فى الزرع (افرأيتم
الماء الذى تشربون أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم
بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عز وجل (لو نشاء جعلناه اجاجا) قال ابن عباس شديد
الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه (فلولا) اى افلا (تشكرون) يعنى نعمة الله عليكم
(افرأيتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أانتم انشأتم شجرتها) يعنى التى
تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل
اراد جميع الشجر الذى توقد منه النار (ام نحن المنشؤن نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا
(تذكرة) اى للنار الكبرى اذا رأى الرائى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه
وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال
فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها (ومتاعا) اى بلغة ومنفعة (للمقوين) يعنى
للمسافرين والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه
ينتفع بها اهل البوادى والسفار فان منفعتهم اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع
ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون
بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل
المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على ما يريد والمعنى ان
فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله
ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز
ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اى برئ الله ونزهه عما يقول
المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم * قوله عز وجل
(فلا اقسم) قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على اصلها وفى معناها وجهان
احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناها النهى وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج
الوجه الثانى ان لا رد لما قاله الكفار فى القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما
تقولون ثم استأنف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفى
فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهى عن السؤال (بمواقع النجوم)

وكنتم قوما بورا ومن لم
يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا ولله
ملك السموات والارض
يغفر لمن يشاء ويعذب من
يشاء وكان الله غفورا رحيما
سيقول المخلفون اذا انطلقتم
الى مغانم لتأخذوها ذرونا
نتبعكم يريدون ان يبدلوا
كلام الله قل لن تتبعونا
كذلكم قال الله من قبل
فسيقولون بل تحسدوننا
بل كانوا لا يفقهون الا
قليلا قل للمخلفين من
الاعراب ستدعون الى قوم
اولى بأس شديد تقاتلونهم
او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم
الله اجرا حسنا وان تتولوا
كما توليتم من قبل يعذبكم
عذابا اليما ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج
ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجرى من تحتها الانهار
ومن يتول يعذبه عذابا
اليما لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة فعلم ما فى قلوبهم)
من الصدق والعزيمة على
الوفاء بالعهد وحفظ النور
المذكور (فأنزل السكينة
عليهم) بتلألؤ نور التجلى
التجلى الصفاتى الذى هو

قال ابن عباس اراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها يوم القيامة وقيل مواقعها فى اتباع الشياطين عند الرجم ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون اى فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم ﴿ انه لقرآن كريم ﴾ اى ان الكتاب الذى انزل محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم اى عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذى من شأنه ان يعطى الكثير وسمى القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التى تؤدى الى الحق فى الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب اصل علمه منه وقيل سمى كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكى وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسأمه السامعون ويهون فى الاعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لايهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض طرى يبقى ابد الدهر كذلك ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ اى مصون مستور عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول اصح ﴿ لا يمسه ﴾ اى ذلك الكتاب المكنون ﴿ الا المطهرون ﴾ وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث روى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد بن جبير وابى العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثانى من ان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون اى من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لايجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لايقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الآية نفى ومعناها نهى قالوا لايجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولامسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعى واكثر الفقهاء يدل عليه ماروى مالك فى الموطأ عن عبد الله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لاتمس القرآن الا طاهرا اخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدار قطنى بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمس القران الا طاهر والمراد بالقران المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه

نور كالى على نور ذاتى فحصل لهم اليقين (واثابهم فتحا قريبا) الفتح المذكور فحصلوا على مقام الرضا ورضوا عنه بما اعطاهم من الثواب واولم يسبق رضا الله عنهم لما رضوا (ومغانم كثيرة) من علوم الصفات والاسماء (يأخذونها وكان الله عزيزا) حيث كانت قدرته فوق قدرتهم (حكيما) حيث خبأ فى صورة هذا القهر الجلى معنى هذا اللطف الخفى اذ ظاهر قوله يد الله فوق ايديهم قهر ووعيد حصل منه معنى قوله لقد رضى الله عن المؤمنين الذى هو لطف محض (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) من علوم توحد الذات (فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم) ناس صفاتكم عنكم (ولتكون آية) دالة شاهدة (للمؤمنين) على توحيد الذات (ويهديكم صراطا مستقيما) سلوك صراطه بعد العلم به (واخرى) من علومه تعالى التى هى عين ذاته بعد فنائكم فيه وتحققكم به حال البقاء بعد الفناء (لم تقدروا عليها) اذ لا تكون الا له (قد احاط الله بها) دون من سواه (وكان الله على كل شئ)

من معلوماته (قد يراولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شئ عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان المراد من لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفى الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعى لايصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعى اخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثانى وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لايليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ماتقدم من الاحاديث والله اعلم ❊ قوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن اى القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعر او سحر او كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين ❊ قوله عز وجل (افبهذا الحديث) يعنى القرآن (انتم) اى يا اهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والادهان الجرى فى الباطل على خلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر (وتجعلون رزقكم) اى حظكم ونصيبكم من القرآن (انكم تكذبون) قال الحسن فى هذه الآية خسر عبد لايكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى بنعمة الله عليكم وهذا فى الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اى شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القران والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فى الحديبية فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله فى اثر سماء اى اثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول هو

الذى ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض فى الافق سبعا بعد وقوعها فوالله مامضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثانى فى تأويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصار على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا جار فيمن لايعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث ابى هريرة ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم ※ قوله تعالى (فلولا) اى فهلا (اذا بلغت الحلقوم) اى النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت (وانتم) يعنى يااهل الميت (حينئذ تنظرون) يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امرى وسلطانى لايمكنكم المدفع ولا تملكون شيأ (ونحن اقرب اليه منكم) اى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم (ولكن لاتبصرون) اى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لاتبصرون اى لاتعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) اى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) اى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعدما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لابعث ولاحساب ولااله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فاما ان كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) اى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة (وريحان) اى وله استراحة وقيل هو الريحان الذى يشم قال ابو العالية لايفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (جنة نعيم) اى وله جنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (واما ان كان) يعنى المتوفى (من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين) اى فسلامة لك يامحمد منهم والمعنى ملاتهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله او انك ترى فيهم ماتحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيآتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين (واما ان كان من المكذبين) اى بالبعث (الضالين) اى عن الهدى وهم اصحاب الشمال (فنزل من حميم) الذى يعد لهم حميم جهنم (وتصلية جحيم) اى وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعنى ماذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) اى لاشك فيه وقيل ان هذا الذى قصصناه عليك فى هذه السورة من

كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) والله اعلم

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) طلب الجمع بين ادبى الظاهر والباطن من اهل الحضور ونهى عن التقدمة المطلقة فى الحضرة الالهية والحضرة النبوية المتناولة للتقدم فى الاقوال والافعال وحديث النفس والظهور بالصفات والذات ولحضرة كل اسم من اسماء الله تعالى ادب يجب مراعاته على من تجلى الله له به ولكل مقام وحال ادب يجب على صاحبه محافظته فالتقدمة بين يدى الله فى مقام الفناء

الاقاصيص وماعداالله لاوليائه من النعيم وماعدلا عدائه من العذاب الاليم وماذكرم يدل على وحدانيته يقين لاشك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) اى نزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبأمره عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اخرجه ابوداود عن حذيفة انه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وماأتى على آية رحمة الاوقف وسأل وماأتى على آية عذاب الاوقف وتعوذ اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الااخبرك باحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث فى صحيح البخارى والله اعلم

﴿ تفسير سورة الحديد وهى مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (سبح لله مافى السموات والارض) يعنى كل ذى روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عزوجل عن كل سوء وعما لايليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم اى قولهم والحق ان التسبيح هو القول الذى لايصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وماسوى العاقل فى تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثانى ان جميع الموجودات بامرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور فى الآية على القول كان المراد بقوله مافى السموات والارض من فى السموات وهم الملائكة ومسبحى الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوى فجميع اجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء فى بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضى وفى بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هى كانت مسبحة ابدا فى الماضى وستكون مسبحة ابدا فى المستقبل (وهو العزيز) اى الغالب الكامل القدرة الذى لاينازعه شئ (الحكيم) اى الذى جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) اى انه الغنى عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه (يحيى ويميت) اى يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا (وهو على كل شئ قدير) * قوله عزوجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) يعنى هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو

هى الظهور بالانانيـة فى حضرة الذات وفى مقام المحو الظهور بصفة تقابل الصفة التى تشاهد تجليها فى حضرة الاسماء كالظهور بارادته فى مقـام الرضـا ومشاهدة الارادة فى حضرة تجلى اسم المريد والظهور بعلمه بالاعتراض فى مقـام التسليم بحضرة العلم وبالتجلد فى مقـام العجز ومشاهدة القادر وتحديث النفس فى مقـام المراقبـة وشهود المتكلم وبالفعل فى مقام التوكل والانسلاخ عن الافعال فى حضرة الفعال وهذه كلهـا اخلال بادب الباطن مع الله تعالى واما الاخلال بادب الظاهر معه فكبترك العزائم الى الرخص والاقدام على الفضـول المباحة من الاقوال والافعال وامثالهما واما التقدمة بين يدى الرسول باخلال ادب الظاهر فهو كالتقدم عليه فى الكلام والمشى ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات والجلوس معـه واللبث عنده للاستئناس بالحديث والدخول عليه والانصراف عنه بغير الاستئذان وامثاله واما اخلال ادب الباطن معه فكالطمع فى ان يطيعه

ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل احد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالى على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والاخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده فى الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن القول ان تكيفه وقيل هو الاول الذى سبق وجوده كل موجود والآخر الذى يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر بن الباقلانى معناه انه تعالى الباقى بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التى كان عليها فى الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم فى فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه انه الباقى بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعنى اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقى من بنى فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء اجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلانى وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقى بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن ابصار الخلق فلا تستولى عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) (م) عن سهيل بن ابى صالح قال كان ابو صالح يأمرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل شئ انت آخذ بناصيته وفى رواية من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابى هريرة ايضا قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ماهذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لايشكرونه ولايدعونه ثم قال هل تدرون مافوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون مافوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماآن بعد مابينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات مابين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون مافوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد مابين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون

الرسول فى امر وظن السوء فى حقه وامثال ذلك واما المخالفات التى تتعلق بالاوامر والنواهى والاقدام على الشئ قبل معرفة حكم الله تعالى وحكم الرسول فيه فهى من سوء ادب اهل الغيبة لا الحضور الذى نحن فيه (واتقوا الله) فى هذه التقدمات كلها فان من اتقى الله حق تقاته لايصدر عنه امثال هذه التقدمات فى المواقع المذكورة (ان الله سميع) للتقدمات القولية فى باب ادب الظاهر والاحاديث النفس فى باب ادب الباطن (عليم) بالفعليات والوصفيات وبظهور البقيات (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا أيها

ماالذى تحت ذلك قالواالله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عدسبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لوانكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هوالاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال الترمذى قال بعض اهل العلم فى تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا ❋ قوله عز وجل (هوالذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها ومايتزل من السماء ومايعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم اينما كنتم) اى بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به اينما كان من ارض اوسماء براوبحر اوقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره ❋ قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى المال الذى كان بيد غيركم فأهلكهم واعطاكم اياه فكنتم فى ذلك المال خلفاء عمن مضى (فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) يعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد اخذ ميثاقكم) اى اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم لااله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التى تدعوا الى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) اى يوما فالآن احرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هوالذى ينزل على عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) يعنى الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات الى النور) اى ظلمات الشرك الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم ❋ قوله تعالى (ومالكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول اى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) يعنى فتح مكة فى قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لايستوى فى الفضل من انفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق ماله وقاتل بعد الفتح (اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) قال الكلبى ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لانه اول من اسلم واول من انفق

(ماله)

الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان) لما كان تمنى المؤمن طاعة الرسول اياه معربا عن ظهور نفسه بصفاته محتجبا عن فضل الرسول وكماله وذلك لايكون الا لضعف الايمان وكدورة القلب بهوى النفس واستيلاء النفس على القلب بالميل الى الشهوات واللذات لغلبة الهوى عليها اورد لفظة ولكن بين قوله لو يطيعكم وبين قوله الله حبب اليكم الايمان لصفاء الروح وبقاء الفطرة على النور الاصلى (وزينه فى قلوبكم) باشراق انوار الروح على القلب وتنويرها اياه واستعدادها للالهامات الملكية المفيدة للاستسلام والانقياد لاحكامه (وكره اليكم الكفر) اى الاحتجاب عن الدين (والفسوق) اى الميل الى اتباع الشهوات بالهوى ومتابعة الشيطان بالعصيان لتنور النفس بنور القلب وانقيادها له

ماله فى سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبدالله بن مسعود اول من اظهر اسلامه سبع منهم النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابوبكر وعليه عباءة قدخلها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى ارى ابابكر عليه عباءة قدخلها فى صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عزوجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له اراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يااباكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك اراض انت فى فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربى انى على ربى راض انى على ربى راض (وكلا وعدالله الحسنى) يعنى الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل الفتح فى افضلها (والله بما تعملون خبير من ذاالذى يقرض الله قرضا حسنا) اى صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لايكون حسنا حتى تجمع فيه اوصاف عشرة وهى ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لاتتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائى بها الناس وان تستحقر ماتعطى وتتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لاترى عن نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (فيضاعفه له) يعنى يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا (وله اجر كريم) يعنى وذلك الاجر كريم فى نفسه ❊ قوله عزوجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعنى على الصراط (يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم) اى عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضئ نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضئ نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل فى معنى الآية يسعى نورهم بين ايديهم اى يعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) اى انتظرونا (نقتبس من نوركم) اى نستضئ من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينماهم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيؤن بنور المؤمنين ولا يعطون النار فاذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل

واستفادتها ملكة العصمة بالاستسلام لامره والعصمة هيئة نورية فى النفس يمتنع معها الاقدام على المعاصى كل ذلك لقوة الروح واستيلائه على القلب والنفس بنوره الفطرى كما ان اضداد ذلك فى الذين تمنوا اطاعة الرسول اياهم لقوة النفس واستيلائها على القلب وحجبها اياه عن نور الروح (اولئك) الموصوفون بمحبة الايمان وتزينه فى قلوبهم وكراهتهم المعاصى (هم الراشدون) الثابتون على الصراط المستقيم دون من يخالفهم (فضلا من الله) بعنايته بهم فى الازل المقتضية للهداية الروحانية الاستعدادية المستتبعة لهذه الكمالات فى الابد (ونعمة) بتوفيقه اياهم للعمل بمقتضى تلك الهداية الاصلية واعانته بافاضة الكمالات المناسبة لاستعداداتهم حتى اكتسبوا ملكة العصمة الموجبة لكراهة المعصية (والله عليم) باحوال استعداداتهم (حكيم) يفيض عليها مايليق بها ويناسبها بحكمته (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله فان

معناه لانور لكم عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) اى اطلبوا لانفسكم هناك (نورا) اى
لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم
ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى (فضرب بينهم) اى المؤمنين والمنافقين
(بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) اى لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) اى
فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) اى من قبل ذلك الظاهر
العذاب وهو النار وروى عن عبدالله بن عمر قال ان السور الذى ذكر فى القرآن هو سور
بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان
كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى فضرب
بينهم بسور له باب الآية (ينادونهم) يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور
حين حجز بينهم وبقوا فى الظلمة (الم نكن معكم) اى فى الدنيا نصلى ونصوم (قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم) اى اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات
وكلها فتنة (وتربصتم) اى بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم
يوشك ان يموت فنستريح منه (وارتبتم) اى شككتم فى نبوته وفيما اوعدكم به (وغرتكم
الامانى) اى الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء امر الله)
يعنى الموت وقيل هو القاؤهم فى النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعنى الشيطان
قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لايؤخذ منكم
فدية) اى عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل معناه لايقبل منكم ايمان ولا
توبة (ولا من الذين كفروا) يعنى المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان
المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه
على المنافق (مأواكم النار) اى مصيركم (هى مولاكم) اى وليكم وقيل هى اولى بكم لما
اسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهى اولى بكم
من كل شئ وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له
(وبئس المصير) * قوله تعالى (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل
نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان الفارسى ذات يوم حدثنا عن
التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القرآن احسن
من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل احسن الحديث
الآية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون
تأويل قوله الم يأن للذين آمنوا يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين
وذلك انهم لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه
فعوتبوا ونزل فى ذلك الم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين
ان عاتبنا الله بهذه الآية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب
المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال الم يأن يعنى اما حان
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم اى ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله اى لمواعظ الله (وما نزل

قامت فاصلحوا بينهما بالعدل
واقسطوا) الاقتتال لايكون
الا للميل الى الدنيا والركون
الى الهوى والانجذاب الى
الجهة السفلية والتوجه الى
المطالب الجزئية والاصلاح
انما يكون من لوزم العدالة
فى النفس التى هى ظل المحبة
التى هى ظل الوحدة فلذلك
امر المؤمنون الموحدون
بالاصلاح بينهما على تقدير
بغيهما والقتال مع الباغية على
تقدير بغى احداهما حتى
ترجع لكون الباغية مضادة
للحق دافعة له كما خرج عمار
رضى الله عنه مع كبره
وشيخوخته فى قتال اصحاب
معاوية ليعلم بذلك انهم الفئة
الباغية وقيد الاصلاح فى
القسم الثانى وهو ان الباغية
احداهما بالعدل لان بغى
الطرفين يوغر الصدور
ويهيج النفوس على الظلم
فنهاهم عن ذلك اذ الاصلاح
انما يكون فضيلة معتبرة اذا
لم يكن بالنفس بل بالقلب على
مقتضى العدالة المحضة
لازالة الجور لا لغرض آخر
كالحماية والحمية ورعاية المصلحة
الدنيوية وغير ذلك ولذلك
قال (ان الله يحب المقسطين
انما المؤمنون اخوة) اى
المحبة الالهية انما تترتب على

﴿ وما نزل من الحق ﴾ يعنى القرآن ﴿ ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ فطال عليهم الامد ﴾ اى الزمان الذى بينهم وبين انبيائهم ﴿ فقست قلوبهم ﴾ قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روى عن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ يعنى الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ❊ قوله عز وجل ﴿ اعلموا ان الله يحيى الارض ﴾ اى بالمطر ﴿ بعد موتها ﴾ اى يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيى القلوب الميتة بالعلم والحكمة والافقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة ﴿ قد بينا لكم الآيات ﴾ اى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا ﴿ لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ اى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله ﴿ يضاعف لهم ﴾ اى ذلك القرض ﴿ ولهم اجر كريم ﴾ اى ثواب حسن وهو الجنة ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ﴾ اى الكثير الصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة فى كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلى وزيد وعثمن وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ قيل اراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم روى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله ﴿ لهم اجرهم ﴾ اى بما عملوا من العمل الصالح ﴿ ونورهم ﴾ يعنى على الصراط ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ﴾ لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بحال الكافرين ❊ قوله عز وجل ﴿ اعلموا انما الحيوة الدنيا ﴾ اى مدة الحياة فى هذه الدار الدنيا وانما اراد من صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله ﴿ لعب ﴾ اى باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ﴿ ولهو ﴾ اى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب ﴿ وزينة ﴾ اى منظر يتزينون به ﴿ وتفاخر بينكم ﴾ يعنى انكم تشتغلون فى حياتكم بما يفخر به بعضكم على بعض ﴿ وتكاثر فى الاموال والاولاد ﴾ اى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله تعالى واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال ﴿ كمثل غيث اعجب الكفار ﴾ اى الزراع انما سمى الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر ﴿ نباته ﴾ اى ما نبت بذلك الغيث ﴿ ثم يهيج ﴾ اى ييبس ﴿ فتراه مصفرا ﴾ اى بعد خضرته ﴿ ثم يكون حطاما ﴾ اى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى ﴿ وفى الآخرة عذاب شديد ﴾ اى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال اهل المعانى زهد الله بهذه الآية فى العمل للدنيا وهذه صفة

العدالة فالاصلاح اذا لم يكن عن عدالة لم يكن عن محبة واذا لم يكن عن محبة فلا يحبهم الله اوجوب اقتضاء محبة الله اياهم محبتهم له العدالة ومحبة المؤمنين فلو احبهم لأحبوه كما قال يحبهم ويحبونه ولو احبوه لأحبوا المؤمنين ولزموا العدالة ثم بين ان الايمان الذى اقل مرتبته التوحيد والعمل يقتضى لاخوة الحقيقية بين المؤمنين للمناسبة الاصلية والقرابة الفطرية التى تزيد على القرابة الصورية والنسبة الولادية بما لا يقاس لاقتضائه المحبة القلبية اللازمة للاتصال الروحانى فى عين جمع الوحدة لا المحبة النفسانية المسببة عن التناسب فى اللحمة فلا اقل من الاصلاح الذى هو من لوازم العدالة واحدى خصالها اذ لو لم يعدوا عن الفطرة ولم يتكدروا بغواشى النشأة لم يتقاتلوا ولم يتخالفوا فوجب على اهل الصفاء بمقتضى الرحمة والرأفة والشفقة اللازمة للاخوة الحقيقية الاصلاح بينهما واعادتهما الى الصفاء ﴿ فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله ﴾ فى تكدر الفطرة والبعد عن النور الاصلى

حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للآخرة بقوله ﴿ ومغفرة من الله ورضوان ﴾ اى لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة ﴿ وما الحيوة الدنيا الامتاع الغرور ﴾ اى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة فهي له بلاغ الى ماهو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة ＊ قوله عز وجل ﴿ سابقوا الى مغفرة من ربكم ﴾ معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة اى الى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها ﴿ وجنة عرضها كعرض السماء والارض ﴾ قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولاشك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس ﴿ اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾ فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله في سياق الآية ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ فبين انه لايدخل احد الجنة الا بفضل الله تعالى لابعمله ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخلن احدا منكم الجنة عمله قالوا ولاانت يا رسول الله قال ولاانا الا ان يتغمدني الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل ＊ قوله تعالى ﴿ ما اصاب من مصيبة في الارض ﴾ يعني عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار ﴿ ولا في انفسكم ﴾ يعني الامراض وفقد الاولاد ﴿ الا في كتاب ﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿ من قبل ان نبراها ﴾ اى من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة ﴿ ان ذلك على الله يسير ﴾ اى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل ﴿ لكيلا تاسوا ﴾ اى تحزنوا ﴿ على ما فاتكم ﴾ من الدنيا ﴿ ولا تفرحوا ﴾ اى لاتبطروا ﴿ بما آتاكم ﴾ اى اعطاكم قال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لايحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لايكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله اعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لايرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لايتركه في يديك الموت ﴿ والله لايحب كل مختال ﴾ اى متكبر بما اوتي من الدنيا ﴿ فخور ﴾ اى بذلك الذي اوتي

بمقتضيات النشأة والرضا بالمفسدة وترك الاصلاح لضعف المحبة الدال على الاحتجاب عن الوحدة (لعلكم ترحمون) بافاضة نور الكمال المناسب لصفاء الاستعداد والمناهي المذكورة بعدها الى قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم كلها من باب الظلم المقابل للعدالة اللازمة للايمان التوحيدي قوله (يا ايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا ايها الذين اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) معناه لاكرامة بالنسب لتساوي الكل في البشرية المنتسبة الى ذكر وانثى والامتياز بالشعوب والقبائل

على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لايحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالاوحظا من الدنيافلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لاتعلق له بما قبله وانها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن الايمان (فان الله هو الغنى) اى عن عباده (الحميد) اى الى اوليائه * قوله عزوجل (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) اى بالدلالات والآيات والحجج (وانزلنا معهم الكتاب) اى المتضمن للاحكام وشرائع الدين (والميزان) يعنى العدل اى وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) اى ليتعاملوا بينهم بالعدل (وانزلنا الحديد) قيل ان الله تعالى انزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلناها يعنى انشأنا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه باس شديد) اى قوة شديدة فمنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهى آلة الضرب (ومنافع للناس) اى ومنه ماينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذالحديد آلة لكل صنعة فلاغنى لاحدعنه (وليعلم الله) اى وارسلنارسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله (من ينصره) اى من ينصر دينه (ورسله بالغيب) اى الذين لم يرواالله ولا الآخرة وانما يحمدويثاب من اطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى) فى امره (عزيز) فى ملكه (ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى الا من نسلهما (فمنهم) اى من الذرية (مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) اى اتبعنا (على آثارهم برسلنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) اى على دينه (رأفة ورحمة) يعنى انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطفا على ماقبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغير ان والديرة فروا من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك (ما كتبناها عليهم) اى ما فرضناها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) اى لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) يعنى انهم لم يراعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملوكهم واقام اناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا

انما يكون لاجل التعارف بالانتساب لاللتفاخر فانه من الرذائل والكرامة لا تكون الا بالاجتناب عن الرذائل الذى هو اصل التقوى ثم كلما كانت التقوى اريد رتبة كان صاحبها اكرم عند الله واجل قدرا فالتقى عن المناهى الشرعية التى هى الذنوب فى عرف ظاهر الشرع اكرم من الفاجر وعن الرذائل الخلقية كالجهل والبخل والشره والحرص والجبن اكرم من المجتنب عن المعاصى الموصوف بها وعن نسبة التأثير والفعل الى الغير بالتوكل ومشاهدة افعال الحق اكرم من الفاضل المتدرب بالفضائل الخلقية المعتد بتأثير الغير المحجوب برؤية افعال الخلق عن تجليات افعال الحق وعن الحجب الصفاتية بالانسلاخ عنها فى مقام الرضا ومحو الصفات اكرم من التوكل فى مقام توحيد الافعال المحجوب بالصفات عن تجليات صفات الحق وعن وجوده المخصوص اى انيته التى هى اصل الذنوب بالفناء اكرم الجميع (ان الله عليم) بمراتب تقواكم (خبير)

بتفاضلكم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لما فرق بين الايمان والاسلام وبين انا الايمان باطنى قلبى والاسلام ظاهرى بدنى اشار الى الايمان المعتبر الحقيق وهو اليقين الثابت فى القلب المستقر الذى لاارتياب معه لاالذى يكون على سبيل الخطرات فالمؤمنون هم الموقنون الذين غلبت ملكة اليقين قلوبهم على نفوسهم ونورتها بأنوارها فأصلت نيها ملكة القلوب حتى تأثرت بها الجوارح فلم يمكنها الا الجرى بحكمها والتحرز لهيئتها وذلك معنى قوله (وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله) بعد نفى الارتياب عنهم لان بذل المال والنفس فى طريق الحق هو مقتضى اليقين الراسخ واثره فى الظاهر (اولئك هم الصادقون) فى الايمان لظهور اثر الصدق على جوارحهم وتصديق افعالهم واقوالهم بخلاف المدعين المذكورين (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم مافى السموات ومافى الارض والله بكل شئ

بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عزوجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقدرعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال ياابن ام عبد هل تدرى من اين اخذت بنواسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق احد يدعو اليه تعالى فتعالوا لنتفرق فى الارض الى ان يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم اى من الذين ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم ياابن ام عبد اتدرى مارهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل اويتركوا قراءة التوراة والانجيل الاما بدلوا منها فقالوا ماتريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولانمر عليكم وليس احد القبائل الاوله حميم منهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لاعلم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عزوجل ورهبانية ابتدعوها يعنى ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعنى الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الاالقليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم

(وتصديقهم)

وتصديقهم له وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ان لايقدرون على شئ من فضل الله الآية اخرجه النسائي موقوفا عن ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فاكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهم اهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم لكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهب لانه لم يأمر به

* قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) اى نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطؤها فادبها فاحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان ان يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به (ويغفر لكم) اى ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب) قيل لما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من آمن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم اى ليعلم ولا صلة اهل الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (الا يقدرون) يعني انهم لايقدرون (على شئ من فضل الله) والمعنى جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب اولئك يؤتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعني المؤمنين منهم ان لايقدرون على شئ من فضل الله (وان الفضل بيد الله) يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة (يؤتيه من يشاء) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله اى في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار (والله ذو الفضل العظيم) (خ) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

عليم يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

(ق) والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب

وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتى اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتى اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اى ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيأ قالوا لا قال فهو فضلى اوتيه من اشاء وفى رواية انما اجلكم فى اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله عزوجل وهل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلى اصيب به من شئت اى اعطيه من شئت (خ) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذى جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فان ما بقى من النهار شئ يسير فابوا فاستأجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة المجادلة ﴾

مدنية وهى اثنان وعشرون آية واربعمائة وثلاث وسبعون كلمة والف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) نزلت فى خوله بنت ثعلبة وقيل اسمها جيلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هى حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها انت على كظهر امى ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق اهل الجاهلية فقال ما اظنك الا قد حرمت على فقالت والله ماذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله ان زوجى اوس بن الصامت تزوجنى وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالى وافنى شبابى وتفرق اهلى وكبرسنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شئ يجمعنى واياه وتنعشنى به فقال

الرسل لحق عيد) اشارة الى القلب المحمدى الذى هو العرش الالهى المحيط بالكل كما ان ص اشارة الى صورته ما رمز اليه ابن عباس فى قوله ص جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حين لا ليل ولا نهار ولكونه عرش الرحمن قال قلب المؤمن عرش الله وقال لا يسعنى ارضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن قيل ق جبل محيط بالعالم وراءه العنقاء لاحاطته بالكل وكونه حجابه الرب لا يعرفه من لم يصل الى مقام القلب وانما يطلع عليه من طلع هذا الجبل اقسم به والقرآن المجيد اى العقل القرآنى الكامل فيه الذى هو الاستعداد الاولى الجامع لتفاصيل الوجود كله فاذا برز وصار الى الفعل كان عقلا فرقانيا ولا يخفى مجده وشرفه بهذا المعنى او القرآن المجيد النازل عليه الذى هو بعينه الفرقان البارز الذى اشرنا اليه جمعهما فى القسم لتناسبهما وجواب القسم محذوف كما فى ص وغيرها من السور وهو انه لحق او انه لمعجز مدلول عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والذى انزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق وانه ابو ولدى واحب الناس الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتى ووحدتى قدطالت له صحبتى ونثرت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مااراك الاقدحرمت عليه ولم اومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتى ، ووحدتى وشدة حالى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فرجى وهذا كان اول ظهار فى الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى امرى جعلنى الله فداءك يانبى الله فقالت عائشة اقصرى حديثك ومجادلتك اماترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذانزل عليه الوحى اخذه مثل السبات فلماقضى الوحى قال ادعى لى زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدسمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقدجاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته فى جانب البيت وماأسمع ماتقول فانزل الله قدسمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله الآية واماتفسير الآية فقوله تعالى قدسمع الله قول التى تجادلك اى تحاورك وتخاصمك وتراجعك فى زوجها اى فى امر زوجها (وتشتكى الى الله) اى شدة حالها وفاقتها ووحدتها (والله يسمع تحاوركما) اى مراجعتكما الكلام (ان الله سميع) اى لمن يناجيه ويتضرع اليه (بصير) اى بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) يعنى يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا (ماهن امهاتهم) اى ماالاواتى يجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم (ان امهاتهم) اى ماامهاتهم (الا اللائى ولدنهم وانهم) يعنى المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) يعنى لايعرف فى الشرع (وزورا) يعنى كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لاتحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلاجرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

﴿ فصل فى احكام الظهار وفيه مسائل ﴾ ﴿ المسئلة الاولى ﴾ فى معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من سائر الاعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى اى طلقتها وفى قولهم انت على كظهر امى حذف واضمار لان تأويله ظهرك على اى ملكى اياك وعلوى عليك حرام كعلوى امى وعلوه عليها حرام ﴿ المسئلة الثانية ﴾ كان الظهار من اشد طلاق اهل الجاهلية لانه فى التحريم آكد ماىمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انمايدخل فى الشرائع لا فى احكام الجاهلية وعاداتهم ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله انت على كظهر امى

بقوله بل عجبوا الخ وبقوله افعيينا بالخلق الاول اى اما اهتدينا الى ابداع الحقائق وايجاد الاشياء الاولية كالارواح والسموات وامثالها بل اعترفوا بذلك انما هم فى شبهة والتباس من خلق حادث يتجدد كل وقت لبس عليهم الشيطان حتى قالوا وما يهلكنا الا الدهر ونسبوا التأثير الى الزمان واحتجبوا عن معنى قوله كل يوم هو فى شأن ولو عرفوا الله حق معرفته وكان اعترافهم بايجاده للخلق الاول عن علم ويقين لشاهدوا الخلق الجديد فى كل آن فلم ينكروا البعث وكانوا عبادا مخلصين ليس للشيطان عليهم سلطان (افعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) تمثيل للقرب المعنوى بالصورة الحسية المشاهدة وانما كان اقرب مع عدم المسافة بين الجزء المتصل به وبينه لان اتصال الجزء بالشئ يشهد بالبينونة والاثنينية الرافعة للاتحاد الحقيقى ومعيته وقربه من

وانت مني او معي او عندي كظهر امي وكدا لوقال انت علي كبطن امي اوكرأس امي او كبد امي اوقال بطنك اورأسك اويدك علي كظهر امي اوشبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه اوبفرجها او بفخذها يكون ظهار اوان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لايكون ظهارا ولوقال انت علي كامي اوكروح امي واراد به الاعزاز والاكرام لايكون ظهارا حتي ينويه ويريده ولوشبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لوشبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر اختي اوعمتي او خالتي اوشبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا علي الاصح ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلي هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لايصح احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بأن هذا خطاب للمؤمنين فيدل علي ان الظهار مخصوص بالمؤمنين واجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين * قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم) يعني يحتمون بهذا اللفظ من جماعهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء في معنى العود في قوله ثم يعودون لما قالوا ولابد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لافرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله واوحي الى نوح وبأن ربك اوحي لها وامالفظة ما في قوله لما فهي بمعنى الذي والمعنى يعودون الى الذي قالوا وفيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثاني ان المراد لما قالوا اي المقول فيه وهو الذي حرموه علي انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلي هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسرهذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اي فعله مرة اخرى وعلي الوجه الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيأ ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيأ ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة اخرى ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه علي وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ماشرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل علي انه ندم علي ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم علي وطئها وهو قريب من قول ابي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لاكفارة عليه مالم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا هب انه صالح للجماع او للعزم عليه او لاستباحة

عبده ليس كذلك فان هويته وحقيقته المندرجة في هويته وتحققه ليست غيره بل ان وجوده المخصوص المعين انما هو بعين حقيقته التي هي الوجود من حيث هو وجود ولولاه لكان عدما صرفا ولا شيأ محضا فحبل غاية القرب الصوري اي الاتصال بالجزئية الذي لا اتصال اشد منه في الاجسام مع كونه سبب حياة الشخص هذا اتم منه لبقائه ثم بين اقربيته لينتفي القرب بمعنى الاتصال والمقارنة كما قال امير المؤمنين عليه السلام هو مع كل شئ لا بمقارنة اذا لشئ به ذلك الشئ وبدونه ليس شيأ حتى يقارنه (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) اي يعلم حديث نفسه الذي يوسوس به نفسه وقت تلقي المتلقيين مع كونه اقرب اليه منهما وانما تلقيهم لحجة عليه واثبات الاقوال والاعمال في الصحائف النورية للجزاء والمتلقي القاعد عن اليمين هو القوة العاقلة العملية المتنقشة بصور الاعمال الخيرية المرتسمة بالاقواله

الا ان الذى قاله الشافعى هو اقل ماينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذى به يتحقق مسمى العود واما الباقى فزيادة لادليل عليه واما الاحتمال الاول فى قوله ثم يعودون اى يفعلون مثل مافعلوه فعلى هذا الاحتمال فى الآية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثورى العود هو الاتيان بالظهار فى الاسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه فى الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار فى الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا اى فى الاسلام فيقولون فى الاسلام مثل ما كانوا يقولون فى الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثانى قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد والا لم يكن عود وهذا قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة مافعلوه وهذا لايكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه * وقوله تعالى (فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للظاهر وطء امراته التى ظاهر منها مالم يكفر (ذلكم توعظون به) يعنى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه (والله بما تعملون) اى من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى (فمن لم يجد) اى الرقبة (فصيام شهرين) اى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع) اى الصيام فكفارته (اطعام ستين مسكينا ذلك) اى الفرض الذى وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) اى لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله تعالى (وتلك حدود الله) يعنى ما وصف من الكفارة فى الظهار (وللكافرين) اى لمن جحدها وكذب به (عذاب اليم) اى فى نار جهنم يوم القيامة

* فصل فى احكام الكفارة ومايتعلق بالظهار * وفيه مسائل * المسئلة الاولى * اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعى قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثانى وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابى حنيفة * المسئلة الثانية * اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعى وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون فى مجلس واحد واراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امراته فى مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة * المسئلة الثالثة * الآية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل فى الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الآخرين الاطلاق فى الاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابى حنيفة والشافعى واحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبدالرحمن بن المهدى * المسئلة الرابعة * كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب دليلنا انا اجمعنا على ان الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى * المسئلة الخامسة *

الحسنة الصائبة وانما قعد عن يمينه لان اليمين هى الجهة القوية الشريفة المباركة وهى جهة النفس التى تلى الحق والمتلقى القاعد عن الشمال هو القوة المتخيلة التى تنقش بصور الاعمال البشرية البهيمية والسبعية والآراء الشيطانية الوهمية والاقوال الخبيثة الفاسدة وانما قعد عن الشمال لان الشمال هى الجهة الضعيفة الخسيسة المشؤمة وهى التى تلى البدن ولان الفطرة الانسانية خيرة بالذات لكونها من عالم الانوار مقتضية بذاتها وغريزتها الخيرات والشرور انما هى امور عرضت لها من جهة البدن وآلاته وهيآته يستولى صاحب اليمين على صاحب الشمال فكلما صدرت منه حسنة كتبها له فى الحال وان صدرت منه سيئة منع صاحب الشمال عن كتابتها فى الحال انتظارا للتسبيح اى التنزيه عن الغواشى الدنية والهيئات الطبيعية بالرجوع الى مقره الاصلى وسنخه الحقيقى وحاله الغريزى لينمحى اثر ذلك الامر العارضى بالنور الاصلى والاستغفار اى التنور

الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسي النية يجب عليه استئناف
الشهرين ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة
لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند ابي ح يجب عليه استئناف الشهرين ﴿المسئلة السادسة﴾
ان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا
كل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل بلده من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر اونحو
ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من
تمر او صاعا من شعير ولو اطعم مسكينا واحدا ستين جزا لا يجزيه عند الشافعي وقال ابو حنيفة
يجزيه حجة الشافعي ظاهر الآية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية
ظاهر الآية وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بان ادخال
السرور على قلب ستين مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد ﴿المسئلة
السابعة﴾ اذا كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته
ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا
للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها
وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم ﴿المسئلة الثامنة﴾
قال اصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام
والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرأ اصيب من النساء مالا يصيب
غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيأ تتابع بي حتى اصبح فظاهر
منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذ انكشف لي منها شئ فلم البث
ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال
انت بذاك ياسلمة قلت انا بذاك يارسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم بما امرك الله به
قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال
فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر ستين
مسكينا قلت والذي بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لا نملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب
صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت
الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة
وحسن الرأى وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق اخرجه ابو داود قوله
نزوت عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله تتابع بي اي تتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق
ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع
وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشكوا اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن
عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق
رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يارسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم

بالانوار الروحية والتوجه
الى الحضرة الالهية لينمحي
اثر تلك الظلمة العرضية
بالنور الوارد كما قال عليه
الصلاة والسلام كاتب
الحسنات على يمين الرجل
وكاتب السيئات على يساره
وكاتب الحسنات امين على
كاتب السيئات فاذا عمل
حسنة كتبها ملك اليمين
عشرا واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب
اليسار دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر (وجاءت
سكرة الموت) اي شدته
الحيرة الشاغلة للحواس
المذهلة للعقل (بالحق) بحقيقة
الامر الذي غفل عنه من
احوال الآخرة والثواب
والعقاب اي احضرت
السكرة التي منعت المحتضر
عن الادراكات الخارجية
احواله الباطنة واظهرت
عليه (ذلك ما كنت) ايها
المحتضر (منه تحيد) اي
تميل الى الامور الظاهرة
وتذهل عنها (ونفخ في الصور)
للاحياء اي احيي كل منهم
في صورة تناسبه في الآخرة
(ذلك يوم الوعيد) النفخ
وقت تحقق الوعيد بشهود
ماقدم من الاعمال وما اخر
(وجاءت كل نفس معها

ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني سأعينه بعرق من تمر قلت يارسول الله وانا اعينه بعرق آخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابوداود وفي رواية قالت ان اوساظاهر مني وذكرت ان به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ماجئتك الارحمة له ان له في منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شيء بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله اعلم ✽ قوله عزوجل ﴿ان الذين يحادون الله ورسوله﴾ اي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون امرهما ﴿كبتوا﴾ اي ذلوا واخزوا واهلكوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ اي كما اخزى من كان قبلهم من اهل الشرك ﴿وقد انزلنا آيات بينات﴾ يعني فرائض واحكاما ﴿وللكافرين﴾ اي الذين لم يعملوا بها وجحدوها ﴿عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله﴾ اي حفظ الله اعمالهم ﴿ونسوه﴾ اي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ ✽ قوله تعالى ﴿الم تر﴾ اي الم تعلم ﴿ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض﴾ يعني انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ اي من اسرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسارر بعضهم بعضا ﴿الا هو رابعهم﴾ اي بالعلم يعني يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ﴿ولا خمسة الا هو سادسهم﴾ فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت اقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى ﴿ولا ادنى من ذلك ولا اكثر﴾ يعني ولا اقل من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من ذلك العدد ﴿الا هو معهم اينما كانوا﴾ اي بالعلم والقدرة ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم﴾ ✽ قوله عزوجل ﴿الم تر الى الذين نهوا عن النجوى﴾ نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما نراهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي المناجاة فيما بينهم ﴿ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها ﴿ويتناجون بالاثم والعدوان﴾ يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شيء يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان ﴿ومعصيت الرسول﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول ﴿واذا جاؤك﴾ يعني اليهود ﴿حيوك بما لم يحيك به الله﴾

سائق) من علمه ﴿وشهيد﴾ من علمه لان كل احد ينجذب الى محل نظره وما اختاره بعلمه والميل الذي يسوقه الى ذلك الشيء انما نشأ من شعوره بذلك الشيء وحكمه بملايمته له سواء كان امرا سفليا جسمانيا بعثه عليه هواه واغراه عليه وهمه وقواه او امرا علويا روحانيا بعثه عليه عقله ومحبته الروحانية وحرضه عليه قلبه وفطرته الاصلية فالعلم الغالب سائقه الى معلومه وشاهده بالميل الغالب عليه والحب الراسخ فيه والعمل المكتوب في صحيفته يشهد عليه بظهوره على صور اعضائه وجوارحه وينطق عليه كتابه بالحق وجوارحه بهيآت اعضائه المتشكلة باعماله ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ لاحتجابك بالحس والمحسوسات وذهولك عنه لاشتغالك بالظاهر عن الباطن ﴿فكشفنا عنك﴾ بالموت ﴿غطاءك﴾ المادي الجسماني الذي احتجبت به ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ اي ادراكك لما ذهلت عنه ولم تصدق بوجوده يقينا قوي تعاينه ﴿وقال قرينه﴾ من شيطان الوهم الذي غره بالظواهر

وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام
الموت وهم يوهمونه بانهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون
فى انفسهم) يعنى اذا اخرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لوكان
نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)
المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم
العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل رهط
من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت
عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق فى
الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخارى
ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام
عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق
واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعى ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى
فيهم ولا يستجاب لهم فى السام الموت قال الخطابى عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل
الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو فى وعليكم وكان
سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذى
قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين
والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردئ من القول * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا
تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) فى المخاطبين بهذه الآية قولان احدهما
انه خطاب للمؤمنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم وان يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا
بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون
خلافا عليه والقول الثانى وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم
وقيل آمنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول (وتناجوا بالبر
والتقوى) اى بالطاعة وترك المعصية (واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان)
اى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصيت الرسول (ليحزن الذين
آمنوا) اى انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى
رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابى داود (وليس بضارهم شيئا) يعنى ذلك التناجى
وقيل الشيطان ليس بضارهم شيئا (الا باذن الله) اى الا ما اراد الله تعالى وقيل الا باذن الله
فى الضر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اى فليكل المؤمنون امرهم الى الله تعالى ويستعيذوا
به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل سعيه * قوله عز وجل (يا ايها الذين
امنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا) الآية قيل فى سبب نزولها ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى

وجبه عن البواطن (هذا
مالدى عتيد) مهيأ لجهنم اى
ظهر تسخير الوهم اياه فى
التوجه الى الجهة السفلية
وانه ملكه واستعبده فى
طلب اللذات البدنية حتى
هيأه لجهنم فى قعر الطبيعة
(القيا فى جهنم كل كفار
عنيد مناع للخير معتد مريب
الذى جعل مع الله الها آخر
فألقياه فى العذاب الشديد)
الخطاب للسائق والشهيد
للذين يوبقانه ويلقيانه
ويهلكانه فى اسفل غياهب
مهواة الهيولى الجسمانية
وغيابة جب الطبيعة الظلمانية
فى نيران الحرمان اوللمالك
والمراد بتثنية الفاعل تكرار
الفعل كانما قال الق
الق لاستيلائه عليهم فى الابعاد
والالقاء الى الجهة السفلية
ويقوى الاول انه عدد
الرذائل الموبقة التى اوجبت
استحقاقهم لعذاب جهنم
ووقوعهم فى نيران الجحيم
وبين انها من باب العلم والعمل
والكفران ومنع الخير
كلاهما من افراط القوة
البهيمية الشهوانية لانهماكها
فى لذاتها واستعمالها نعم الله
تعالى فى غير مواضعها من
المعاصى والاحتجاب عن المنعم
بها ومن حقها ان تذكره

الجس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يافلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر اولئك النفر الذين كانوا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة فى سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا فى مجالسهم فامر الله ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فى الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا فى المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس فى الاخذ بالحظ منه وقرئ فى المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل فى مجلسه فافسحوا اى فاوسعوا فى المجلس امروا بان يوسعوا فى المجالس لغيرهم (يفسح الله لكم) اى يوسع الله لكم فى الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايقيمن احدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لايقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدى فى افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدى وقيل فى معنى الآية ان هذا فى مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتى القوم وهم فى الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فى الشهادة فامروا بان يوسعوا الاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلابد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله عليه خيرى الدنيا والآخرة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) اى اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا الاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة اذا نودى لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودى الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) اى بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال او امره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم (والذين اوتوا العلم) اى ويرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم (درجات) اى على من سواهم فى الجنة قيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع فى الناس اخبر الله عزوجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المؤمنين مثابون فيما أثروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس

وتبعث على شكره وشدة حرصها وكالبتها عليها لفرط ولوعها بها فتمنعها عن مستحقها وذكرهما على بناء المبالغة ليدل على رسوخ الرذيلتين فيه وغلبتهما عليه وتعمقه فيهما الموجب للسقوط عن رتبة الفطرة فى قعر بئر الطبيعة والعتود والاعتداء كلاهما من افراط القوة الغضبية واستيلائها لفرط الشيطنة والخروج عن حد العدالة والاربعة من باب فساد العمل والريب والشرك كلاهما من نقصان القوة النطقية وسقوطها عن الفطرة بتفريطها فى جنب الله وقصورها عن حدة القوة العاقلة وذلك من باب فساد العلم (قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لاتختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) هذه المقاولات كلها معنوية مثلث على سبيل التخييل والتصوير لاستحكام المعنى فى القلب عند ارتسام مثاله فى الخيال فادعاء الكافر الاطغاء على الشيطان وانكار الشيطان اياه عبارة عن التنازع والتجاذب الواقع بين قوييه الوهمية والعقلية بل بين كل اثنتين متضادتين من قواه كالغضبية والشهوية

مثلا ولهذاقال لاتختصموا ولما كان الامران فى وجوده هما العقلية والوهمية كان اصل التخاصم بينهما وكذا يقع التخاصم بين كل متجاورين متخاوضين فى امر لتوقع نفع اولذة يتوافقان مادام مطلوبهما حاصلا فاذاحرما اووقعا بسعيهما فى خسران وعذاب تدار اى اونسب كل منهما التسبب فى ذلك الى الآخر لاحتجابهما عن التوحيدوتبرى كل منهماعن ذنبه لمحبة نفسه ولذلك قال حارثة رضى الله عنه للنبى عليه السلام ورأيت اهل النار يتعاورون وصوب عليه السلام قوله وقول الشيطان مااطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد كقوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الاان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانه اولم يكن فى ضلال عن طريق التوحيد بعيد عن الفطرة الاصلية بالتوجه الى الجهة السفلية والتغشى بالغواشى المظلمة الطبيعية لم يقبل وسوسة الشيطان وقبل الهام الملك فالذنب انما يكون عليه بالاحتجاب عن نور الفطرة

بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة مالا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم فى اقواله وفى افعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابى الدرداء وهو بدمشق فقال مااقدمك يااخى قال حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال اماجئت لحاجة غيره قال لاقال اما قدمت فى تجارة قال لاقال ماجئت الافى طلب هذا الحديث قال ثم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما انما اورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (ق) عن معاوية بن ابى سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده احد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم ❊ قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) يعنى اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشئ بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة فلم يجدوا شيأ واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا على بن ابى طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان على يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها احد قبلى ولايعمل بها احد بعدى وهى آية المناجاة وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ماترى دينارا قلت لايطيقونه قال فنصف دينار قلت لايطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات الآية قال فبى خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة اى وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعنى قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت فى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه اذلم يعمل بها احد غيره قلت هو كما قلت وليس

فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا مايتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا مايتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم * وقوله (ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله (واطهر) اى لذنوبكم (فان لم تجدوا) يعنى الفقراء الذين لايجدون مايتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعنى انه تعالى رفع عنهم ذلك (ءاشفقتم) قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله (ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا) اى ما امرتم به (وتاب الله عليكم) اى تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبى ما كان الاساعة من نهار ثم نسخ (فاقيموا الصلاة) اى المفروضة (واتوا الزكوة) اى الواجبة (واطيعوا الله ورسوله) اى فيما امر ونهى (والله خبير بما تعملون) اى انه محيط باعمالكم ونياتكم * قوله عزوجل (الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود ونصحوهم ونقلوا اسرار المؤمنين اليهم فاراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ماهم) يعنى المنافقين (منكم) اى من المؤمنين فى الدين والولاء (ولا منهم) يعنى ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) اى انه كذبة نزلت فى عبدالله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العينين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله مافعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فانزل الله هذه الآية (اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ماكانوا يعملون اتخذوا ايمانهم) يعنى الكاذبة (جنة) اى يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعنى انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذى هو الاسلام (فلهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم) يوم القيامة (من الله شيأ اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعنى كاذبين انهم ماكانوا مشركين (كما يحلفون لكم) اى فى الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم فى الدنيا فظنوا انه ينفع فى الآخرة ايضا (ويحسبون انهم على شئ) يعنى من ايمانهم الكاذبة (الا انهم هم الكاذبون) يعنى فى اقوالهم وايمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) اى غلب واستولى عليهم وملكهم (فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين) يعنى فى جملة من يلحقهم الذل فى الدنيا والآخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الثانى ولما كانت عزة الله غير متناهية

واكتساب الجنسية مع الشيطان فى الظلمة والنهى عن الاختصام ليس المراد به انتهاؤهما بل عدم فائدته والاستماع اليه كانه قال لا اختصام مسموع عندى وقد ثبت وصح تقديم الوعيد حيث امكن انتفاعكم به لسلامة الآلات وبقاء الاستعداد فلم تنتفعوا به ولم ترفعوا لذلك رأسا حتى ترسخت الهيآت المظلمة فى نفوسكم ورانت على قلوبكم وتحقق الحجاب وحق القول بالعذاب فـ (مايبدل القول لدى) حينئذ لوجوب العذاب حال وقوعه (وما انا بظلام للعبيد) حيث وهبت الاستعداد وانبأت على الكمال المناسب له وهديتكم الى طريق اكتسابه بل انتم الظالمون انفسكم باكتساب ماينافيه واضاعة الاستعداد بوضع النور فى الظلمة واستبدال مايفنى بما يبقى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) اى يوم يتكثر اهل النار حتى تستبعد الزيادة عليهم ولا تنقص سعتها بهم ولا يسكن كلبها وفى الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط

كانت ذلة من ينازعه غير متناهية (كتب الله لأغلبن انا ورسلى) اى قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة
الرسل على نوعين فيهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله
قوى) اى على نصر رسله واوليائه (عزيز) اى غالب على اعدائه * قوله تعالى (لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) اخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين
يفسد بموادة الكافرين وان من كان مؤمنا لا يوالى من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب
عدوه فان قلت قد اجمعت الامة على انه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة
قلت المودة المحظورة هى مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظر
فيه ثم انه تعالى بالغ فى الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم)
يعنى ان الميل الى هؤلاء من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة
لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية فى حاطب بن ابى بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستأتى
قصته فى سورة الممتحنة وروى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى ابا عبيدة بن
الجراح قتل اباه الجراح يوم احد او ابناءهم يعنى ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر
الى البراز وقال يا رسول الله دعنى اكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل اخاه عبد الله بن عمير او عشيرتهم يعنى عمر بن
الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن ابى طالب وحمزة وابا عبيدة قتلوا عتبة
وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان) اى اثبت التصديق فى
قلوبهم فهى مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وايدهم
بروح منه) اى قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به حيى امرهم وقيل بالايمان
وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى
الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب
ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال (اولئك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الحشر ﴾

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهى مدنية اربع وعشرون آية
واربعمائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وهم طائفة
من اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه
ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبى الامى الذى نجد نعته فى التوراة لا ترد له
راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف

قط بعزتك وكرمك اى لا
يزال الخلق يميلون الى
الطبيعة بالشهوة والحرص
والطبيعة باقية على حالها
جاذبة لما يناسبها قابلة لصورها
الملائمة لها ملقية لما قبلت الى
اسفل الدركات الى ما لا
يتناهى حتى يصل اليها اثر
نور الكمال الوارد على
القلب فتتنور به وتنتهى عن
فعلها وعبر عن تشعشع النور
الالهى من القلب على النفس
بقدم رب العزة القوى
على قهرها ومنعها عن فعلها
واجبارها على موافقة
القلب فتقول قطنى قطنى
(وازلفت الجنة للمتقين)
اى جنة الصفات للذين
اتقوا صفات النفس بدليل
قوله من خشى الرحمن
الغيب لان الخشية تختص
بتجلى العظمة ولقوله (غير
بعيد) اى مكانا غير بعيد
لكون جنة الصفات اقرب
من جنة الذات فى الرتبة
دون الظهور اذ الذات
اقرب فى الظهور لان فى
عالم انوار كل ما كان ابعد
فى العلو والمرتبة من الشئ
كان اقرب اليه فى الظهور
لشدة نوريته ولقوله (هذا
ما توعدون لكل اواب)
اى رجاع الى الله بفناء

فى اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم
واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان فى اربعين من قريش وكعب بن الاشرف
فى اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع
كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما
تعاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وقد
تقدمت القصة فى سورة آل عمران وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة
حين اتاهم يستعينهم فى دية الرجلين المسلمين الذين قتلهما عمرو بن الضمرى فى منصرفه
من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبى صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره
بذلك وقد تقدمت القصة فى سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بنى النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبى
صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية
وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر امرك فقال النبى صلى الله عليه
وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال
ودس المنافقون عبد الله بن ابى واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن
معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها
ثم انهم اجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج الينا فى ثلاثين
رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان
صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من اصحابه وخرج
اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا فى براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف
تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف
نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون
منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة
من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله
عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بنى النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار
فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا
حتى ادرك النبى صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبى صلى الله
عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى
وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم
على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهى السلاح وعلى ان يخلوا لهم
ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا
من متاعهم وللنبى صلى الله عليه وسلم ما بقى وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك
وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشام الى اهل بيتين منهم آل ابى

الصفات (حفيظ) اى
محافظ على صفاء فطرته
ونوره الاصلى كى لا تتكدر
بظلمة النفس من اتصف
بالخشية وصارت الخشية
مقامه عند تجلى الحق فى
صفة الرحمة الرحمانية اذ هى
اعظم صفاته لدلالتها
على افاضة جميع الخيرات
والكمالات الظاهرة على
الكل وهى جلائل النعم
وعظائمها (من خشى الرحمن
بالغيب) اى فى حالة كونه
غائبا عن شهود الذات
اذ المحتجب بتجلى الصفات
غائب عن جمال الذات
(وجاء بقلب منيب) الى
الله عن ذنوب صفات النفس
فى معارج صفات الحق
دون الساكن فى مقام
الخشية الذى لا يقصد الترقى
(ادخلوها بسلام ذلك يوم
الخلود) بسلامة عن عيوب
صفات النفس آمنين عن
تلوينها (لهم ما يشاؤن فيها)
من نعم التجليات الصفاتية
وانوارها بحسب الارادة
(ولدينا مزيد) من نور
تجلى الذات الذى لا يخطر
على قلوبهم (وكم اهلكنا قبلهم)
قبل هؤلاء المتقين بالافناء
والاحراق بسبحات تجلى
الذات (من قرن هم اشد

الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عزوجل هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعنى بنى النضير من ديارهم يعنى التى كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بنى النضير فرجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعة من الاحزاب وبينهما سنتان (لاول الحشر) قال الزهرى كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قدكتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انه قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلى من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثانى من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحاء من ارض الشام فى ايام عمر وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثانى نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ماظننتم) يعنى ايها المؤمنون (ان يخرجوا) اى من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اى وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فاتاهم الله) اى اتاهم امر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لايظنون ذلك (وقذف فى قلوبهم الرعب) اى الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين) قال الزهرى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم مااقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب فى منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون مايليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل اعداء الله ينقبون دورهم من ادبارها فيخرجون التى بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون مايليهم ويرمون بالتى خرجوا منها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاعتبروا) اى فاتعظوا وانظروا مانزل بهم (ياأولى الابصار) اى ياذوى العقول والبصائر (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) يعنى الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك) اى الذى لحقهم ونزل بهم (بانهم شاقوا الله ورسوله) اى خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) * قوله تعالى (ماقطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله) الآية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لاتقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال

منهم بطشا) واى الياء اقوى منهم فى صفات نفوسهم لان الاستعداد كلما كان اقوى كانت صفات النفس فى البداية اقوى (فنقبوا فى البلاد) اى مفاوز الصفات ومقاماتها (هل من محيص) عن الفناء بالاحتجاب ببعضها والتوارى بها عند اشراق انوار سبحات الوجه الباقى وكيف المحيص ولاتبقى صفة هناك فضلا عن تواريه بها (ان فى ذلك) المعنى المذكور لتذكيرا (لمن كان له قلب) كامل بالغ فى الترقى الى حد كماله (او القى السمع وهو شهيد) فى مقام النفس الى القلب لفهم المعانى والمكاشفات لترقى وهو حاضر بقلبه متوجه اليه مفيض لنوره مترق الى مقامه (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام) اى ست جهات ان فسرنا السموات والارض على الظاهر وان اولنا السموات بالارواح والارض بالجسم فهى صور الممكنات الست من الجبروت والملكوت والملك التى هى مجموع الجواهر والاضافيات والكميات والكيفيات التى هى مجموع الاعراض

بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزل ماقطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ماخلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم لا العجوة واهل المدينة يسمون ماخلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة و البرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فاخبر الله ان قطعها كان باذنه (وليخزى الفاسقين) يعنى اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود اذن الله فى قطعها احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لابأس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها * قوله عز وجل (وما افاء الله على رسوله) اى ما رده الله على رسوله (منهم) اى من يهود بنى النضير (فما اوجفتم عليه) يعنى اوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولاركاب) يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولانالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من اعدائه (والله على كل شئ قدير) اى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الاثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة (ق) عن مالك بن اوس النضرى ان عمر دعاه اذجاء حاجبه يرفا فقال هل لك ياامير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك فى عباس وعلى يستأذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المؤمنين اقض بينى وبين هذا فقال القوم اجل ياامير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الآخر قال مالك بن اوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر

فهذه الستة تحصر المخلوقات باسرها والستة الآلاف المذكورة التى هى مدة دور الخفاء على ماذكر فى الاعراف (وما مسنا من لغوب فاصبر على مايقولون) بالنظر اليهم بالفناء وعدم تأثير اقوالهم بالانسلاخ عن الافعال وحبس النفس عن الظهور بأفعالها ان لم تحبسها عن الظهور بصفاتها (وسبح بحمد ربك) بالتجريد عن صفات النفس حامدا لربك بالاتصاف بصفاته وابراز كما لاته المكتوبة فيك فى مقام القلب (قبل طلوع الشمس) شمس الروح ومقام المشاهدة (وقبل الغروب) بالفناء فى احدية الذات (ومن الليل فسبحه) اى فى بعض اوقات ظلمة التلوين فنزهه عن صفات المخلوقين بالتجرد عن الصفة الظاهرة بالتلوين (وادبار السجود) وفى اعقاب كل فناء فان عقيب فناء الافعال يجب الاحتراز عن تلوين النفس وعقيب الفناء عن الصفات يجب التنزه عن تلوين القلب وعقيب فناء الذات يجب التقدس عن ظهور الانائية (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب)

على العباس وعلى وقال انشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لانورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله
صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم فما
اوجفتم عليه من خيل ولاركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال
بنى النضير فوالله مااستأثرها عليكم ولااخذها دونكم فقداعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا
المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم مابقى يجعله مجعل مال الله فعمل
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض
اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما
توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابوبكر انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه
ابوبكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينئذ واقبل على على وعباس
وقال تذكران ان ابابكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى
الله ابابكر فقلت انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فقبضته سنتين من امارتى
اعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر والله يعلم انى فيه لصادق بار راشد
تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لانورث ما تركنا صدقة فقلتم ادفعها الينا فلما بدالى ان ادفعها اليكما قلت ان شئتما
دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابوبكر وماعملت فيه منذ وليت والافلاتكلمانى فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان
منى قضاء غيرذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا اقضى فيه بقضاء غيرذلك حتى
تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الى فانى اكفيكماه * قوله تعالى (ماافاء الله على رسوله
من اهل القرى) يعنى من اموال كفار اهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك
وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذى القربى) يعنى بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى
والمساكين وابن السبيل) قدتقدم تفسيره فى سورة الانفال فى حكم الغنيمة وقسمتها واما حكم
الفئ فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على اهله منه
نفقة سنتهم ويجعل مابقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء
فى مصرف الفئ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعى فيه
قولان احدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح
واختلفوا فى تخميس مال الفئ فذهب قوم الى انه يخمس فخمس لاهل خمس الغنيمة واربعة
للمقاتلة اوللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لايخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين
فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ماافاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين
الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض
مسلم الاوله فى هذا الفئ حق الا ماملكت ايمانكم (كيلا يكون) الفئ (دولة) والدولة
اسم الشئ الذى يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعنى بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا
عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه

الله بنفسه من اقرب الاماكن
اليك كما نادى موسى من
شجرة نفسه يوم يتم عين
القيامة الكبرى صيحة
القهر والافناء بالحق من
الحق (يوم يسمعون الصيحة
بالحق ذلك يوم الخروج)
من وجوداتهم (انا نحن
نحيى ونميت) اى شأننا
الاحياء والاماتة نحيى اولا
بالنفس ثم نميت عنها ثم
نحيى بالقلب ثم نميت عنه ثم
نحيى بالروح ثم نميت عنه
بالفناء (والينا المصير) بالبقاء
بعد الفناء بل فى كل فناء اذلا
غير يصيرون اليه (يوم تشقق
الارض) ارض البدن
(عنهم سراعا) الى ما يجانسهم
من الخلق (ذلك حشر علينا
يسير) نحشرهم مع من
يتولونه بالمحبة بانجذابهم اليه
دفعة بلا كلفة من احد
(نحن اعلم بما يقولون) لاحاطة
علمنا بهم وتقدمه عليهم وعلى
اقوالهم (وما انت عليهم
بجبار) تجبرهم على خلاف
مااقتضى استعدادهم وحالهم
التى هم عليها بما انت مذكر
فاصبر بشهود ذلك منى
واحبس النفس عن الظهور
بالتلوين وذكر بالقرآن بما
نزل عليك من العقل الجامع
بجميع المراتب (فذكر

(وهو)

وهو المرباع ثم يصطفى بعد ماشاء فجعله الله لرسوله صلى الله وسلم يقسمه فيما امر به ﴿ وما آتاكم
الرسول فخذوه ﴾ اى من مال الفئ والغنيمة ﴿ وما نهاكم عنه ﴾ اى من الغلول وغيره ﴿ فانتهوا ﴾
وهذا نازل فى اموال الفئ وهو عام فى كل ما امر به النبى صلى الله عليه وسلم او نهى عنه من قول
او عمل من واجب او مندوب او مستحب او نهى عن محرم فيدخل فيه الفئ وغيره (ق) عن
عبدالله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن
المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بنى اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرا القرآن فاتته
فقالت ماحديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبدالله ومالى لا العن من
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف
فما وجدته فقال ان كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هى التى تطلب
ان يفعل بها ذلك والنامصة هى التى تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هى التى تتكلف تفريج
ما بين ثناياها بصناعة وقيل هى التى تتفلج فى مشيتها فكل ذلك منهى عنه (ق) عن عائشة
رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ما ليس منه
فهو رد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد * عن ابى رافع ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه امر مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى
ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن الاريكة
كل ما اتكئ عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك ﴿ واتقوا الله ﴾ اى فى امر الفئ
﴿ ان الله شديد العقاب ﴾ اى على ترك ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم او نهاكم عنه
ثم بين من له الحق فى الفئ فقال عز وجل ﴿ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم ﴾ يعنى الجاهم كفار مكة الى الخروج ﴿ يبتغون فضلا من الله ﴾ اى رزقا وقيل
ثوابا من الله ﴿ ورضوانا ﴾ اى خرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل ﴿ وينصرون الله
ورسوله ﴾ اى بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾
اى فى ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله
ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر
على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها (م)
عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا وعن ابى سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة
تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود * قوله
عز وجل ﴿ والذين تبوؤا الدار والايمان ﴾ يعنى الانصار توطنوا الدار وهى المدينة واتخذوها
سكنا ﴿ من قبلهم ﴾ يعنى انهم اسلموا فى ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبى
صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان
ليس بمكان يتبوأ ﴿ يحبون من هاجر اليهم ﴾ وذلك انهم انزلوا المهاجرين فى منازلهم واشركوهم

بالقرآن من) يتأثر بالتذكير
و(يخاف وعيد) لكونه قابلا
للوعظ مجانسا لك فى
الاستعداد قريبا منى دون
المردودين الذين لا يتأثرون
والله تعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سورة والذاريات ﴾

(والذاريات ذروا) اى
النفحات الالهية والنسائم
القدسية التى تذرو غبار
الهيآت الظلمانية وتراب
الصفات النفسانية ذروا
(فالحاملات وقرا) اى
الواردات النورانية التى
تحمل اوقار الحقائق اليقينية
والعلوم الكشفية الحقيقية
التى لها ثقل فى الميزان لبقائها
دون التى تخف من الامور
الفانية الى قلوب اهل
العرفان والنفوس القابلة
المستعدة الحاملة لتلك
الحقائق والمعانى (فالجاريات
يسرا) اى النفوس التى
تجرى فى ميادين المعاملات
ومنازل القربات بواسطة
تلك النفحات والواردات
يسرا بلا كلفة كالمحرومين
عن ذلك او القلوب التى
تجرى فى ابحر الصفات
بتلك النفحات يسرا
(فالمقسمات امرا) اى
الملائكة المقربين من اهل

فى اموالهم (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) اى حزازة وغيظا وحسدا (مما اوتوا) اى اعطى المهاجرون من الفئ دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الاثلاثة فطابت انفس الانصار بذلك (ويؤثرون على انفسهم) اى ويؤثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على انفسهم (ولو كان بهم خصاصة) اى فاقة وحاجة الى مايؤثرون به (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ماعندى الا الماء ثم ارسل به الى اخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه رحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابوطلحة فقال انا يارسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لاالاقوت صبيانى قال فعلليهم بشئ ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نأكل فاذا اهوى بيده ليأكل فقومى الى السراج كى تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله اوضحك الله من فلان وفلانة زاد فى رواية فانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لافقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمر قالوا سمعنا واطعنا (خ) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالو لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال امالا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانه سيصيبكم اثرة بعدى وفى رواية ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الاستئثار وهو ان يستأثر عليكم باموار الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولايجعل لكم فى الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا اعطى اراد انه يستأثر عليكم غيركم فيفضل فى نصيبه من الفئ والاستئثار الانفراد بالشئ وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم اموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيأ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ويؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها فانزل الله عزوجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح فى كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) اى الفائزون بما ارادوا وروى ان رجلا قال لابن مسعود انى اخاف ان اكون قد هلكت قال وماذاك قال انى اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لايكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ولكن الشح ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص

الجبروت والملكوت التى تقسم لكل واحدة قسطا من السعادة والرزق الحقيقى على حسب الاستعدادات (انما توعدون) من حال القيامة الكبرى وحصول الكمال المطلق «لصادق وان الدين) اى الجزاء الذى هو الفيض الوارد بحسب السعى فى السلوك والعمل المعد للقبول اوالحرمان والتعذب بالحجاب والتأذى بالهيآت المؤذية المظلمة بسبب الركون الى الطبيعة (لواقع) كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم اقسم بالمعدات والقوابل والمفيضات على ان مقتضى اجتماعها واجب الوقوع (والسماء) اى الروح (ذات الحبك) الطرائق من الصفات فان من كل صفة طريقا الى سماء الروح يصل اليها من يسلكها وكل مقام وحال بابا اليها (انكم لفى قول مختلف) من حديث النفس وشجونه المتنوعة المانعة عن اتحاد الوجهة فى السلوك والاعتقادات الفاسدة والمذاهب الباطلة

الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيأ امره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم * عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود الهلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته او يخرج من يده والخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه * عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا اخرجه النسائي * قوله تعالى ﴿ والذين جوا من بعدهم ﴾ يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامة ﴿ يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾ اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ﴿ ولا تجعل في قلوبنا غلا ﴾ اي غشا وحسدا وبغضا ﴿ للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ﴾ فكل من كان في قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين وليس له في المسلمين نصيب وقال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن اختي امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم * عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه اخرجه الترمذي وقال مالك بن انس من انتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة * وروى عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابابكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله ان لا ينقطع عنهم الاجر وروى ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب رسول الله

المانعة عن الكمال من انواع الجهل المركب ﴿ يؤفك عنه ﴾ اي بسبب ذلك القول المختلف الذي هو حديث النفس او الاعتقاد الفاسد ﴿ من افك ﴾ اي المحجوب المحكوم عليه في القضاء السابق بسوء الخاتمة دون غيره او يصرف عما توعدون من الكمال من صرف بالشقاوة الازلية في علم الله ﴿ قتل الخراصون ﴾ اي لعن الكذابون بالاقوال المختلفة ﴿ الذين هم في غمرة ساهون ﴾ اي جهل يغمرهم غافلون عن الكمال والجزاء ﴿ يسئلون ايان يوم الدين ﴾ لبعدهم عن ذلك المعنى واستبعادهم لذلك وتعجبهم لمكان الاحتجاب اي متى وقوع هذا الامر المستبعد ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ اي يقع يوم هم يعذبون يعذبون على نار الحرمان في ظلمات الهيآت بفساد الابدان والوقوع في الهلاك والخسران مقولا لهم ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ اي عذابكم ﴿ الذي كنتم به تستعجلون ﴾ بالانهماك في اللذات البدنية واستئثار الحظوظ العاجلة والكمالات البهيمية والسبعية ﴿ ان المتقين في جنات وعيون ﴾

صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان ❊ قوله عز وجل ﴿ الم تر الى الذين نافقوا ﴾ يعني اظهروا خلاف ما اضمروا وهم عبد الله بن ابي ابن سلول واصحابه ﴿ يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب ﴾ يعني اليهود من بني قريظة وبني النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم ﴿ لئن اخرجتم ﴾ اي من المدينة ﴿ لنخرجن معكم ﴾ اي منها ﴿ ولا نطيع فيكم احدا ابدا ﴾ يعني ان سألنا احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيع فيكم ﴿ وان قوتلتم لننصرنكم ﴾ اي لنعيننكم ولنقاتلن معكم ﴿ والله يشهد انهم ﴾ يعني المنافقين ﴿ لكاذبون ﴾ اي فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى ﴿ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ﴾ وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ﴿ ولئن نصروهم ليولن الادبار ﴾ يعني لو قدروا نصرهم او قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصروهم ﴿ لانتم ﴾ يعني يا معشر المسلمين ﴿ اشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ﴿ ذلك ﴾ اي الخوف منكم ﴿ بانهم قوم لا يفقهون ﴾ يعني عظمة الله تعالى ﴿ لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة ﴾ اي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى ﴿ او من وراء جدار ﴾ وقرئ جدر ﴿ باسهم بينهم شديد ﴾ اي بعضهم فظ على بعض او عداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ اي متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم ﴿ ذلك بانهم قوم لا يعقلون ﴾ ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريبا ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ ذاقوا وبال امرهم ﴾ يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ اي في الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى ﴿ كمثل الشيطان ﴾ اي مثل المنافقين مع بني النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان ﴿ اذ قال للانسان اكفر ﴾ وذلك ما روي عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه والسلام فدفعه الى اقصى ارض الهند لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة ايام ولا يفطر الا في كل عشرة ايام مرة فلما رأى الابيض انه لا يجيبه اقبل

الذين تجردوا عن هيآت الطبيعة وصفات النفس في جنات الصفات وعلومها ﴿ آخذين ﴾ اي قابلين ﴿ ما آتاهم ربهم ﴾ من انوار تجليات الصفات راضين بها ﴿ انهم كانوا قبل ذلك ﴾ اي قبل الوصول الى مقام تجليات الصفات ﴿ محسنين ﴾ بشهود الافعال في مقام العبادات والمعاملات كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾ من ليل الاحتجاب في مقام النفس ما يغفلون عن السلوك ﴿ وبالاسحار ﴾ اي اوقات طلوع انوار التجليات وانقشاع ظلمة صفات النفس ﴿ هم يستغفرون ﴾ يطلبون التنور بالانوار وتستر صفات النفس وهيآت السوء بها ومحوها ﴿ وفي اموالهم ﴾ اي علومهم الحقيقية والنافعة ﴿ حق للسائل ﴾ اي المستعد الطالب ﴿ والمحروم ﴾ القاصر الاستعداد او المحجوب عن نور فطرته بالغواشي البدنية والرسوم العادية بافاضة العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية على الاول والعلوم النافعة الباعثة على الرياضة والمجاهدة على الثاني ﴿ وفي

على العبادة فى اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم فى نفسه اى لام نفسه حين لم يجبه فقال انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتى انى جئت لاكون معك فاتأدب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وادعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتى ان تأذن لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر الا فى كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مدالى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندى دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انا اكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى اخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر فقال لهم انى لا اقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعا به اجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان وكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة كان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت

الارض) اى ظاهر البدن (آيات) من ظواهر الاسماء والصفات الالهية (للموقنين) الذين يشاهدون صفات الله فى مظاهرها (وفى انفسكم) من انوار تجلياتها (افلا تبصرون وفى السماء) سماء الروح (رزقكم) المعنوى من العلوم كما فى سماء العالم رزقكم الصورى (وما توعدون) من الانوار واحوال القيامة الكبرى (فورب السماء والارض انه لحق) اى ما ذكر من آيات الارض والانفس ووجوه الرزق وما وعد فى السماء حق (مثل ما انكم تنطقون هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من

فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته اذجاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يابرصيصا مافعلت اختنا قال قدجاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان الى اوسطهم فقال الاوسط مثل ماقال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقدرايت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله قدرايت مثله فقال الاكبر وانا والله قدرايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يابرصيصا مافعلت اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكأنكم قداتهمتمونى فقالوا لاوالله لانتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم على ماراوه فى النوم فمشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به للملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يابرصيصا اتعرفنى فقال لا فقال انا صاحبك الذى علمك الدعوات وكنت اذادعوت بهن يستجاب لك ويحك مااتقيت الله فى امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بنى اسرائيل امااستحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك الم يكفك ماصنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا ولن يفلح احد من نظرائك قال وكيف اصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فآخذ بأعينهم واخرجك من مكانك قال وماهى قال تسجدلى قال مااستطيع افعل قال بطرفك افعل فسجدله برصيصا فقال يابرصيصا هذا الذى اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك (فلما كفر قال انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين) قال الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعنى الشيطان وذلك الانسان (انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لاتجيبوا محمدا الى مادعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لايمشون فى بنى اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسق والفجور فى الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من امر جريج الراهب ماكان فلما براه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ماروى عن ابى هريرة رضى

المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وفى موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شىء اتت عليه الا جعلته كالرميم وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وماكانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) نطقكم فانه صفة من صفات المتكلم الحقيقى ظهر على لسانكم وفى ارض ابدانكم وتجلى بها المتكلم الحقيقى على قلوبكم ان حضرتم وشهدتم ونزل بها الرزق المعنوى الذى يندرج فى صورة الالفاظ من سماء روحكم عليكم ان كان نطقا حقيقيا لاصوتا كاصوات الحيوانات فانه لايسمى نطقا الا مجازا وحصل به كمالكم

الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة وكان فيها فاتته امه وهو يصلي فيها فقالت ياجريج فقال يارب امي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغداتته فقالت ياجريج فقال يارب امي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغداتته فقالت ياجريج فقال يارب امي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لاتمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها معهم فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ماشأنكم فقالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي فجاؤا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي فطعن في بطنه وقال ياغلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبني لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذوشارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لاتجعلني مثل هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لاتجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لاتجعلني مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لاتجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لاتجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخاري مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهي المرأة الفاجرة والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اي يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذوشارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر القاهر للناس ※ قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) اي لينظر احدكم اي شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيامة يأتي غدا وكل ماهو آت فهو قريب (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله في اداء الواجبات ومعنى الثاني واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) اي تركوا امر الله (فانساهم انفسهم) اي انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده (اولئك هم الفاسقون لايستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون) لما ارشد المؤمنين الى مايصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لايستوي اصحاب النار يعني الذين هم

واشرق نوره عليكم لتهتدوا به الى احوال الآخرة واما حديث ضيف ابراهيم وما نزلوا به فقدمر تحقيقه في سورة هود (ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين) اي انقطعوا اليه واستضيئوا بنوره واستمدوا من فيضه في محاربة النفس والشيطان وتخلصوا اليه من عدوانهما وطغيانهما ولا تلتفتوا الى غيره ولا تثبتوا لما سواه وجودا وتأثيرا فيستولي عليكم الشيطان ويسول عليكم طاعته وعبادته ولا تجعلوا معه بهوى النفس معبودا كالنفس وماتهواه فتشركوا وتحتجبوا به عنه فتهلكوا (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس) جن النفوس والانس الابدان او الثقلين المشهورين (الا ليعبدون) ليظهر عليهم صفاتي وكمالاتي فيعرفوني ثم يعبدوني اذ العبادة بقدر المعرفة ومن لم يعرف لم يعبد كما قال العارف

فى العذاب الدائم واصحاب الجنة يعنى الذين هم فى النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل فى الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وانزل عليه القرآن لخشع اى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله وحذر من ان لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كأنه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله تعالى له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل * قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) اى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى اعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى فى الدنيا يعم المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) اى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) اى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذى كثرت بركته (السلام) اى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اى سلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى امن الناس من ظلمه وامن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس اى الشهيد على عباده باعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد فى معناه

الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

اى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فى ابيات منها

المحقق عليه السلام لا اعبد ربا لم اره اى لم اخلقهم ليحتجبوا بوجوداتهم وصفاتهم عنى فيجعلوا انفسهم آلهة معبودة غيرى او يحتجبوا بخلق وما تهوى انفسهم فيجعلوه الها غيرى ويعبدوه (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون) اى خلقتهم بان احتجبت بهم بذاتى وصفاتى ليظهروا فيتخلقوا بخلقى فيحتجبوا بى ويستتروا بفناء الافعال والصفات ولا ينسبوا الرزق والاطعام والتأثير الى انفسهم لظهوره بالافعال والصفات وانتحال افعالى وصفاتى لها بالكذب والطغيان (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) اى ذاته الموصوفة بجميع الصفات هى مصدر الافعال اللطيفة كالرزق والقهرية كالتأثير فى الاشياء دون غيره (فان للذين ظلموا ذنوبا) بنسبة الفعل والتأثير الى الغير من مخلوقاته سواء كان ذلك الغير انفسهم او غيرهم نصيبا وافرا من عذاب الله (مثل ذنوب اصحابهم) نصيب نظرائهم من المحجوبين بالصفات (فلا يستعجلون) فى الاستمتاع بافعالهم (فويل للذين كفروا) اى حجبوا

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء زانها النطق

وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتأويله وانشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده * ولقد تعالى عن عقول اولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم * والوصف يعجز عن مليك لا يرى

(العزيز) اى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لا ينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا فى فعله وكان مذموما فى حق الناس واما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اى من ادعاء الكبر لانفسهم (هو الله الخالق) اى المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارئ) اى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) اى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فاولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات (له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان كذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله اعلم

﴿ سورة الممتحنة مدنية ﴾

وهى ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف

عن الحق فى اى مرتبة كانت باى شئ كان (من يومهم الذى يوعدون) فى القيامة الصغرى والله اعلم

﴿ سورة والطور ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) الطور هو الجبل الذى كلم عليه موسى وهو الدماغ الانسانى الذى هو مظهر العقل والنطق اقسم به لشرفه وكرامته والكون الفلك الاعظم الذى هو محدد الجهات بالنسبة الى العالم بمثابة الدماغ بالنسبة الى الانسان يمكن ان يكون اشارة اليه واقسم به لشرفه وكونه مظهر الامر الالهى ومحل القضاء الازلى * (وكتاب مسطور فى رق منشور) والكتاب المسطور هو صورة الكل على ما هو عليه من النظام المعلوم المتقش فى لوح القضاء الذى هو الروح الاعظم المشار اليه ههنا بالرق المنشور وتنكيرهما للتعظيم (والبيت المعمور) هو قلب العالم اى النفس الناطقة الكلية وهو لوح القدر وعمرانه كثرة الطائفة الملكوت به (والسقف المرفوع) هو السماء الدنيا التى تنزل الصور والاحكام من لوح القدر الذى هو

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) الآية (ق) عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا
حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت مامعي من كتاب فقلنا لتخرجي
الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب
بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يارسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في
قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم
بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا
ولا ارتدادا عن ديني ولا ارضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قد صدقكم فقال عمر دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله
عزوجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع
بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة المرأة
المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه
الآية في حاطب بن ابي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك ان سارة مولاة لابي عمرو بن صيفي بن
هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك
قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت
عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة
قالت ماطلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها
فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها
عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب
بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت
سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى
تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا
سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله مامعها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها
فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ماكذبنا وكذب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد
اخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا
بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب

اللوح المحفوظ اليه ثم
تظهر في عالم الشهادة
بحلولها في المواد وهو المحو
والاثبات بمثابة محل الخيال
في الانسان (والبحر المسجور)
هو الهيولى المملوءة بالصور
التي يظهر عليها جميع ما ثبت
في الارواح المذكورة
(ان عذاب ربك لواقع)
بظهور القيامة الصغرى
وعلى التأويل الاول وهو
تأويل الطور بالدماغ يكون
الكتاب المسطور اشارة
الى المعلومات المركوزة في
الروح الانساني المسماة
بالعقل القرآني ذوالروح
هو الرق المنشور ونشوره
ظهوره وانبثاثه في البدن
والبيت المعمور هو القلب
الانساني والسقف المرفوع
هو مصعد الخيال المنتقش
بالصور الجزئية والبحر
المسجور هو مادة البدن
المملوءة بالصور والله اعلم
(ماله من دافع يوم تمور
السماء مورا) اي تضطرب
الروح وتجيء وتذهب عند
السكرات ومفارقة البدن
(وتسير الجبال سيرا) اي
تذهب العظام وترم وتصير
هباء منبثا (فويل يومئذ
للمكذبين) الذين احتجبوا
بالدنيا عن الآخرة فكذبوا

فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فاحملك على ماصنعت فقال والله ماكفرت منذ اسلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولااحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الاوله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلى بين ظهرانيهم فخشيت على اهلى فاردت ان اتخذ لى عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابى لايغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله فى شأن حاطب بن ابى بلتعة ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء يعنى اصدقاء وانصارا (تلقون اليهم بالمودة) اى باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبى صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) اى وحالهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعنى القرآن (يخرجون الرسول واياكم) يعنى من مكة (ان تؤمنوا) اى لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء * وقوله (تسرون اليهم بالمودة) اى بالنصيحة (وانا اعلم بما اخفيتم) اى من المودة للكفار (وما اعلنتم) اى اظهرتم بالسنتكم منها (ومن يفعله منكم) اى الاسرار والقاء المودة اليهم (فقد ضل سواء السبيل) اى اخطأ طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) اى بالضرب والقتل والشتم والسب (وودوا) اى تمنوا (لو تكفرون) اى ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لايخلصون المودة لاولياء الله ولايناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلاتناصحوهم انتم ولاتوادوهم (لن تنفعكم ارحامكم ولااولادكم) اى لايدعونكم ولايحملنكم ذووا ارحامكم وقراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لاتنفعكم ارحامكم ولااولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) اى يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) * قوله تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابرهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) اى من اهل الايمان (اذ قالوا لقومهم) يعنى المشركين (انا برءآء منكم) جمع برئ (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) اى جحدناكم وانكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) والمعنى ان ابراهيم عليه السلام واصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم (الاقول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك) يعنى لكم ان تأسوا بابراهيم فى جميع اموره الا فى الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه (وما املك لك من الله من شئ) هذا من قول ابراهيم لابيه يعنى ماأغنى عنك ولاادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا

بالجزاء (الذين هم فى خوض يلعبون) يخوضون فى باطل اللذات الحسية والاعتقادات الفاسدة والاقوال المزخرفة ويتعمقون فى اللعب الذى هو الحياة الدنيا وزينتها السريعة الزوال (يوم يدعون) اى يجرون ويسحبون بالعنف (الى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون) نار الحرمان والآلام فى قعر بئر الطبيعة الفاسقة المحبوسة فى سلاسل التعلقات واغلال الهيئآت الجرمانية (افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ماكنتم تعملون ان المتقين) الذين اتقوا الرذائل وصفات النفوس (فى جنات ونعيم) من جنات الصفات ولذة وذوق وتنعم فيها (فاكهين) متلذذين (بما آتاهم ربهم) من انوار التجليات ومعارف الوجدانيات والكشفيات (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) جحيم الطبيعيات والاحتجاب بالبهيميات والسبعيات من الهيآت (كلوا) من ارزاق الحكم والعلوم الحقيقية التى هى قوت القلوب

لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) اى لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) يعنى فى ابراهيم ومن معه (اسوة حسنة) اى اقتداء حسن (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) اى ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) اى يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) اى عن خلقه (الحميد) اى الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فانزل الله تعالى (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابى سفيان ولان لهم ابو سفيان (والله قدير) اى على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) اى لمن تاب منهم واسلم ثم رخص فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم) اى لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) اى وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين قال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا على احدا فرخص الله فى برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت فى امه وهى اسماء بنت ابى بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهى مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلى على بيتنا حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانزل الله تعالى هذه الآية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قال قدمت على امى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ان امى قدمت على وهى راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد فى رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركو مكة (ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ اباجندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم يأته احد من الرجال الا رده فى تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهى عاتق فجاء اهلها

(واشربوا) من مياه العلوم النافعة وخمور العشق والمحبة اكلا هنيئا وشربا (هنيئا) سائغا غير ذى غصة (بما كنتم تعملون) بسبب اعمالكم فى الزهد والعبادة والمجاهدة والرياضة (متكئين على سرر) اى مراتب ومقامات (مصفوفة) مترتبة كالتسليم والتوكل والرضا اومتقابلة تتساوى فى مقاماتهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين (وزوجناهم بحور عين) اى قرناهم بما فى درجاتهم من الصور المقدسة والجواهر المجردة من الروحانيات التى لا احسن وراء حسنها (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة) من الواردات اللذيذة والمواجيد الذوقية والاشراقات البهيجة (ولحم) من العلوم المقوية للقلوب والحكم المحيية لها (مما يشتهون) اى يشتاقون اليه بمقتضى استعداداتهم واحوالهم (يتنازعون فيها) يتعاورون فى مباحثاتهم ومحاوراتهم ومذاكراتهم

يسألون عنها النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولاهم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية ياايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن اقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله مامست يده يد امرأة قط في المبايعة ولايبايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يامحمد اردد على امرأتي فانك قدشرطت ان تردعلينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فانزل الله ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات اى من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ماخرجت من بغض زوج ولارغبة عن ارض الى ارض ولالحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبالله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا ايها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذى تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطى ازواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل قدكان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال على ماكان في العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وانما اطلق العقد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم (الله اعلم بايمانهن) اى هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن (فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) اى اذا اقررن بالايمان فلاتردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعني ازواجهن (ماانفقوا) اى عليهن من المهر الذى دفعوه اليهن (ولاجناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن) اى مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دارالحرب الى دارالاسلام وان كان لهن ازواج كفار في دارالحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهى زوجته وبه قال الاوزاعى والليث بن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولاتمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهى مااعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة كافرة بمكة فلايعتدبها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهرى لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا

(كأسا) خمرا لذيذا من المعارف والعشقيات والذوقيات (لالغو فيها) بسقط الحديث والهذيان والكلام بما لاطائل تحته (ولاتأثيم) ولاقول يأثم به صاحبه وينسب الى الاثم كالغيبة والفواحش والشتم والاكاذيب (ويطوف عليهم غلمان لهم) من الملكوت الروحانية اى تخدمهم الروحانيات او اهل الارادة وصفاء الاستعداد من الاحداث الطالبين (كأنهم) لفرط صفائهم ونوريتهم (لؤلؤ مكنون) محفوظ من تغيرات هوى النفس وغبار الطبائع مخزون من ملامسة ذوى العقائد الرديئة والعادات المذمومة (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) عن بداياتهم واحوال رياضاتهم في عالم النفس ومأوى الحس الذى هو الدنيا (قالوا انا كنا قبل) اى قبل الوصول الى فضاء القلب وروح الروح في الآخرة (في اهلنا) من القوى البدنية وصفات النفس (مشفقين) وجلين من ذكر الله خائفين من العقاب (فمن الله علينا) بتجليات الصفات ونم

بمكة مشركتين قريبة بنت ابى امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابى سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى ام ابنه عبيدالله فتزوجها ابوجهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت اروى ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هى على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده فى الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابى العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم واقام ابوالعاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسئلوا) اى ايها المؤمنون (ماانفقتم) يعنى ان لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ماانفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسئلوا) يعنى المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم (ماانفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق كذلك صنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية اقر المؤمنون بحكم الله تعالى وادوا ما امروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من اداء نفقات المسلمين فانزل الله عزوجل (وان فاتكم) ايها المؤمنون (شئ من ازواجكم الى الكفار) اى فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم) اى الى الكفار (مثل ماانفقوا) معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ماانفقوا عليها من الغنائم التى صارت فى ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت ابى امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبدالعزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابى جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص ابن وائل وام كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول فى رد مهر من اسلمت النساء الى زوجها هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء ام لا فيه قولان احدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لا يأتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم فى رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثانى ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن على انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة فى الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا فى انه هل يجب العمل به اليوم

المكاشفات (ووقانا عذاب السموم) سموم هوى النفس وجحيم الطبيعة (انا كنا من قبل) قبل هذا المقام (ندعوه) نذكره ونعبده (انه هو البر) المحسن بن دعاه بافاضة العلم والتحقيق (الرحيم) لمن عبده وخافه بالهداية والتوفيق (فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا

فى ردالمال اذاشرط فى معاقدة الكفار فقال قوم لايجب وزعموا ان الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ورد عليهم ماانفقوا * قوله تعالى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ياايها النبى اذاجاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعهن (على ان لايشركن بالله شيا) فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبى صلى الله عليه وسلم (ولايسرقن) فقالت هند ان اباسفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فلاادرى ايحل لى ام لا فقال ابوسفيان مااصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولايزنين) فقالت هند اوتزنى الحرة فقال (ولايقتلن اولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قدقتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وماتأمرنا الابالرشد ومكارم الاخلاق (ولايعصينك فى معروف) فقالت هند ماجلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ فأقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزى وجملة من احصى من المبايعات اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على ان لايشركن بالله شيئا ومامست يدرسول الله صلى الله عليه وسلم يدامرأة لا يملكها واماتفسير الآية فقوله تعالى ولايقتلن اولادهن اراد به وادالبنات الذى كان يفعله اهل الجاهلية ثم هوعام فى كل نوع من قتل الولد ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى لاتلحق المرأة بزوجها غيرولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذاولدى منك فهذاهو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنالان النهى عنه تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذاوضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولايعصينك فى معروف اى فى كل ماتأمرهن به اوتنهاهن عنه وقيل فى كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهى عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ان لاتحدث المرأة الرجال الاجانب ولاتخلو برجل غيرذى محرم ولاتسافر مع غيرمحرم قال ابن عباس فى قوله ولايعصينك فى معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء اخرجه البخارى (ق) عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لايشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة اسعدتنى فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن اسيد بن اسيد عن امرأة من المبايعات

سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لايغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون وذلك ولكن اكثرهم لايعلمون واصبر لحكم ربك) بمنع النفس عن الظهور بالاعتراض على الحكم (فانك باعيننا) فانا نراك ونرقبك فاحترز عن ذنب ظهور النفس بحضورنا (وسبح بحمد ربك) نزه الله بالتجرد عن ملابس صفات النفس حامدا لربك باظهار كمالاتك التى هى صفاته (حين تقوم) فى القيامة الوسطى عن نوم غفلة مقام النفس بالرجوع الى الفطرة (ومن الليل) ومن بعض اوقات الظلمة عند التلوين بظهور صفة من صفاتها (فسبحه) بالتجرد عنها والتنور بنور) الروح (وادبار النجوم) نجوم الصفات وغيبتها بظهور نور شمس الذات وطلوع فجر بداية المشاهدة والله تعالى اعلم

﴿ سورة والنجم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنجم اذاهوى) اقسم بالنفس المحمدية اذا فنيت

قالت كان فيما اخذعلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذى اخذعلينا ان لانعصيه فيه ان لانخمش وجها ولاندعو ويلا ولانشق جيبا ولاننشر شعرا اخرجه ابو داود * عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين بايعهن ان لاينحن فقلن يارسول الله نساء اسعدتنا فى الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لااسعاد فى الاسلام اخرجه النسائى (م) عن ابى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة اخرجه ابوداود * وقوله تعالى (فبايعهن) يعنى اذابايعنك على هذه الشروط (فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) عن اميمة بنت رقية قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطقتن قلنا الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يارسول الله بايعنا قال سفيان يعنى صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا من الآخرة) يعنى اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير فى الآخرة (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) يعنى كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا فى القبور من ان يكون لهم ثواب فى الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الصف ﴾

وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثانى انها مكية وهى اربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قيل سبب نزولها ماروى عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون قال عبدالله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وانزل الله هل ادلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة

وغربت عن محل الظهور وسقطت عن درجة الاعتبار فى الظهور والحضور (ماضل صاحبكم) بالوقوف مع النفس والانحراف عن المقصد الاقصى بالميل لها (وما غوى) بالاحتجاب بالصفات والوقوف معها فى مقام القلب (وماينطق عن الهوى) بظهور صفة النفس فى التلوين (ان هو الاوحى يوحى) اليه من وقت وصوله الى افق القلب الذى هو سماء الروح الى انتهائه الى الافق الاعلى الذى هو نهاية مقام الروح المبين (علمه) روح القدس الذى هو (شديد القوى) قاهر لما تحته من المراتب مؤثر فيها تأثيرا قويا (ذو مرة) ذو متانة واحكام فى علمه لا يمكن تغييره ونسيانه (فاستوى) فاستقام على صورته الذاتية والنبى (وهو بالافق الاعلى) لانه حين كون النبى بالافق المبين لاينزل على صورته لاستحالة تشكل الروح المجرد فى مقام القلب الا بصورة تناسب الصور المتمثلة فى مقامه ولهذا كان يتمثل بصورة دحية الكلبى وكان من احسن الناس صورة

فانزل الله تعالى لم تقولون مالا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل واطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) اى عظم بغضا عند الله (ان تقولوا مالا تفعلون) معناه ان يعدوا من انفسهم شيأ ولم يفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) اى يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) اى قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ❁ قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) اى واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل (ياقوم لم تؤذونني) قيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) يعني تؤذونني وانتم عالمون علما قطعيا انى رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) اى عدلوا ومالوا عن الحق (ازاغ الله قلوبهم) اى امالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى لا يهدى من سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان اذاه يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم) اى انى رسول ارسلت اليكم بالوصف الذى وصفت به في التوراة (مصدقا لما بين يدى من التوراة) اى انى مقر معترف باحكام التوراة وكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم (ومبشرا برسول يأتي من بعدى) اى يصدق بالتوراة على مثل تصديقى فكأنه قيل ما اسمه فقال (اسمه احمد) عن ابى موسى قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يأتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابوداود وعن عبدالله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال ابوداود المدنى قد بقى في البيت موضع قبر اخرجه الترمذى عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم ياروح الله هل بعدنا من امة قال نعم يأتى بعدكم امة حكماء علماء ابرار اتقياء كأنهم في الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى يوم القيامة وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء كلهم حامدون الله عزوجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثانى انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التى يحمد بها من غيره (فلما

واحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لو لم يتمثل بصورة يمكن انطباعها في الصدر لم يفهم القلب كلامه ولم ير صورته واما صورته الحقيقية التى جبل عليها فلم تظهر للنبى عليه السلام الا مرتين عند عروجه الى الحضرة الاحدية ووصوله بمقام الروح في الترقى وعند نزوله عنها ورجوعه الى المقام الاول عند سدرة المنتهى في التدلى (وهو بالافق الاعلى ثم دنا) رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وترقى عن مقام جبريل بالفناء في الوحدة والترقى عن مقام الروح وفي هذا المقام قال جبريل عليه السلام لودنوت انملة لاحترقت اذ وراء مقامه ليس الا الفناء في الذات والاحتراق بالسبحات (فتدلى) اى مال الى الجهة الانسية بالرجوع من الحق الى الخلق حال البقاء بعد الفناء والوجود الموهوب الحقانى (فكان قاب قوسين) اى كان عليه السلام مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل المنقسمة بخط موهوم الى قوسين باعتبار الحق والخلق والاعتبار

جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) اى ظاهر (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب) اى ومن اقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه ان يكذب على الله وذلك انهم علموا ان ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية اى الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم) يعنى ارادبهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) اى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) ❋ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم) اى الذى آمركم من الايمان والجهاد فى سبيله (ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى والمعنى امنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله) اى اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعنى هذا الجزاء الذى ذكر هو الفوز العظيم (واخرى تحبونها) اى ولكم تجارة اخرى وقيل لكم خصلة اخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) اى يا محمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله) اى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصارى الى الله (قال الحواريون نحن انصار الله) وكانوا اثنى عشر رجلا اول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحوارى الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حوارى الزبير (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) اى غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

هو الخط الموهوم القاسم للدائرة الى نصفين فباعتبار البداية والتدانى يكون الخلق هو القوس الاول الحاجب للهوية فى اعيان المخلوقات وصورها والحق هو النصف الاخير الذى يقرب منه شيأ فشيأ وينمحى ويفنى فيه وباعتبار النهاية والتدلى فالحق هو القوس الاول الثابت على حاله ازلا وابدا والخلق هو القوس الاخير الذى يحدث بعد الفناء بالوجود الجديد الذى وهب له (او ادنى) من مقدار القوسين بارتفاع الاثنينية الفاصلة الموهمة لاتصال احد القوسين بالاخر وتحقق الوحدة الحقيقية فى عين الكثرة بحيث تضمحل الكثرة فيها وتبقى الدائرة غير منقسمة بالحقيقة احدية الذات والصفات (فاوحى الى عبده) فى مقام الوحدة بلا واسطة جبريل عليه السلام (ما اوحى) من الاسرار الالهية التى لا يجوز كشفها لصاحب النبوة (ما كذب الفؤاد ما رأى) فى مقام الجمع والفؤاد هو القلب المترقى الى مقام الروح فى الشهود المشاهد للذات مع جميع الصفات الموجود

﴿ تفسير سورة الجمعة ﴾

وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين) يعنى العرب وكانت العرب امة امية لاتكتب ولاتقرأ حتى بعث فيهم نبى الله وقيل الامى هو الذى على ماخلق عليه كانه منسوب الى امه (رسولا منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته فى كتب الانبياء النبى الامى وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما اتى به من الوحى والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه (يتلوا عليهم آياته) اى التى تبين رسالته وقيل آياته التى تميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل (ويزكيهم) اى يطهرهم من دنس الشرك (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن وقيل الفرائض (والحكمة) قيل هى السنة (وان كانوا من قبل) اى من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لفى ضلال مبين وآخرين منهم) اى من المؤمنين الذين ظهروا يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل اراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يارسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسى فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذى نفسى بيده لو كان الايمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء اخرجاه فى الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة (لما يلحقوا بهم) لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم فى الفضل والسابقة لان التابعين لايدركون شأو الصحابة (وهو العزيز) اى الغالب الذى قهر الجبابرة (الحكيم) اى الذى جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعنى الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) اى على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بمافيها وليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل (ثم لم يحملوها) اى لم يعملوا بمافيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) جمع سفر وهى الكتب العظام من العلم سمى سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة ولايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا اذلم ينتفعوا بمافى التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذى يحمل الكتب ولا يدرى مافيها ولاينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولاينتفعون بها لانهم خالفوا مافيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بمافيه واعرض عنه اعراض من لايحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران ياأهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) اى بئس مثلا مثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعنى

بالوجود الحقانى وهذا الجمع هو جمع الوجود لاجمع الوحدة الذى لافؤاد فيه ولاعبد لفناء الكل فيها المسمى باصطلاحهم عين جمع الذات واما هذا الجمع فيسمى الوجه الباقى اى الذات الموجودة مع جميع الصفات (افتمارونه على مايرى) افتخاصمونه على شئ لاتفهمونه ولايمكنكم معرفته وتصوره فكيف يمكنكم اقامة الحجة عليه وانما المخاصمة حيث يمكن تصور الامر المختلف فيه ثم الاحتجاج عليه بالنفى والاثبات فحيث لاتصور فلا مخاصمة حقيقة (ولقد رآه) اى جبريل فى صورته الحقيقية (نزلة اخرى) عند الرجوع عن الحق والنزول الى مقام الروح (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) قيل هى شجرة فى السماء السابعة ينتهى اليها علم الملائكة ولا يعلم احد ماوراءها وهى نهاية مراتب الجنة يأوى اليها ارواح الشهداء فهى الروح الاعظم الذى لاتعين وراءها ولا مرتبة ولاشئ فوقها الا الهوية المحضة فلهذا نزل عندها وقت الرجوع عن الفناء المحض الى البقاء ورأى عندها جبريل عليه السلام

محمدا صلى الله عليه وسلم وماأتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لايهدى القوم الظالمين) اى لايهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما وقيل يعنى الذين ظلموا انفسهم بتكذيب آيات الله وانبيائه (قل) اى قل يامحمد (ياايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس) اى من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فتمنوا الموت) اى ادعوا على انفسكم بالموت (ان كنتم صادقين) يعنى فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم اليه لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) اى بسبب ماقدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) اى لاينفعكم الفرار منه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد ❊ قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة) اى لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) اى فى يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء زاد فى رواية فثبت الامر على ذلك ولابى داود قال كان يؤذن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لوى قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوى وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم فلهم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود يوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله تعالى فى ذلك ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة الآية عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن ياابت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فذكر اصحاب السير ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول حين امتدا لضحى فاقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) اى

على صورته التى جبل عليها (عندها جنة المأوى) التى يأوى اليها ارواح المقربين (اذ يغشى السدرة) من جلال الله وعظمته (مايغشى) لانه صلى الله عليه وسلم كان يراها عند تحققه بالوجود الحقانى بعين الله فرأى الحق متجليا فى صورتها فقد غشى السدرة من التجلى الالهى ماسترها وافناها فرآها بعين الفنا لم يحتجب بها وبصورتها ولا بجبريل وحقيقته عن الحق ولهذا قال (مازاغ البصر) بالالتفات الى الغير ورؤيته (وماطغى) بالنظر الى نفسه واحتجابه بالانائية (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى الصفة الرحمانية الذى يندرج فيها جميع الصفات بتجليه تعالى فيها بل حضرة الاسم الاعظم الذى هو الذات مع جميع الصفات المعبر عنه بلفظة الله فى عين جمع الوجود بحيث لم يحتجب عن الذات بالصفات ولا بالصفات عن الذات (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن

فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في المشي وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ماهو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعي بقوله فلما مشى معه (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية فاذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام ﴿ وذروا البيع ﴾ يعني البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ﴿ ذلكم ﴾ اي الذي ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء ﴿ خير لكم ﴾ اي من المبايعة في ذلك الوقت ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ اي مصالح انفسكم والله تعالى اعلم

﴿ فصل في فضل الجمعة واحكامها واثم تاركها ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ في فضلها (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد في رواية ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله فيها شيأ الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة واستمع وانصت غفر له مابينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عباية قال ادركني ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار * عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرجت الى الطور فرايت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة ومامن دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا

وماتهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ماتمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيأ) الشفاعة من الملائكة هي افاضة الانوار والامداد على المستشفع عند استفاضته بالتوسل بالشفيع الذي هو الوسيلة والواسطة لمناسبة بينهما واتصال فعلى هذا شفاعتهم في حق النفوس البشرية لا تكون الا اذا كانت مستعدة في الاصل قابلة لفيض الملكوت ثم تزكوا عن الهيآت البشرية والغواشي الطبيعية بالتوجه الى جناب القدس والتجرد عن ملابس الحس ومواد الرجس فتستفيض من نورها وتستمد من فيضها وتتصل بها وتنخرط في سلكها فتتقرب الى الله بواسطتها فالاستعداد القابل الاصلي هو الاذن في الشفاعة والرضا بها هو الزكاء والصفاء الحاصل بالسعي والاجتهاد فاذا حصلا حصلت الشفاعة وان لم يكن الاستعداد في الاصل او كان وقد تغير بالعلائق والغواشي ولم تبق على صفائها فلم يكن اذن ولا رضا من الله فلا شفاعة فقوله الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء

من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لايوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه قال كعب ذاك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اي ساعة هي قال ابو هريرة فقلت اخبرني بها ولا تكن عني وفي رواية تضن علي قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك في الموطأ والنسائي (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى * عن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكروا بتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها اخرجه ابو داود والنسائي قال ابو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده ﴿ المسألة الثانية ﴾ في اثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين * عن ابي الجعد الضمري وكان له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان آمر رجلا ان يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم * المسألة الثالثة في تأكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روى عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك او امرأة او صبي او مريض اخرجه ابو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضنا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيأ * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن احمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت

ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) معناه عدم الشفاعة لا وجودها وعدم اغنائها لاستحالة ذلك في عالم الملكوت فهو كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (افرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى) حق الله عليه بتسليم الوجود اليه حال الفناء في التوحيد بالقيام بامر العبودية وتبليغ الرسالة والنبوة في مقام

يؤذن في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة او بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ماروى البخاري عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثى قرية من قرى البحرين ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ في تركها لعذر كل من له عذر من مرض او تعهد مريض او خوف جاز له ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ماروى عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فامر المؤذن فلما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كأنهم انكروا ذلك فقال كأنكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت ان اخرجكم زاد في رواية فتمشون في الدين والدحض والزلق اخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل به العدد ﴿ المسئلة الخامسة ﴾ في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف اهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من اربعين رجلا وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن ابي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول اصحاب الرأي ثم عند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك وابو يوسف وقال احمد تصح بموضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع ﴿ المسئلة السادسة ﴾ لا يجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل ان يصلي الجمعة وجوز اصحاب الرأي ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج او غزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ماروى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك ثم اتبعهم فقال لو انفقت مافي الارض جميعا ماادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذي وروى ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر وسمعه يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس

الاستقامة او اتم الكلمات التي ابتلاه الله بها وهي ماذكر من الصفات وقرئ وفي مخففا اي بعهده المأخوذ ميثاقه عليه في اول الفطرة بان ثبت عليه حتى بلغ مقام التوحيد المشار اليه بقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض (الا تزر وازرة وزر اخرى) لان العقاب يترتب على هيآت مظلمة رسخت في النفس بتكرار الافاعيل والاقاويل السيئة التي هي الذنوب وكذلك الثواب انما يترتب على اضدادها من هيآت الفضائل كما قال تعالى (وان ليس للانسان الا ماسعى) بخلاف الحظوظ العاجلة المقسومة المقدرة وان كانت تلك ايضا مستندة الى قضاء من الله وقدر لكن المعتبر هو السبب القريب الموجب لكل منهما (وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى) تقع على امور ثلاثة الاول اعادة

الارواح الى الاجساد للحساب والجزاء المرتب على اعمال الخير والشر بالمصير الى النار اوجنة الافعال والثانى هو العود الى الفطرة الاولى والرجوع الى مقام القلب والثالث هو العود الى الوجود الموهوب الحقانى بعدالفناء التام والاول لابد لكل احدمنه سواءكانت الاجساد نورانية اوظلمانية دون الباقين (وانه هو اغنى واقنى وانه هورب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانواهم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ماغشى فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذيرمن النذر الاولى ازفت الازفة) ان حملت على القيامة الصغرى فقربها ظاهر والكاشفة اماالمبينة لوقتها اوالدافعة وان حملت على الكبرى فقربها من وجهين احدهما القرب المعنوى لانها اقرب شئ الى كل احدلكونه فى عين الوحدة وان كان هو بعيدا عنها لغفلته وعدم شعوره بها والثانى ان وجود محمد وبعثته عليه السلام مقدمة

عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة فى كتب الفقه وفى هذاالقدر كفاية والله اعلم ❊ قوله عز وجل (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض) اى اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا فى الارض للتجارة والتصرف فى حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعنى الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا فى الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وانت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) اى اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لاتكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا (لعلكم تفلحون) ❊ قوله تعالى (واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاقبلت عير تحمل طعاما فانفتلوا اليها حتى مابقى مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشأم وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم ابوبكر وعمر ولمسلم كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انها تقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس فى رواية عنه لم يبق فى المسجد الاثمانية رهط قال الحسن وابومالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبى بتجارة زيت وطعام من الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الارهط فيهم ابوبكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لوتتابعتم حتى لايبقى منكم احد لسال بكم الوادى نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذقدم دحية بن خليفة الكلبى من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة الااتته وكان يقدم بكل مايحتاج اليه من دقيق وبروزيت وغيره وينزل عند احجار الزيت وهو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق فى المسجد الااثناعشر رجلا وامرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم كم بقى فى المسجد فقالوا اثناعشر رجلا وامرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولاهؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية واراد باللهو الطبل وكانت العير اذاقدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اى تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير فى اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على ان هذا القيام كان فى الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود اكان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب قائما اوقاعدا قال

اماتقرؤن وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة فى صلاةالجمعة وقال داود الظاهرى هى مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابوحنيفة واحد لايشترط القيام ولاالقعود وتشترط الطهارة فىالخطبة عندالشافعى فى احد القولين واقل مايقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب ان يقرأ فى الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولاجمعته عند الشافعى وذهب ابوحنيفة الى انه لواتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزأ وهذا القدر لايقع عليه اسم الخطبة وهومأمور بالخطبة والسنة للامام اذاصعد المنبران يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابى حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام فى حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلى تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابى حنيفة ومالك

﴿ ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام ﴾

(ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفى رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القرآن ويذكر الناس زاد فى رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه انه دخل المسجد وعبدالرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كنت اصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابوداود يقرا آيات من القرآن ويذكر الناس ✽ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء اخرجه ابوداود والترمذى ولابى داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لايبدا فيه بالحمدلله فهو اجذم ✽ عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمدلله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لااله الاالله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لايضر الانفسه ولايضر الله شيأ وفى رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن به وله اخرجه ابوداود (م) عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثنى عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى يقول امابعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه من

دور الظهور واحداشراطه ولهذا قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى وتظهر بوجود المهدى عليه السلام (ليس لها من دون الله كاشفة) اى نفس مبينة لامتناع وجود غيره وعله عندها (افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولاتبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله) بالفناء (واعبدوا) بالبقاء بعده والله اعلم

﴿ سورة القمر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اقتربت الساعة وانشق القمر) انما كان انشقاق القمر آية قرب القيامة الكبرى لان القمر اشارة الى القلب لكونه ذا وجهين وجه مظلم يلى النفس وآخر منور يلى الروح ولاستفادته النور من الروح كاستفادة القمر النور من الشمس وانفلاقه بتأثير نور الروح فيه وظهور شمسه من مغربها اى بروزها من حجاب القلب بعد كونها فيه علامة قرب الفناء فى الوحدة لكونه مقام المشاهدة المؤدية الى الشهود الذاتى وان حلت على دور الظهور الذى هو زمان المهدى

ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا اوضياعا فالى وعلى ❊ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذى (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت ❊ عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك فى الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فاما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراة ولجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشرط الخمس يجب ان يصلى ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو اربعون عند الشافعى فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة او انفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلى بهم الجمعة بل يصلى الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعى ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما ان بقاء الوقت شروط الى آخر الصلاة فاو نقص واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو انه ان بقى معه اثنان اتمها جمعة وقيل ان بقى وحده اتمها جمعة وعند المزنى ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة اتمها جمعة وان بقى وحده وان كان فى الركعة الاولى يتمها اربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن فى العدد الذى يشترط كالمسبوق اذا ادرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام اتمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة اتمها اربعا (خ) عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن ابى رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا ابو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة فى الاولى واذا جاءك المنافقون فى الثانية قال فادركت اباهريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان على بن ابى طالب يقرأ بهما فى الكوفة فقال ابو هريرة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما فى الصلاتين ❊ عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائى ❊ وقوله تعالى (قل ما عند الله) اى ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (خير من اللهو ومن التجارة) الذى جاء بهما دحية (والله خير الرازقين) يعنى انه تعالى موجد الارزاق واصلها منه فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى اعلم

❊ تفسير سورة المنافقين ❊

وهى مدنية واحدى عشرة آية وماثة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل (اذا جاءك المنافقون) يعنى عبد الله بن ابى ابن سلول واصحابه (قالوا نشهد انك لرسول الله) وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم انك لرسوله) اى هو الذى

(ارسلك)

المبعوث فى نسمها فانشقاق القمر انفلاقه عن ظهور محمد عليه السلام لظهوره فى دور القمر وان حلت على الصغرى فالقمر هو البدن لاستفادته نور الشعور والحياة من شمس الروح وظلمته فى نفسه ويقويه قوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شئ نكير) اى يظهر مقتضى الموت ويدعو موجبه الى شئ منكر فظيع تكرهه النفوس (خشعا ابصارهم) من الذلة والعجز والمسكنة والحرمان (يخرجون من الاجداث) من اجداث الابدان (كانهم جراد منتشر) شبهها بالجراد لكثرة النفوس المفارقة وذلتها وضعفها وحرصها وتهالكها على حضرة الذات الحسية والشهوات الطبيعية وميلها الى الجهة السفلية كما شبهها بالفراش لتهالكها الى نور الحياة وعلى الاول يوم يدعو داعى الروح والقلب النفوس

ارسلك فهو عالم بك ﴿ والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ يعنى فى قولهم نشهد انك
لرسول الله لانهم اضمروا خلاف مااظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان
القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شئ واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو
كاذب الاترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خلاف
اعتقادهم ﴿اتخذوا ايمانهم جنة﴾ اى سترا يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم مااخبر الله عنهم من
حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ اى اعرضوا بانفسهم عن
طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿انهم
ساء ماكانوا يعملون﴾ يعنى حيث آثروا الكفر على الايمان ﴿ذلك بانهم آمنوا﴾ اى فى الظاهر وذلك
اذا رأوا المؤمنين اقروا بالايمان ﴿ثم كفروا﴾ اى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه
تأكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون ﴿فطبع على قلوبهم﴾ اى بالكفر ﴿ فهم لا يفقهون ﴾ اى
الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن ﴿واذا رأيتهم﴾ يعنى المنافقين مثل عبد الله بن ابى بن سلول ﴿تعجبك
اجسامهم﴾ يعنى ان لهم اجساما ومناظر حسنة ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ اى فتحسب انه صدق
قال ابن عباس كان عبد الله بن ابى ابن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه
وسلم قوله ﴿ كأنهم خشب مسندة﴾ اى اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة
الى جدر وليست باشجار مثمرة ينتفع بها ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ يعنى انهم لا يسمعون صوتا فى
العسكر بان ينادى مناد او تنفلت دابة او تنشد ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون
بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من ان ينزل فيهم امر
يهتك استارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿هم العدو فاحذرهم﴾
اى لا تأمنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم ولا تأمنهم على سرك
لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك ﴿قاتلهم الله﴾ اى لعنهم الله ﴿انى يؤفكون﴾
اى يصرفون عن الحق * قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم﴾
اى اما لوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ﴿ ورأيتهم يصدون ﴾ اى يعرضون عما
دعوا اليه ﴿ وهم مستكبرون ﴾ اى عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ﴿سواء عليهم
استغفرت لهم﴾ اى يا محمد ﴿ ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾

﴿ ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية ﴾

قال محمد بن اسحق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق
يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابى ضرار وهو ابو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم
فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع
من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وامكن منهم
وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فأفاءها عليهم
فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بنى غفار يقال له
جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف
بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين

الى شئ منكر عندها من
ترك الحظوظ العاجلة
واللذات البدنية والحسية
الذى هو الموت الارادى
بالرياضة ومشايعة السر فى
التوجه الى جناب الحق
خشعا ابصارهم ذليلة
منكسرة لقهر الداعى لها
واستيلائه عليها يخرجون
من اجداث الابدان بالتجرد
والانخلاع عنها كأنهم جراد
لضعفها وطيرانها فى شعاع
نور شمس الروح (مهطعين
الى الداع) على كلا التأويلين
لانقيادها طوعا وكرها
(يقول الكافرون) اى
المحجوبون عن الدين او
الحق (هذا يوم عسر)
لنزوعهم الى اللذات
والشهوات الحسية وشوقهم
اليها وضراوتهم بها فاما غير
المحجوب فأيسر شئ عليه
الموت الطبيعى والارادى
جميعا (كذبت قبلهم قوم
نوح فكذبوا عبدنا وقالوا
مجنون وازدجر فدعا ربه
انى مغلوب فانتصر ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر)
سماء العقل بعلم منصب الى
العالم السفلى بقوة اى
نكسنا عقولهم بالميل الى
الدنيا والاشتغال بتدابير
الامور الجزئية وترتيب

واعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبدالله بن ابي لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبدالله بن ابي وعنده رهيط من قومه فيهم زيد بن ارقم غلام حديث السن فقال عبدالله بن ابي افعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا مافعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لوامسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبدالله بن ابي اسكت لقد كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال كيف ياعمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبدالله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبدالله بن ابي والذي انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيد الكاذب وكان عبدالله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يارسول الله عسى ان يكون الغلام قدوهم في حديثه ولم يحفظ ماقاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه مااردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت في ساعة منكرة ماكنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوما بلغك ماقال صاحبك عبدالله بن ابي فقال اسيد وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد فانت والله يارسول الله تخرجه هو والله الذليل وانت والله العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الحرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبدالله بن ابي ما كان من ابيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبدالله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ماكان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي على الارض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته مابقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبدالله بن ابي الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل

اللذات الحسية والانهماك في امر المعاش وصرف عملها فيه ووقوفها معها واحتجابها بها عن الامور الاخروية المؤدي الى هلاكهم فهو كقوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها (وفجرنا الارض) ارض النفس (عيونا) علوما جزئيا حسية متعلقة بكسب الحطام وجمعه والتلذذ به والترفه فيه كان نفوسهم كلها ذلك التدبير لشدة انجذابها اليها وحرصها فيها (فالتقى الماء) الغليان في طلب الدنيا وجذبها (على امر قد قدر) قدره لله تعالى وهو اهلاكهم بسبب التورط في الشهوات بالجهل وحملنا نوحا على شريعة ذات اعمال وعلوم ترتبط بها الاعمال او احكام ومعاقد تستند اليها الاحكام (وحملناه على ذات الواح ودسر تجري بأعيننا) اي تنفذ على حفظ منا في لجة جهلهم الغالب الغامر اياهم فلا يغلبها جهلهم فيبطلها (جزاء لمن كان كفر) لنوح عليه السلام الذي كان نعمة مكفورة من قومه بأن لم يعرفوه فيطيعوه ويعظموه فيتجوا به بل انكروه فعصوه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب ولا اعلمه ولكن الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤا بها فآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قدمات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبدالله بن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يازيد ان الله قد صدقك واوفى باذنك (ق) عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبدالله بن ابي لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبدالله بن ابي فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل الله بتصديق اذاجاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤسهم وقوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري ياللانصار وقال المهاجري ياللمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية ثم قال ماشأنهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبدالله بن ابي بن سلول اقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر الا اقتل يانبي الله هذا الخبيث لعبدالله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لايتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لابأس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله لاتنقلب حتى تقر انك انت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال اصحاب السير وكان عبدالله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبدالله حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبدالله بن ابي قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لا والله لاتدخلها ابدا الا ان يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبدالله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع ابنه عبدالله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبدالله اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل ياابا حباب انه قد نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال امرتموني ان اومن فآمنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت

فهلكوا بسببه (ولقد تركناها) اى آثار تلك الشريعة والدعوة الى يومنا هذا (آية) بينة لمن يعتبر بها (فهل من مدكر) متعظ فان طريق الحق واحد والانبياء كلهم متوافقون في اصول الشرائع (فكيف كان عذابي ونذر) لقومه بأهلاكهم في ورطة الجهل وحرمان الحياة الحقيقية واللذة السرمدية وانذاري على لسان نوح عليه السلام ووجه آخر وهو تأول فتح السماء بانزال الرحمة والوحي على نوح اى فتحنا ابواب سماء روح نوح بعلم كلي منصب بقوة شامل لجميع الجزئيات وفجرنا ارض نفسه عيونا اى علوما جزئية كان نفسه كلها علوم فالتقى العلمان بانضمامها فصارت قياسات وآراء صحيحة بنى عليها شريعته المؤسسة على العمليات والنظريات فحملناه عليها بالعمل بها والاستقامة فيها فنجا فيها وبقي قومه في ورطة الجهل فغرقوا في تيار بحر الهيولى وامواج الجهالات وهلكوا (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر

فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر االقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة) ناقة نفسه ابتلاء (فتنة لهم) ليتميز المستعد القابل السعيد من الجاهل المنكر الشقي (فارتقبهم) لتنظر نجاة الاول وهلاك الثاني (واصطبر) على دعوتهم (ونبئهم ان الماء) ماء العلم (قسمة بينهم) لها علم الروح الفائض عليها ولهم علم النفس اي لها المعقولات ولهم المحسوسات (كل شرب محتضر) هي تحضر شربها بالتوجه الى الروح وقبول العلوم الحقيقية والنافعة منها وهم يحضرون شربهم بالاوى الى منبع الخيال والوهم وتلقي الوهميات والخياليات منه (محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

فابقي الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو وارؤسهم الآية ونزل (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) اي يتفرقوا عنه (ولله خزائن السموات والارض) يعني بيده مفاتيح الرزق فلايعطي احد احدا شيأ الاباذنه ولايمنعه الابمشيئته (ولكن المنافقين لايفقهون) يعني ان امرالله اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) يعني من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل) فرد الله عليه بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم (ولكن المنافقين لايعلمون) اي ذلك ولو علموا ماقالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الآية في عبدالله بن ابي ابن سلول لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه ❊ قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا لاتلهكم) اي لاتشغلكم (اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لاتشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) اي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله (فاولئك هم الخاسرون) اي في تجارتهم حيث آثروا الفاني على الباقي (وانفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل ان يأتي احدكم الموت) اي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا اخرتني) اي هلا امهلتني وقيل لو اخرت اجلي (الى اجل قريب فاصدق) اي فازكي مالي (واكون) وقرئ واكن (من الصالحين) اي من المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية في المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لايسأل الرجعة وقيل نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس مامن احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته او اطاق الحج ولم يحج الاسأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية واكون من الصالحين اي احج وازكي (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) يعني الله تعالى لايؤخر من حضر اجله وانقضت مدته (والله خبير بما تعملون) يعني انه لورد الى الدنيا واجيب الى ماسأل ماحج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير اوشر والله سبحانه وتعالى اعلم

❊ تفسير سورة التغابن ❊

وهي مدنية في قول الاكثر وقيل هي مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم الى آخر ثلاث آيات وهي ثماني عشرة آية ومائتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عزوجل (يسبح لله مافي السموات ومافي الارض له الملك وله الحمد) يعني انه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لاشريك له فيه وله الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلامحمود في جميع الاحوال الا هو (وهو على كل شيء قدير) يعني انه سبحانه وتعالى يفعل مايشاء كما يشاء بلا مانع ولامدافع (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بني آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة

كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضى خلقها قال يارب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك وهو فى بطن امه وقال جماعة فى معنى الآية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا فى تأويلها فروى عن ابى سعيد الخدرى انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر فى العاقبة وقال عطاء بن ابى رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر اى بان الله خلقه وهم الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم مؤمن اى بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلاله وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلاله وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ اى انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن ﴿ خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم ﴾ اى انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله فى الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة فى الاعضاء وقد علم بهذا ان صورة الانسان احسن صورة واكملها ﴿ واليه المصير ﴾ اى المرجع فى القيامة ﴿ يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ معناه انه لاتخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ❊ قوله تعالى ﴿ الم يأتكم ﴾ يخاطب كفار مكة ﴿ نبأ الذين كفروا من قبل ﴾ يعنى خبر الامم الخالية ﴿ فذاقوا وبال امرهم ﴾ اى جزاء اعمالهم وهو مالحقهم من العذاب فى الدنيا ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ اى فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى الذى نزل بهم من العذاب ﴿ بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا ﴾ معناه انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا ﴿ فكفروا ﴾ اى جحدوا وانكروا ﴿ وتولوا ﴾ اى اعرضوا ﴿ واستغنى الله ﴾ اى عن ايمانهم وعبادتهم ﴿ والله غنى ﴾ اى عن خلقه ﴿ حميد ﴾ اى فى افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى ﴿ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل ﴾ اى قل لهم يامحمد ﴿ بلى وربى لتبعثن ﴾ اى يوم القيامة ﴿ ثم لتنبؤن ﴾ اى لتخبرن ﴿ بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ اى امر البعث والحساب يوم القيامة ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة ﴿ والنور الذى انزلنا ﴾ يعنى القرآن سماه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ يعنى انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه

كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم) اى القيامة الصغرى ووقوعهم فى العذاب الابدى بزوال الاستعداد وقلب الوجوه الى اسفل (والساعة ادهى وامر) وهى اشد وامر من عذاب القتل والهزيمة (ان المجرمين) الذين اجرموا بكسب الهيآت المظلمة الرديئة الجسمانية (فى ضلال) عن طريق الحق لعمى قلوبهم بظلمة صفات نفوسهم (وسعر) اى جنون ووله لاحتجاب

※ قوله عزوجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فى المجازاة والتجارة وذلك انه اذا اخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله فى الجنة وذلك لان كل كافر له اهل ومنزل فى الجنة او اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وقيل ان قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة ينعمون ولا غبن اعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون فى الدنيا فصار فى الآخرة غابنا لظالمه واصل الغبن فى البيع والشراء وقد ذكر الله فى حق الكافرين انهم خسروا وغبنوا فى شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال فى حق المؤمنين هل ادلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) اى فى ايمانه الى ان يموت على ذلك (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا) اى بوحدانية الله وقدرته (وكذبوا بآياتنا) اى الدالة على البعث (اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله) اى بقضاء الله وقدره وارادته (ومن يؤمن بالله) اى يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه (يهد قلبه) اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما لم يكن اخطاه ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شئ عليم واطيعوا الله) اى فيما امر (واطيعوا الرسول) اى فيما جاء به عن الله وما امركم به (فان توليتم) اى عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو) اى لا معبود ولا مقصود الا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

※ قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم اى ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر ورأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا فى الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم اى ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اى فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور

عقولهم عن نور الحق بشوائب الوهم وحيرتها فى الباطل (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) بحشرها فى صور وجوهها الى الارض وتسخيرها فى قهر الملكوت الارضية فيقهرها فى انواع العذاب ويعذبها بنيران الحرمان يقال لهم (ذوقوا مس سقر * وما امرنا الا) كلمة (واحدة كلمح بالبصر) اى تعلق المشيئة الازلية الموجبة لوجود كل شئ فى زمان معين على وجه معلوم ثابت فى لوح القدرية المسمى فى الشرع كن فيجب وجوده فى ذلك الزمان على ذلك الوجه دفعة (ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر) اى الواح النفوس (وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين) على الاطلاق (فى جنات) من مراتب الجنان الثلاث عالية رفيعة (ونهر) علوم مرتبة بحسب مراتب الجنان المذكورة (فى مقعد صدق) اى خير واى خير هو مقام الوحدة (عند مليك) فى حضرة الاسماء حال البقاء بعد الفناء ومقام الفرق بين الذات والصفات كائنين

رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة) اى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم فى العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده اجر عظيم) يعنى الجنة والمعنى لاتباشروا المعاصى بسبب اولادكم ولا تؤثروهم على ماعندالله من الاجر العظيم قال بعضهم لماذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من فى قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشغال القلب بهم وكان عبدالله بن مسعود يقول لايقولن احدكم اللهم انى اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى اهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى اعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وقوله تعالى (فاتقوا الله مااستطعتم) اى ماأطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا واطيعوا) اى لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وانفقوا) اى من اموالكم حق الله الذى امركم به (خيرا لانفسكم) اى ماانفقتم فى طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعنى ان تقرضوا اى تنفقوا فى طاعة الله متقربين اليه بالانفاق (يضاعفه لكم) اى يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى مايشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعنى يحب المتقربين اليه (حليم) اى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله اعلم

﴿ تفسير سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (ياايها النبى اذا طلقتم النساء) نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لان المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة فى ذلك الخطاب وقيل معناه ياايها النبى قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء اى اذا اردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) اى لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل فى العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وفى هذا المدخول بها لان غير المدخول بها لاعدة عليها نزلت هذه الآية فى عبدالله بن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التى امر الله ان يطلق لها النساء زاد فى رواية كان عبدالله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبدالله كما امر رسول الله

بالذات فى مقعد صدق وبالصفات عند مليك مدبر مملكة الوجود على حسب الحكمة ومقتضى العناية على احسن وجه واتم نظام (مقتدر) يقدر على تصريف جميع مافى ملكه على حكم مشيئته وتسخيره على مقتضى ارادته لايمتنع عليه شئ

﴿ سورة الرحمن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الرحمن) اسم خاص من اسماء الله تعالى باعتبار افاضة اصول النعم كلها من الاعيان وكمالاتها الاولية بحسب البداية وانما اوردها العموم وصفيته الشاملة للاوصاف التى تحت معناه فى المبدئية ليسند اليه الاصول المختلفة الواردة بعده (علم القرآن) اى الاستعداد الكامل الانسانى المسمى بالعقل القرآنى الجامع للاشياء كلها حقائقها واوصافها واحكامها الى غير ذلك مما يمكن وجوده ويمتنع بابداعه فى الفطرة الانسانية وركزه فيها اولا ثم ظهوره وبروزه الى الفعل تفصيل ماجمع فيه وصيرورته فرقانا انما تكون بحسب النهاية ماذكر الفرقان كما ذكره فى قوله تبارك الذى نزل الفرقان لانه من باب الرحمة الرحيمية

صلى الله عليه وسلم وفى رواية لمسلم انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابى الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة يسأل ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى فى رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر قرأ النبى صلى الله عليه وسلم ياايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن

﴿ فصل ﴾ اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه لقول النبى صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السنى ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض او طلق الصغيرة التى لم تحض او الآيسة بعد ماجامعها او طلق الحامل بعدما جامعها او طلق التى لم تر الدم لايكون بدعيا ولاسنة ولابدعة فى طلاق هؤلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع فى حال الحيض او فى طهر جامعها فيه لايكون بدعيا لان النبى صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس فى مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الاحوال لامره ان يتعرف الحال ولو طلق امرأته فى حال الحيض او فى طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبى صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة واذا رجعها فى حال الحيض يجوز ان يطلقها فى حال الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطلاق الثانى حتى لاتكون مراجعته اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولابدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم فلو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لايكون بدعيا وهو قول الشافعى واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الرأى * قوله تعالى ﴿ واحصوا العدة ﴾ اى عدة اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى ﴿ واتقوا الله ربكم ﴾ اى واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به ﴿ لاتخرجوهن من بيوتهن ﴾ يعنى اذا كان المسكن الذى طلقها فيه الزوج له بملك او كراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكرى لها منزلا غيره ولايجوز للزوج ان يخرج المرأة من المسكن الذى طلقها فيه ﴿ ولا يخرجن ﴾ يعنى ولا يجوز للمرأة ان تخرج مالم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما اوغرقا جازلها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل اوشراء قطن جازلها الخروج نهارا ولايجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوى كل امرأة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها ان تخرج لجدار نخلها فاذا لزمتها العدة فى السفر تعتد فى اهلها ذاهبة وراجعة

لا الروحانية (خلق الانسان) اى لما ابدع فطرته واودع العقل القرآنى فيها ابرزه فى هذه النشأة بخلقه فى هذه الصورة العجيبة (علمه البيان) اى النطق المميز اياه عن جميع ماسواه من المخلوقات ليخبر به عما فى باطنه من العقل القرآنى (الشمس والقمر بحسبان) اى الروح والقلب يجريان فيه ويسيران بحساب اى قدر معلوم من منازلها ومراتبهما مضبوط لايجاوز احد هما قدره ومرتبته التى عينت له فلكل منهما كمالات ومراتب محدودة القدر معلومة الغاية ينتهى اليها (والنجم) اى النفس الحيوانية النورانية بالشعور الحسى فى ليل الجسم (والشجر) اى النفس النباتية المنمية له (يسجدان) يتوجههما الى ارض الجسد ووضع جبهتهما عليها بالميل والاقبال الكلى نحوها لتربيتها واتمامها وتكميلها (والسماء) اى سماء العقل (رفعها) الى محل شمس الروح وقمر القلب (ووضع الميزان) اى خفض ميزان العدل الى ارض النفس والبدن فان العدالة هيئة نفسانية لولاها لما حصلت الفضيلة

والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ اهلها فى العدة لان الانتقال فى حقهم كالاقامة فى حق المقيم وقوله تعالى (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة (وتلك حدود الله) يعنى ماذكر من سنة الطلاق ومابعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) اى فيطلق لغير السنة او تجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) اى ضر نفسه (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) اى يوقع فى قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه المراجعة * عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مااحل الله شيأ ابغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله فى رواية عنه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس به حرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابوداود والترمذى ※ قوله تعالى (فاذا بلغن اجلهن) اى اذا قربن من انقضاء عدتهن (فامسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف اوفارقوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتبين منكم (واشهدوا ذوى عدل منكم) اى على الرجعة وعلى الفراق امر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق ※ عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابوداود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابى حنيفة كما فى قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لايقع بينهما التجاحد وان لايتهم فى امساكها وان لايموت احد الزوجين فيدعى الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضى العدة وتنكح زوجا غيره (واقيموا الشهادة) يعنى ايها الشهود (لله) اى طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله فليطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت فى عوف بن مالك اسر ابن له يسمى مالكا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اسر العدو ابنى وشكا اليه ايضا فاقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبروا اكثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته اذا تاه ابنه وقدغفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهى اربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اى فى ابنه (ويرزقه من حيث لايحتسب) يعنى ماساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبى صلى الله عليه وسلم

الانسانية ومنه الاعتدال فى البدن الذى لولم يكن للوجود لم يبق ولما استقام امر الدين والدنيا بالعدل واستتب كمال النفس والبدن به بحيث لولاه لفسدا امر عراعاته ومحافظته قبل تعديد الاصول بتمام الشدة العناية به وفرط الاهتمام بأمره فوسط بينه وبين قول والارض وضعها للانام قوله (ان لاتطغوا فى الميزان) بالافراط عن حد الفضيلة والاعتدال فيلزم الجور الموجب للفساد (واقيموا الوزن بالقسط) بالاستقامة فى الطريقة وملازمة حد الفضيلة ونقطة الاعتدال فى جميع الامور وكل القوى (ولاتخسروا الميزان) بالتفريط عن حد الفضيلة قال بعض الحكماء العدل ميزان الله تعالى وضعه للخلق ونصبه للحق (والارض) اى ارض البدن (وضعها للانام) لهذه المخلوقات المذكورة (فيها فاكهة) اى ماتفيد اللذات الحسية من ادراكات الحواس والمحسوسات (والنخل) اى القوى المثمرة لللذات الخيالية والوهمية الباسقة من ارض الجسد

واخبره الخبر وسأله ايحل له ان يأكل ما اتى به ابنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ ويرزقه من حيث لا يحتسب هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ يعنى من يتق الله فيما نابه كفاه ما اهمه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴿ ان الله بالغ امره ﴾ اى منفذ امره وممض فى خلقه ما قضاه ﴿ قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ اى جعل لكل شئ من شدة اورخاء اجلا ينتهى اليه وقال مسروق فى هذه الآية ان الله بالغ امره توكل عليه ام لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا ❊ قوله عزوجل ﴿ واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ﴾ قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصارى يا رسول الله فما عدة من تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عزوجل واللائى يئسن من المحيض من نسائكم يعنى القواعد اللاتى قعدن عن الحيض فلا يرجى ان يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض ﴿ ان ارتبتم ﴾ اى شككتم فى حكمهن ولم تدروا ما عدتهن ﴿ فعدتهن ثلاثة اشهر واللائى لم يحضن ﴾ يعنى الصغائر اللاتى لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى واصحاب الرأى وحكى عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله فى عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشرا سواء كانت ممن تحيض اولا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها اومات عنها وهو قوله تعالى ﴿ واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ﴾ (ق) عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال لها مالى اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانت والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشرا قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حتى امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وامرنى بالتزوج ان بدا لى لفظ البخارى ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت فى دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر ﴿ ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ﴾ اى يسهل عليه امر الدنيا والآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى فى الذكر الذى ذكر من الاحكام ﴿ امر الله انزله اليكم ﴾ اى لتعملوا به ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا ﴾ ❊ قوله تعالى ﴿ اسكنوهن ﴾ يعنى مطلقات نسائكم ﴿ من حيث سكنتم من وجدكم ﴾ اى من سعتكم وطاقتكم فان كان

في هوى النفس (ذات الاكمام) اى غلف اللواحق المادية (والحب) اى القوة الغاذية التى منها لذة الذوق والاكل والشرب (ذو العصف) اى الشعب والاوراق الكثيرة المبسطة على ارض البدن من الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والمغيرة والمصورة الملازمه لا دن المقتضية لمواصها وافعالها وما تعدها وتهيئها وتصلحها لحفظ القوة والاعضاء بما يصير بدل ما يتحلل ويزيد فى الاقطار (والريحان) اى المولدة الموجبة لذة الوقاع التى هى اطيب اللذات الجسمانية واسلاف البذر بتوليد مادة النوع (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من هذه النعم المعدودة ايها الظاهريون والباطنيون من الثقلين ابالنعم الظاهرة ام الباطنة (خلق الانسان) اى ظاهره وجسده الذى يؤنس اى يبصر (من صلصال) من اكثف جواهر العناصر المختلطة الذى تغلب عليه الارضية واليبس (كالفخار) الصلب الذى يناسب جوهر العظم الذى هو اساس البدن ودعامته (وخلق الجان)

موسرا يوسع عليها فى المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولاتضاروهن) اى لاتؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعنى فى مساكنهن فيخرجن (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) اى فيخرجن من عدتهن

﴿ فصل فى حكم الآية ﴾ اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت فى العدة ونعنى بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التى طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع او بالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروى عن ابن عباس انه قال لاسكنى لها الا ان تكون حاملا يروى وهو قول الحسن والشعبى وبه قال الشافعى واحمد منهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعى وبه قال الثورى واصحاب الراى وظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق النفقة الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن واما الدليل على ذلك من السنة فماروى عن فاطمة بنت قيس ان اباعمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شئ فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وامرها ان تعتد فى بيت ام شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها اصحابى فاعتدى عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنينى قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابى سفيان واباجهم خطبانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابوجهم فلايضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لامال له انكحى اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحى اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد فى بيت عمرو ابن ام مكتوم ولا حجة فيه لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كانت فاطمة فى مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان فى لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلاسكنى لها ولانفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلانفقة لها عند اكثر اهل العلم وروى عن على ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبى والنخعى والثورى واختلفوا فى سكناها للشافعى فيه قولان احدهما انه لاسكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول على وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابى حنيفة والثانى ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وبه قال مالك والثورى واحمد واسحق واحتج من اوجب لها السكنى بما روى عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهى اخت ابى سعيد الخدرى انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته ان ترجع الى اهلها فى بنى خدرة فان زوجها خرج فى طلب اعبدله ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلى فى بنى خدرة فان زوجى لم يتركنى فى مسكن يملكه ولانفقة قالت فقال رسول الله صلى الله

اى باطنه وروحه الحيوانى الذى هو مستور عن الحس وهو ابوالجن اى اصل القوى الحيوانية التى اقواها واشرفها الوهم اى الشيطان المسمى ابليس الذى هو من ذرية (من مارج) من لهب لطيف صاف (من نار) اى من الطف جواهر العناصر المختلطة الذى يغلب عليه الجوهر النارى والحر والمارج هو اللهب الذى فيه اضطراب وهذه الروح دائمة الاضطراب والتحرك (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) اى مشرق الظاهر والباطن ومغربيهما باشراق نور الوجود المطلق على ماهيات الاجساد الظاهرة وغروبه فيها باحتجابه بما هياتها وتعينها به فله فى ربوبيته لكل موجود شروق بايجاده بنور الوجود وظهوره به وغروب باختفائه فيه وتستره به ربه بهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) بحر الهيولى الجسمانية الذى هو الملح الاجاج وبحر الروح المجرد هو العذب الفرات (يلتقيان) فى الوجود الانسانى (بينهما برزخ)

عليه وسلم ثم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الى فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابوداود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخر امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا ❊ قوله عزوجل (فان ارضعن لكم) يعني اولادكم (فآتوهن اجورهن) يعني على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تأخذ عليه اجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد (واتمروا بينكم بمعروف) اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا امرهم ان يأتوا بالمعروف وماهو الاحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المراة في حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) اي في الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي المرأة اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستأجر للصبي مرضعا غير امه وذلك قوله (فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته) اي على قدر غناه (ومن قدر) اي ضيق (عليه رزقه) وكان بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه الله) اي على قدر ما آتاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) اي في النفقة (الا ما آتاها) يعني من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اي بعد ضيق وشدة غنى وسعة ❊ قوله تعالى (وكأين من قرية عتت) اي عصت وطغت والمراد اهل القرية (عن امر ربها ورسله) اي وامر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) اي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها في الكفر فجزاها النار وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) اي منكرا فظيعا وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلاء وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال امرها) اي شدة امرها وجزاء كفرها (وكان عاقبة امرها خسرا) اي خسرانا في الدنيا والآخرة (اعدالله لهم عذابا شديدا) يخوف كفار مكة ان ينزل بهم مثل ما نزل بهم بالامم الماضية (فاتقوا الله يا اولى الالباب) اي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا) يعني القرآن (رسولا) اي وارسل اليكم رسولا (يتلو عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات بالخفض اي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات (ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا) يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة (الله الذي خلق سبع سموات) يعني بعضها فوق بعض (ومن الارض مثلهن) اي في العدد (يتنزل الامر بينهن) اي الوحي الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار

هو النفس الحيوانية التي ليست في صفاء الارواح المجردة ولطافتها ولا في كدورة الاجساد الهيولانية وكثافتها (لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان) لا يتجاوز حدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته فلا الروح يجرد البدن ويمزج به ويجعله من جنسه ولا البدن يجمد الروح ويجعله ماديا سبحان خالق الخلق القادر على ما يشاء (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان) بتركيبهما والتقائهما لؤلؤ العلوم الكلية ومرجان العلوم الجزئية اي لؤلؤا الحقائق والمعارف ومرجان العلوم النافعة كالاخلاق والشرائع (وله الجوار) اي اوضاع الشريعة ومقامات الطريقة التي يركبها السالكون السائرون الى الله في لجة هذا البحر المريج فينجون ويعبرون الى المقصد وتشبيهها بالاعلام اشارة الى شهرتها وكونها معروفة كما تسمى شعائر الله ومعالم الدين (المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي المرفوعات الشرع وشرعها الاشواق

وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيآته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل فى كل سماء من سمواته وارض من ارضيه وخلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لاتخفى عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جاريه تحت قدرته داخلة فى علمه والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة التحريم ﴾

﴿ وهى مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات ازواجك والله غفور رحيم)

﴿ ذكر سبب نزولها ﴾

(ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه ليدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يارسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولى ماهذه الريح التى اجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولى انت ياصفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذى لااله الا هو لقد كدت ابادئه بالذى قلت لى وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يارسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى اجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يارسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لى فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتى (ق) عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل له انى اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزلت يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك احدا زاد فى رواية يبتغى بذلك مرضاة ازواجه

﴿ شرح غريب الفاظ الحديثين ومايتعلق بهما ﴾ قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد وهو كل شئ حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا فى جملة الحلوا تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها فى الحديث الثانى فتوا طيت انا وحفصة هكذا وقع فى الرواية واصله فتواطأت اى اتفقت انا وحفصة

والارادات التى تجرى عند ارتفاعها وتعلقها بالعالم العلوى بقوة رياح النفحات الالهية سفينة الشريعة والطريقة براكبها الى مقصد الكمال الحقيقى الذى هو الفناء فى الله ولهذا قال عقيبه (كل من عليها فان) اى كل من على الجوارى السائرة واصل الى الحق بالفناء فيه او كل من على ارض الجسد من الاعيان المفصلة كالروح والعقل والقلب والنفس ومنازلها ومقاماتها ومراتبها فان عند الوصول الى المقصود (ويبقى وجه ربك) الباق بعد فناء الخلق اى ذاته مع جميع صفاته (ذو الجلال) اى العظمة والعلو بالاحتجاب بالحجب النورانية والظلمانية والظهور بصفة القهر والسلطنة (والاكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان) بالقرب والدنو فى صور تجليات الصفات وعند ظهور الذات بصفة اللطف والرحمة (يسأله من فى السموات) من اهل الملكوت والجبروت (والارض كل يوم هو فى شأن فبأى آلاء ربكما تكذبان) من الجن

قولها انى لاجدمنك ريح مغافير هوبغين معجمة وفاء بعدها ياءوراء وهو صمغ حلوكالناطف
وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز
وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على العرض له شوكة وثمرة خبيث الرائحة وقال
اهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان
النبى صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط هو
بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه اكلت نحله العرفط فصار منه العسل قولها فى الحديث
الثانى فقال شربت عسلا عندزينب بنت جحش وفى الحديث الاول ان الشرب كان عندحفصة
بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتى تظاهرن عليه قال القاضى عياض
والصحيح الاول قال النسائى اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيدغاية وقال
الاصيلى حديث حجاج اصح وهواولى بظاهر كتاب الله واكمل فائدة يريد قوله تعالى وان
تظاهرا عليه وهما ثنتان لاثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر فى حديث ابن عباس
وسيأتى الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوى فى الرواية الاخرى يعنى الحديث الاول الذى
فيه ان الشرب كان عند حفصة قال القاضى عياض والصواب ان شرب العسل كان عندزينب
بنت جحش ذكره الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم وكذا ذكره القرطبى ايضا وقال
المفسرون فى سبب النزول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة
استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة ابيها فاذن لها فلما رجعت حفصة وجدت
الباب مغلقا فجلست عندالباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا
وحفصة تبكى فقال مايبكيك قالت انما اذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ووقعت عليها
فى يومى وعلى فراشى امارأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليس هى جاريتى قد احلها الله لى اسكتى فهى على حرام التمس بذلك رضاك
فلا تخبرى بهذا امراة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذى
بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدحرم عليه امته مارية
وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بمارات وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائرازواج النبى
صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبى الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لايقربها
* عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطؤها فلم تزل
به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى ياايها النبى لم تحرم مااحل الله لك الآية
اخرجه النسائى قال العلماء الصحيح فى سبب نزول الآية انها فى قصة العسل لافى قصة مارية المروية
فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائى اسناد حديث عائشة فى العسل
جيد صحيح غاية * واما التفسير فقوله ياايها النبى لم تحرم مااحل الله لك اى من العسل او ملك
اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم
اعتقاد بكونه حراما بعدما احله الله فالنبى صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده
ان ذلك حلال تبتغى مرضات ازواجك اى تطلب رضاهن بترك مااحل الله لك والله غفور
رحيم اى غفر لك ذلك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) اى بين واوجب لكم تحليل

والانس والمراد يسأله كل
شئ فغلب العقلاء وأتى بلفظ
من اى كل شئ يسأله بلسان
الاستعداد والافتقار دائما
(كل يوم هو فى شأن فبأى
آلاء ربكما تكذبان) بافاضة
ما يناسب كل استعداد
ويستحقه فله كل وقت فى كل
خلق شأن بافاضة مايستحقه
ويستأهله باستعداده فمن
استعد بالتصفية والتزكية
للكمالات الخيرية والانوار
يفيضها عليه مع حصول
الاستعداد ومن استعد بتكدر
جوهر نفسه بالهيآت المظلمة
والرذائل ولوث العقائد
الفاسدة والخبائث للشرور
والمكاره وانواع الآلام
والمصائب والعذاب والوبال
يفيضها عليه مع حصول
الاستعداد وهذا معنى قوله
(سنفرغ لكم ايه الثقلان
فبأى آلاء ربكما تكذبان)
لانه تهديد وزجر عن الامور
التى بها يستحق العقاب وسميا
ثقلين لكونهما سفليين مائلين
الى ارض الجسم (يامعشر
الجن والانس) اى الباطنيين
والظاهريين (ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض) بالتجرد عن
الهيآت الجسمانية والتعلقات
البدنية (فانفذوا) لتنخرطوا

ايمانكم بالكفارة وهو ماذكر في سورة المائدة فامره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة (والله مولاكم) اى وليكم وناصركم (وهو العليم) اى بخلقه (الحكيم) اى فيما فرض حكمه

﴿فصل﴾ اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت على حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلاشئ عليه وهذا قول ابى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيأ ففيه قولان للشافعي احدهما انه يلزمه كفارة اليمين والثانى لاشئ عليه وانه لغو فلايترتب عليه شئ من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلاتجب عليه الكفارة مالم يقربها كما لو حلف انه لايطؤها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لايأكله فلا كفارة عليه مالم يأكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهى يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وفى رواية اذا حرم ليس امرأته بشئ وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدى * قوله تعالى (واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا) يعنى ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لاتخبرى بذلك احدا وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبى اسر اليها ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتين على امتى من بعدى وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يراضيها فسرها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابى بكر وابيها عمر (فلما نبأت به) اى اخبرت بذلك حفصة عائشة (واظهره الله عليه) اى اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء اى عرف بعض الذى فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام وامره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة واعتزلهم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لاتطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان منها (واعرض عن بعض) اى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس (فلما نبأها به) اى اخبر حفصة بما اظهره الله عليه (قالت) يعنى حفصة (من انبأك هذا) اى من اخبرك بانى افشيت السر (قال نبأنى العليم) اى بما تكنه الضمائر (الخبير) اى بخفيات الامور * قوله عزوجل (ان تتوبا الى الله) يخاطب عائشة وحفصة اى من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له (فقد صغت قلوبكما) اى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر ابن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عزوجل ان تتوبا الى الله

في سلك النفوس الملكية والارواح الجبروتية وتصلوا الى الحضرة الالهية (لا تنفذون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان) بحجة بينة هى التوحيد والتجريد والتفريد بالعلم والعمل والفناء في الله (يرسل عليكما شواظ من نار) اى يمنعكما عن النفوذ من اقطارهما والترقى من اطوارهما لهب صاف عن ممازجة الدخان اى سلطان الوهم واحكامه ومدركاته بارساله الوهميات الى حيز العقل والقلب وممانعته اياهما عن الترقى دائما (ونحاس) دخان اى هيئة ظلمانية ترسلها النفس الحيوانية بالميل الى الهوى والشهوات فالشواظ مانع من جهة العلم والنحاس من جهة العمل (فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان) فلا تمتنعان عنهما وتغلبان عليهما فتنفذان الا بتوفيق الله وسلطان التوحيد (فاذا انشقت السماء) اى السماء الدنيا وهى النفس الحيوانية وانشقاقها انفلاقها عن الروح عند زهوقه اذ الروح الانسانى نسبته الى النفس الحيوانية كنسبته الى البدن فكما ان حياة البدن بالنفس فحياتها بالروح فتنشق

فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا امير المؤمنين من المرأتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبالك يا ابن العباس قال الزهرى كره والله ماسأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلى فى بنى امية بن زيد بالعوالى فغضبت يوما على امرأتى فاذاهى تراجعنى فانكرت ان تراجعنى فقالت ماتنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعلت ذلك منكن وخسرت افتأمن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذاهى قد هلكت لاتراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتسأليه شيأ وسلينى مابدالك ولايغرنك ان كانت جارتك هى اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما ويأتينى بخبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبى الانصارى يوم نوبته ثم اتانى عشاء فضرب بابى ثم نادانى فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لابل اعظم من ذلك واهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على حفصة وهى تبكى فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لاادرى ها هوذا معتزل فى هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكى بعضهم فجلست قليلا ثم غلبنى ماأجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبنى ماأجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر فى جنبه فقلت اطلقت يارسول الله نساءك فرفع رأسه الى وقال لافقلت الله اكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتى يوما فاذا هى تراجعنى فانكرت اذ راجعتنى فقالت ماتنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتأمن احداهن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لايغرنك ان كانت جارتك هى اوسم واحب الى رسول الله صلى الله

عنه عند زهوقه بمفارقة البدن (فكانت وردة) اى حمراء لان لونها متوسط بين لون الروح المجرد وبين لون البدن ولون الروح ابيض لنورينه وادراكه اللذات ولون البدن اسود لظلمته وعدم شعوره باللذات والمتوسط بين الابيض والاسود هو الاحمر وانما وصفها فى سورة البقرة بالصفرة وههنا بالحمرة لان هناك وقت الحياة والصفاء وغلبة النورية عليها وطراوة الاستعداد وههنا وقت الممات والتكدر وغلبة الظلمة عليها وزوال الاستعداد (كالدهان) كدهن الزيت فى لونه ولطافته وذوبانه لصيرورتها الى الفناء والزوال (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس) من الظاهر بين (ولاجان فبأى آلاء ربكما تكذبان) من الباطنيين لانجذاب كل الى مقره ومركزه وموطنه الذى يقتضيه حاله وماهو الغالب عليه باستعداده الاصلى او العارضى الراسخ الغالب واما الوقف والسؤال المشار اليه فى قوله وقفوهم

عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسى
فى البيت فوالله مارايت فيه شيأ يرد البصر الاهبة ثلاثة فقلت يارسول الله ادع
الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله فاستوى جالسا
ثم قال افى شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت
استغفرلى يارسول الله وكان اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين
افشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهرى فاخبرنى
عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدابى فقلت يارسول الله انك اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين
اعدهن فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين زاد فى رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين
ليلة ثم قال ياعائشة انى ذاكر لك امرا فلاعليك ان لاتعجلى حتى تستأمرى ابويك ثم قال ياايها
النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة
قدعلم والله ان ابوى لم يكونا ليامرانى بفراقه فقلت افى هذا استأمر ابوى فانى اريد الله ورسوله
والدار الآخرة زاد فى رواية ان عائشة قالت لاتخبر نساءك انى اخترتك فقال لها النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله ارسلنى مبلغا ولم يرسلنى متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال
دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء فان طلقتهن فان الله معك وملائكته
وجبريل وميكائيل وانا وابوبكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحمد الله بكلام الارجوت ان
يكون الله يصدق قولى الذى اقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا
خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير
وفيه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام
على باب المسجد فنادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

❁ شرح بعض الفاظه ❁ قوله فعدلت معه بالاداوة اى ملت معه بالركوة فتبرز اى اتى البراز
وهو القضاء من الارض لقضاء الحاجة العوالى جمع عالية وهى اماكن باعلى اراضى المدينة
قوله ولا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهى عائشة اوسم منك اى اكثر حسنا
وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الآخر
بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت
الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله مارأيت
فيه مايرد البصر الاهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته
الموجدة الغضب ❁ قوله تعالى (وان تظاهرا عليه) اى تتعاونا على ايذاء النبى صلى الله
عليه وسلم (فان الله هو مولاه) اى وليه وناصره (وجبريل) يعنى وجبريل وليه وناصره
ايضا وانما افرده وان كان داخلا فى جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته (وصالح
المؤمنين) روى عن ابن مسعود وابى بن كعب صالح المؤمنين ابوبكر وعمر وقيل هم المخلصون من
المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء (والملائكة بعد ذلك) اى بعد نصر
الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) اى اعوان للنبى صلى الله عليه وسلم ينصرونه

انهم مسؤلون ونظائره
ففى مواطن اخر من اليوم
الطويل الذى كان مقداره
خمسين الف سنة وهو فى
حال عدم غلبة احدى الجهتين
واستيلاء احد الامرين
ففى زمان غلبة النور الاصلى
وبقاء الاستعدادات الفطرى
اوحصول الكمال والترقى
فى الصفات وفى وقت
استيلاء الهيآت الظلمانية
وترسخ الغواشى الجسمانية
وزوال الاستعداد الاصلى
بحصول الرين لايسئلون
وفى وقت عدم رسوخ تلك
الهيآت الى حد الرين
وبقائها فى القلب مانعة
حاجزة اياها عن الرجوع
الى مقرها يوقفون ويسئلون
حتى يعذبوا بحسب سيئاتهم
على قدر رسوخها وقد يكون
هذا الموطن قبل الموطن
الاول فى ذلك اليوم على
الامر الاكثر كما ذكر وقد
يكون بعده وذلك عند حبط
الاعمال وغلبة الامر العارضى
واستيلائه على الذاتى الى
حد ابطال الاستعداد
بالكلية فيدافعه الاستعداد
الاصلى قليلا قليلا ويتجلى
بصور التعذبات والبليات شيأ
فشيأ حتى يتساوى الامران
كتبرد الماء المسخن حين

(عسى ربه) اى واجب من الله (ان طلقكن) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان يبدله ازواجا خيرا منكن) ثم وصف الازواج اللواتى كان يزوجه بهن فقال (مسلمات) اى خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) اى مصدقات بتوحيد الله تعالى (قانتات) اى طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل (تائبات) اى تاركات للذنوب لقبحها او كثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادة (سائحات) اى صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (ثيبات) جمع ثيب وهى التى تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه (وابكارا) اى عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله ازواجا خيرا منهن تخويفا لهن * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (واهليكم) يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك (نارا وقودها الناس والحجارة) يعنى الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا (عليها ملائكة) يعنى خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) اى فظاظ على اهل النار (شداد) يعنى اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا فى النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما امرهم) اى لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه (ويفعلون ما يؤمرون) اى لا تأخذهم رأفة فى تنفيذ اوامره والانتقام من اعدائه (يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) اى يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار (انما تجزون ما كنتم تعملون) يعنى ان اعمالكم السيئة الزمتكم العذاب * قوله (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) اى ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذى تاب منه قال عمر بن الخطاب وابى بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هى ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود اليه وقال الكلبى ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظى التوبة النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان

* فصل * وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها ابدا فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقى عليه ما لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب فى اليوم مائة مرة (خ) عن ابى هريرة رضى الله

بلوغه الى كونه فاترا فهذا الشخص مطرود فى اول الامر عند قرب الاستعداد الى الزوال ثم قد يوقف ويسئل عند قرب رجوع الاستعداد الى الحالة الاولى وامكان اتصاله بالملكوت واما الاشقياء المردودون المخلدون فى العذاب والسعداء المقربون الذين يدخلون الجنة بغير حساب فلا يسئلون قط ولا يوقفون للسؤال فقوله وقفوهم انهم مسؤلون ونظائره مخصوص ببعض المعذبين وهم الاشقياء الذين عاقبتهم النجاة من العذاب (يعرف المجرمون) الذين غلبت عليهم الهيآت الجرمانية باكتساب الرذائل ورسوخها (بسيماهم) اى بعلامات تلك الهيآت الظاهرة الغالبة عليهم (فيؤخذ بالنواصى) فيعذبون من فوق ويحجبون ويحبسون مقيدين اسراء من جهة رذيلة الجهل المركب ورسوخ الاعتقادات الفاسدة (والاقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى يعذبون من اسفل ويجرون ويسحبون على وجوههم ويردون الى قعر جهنم كما قيل يهوى احدهم فيها سبعين

عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة (ق) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة الحديث (م) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ※ وقوله تعالى (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم) هذا اطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) اى لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم) يعنى على الصراط (يقولون ربنا) يعنى اذا انطفأ نور المنافقين (اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير ياايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) تقدم ※ قوله تعالى (ضرب الله مثلا) اى بين شبها وحالا (للذين كفروا امرأت نوح) واسمها واعلة (وامرأت لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة وواهة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم (فخانتاهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد اخبرت به الجبابرة من قومها واما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) اى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وانه لا ينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذى يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيأ فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بامى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده * ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها فى الشمس فكانت تعذب فى الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة (اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فابصرت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهى تأكل وتشرب فيها (ونجنى من فرعون وعمله) يعنى وشركه وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه (ونجنى من القوم الظالمين) يعنى الكافرين

خريفا لرسوخ الهيآت البدنية والرذائل العملية من افراط الحرص والشره والبخل والطمع وارتكاب الفواحش والآثام من قبيل الشهوة والغضب (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) قعر بئر اسفل سافلين من الطبيعة الجسمانية (يطوفون بينها وبين حميم آن فبأى آلاء ربكما تكذبان) قد انتهى حره واحراقه من الجهل المركب ولهذا قيل يصب من فوق رؤسهم الحميم لان العذاب المستحق من جهة العمل هو نار جهنم من تحت والمستحق من جهة العلم هو الحميم من فوق (ولمن خاف مقام ربه) اى خاف قيامه على نفسه بكونه رقيبا حافظا مهيمنا عليه كما قال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت او خاف ربه كما يقال خدمت حضرة فلان اى نفسه (جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان) احداهما جنة النفس والثانية جنة القلب لان الخوف من صفات النفس ومنازلها عند تنورها بنور القلب (ذواتا افنان فبأى آلاء ربكما تكذبان) لتفنن شعبهما من القوى والصفات المورقة للاعمال

(ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها) اى عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنافيه) اى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا) اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعنى الشرائع التى شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه (وكتبه) يعنى الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القانتين) يعنى كانت من القوم القانتين اى المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله * عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الملك ﴾

مكية وهى ثلاثون آية وثلثمائة وثلاثون كلمة والف وثلثمائة عشر حرفا

عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ولابى داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها * عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على خبر احسان وانا لا احسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (تبارك الذى بيده الملك) اى له الامر والنهى والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شئ قدير) اى من الممكنات (الذى خلق الموت والحيوة) قيل اراد موت الانسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشياء كانت فى الابتداء فى حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيى وهى التى اخذ السامرى قبضة من اثرها فالقاها فى العجل فخار وحيى وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهى القوة الحساسة مع وجود الروح فى الجسد وبه سمى الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف فى هذه الدار وحال المجازاة فى دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتم اسد فى الدنيا ولم يصل اليه الثواب فى الآخرة (ليبلوكم) اى ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت (ايكم احسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع فى طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد فى الدنيا (وهو العزيز) اى الغالب المنتقم ممن عصاه (الغفور) اى

والاخلاق المثمرة للعلوم والاحوال فان الافنان هى الغصنات التى تشعبت من فروع الشجر عليها الاوراق والثمار (فيهما عينان) من الادراكات الجزئية والكلية (تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان) اليهما من جنة الروح تنبتان فيهما ثمرات المدركات وتجليات الصفات (فيهما من كل فاكهة) من مدركاتها اللذيذة (زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى صنفان صنف جزئى معرف مألوف وصنف كلى غريب لان كل ما يدركه القلب من المعانى الكلية فله صورة جزئية فى النفس وبالعكس (متكئين على فرش) هى مراتب كالاتها ومقاماتها (بطائنها من استبرق) اى جهتها التى تلى السفل اعنى النفس من هيآت الاعمال الصالحة من فضائل الاخلاق ومكارم الصفات ومحاسن الملكات وظهائرها التى تلى الروح من سندس تجليات الانوار ولطائف المواهب والاحوال الحاصلة من مكاشفات العلوم والمعارف كما هو فى سورة الدخان (وجنى الجنتين) ثمراتها ومدركاتها (دان فبأى آلاء

لمن تاب اليه ورجع عن اساءته * قوله تعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا) يعنى طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر اوقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومابين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحار من نور (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) اى ماترى ياابن آدم فى شئ مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولاتناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر) اى كرر النظر (هل ترى من فطور) اى شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) اى ينصرف (اليك) فيرجع (البصر خاسئا) اى صاغرا ذليلا مبعدا لم يرمايهوى (وهو حسير) اى كليل منقطع لم يدرك ماطلب (ولقد زينا السماء الدنيا) اى القربى من الارض وهى التى يراها الناس (بمصابيح) اى بكواكب كالمصابيح فى الاضاءة وهى اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضى بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضى زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان تنفصل من الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهى الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهى على حالها (واعتدنالهم) اى واعتدنا للشياطين بعد الاحتراق فى الدنيا (عذاب السعير) اى فى الآخرة وهى النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) اى ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو اول صوت نهيق الحمار وذلك اقبح الاصوات (وهى تفور) اى تغلى بهم كغلى المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) اى تنقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم (كلما القى فيها فوج) اى جماعة سألهم خزنتها) يعنى سؤال توبيخ وتقريع (الم يأتكم نذير) اى رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) يعنى للرسول (مانزل الله من شئ) وهذا اعتراف منهم بانه ازاح عللهم ببعثه الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا مانزل الله من شئ (ان انتم الا فى ضلال كبير) فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جلة قول الكفار للرسل والثانى يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم فى الدنيا فى ضلال كبير (وقالوا لو كنا نسمع) اى من الرسل ماجاؤا به (او نعقل) اى نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به (ماكنا فى اصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يميز وننظر ونتفكر ماكنا فى اصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو فى معنى الجمع اى بتكذيبهم الرسل وقولهم مانزل الله من شئ (فسحقا) اى بعدا (لاصحاب السعير) * قوله عز وجل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) اى يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) اى لذنوبهم (واجر كبير) يعنى جزاء اعمالهم الصالحة (واسروا قولكم اواجهروا به) قال ابن عباس نزلت فى المشركين

ربكما تكذبان) قريب كلما شاؤا حيث كانوا على اى وضع كانوا قياما اوقعودا اوعلى جنوبهم ادركوها واجتنوها ونبت فى الحال مكانها اخرى من جنسها كما ذكر فى وصفها (فيهن قاصرات الطرف) مما يتصلون بها من النفوس الملكوتية التى فى مراتبها وما تحتها سماوية كانت او ارضية منزكاة صافية مطهرة لايجاوز نظرها مراتبهم ولا نطلب كمالا وراء كمالاتهم لكون استعداداتها مساوية لاستعداد هم اوانقص منها والاجاوزت جناتهم وارتفعت عن درجاتهم فلم تكن قاصرات الطرف ولم تقنع بوصالهم ولذات معاشراتهم ومباشراتهم (لم يطمثهن انس قبلهم) من النفوس البشرية لاختصاصها بهم فى النشأة وتقدس ذواتها وامتناع اتصال النفوس المنغمسة فى الابدان بها (ولاجان فبأى آلاء ربكما تكذبان) من القوى الوهمية والنفوس الارضية المحجوبة بالهيآت السفلية (كانهن الياقوت والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان) شبهت اللواتى فى جنة النفس

كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بماقالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كى لايسمع اله محمد فاخبره الله انه لايخفى عليه خافية فقال تعالى (انه عليم بذات الصدور) ثم اكد ذلك بقوله تعالى (الايعلم من خلق) يعنى الايعلم من خلق مخلوقه وقيل الايعلم الله من خلق والمعنى الايعلم الله مافى صدور من خلق (وهو اللطيف) اى باستخراج مافى الصدور (الخبير) بمافيها من السر والوسوسة ※ قوله تعالى (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شئ والمعنى جعلها لكم سهلة لايمتنع المشى فيها لحزونتها وغلظها (فامشوا فى مناكبها) امر اباحة وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها المعنى هو الذى سهل لكم السلوك فى جبالها وهو ابلغ التذلل وكلوا من رزقه اى مما خلقه الله لكم فى الارض (واليه النشور) اى واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (اامنتم من فى السماء) قال ابن عباس يعنى عقاب من فى السماء ان عصيتموه (ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور) اى تتحرك باهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى اسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم اى تجئ وتذهب (ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) يعنى ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) اى عند الموت فى الآخرة (كيف نذير) اى انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم اليس وجدوا العذاب حقا ※ قوله عز وجل (اولم يروا الى الطير فوقهم صافات) اى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) اى يضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط (مايمسكهن) اى حال القبض والبسط (الا الرحمن) والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظه لها (انه بكل شئ بصير) يعنى انه تعالى لاتخفى عليه خافية (امن هذا الذى هو جند لكم) استفهام انكار اى لاجند لكم (ينصركم) اى يمنعكم (من دون الرحمن) اى من عذاب الله قال ابن عباس اى من ينصركم منى ان اردت عذابكم (ان الكافرون الا فى غرور) اى من الشيطان يغرهم بان العذاب لاينزل بهم (امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه) يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم (بل لجوا) اى تمادوا (فى عتو) اى نبو وتكبر (ونفور) اى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى (افمن يمشى مكبا على وجهه) اى كابا راسه فى الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لايبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (اهدى) اى هو اهدى (امن يمشى سويا) اى قائما معتدلا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذى انشأكم) اى خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ماسمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولاتأملتم ماعقلتموه فكانكم ضيعتم هذ النعم فاستعملتموها فى غير ماخلقت له فلهذا قال (قليلا ماتشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته فكأنكم ماشكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذى ذراكم) اى خلقكم وبثكم (فى الارض واليه تحشرون)

من الحور بالياقوت لكون الياقوت مع حسنه وصفائه ورونقه وبهائه ذالون احمر يناسب لون النفس واللواتى فى جنة القلب بالمرجان لغاية بياضه ونوريته وقيل صغار الدر اصفى وابيض من كبارها (هل جزاء الاحسان) فى العمل وهو العبادة مع الحضور (الاالاحسان) فى الثواب بحصول الكمال والوصول الى الجنتين المذكورتين (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) اى من ورائهما من مكان قريب منهما كما تقول دونك الاسد لامن دونهما بالنسبة الى اصحابهما فيكون بمعنى قدامهما بل بمعنى بعدهما او من غيرهما كقوله انكم وما تعبدون من دون الله (جنتان) للمقربين السابقين جنة الروح وجنة الذات فى عين الجمع عند الشهود الذاتى بعد المشاهدة فى مقام الروح (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) اى فى غاية البهجة والحسن والنضارة (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) اى علم توحيد الذات وتوحيد الصفات اعنى علم

اى يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابداء قادر على الاعادة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ هذا سؤال يحتمل وجهين احدهما انه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى انه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله ﴿ قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين ﴾ امره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحى اليه ﴿ فلما راوه ﴾ يعنى العذاب فى الآخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب ببدر ﴿ زلفة ﴾ اى قريبا ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ اى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد ﴿ وقيل ﴾ لهم اى وقالت لهم الخزنة ﴿ هذا الذى كنتم به تدعون ﴾ من الدعاء اى تتمنون وتطلبون ان يجعله لكم وقيل من الدعوى اى تدعون انه باطل ﴿ قل ﴾ يا محمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك ﴿ ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى ﴾ اى من المؤمنين ﴿ اورحمنا ﴾ اى فابقانا واخر فى اجالنا ﴿ فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ﴾ اى انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى الآية قل ارايتم ان اهلكنى الله اى فعذبنى ومن معى اورحمنا اى فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس ﴿ قل ﴾ اى قل لهم فى انكارك عليهم وتوبيخك لهم ﴿ هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ اى نحن آمنا به وعبدناه وانتم كفرتم به ﴿ فستعلمون ﴾ اى عند معاينة العذاب ﴿ من هو فى ضلال مبين ﴾ اى نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم بعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى ﴿ قل ارايتم ان اصبح ماؤكم ﴾ قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه ﴿ غورا ﴾ اى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى ولا الدلاء ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ اى ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال ابن عباس معين اى جار والمقصود من الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ماهم عليه من الكفر والمعنى اخبرونى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض فمن يأتيكم بماء معين فلابد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شئ اصلا شريكا له فى العبودية فهذا محال والله اعلم

﴿ تفسير سورة ن ﴾

مكية وهى اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عز وجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الارض وعنه ان اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل لبوثا وقيل لوثيا وعن على بلهوت قال اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخاره فى البحر

الفناء وعلم المشاهدة فانهما ينبعان فيهما بل العلمان المذكوران الجاريان فى الجنتين المذكورتين منبعهما من هاتين الجنتين ينبعان منهما ويجريان الى تينك (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) واى فاكهة فاكهة لا يعلم كنهها ولا يعرف قدرها من انواع المشاهدات والانوار والتجليات والسبحات (ونخل) اى مافيه طعام وتفكه وهو مشاهدة الانوار وتجليات الجمال والجلال فى مقام الروح وجنته مع بقاء نوى الانية المتقوته منها المتلذذة بها (ورمان) اى مافيه تفكه ودواء فى مقام الجمع وجنة الذات اى الشهود الذاتى بالفناء المحض الذى لا انية فيه فتطعم بل اللذة الصرفة ودواء مرض ظهور البقية بالتلوين فان فى الرمان صورة الجمع مكنونة فى قشر الصورة الانسانية (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسنات) اى انوار محضة وسبحات صرفة لا شائبة للشر والامكان فيها حسان من تجليات الجمال والجلال ومحاسن الصفات (فبأى

فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كونى فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدرى ما على ظهرك ياليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فو الذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابى عباس ايضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بى اليهم * القت النون بالدمع السجام

اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة (والقلم) هو الذى كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجرى الناس على امر قد فرغ منه (وما يسطرون) اى وما يكتب الحفظة من اعمال بنى آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع فى وما يسطرون للتعظيم لا للجمع (ما انت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم اقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفى حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين فى قولهم انك لمجنون (وان لك لاجرا غير ممنون) اى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد * عبس كواسب ما يمن طعامها * اى ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل فى معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم اجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذى قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة جيدة وافعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة

آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) اى مخدرات فى حضرات الاسماء بل حضرة الوحدة والاحدية لا تبرز منها بالانكشاف لمن دونها وليس وراءها حد مرتبة ترتقى اليها وتنظر الى ما فوقها فهى مقصورة فيها (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) الرفرف نوع من الثياب عريض لطيف فى غاية اللطافة والمراد نور الذات الذى هو فى غاية البهجة واللطافة او نور الصفات حال البقاء بعد الفناء والاستناد الى صمدية الوجود المطلق والتحقق به (وعبقرى حسان) العبقرى فى اللغة ثوب غريب منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن اى الوجود الموهوب الحقانى الغريب الموصوف بصفاته المتجلية فى غاية الحسن الذى هو منسوب الى عالم الغيب بل غيب الغيب الذى لا يعلم احد اين هو (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك) اى تعالى وتعاظم (اسم ربك) اى الاسم الاعظم الذى به تزيد وترتقى مرتبة السالكين من البداية الى النهاية حتى

الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالمقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الى ولا ارضى عندى منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنهما عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهى عنه من مناهى الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذى امرك الله به فى القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ من ذلك ماروى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس * عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم اخرجه ابوداود * وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن ابى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن شئ اثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الى الله واقربكم منى مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا (ق) عن انس رضى الله عنه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ماقال لى اف قط ولا قال لشئ لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا ومامست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد فى رواية ويجيب اذا دعى * وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبل الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى

الوصول اليه والفوز به (ذوالجلال والاكرام) اى الجلال فى صورة الجمال والجمال فى صورة الجلال اللذان لا يحجب احدهما عن الآخر عند البقاء بعد الفناء للمحبوبين المحبين السابقين الى غاية الدرجات بخلاف الجلال والاكرام المذكورين قبل فانهما هناك يحجب احدهما عن الآخر لعدم تحقق الفانى بالوجود الحقانى والرجوع الى تفاصيل الصفات وشهودها فى عين الجمع

﴿ سورة الواقعة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا وقعت الواقعة) اى القيامة الصغرى (ليس لوقعتها كاذبة) نفس تكذب على الله ان البعث واحوال الآخرة لا تكون لان كل نفس تشاهد احوالها من السعادة والشقاوة (خافضة رافعة) تخفض الاشقياء الى الدركات وترفع السعداء الى الدرجات (اذا رجت الارض رجا) اى حركت وزلزلت ارض البدن بمفارقة الروح تحريكا يخرج به جميع ما فيها وينهدم معه جميع اعضائه (وبست الجبال بسا) اى فتتت جبال

العظام بصيرورتها رميما ورفاتا اوسيقت واذهبت حتى صارت (فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة مااصحاب المشأمة) السعداء الذين هم الابرار والصلحاء من الناس والاشقياء الذين هم الاشرار والمفسدون من الناس وانما سمي الاولون اصحاب الميمنة لكونهم اهل اليمن والبركة اولكونهم متوجهين الى افضل الجهتين واقواهما التي هي الجهة العليا وعالم القدس وسمي الآخرون اصحاب المشأمة لكونهم اهل الشؤم والنحوسة اولكونهم متوجهين الى ارذل الجهتين واضعفهما التي هي الجهة السفلى وعالم الحس (والسابقون) الموحدون الذين سبقوا الفريقين وجاوزوا العالمين بالفناء في الله (السابقون) اى الذين لا يمكن مدحهم والزيادة على اوصافهم (اولئك المقربون) حال التحقق بالوجود الحقاني بعد الفناء (في جنات النعيم) من جميع مراتب الجنان (ثلة) اى جماعة كثيرة

جليس له اخرجه الترمذي (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى (ق) عن انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مرلي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء (ق) عنه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابا عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير مافعل النغير النغير كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته قالت كان يكون في مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبدالله بن الحرث بن جزء قال مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي *قوله تعالى (فستبصر) اى يا محمد (ويبصرون) يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بايكم المفتون) قال ابن عباس معناه بايكم المجنون وقيل الباء بمعنى في معناه فستبصر ويبصرون في اى الفريقين المجنون في فريقك او فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله ان يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) اصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الآية انهم تمنوا ان تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهوان تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) اى كثير الحلف بالباطل (مهين) اى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهي قلة الراى والتميز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق (هماز) اى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس (مشاء بنميم) اى قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) اى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اى يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا انفعه بشيء ابدا (معتد) اى ظلوم يتعدى الحق (اثيم) اى فاجر يتعاطى الاثم (عتل) اى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيء الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوى الشديد ولا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا في النار دفعة واحدة (بعد ذلك

(ذنيم)

زنيم) اى مع ماوصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الداعى الملصق فى القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هودعى فى قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذى له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس فى هذه الآية نعت من لايعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لانعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ماذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لايفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة (ان كان ذامال وبنين) قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذامال وبنين اى لاتطعه لماله وبنيه وقرئ ان كان ذامال وبنين بالاستفهام ومعناه ان كان ذامال وبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) اى جعل مجازاة النعم التى خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لان كان ذامال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) اى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به فى الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لايفارقه اى سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لايفارقه كما ان السمة لاتمحى ولاتعفى اثرها وقد الحق الله به بماذكر من عيوبه عارا لايفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوسم على الخرطوم الذى لايخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه ※ وقوله تعالى (انا بلوناهم) اى اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا اصحاب الجنة) روى عن ابن عباس فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان لرجل فات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر ايضا فلمامات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لانستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ان يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى (اذ اقسموا) اى تحالفوا (ليصرمنها) اى ليقطعن ثمرها (مصبحين) اى اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقبل ان يعلم بها المساكين (ولا يستثنون) اى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل يستثنون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طائف من ربك) اى عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها وهو قوله تعالى (فاصبحت) اى الجنة (كالصريم) اى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزعة (فتنادوا) اى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما اصبحوا (ان اغدوا على حرثكم) يعنى الثمار والزرع الاعناب (ان كنتم صارمين) اى قاطعين ثماركم (فانطلقوا) اى مشوا اليها (وهم يتخافتون) اى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (ان لايدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) اى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه

(من الاولين) اى المحبوبين الذين هم اهل الصف الاول من صفوف الارواح اهل العناية الاولى فى الازل (وقليل من الآخرين) اى المحبين الذين تتأخر مرتبتهم عن مرتبة المحبوبين اهل الصف الثانى ووصفوا بالقليل لان المحب قلما يدركه شأ والمحبوب ويبلغ غايته فى الكمال بل اكثرهم فى جنات الصفات واقفين فى درجات السعداء والمحبوبون كلهم فى جنة الذات بالغين اقصى الغايات ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثنتان جميعا من امتى اى ليس الاولون من امم المتقدمين والآخرون من امته عليه السلام بل العكس اولى اوثلة من اوائل هذه الامة الذين شاهدوا النبى وادركوا طراوة الوحى فى زمانه اوقاربوا زمانه وشاهدوا من صحبه من التابعين والآخرون هم الذين طال عليهم الامد فقست قلوبهم فى آخر دور الدعوة وقرب زمان خروج المهدى عليه السلام لا الذين هم فى زمانه فان السابقين فى زمانه اكثر لكونهم اصحاب القيامة الكبرى واهل

بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) اى عند انفسهم على جنتهم وثمارها لايحول بينهم وبينها احد (فلما راوها) اى راوا الجنة محترقة (قالوا انا لضالون) اى لمخطؤن الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال اوسطهم) اى اعدلهم واعقلهم وافضلهم (الم اقل لكم لولا تسبحون) اى هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لايقدر احد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى ان الاستثناء بمعنى لايتركون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) اى بمنعنا المساكين حقوقهم (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) اى يلوم بعضهم بعضا (قالوا ياويلنا) دعوا على انفسهم بالويل (انا كنا طاغين) اى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) اى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا نخوف بذلك كفار مكة * ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) ثم اخبر بما اعد الله للمتقين فقال تعالى (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) اى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى فى الآخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين (افنجعل المسلمين كالمجرمين) يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون افضل او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات (مالكم كيف تحكمون) يعنى هذا الحكم المعوج (ام لكم كتاب) اى نزل من عند الله (فيه) اى فى ذلك الكتاب (تدرسون) اى تقرؤن (ان لكم فيه) اى فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) اى تختارون وتشتهون (ام لكم ايمان علينا بالغة) معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا (الى يوم القيامة) اى لاتنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة (ان لكم) اى فى ذلك العهد (لما تحكمون) اى لانفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم ايهم بذلك زعيم) اى ايهم كفيل لهم بان لهم فى الآخرة ما للمسلمين (ام لهم شركاء) اى بل لهم شركاء يعنى ما كانوا يجعلونه لله شركاء وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) اى فى دعواهم (يوم يكشف) اى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم (عن ساق) اى عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع فى امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك اذا قام فى ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفى عليكم شئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

التسمية والظهور (على سرر موضونة) اى متواصلة متراصفة من الوجودات الموهوبة الحقانية المخصوصة بكل احد منهم كقوله عليه السلام على منابر من نور او على مراتب الصفات (متكئين عليها) متظاهرين فيها لكونها من مقاماتهم (متقابلين) متساوين فى الرتب لاحجاب بينهم اصلا فى عين الوحدة لتحققهم بالذات وتخيرهم فى الظهور بأى صفة من الصفات شاؤا بجمعهم المحبة الذاتية لايحتجبون بالصفات عن الذات ولا بالذات عن الصفات (يطوف عليهم ولدان مخلدون) تخدمهم قواهم الروحانية الدائمة بدولة ذواتهم او الاحداث المستعدون من اهل الارادة المتصلون بهم بفرط الارادة كما قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم او الملكوت السماوية (بأكواب واباريق وكأس من معين) من خمور الارادة والمعرفة والمحبة والعشق والذوق ومياه الحكم والعلوم (لايصدعون عنها) اى كلها لذة لا الم معها ولا خمار لكونهم واصلين

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا فى هذا المعنى فمنها ما انشده ابوعبيدة لقيس بن زهير

فان شمرت لك عن ساقها * فدنها ربيع ولا تسام

ومنها قول جرير

الا رب ساهى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا فى كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ماتضارون فى رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير اهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيأ مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن احد منكم باشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير

واجدين لذة برد اليقين شاربين الشراب الكافورى فان محبة الوصول خالصة عن الم الشوق وخوف الفقدان (ولا ينزفون) لايذهب تميزهم وعقلهم بالسكر ولا يطفحون لكونهم اهل الصحو غير محجوبين بالذات عن الصفات فيلحقهم السكر ويغلب عليهما الحال (وفاكهة) من مواجيدهم وكشفياتهم الذوقية (مما يتخيرون) يأخذون خيره لانهم واجدون جميعها فيختارون اصفاها وابهاها واشرفها واسناها (ولحم طير مما يشتهون) من لطائف الحكم ودقائق المعانى المقوية لهم (وحور عين) من تجليات الصفات ومجردات الجبروت ومافى مراتبهم من الارواح المجردة (كأمثال اللؤلؤ) الرطب فى صفائها ونوريتها (المكنون) فى الاصداف او المخزون لكونها فى بطنان الغيب وخزائنه مستورة عن الاغيار من اهل الظاهر (جزاء بما كانوا يعملون) فى حال الاستقامة من الاعمال الالهية المقصودة لذاتها المقارنة لجزائها او بما كانوا يعملون فى حال

فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن
وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها
خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع
النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما
لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج
الحبة فى حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر او اخيضر
وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة
هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه
فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا فيقولون
ربنا اى شئ افضل من هذا فيقول رضاى فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخارى نحوه بمعناه

﴿ فصل فى شرح الفاظ الحديث وما يتعلق به ﴾ اما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتى الكلام عليها
موضعها ان شاء الله تعالى قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين
فى ادنى صورة من التى راوه فيها وفى رواية ابى هريرة فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون
فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله
فى صورته التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيى الدين النووى
رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلماء فيه وفى امثاله
قولان احدهما وهو قول معظم السلف او كلهم انه لا يتكلم فى معناها بل يقولون يجب علينا
ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس
كمثله شئ وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا
القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابى هذا
الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو
مذهبهم فى التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثانى وهو مذهب
معظم المتكلمين انها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان اهله فعلى
هذا المذهب يقال فى قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان
العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجئ هنا عن الرؤية مجازا
وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته
قال القاضى عياض وهذا الوجه اشبه عندى بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذى جاءهم
فى الصورة التى انكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه
يأتيهم الله فى صورة اى يصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التى لا تشبه صفات
الاله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم رأوا
عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله
منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فالمراد بالصورة هنا
الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم فى الصفة التى يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته

السلوك من اعمال التزكية والتصفية (لا يسمعون فيها لغوا) هذيانا وكلاما غير مفيد لمعنى لكونهم اهل التحقيق متأدبين بين يدى الله بآداب الروحانيين (ولا تأثيما) من الفواحش التى يؤثم بها صاحبها كالغيبة والكذب وامثالهما (الا قيلا سلاما سلاما) اى قولا هو سلام فى نفسه منزه عن النقائص مبرأ عن الفضول والزوائد وقولا يفيد سلامة السامع من العيوب والنقائص ويوجب سروره وكرامته ويبين كماله وبهجته لكون كلامهم كله معارف وحقائق وتحايا ولطائف على اختلاف وجهى الاعراب (واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين) اى هم شرفاء عظماء كرماء يتعجب من اوصافهم فى السعادة (فى سدر مخضود) اى فى جنة النفس المخضودة عن شوك تضاد القوى والطبائع وتنازع الاهواء والدواعى لتجردها عن هيآت صفاتها بنور الروح والقلب او موقرة بثمار الحسنات والهيآت الصالحات على اختلاف التفسيرين (وطلح منضود) اى فى جنة القلب لان الطلح شجرة الموز وثمرتها

وان لم تكن تقدمت لهم رؤيةله سبحانه وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لايشبه شيأ من مخلوقاته وقد علموا انه لايشبه شيا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله فى حديث ابى سعيد اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها معنى رأوه فيها اى علموها وهى صفته المعلومة للمؤمنين وهى انه لايشبهه شئ وقولهم نعوذ بالله منك لانشرك بالله انما استعاذوا منه لماقدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفى رواية للبخارى يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات قال ابوسليمان الخطابى فيحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساق اى عن قدرته التى تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق فى هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ماروى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامى يأتى باحاديث منكرة لايتابع عليها وموالى عمر بن عبد العزيز كثيرون ففى اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو مايتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضى عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقه عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وماكان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابى وهذه الرؤية فى هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة اولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلايبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الااذن الله له فى السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء الاجعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة اى فقارة واحدة كالصفيحة فلايقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها اول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد ازال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها قوله دحض مزلة اى تزلق فيه الاقدام ولاتثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشئ وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم مخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلاينالهم شئ اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس اى يلقى ويسقط فى جهنم وفى هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم واعمالهم والآخرون يسقطون فى جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار شفاعتهم لهم وقوله فمن وجد ثم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال

حلوة دسمة لذيذة لانوى لها كمدركات القلب ومعانيه المجردة عن المواد والهيآت الجرمية بخلاف السدر التى هى شجرة النبق الكثيرة السوى كمدركات النفس الجزئية المقرونة باللواحق المادية والهيآت الجرمية منضود نضد ثمره من اسفله الى اعلاه لاساق بارزة لها لكثرة تكون مدركاته غير متناهية الكثرة (وظل ممدود) من نور الروح المروح (وماء مسكوب) اى علم يرشح عليهم ويسكب من عالم الروح وانما سكب سكبا ولم يجر جريانا لقلة علوم السعداء بالنسبة الى اعمالهم اذ تقل علومهم الروحانية من المواجيد والمعارف والتوحيديات والذوقيات وان كثرت علومهم النافعة (وفاكهة كثيرة) من المدركات الجزئية والكلية اللذيذة كالمحسوسات والمخيلات والموهومات والمعانى الكلية القلبية (لا مقطوعة) لكونها غير متناهية (ولا ممنوعة) لكونها اختيارية كلما شاؤا اين شاؤا وجدوها (وفرش مرفوعة) من فضائل الاخلاق والهيآت النورانية النفسية المكتسبة من الاعمال الحسنة

ذرة قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذى هو التصديق لايتجزا وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذكر خفي وعمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين اوخوف من الله تعالى اونية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا اى صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الاارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ماتكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الامجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اى جمع جماعة قوله قد عادوا حمما اى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة جمع فوهة وهى اول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ اى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه انه يعلق فى معنى رقابهم اشياء من ذهب اوغير ذلك مما يعرفون بها والله اعلم ❊ قوله تعالى (ويدعون الى السجود فلا يستطعون) السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصي البقر او كصفيحة نحاس فلايستطيعون السجود (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة (وقد كانوا يدعون الى السجود) يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلايجيبون (وهم سالمون) يعنى انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحاء فلايأتونها قال كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعة ❊ قوله عزوجل (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) اى دعنى والمكذبين القرآن وخل بينى وبينهم ولاتشغل قلبك بهم وكلهم الى فانى اكفيك اياهم (سنستدرجهم) اى ستأخذهم بالعذاب (من حيث) لايعلمون فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعاجله بالاستغفار والتوبة (واملى لهم) اى امهلهم واطيل لهم المدة وقيل معناه امهلهم الى الموت فلااعاجلهم بالعقوبة (ان كيدى متين) اى عذابى شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدى الى العذاب (ام تسألهم اجرا) اى على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم الغرامة والمعنى اتطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (ام عندهم الغيب فهم يكتبون) اى اعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه مايحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار (فاصبر لحكم ربك) اى اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف (ولاتكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) يعنى يونس بن متى (اذنادى) ربه اى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) اى مملوء غما (لولا ان تداركه نعمة من ربه) اى حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) اى لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) اى يذم ويلام بالذنب وقيل فى معنى الآية لولاتداركه نعمة من ربه لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة

رفعت عن مرتبة الهيآت البدنية والجهة السفلية الى حيز الصدر الذى هو الجهة العليا من النفس المتصلة بالقلب اوحور من النسوان اى الملكوت المتصلة بهم المساوية فى المرتبة على اختلاف التفسيرين (انا انشأناهن انشاء) عجيبا نورانيا مجردة عن المواد مطهرة عن ادناس الطبائع والوان العناصر (فجعلناهن ابكارا) اى لم تتأثر بملامسة الامور الطبيعية ومباشرة الطبيعيين الظاهرين من اهل العادة والمخالطين للمادة من النفوس (عربا) متحببة اليهم محبوبة لصفائها وحسن جوهرها ودوام اتصالها بهم (اترابا) لكونها فى درجة واحدة متساوية المراتب ازلية الجواهر (لاصحاب اليمين ثلة من الاولين) لان المحبوبين يدخلون على اصحاب اليمين جناتهم عند التدانى والترقى فى الدرجات وعند التدلى والرجوع الى الصفات فيختلطون بهم وينخرطون فى سلكهم (وثلة من الآخرين) لان المحبين اكثرهم اصحاب اليمين واقفون مع الصفات دون محبة الذات وان فسرنا

اى بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه مايوجب الذم الثانى لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيآت المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى ﴿ فاجتباه ربه ﴾ والفاء للتعقيب اى اصطفاه ورد عليه الوحى وشفعه فى قومه ﴿ فجعله من الصالحين ﴾ اى النبيين ✳ قوله تعالى ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ﴾ وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا مارأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى اسد حتى ان كانت الناقة او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذى المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فتذهب الاقليلا حتى تسقط ماعناه فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه مايعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما ارادانهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء لايكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى او يكاد يهلكنى يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله ﴿ لما سمعوا الذكر ﴾ لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء ﴿ ويقولون انه لمجنون ﴾ اى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ وماهو ﴾ يعنى القرآن ﴿ الا ذكر للعالمين ﴾ قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من اصابته العين ان تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيدالله بن رفاعة الزرقى ان اسماء بنت عميس كانت تقول يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افأسترقى لهم قال نعم ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذى قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا فى نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذى هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شئ الا على حسب ماقدر الله وسبق به علمه ولايقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله اعلم

الاولين والآخرين باوائل الامة المحمدية واواخرها وظاهر لكثرة اصحاب اليمين فى اواخرهم ايضا دون السابقين ﴿ واصحاب الشمال مااصحاب الشمال ﴾ اى رهم الذين يتعجب من احوالهم وصفاتهم فى الشقاوة والنحوسة والهوان والخساسة ﴿ فى سموم ﴾ من الاهواء المردية والهيآت الناسقة المؤذية ﴿ وحميم ﴾ من العلوم الباطلة والعقائد الفاسدة ﴿ وظل من يحموم ﴾ من هيآت النفوس المسودة بالصفات المظلمة والهيآت السود الرديئة لان اليحموم دخان اسود بهيم ﴿ لابارد ولاكريم ﴾ اى ليس له صفتا الظل الذى يأوى اليه الناس من الروح ونفع من يأوى اليه بالراحة بل له ايذاء وايلام وضر بايصال التعب واللهب والكرب ﴿ انهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ منهمكين فى اللذات والشهوات منغمسين فى الامور الطبيعية والغواشى البدنية فبذلك اكتسبوا هذه الهيآت الموبقة والتبعات المهلكة ﴿ وكانوا يصرون على الحنث العظيم ﴾ من الاقاويل الباطلة

﴿ تفسير سورة الحاقة ﴾

مكية وهي اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة والف واربع وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (الحاقة) يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال اي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم اي تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشانها والتهويل لها والمعنى اي شئ الحاقة (وما ادراك ما الحاقة) اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر لا تبلغه دراية احد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي اعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي اوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) اي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر) اي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عاتية) اي عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) اي ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب وفي هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية ايام) ذات برد ورياح شديدة قال وهب هي الايام التي سماها العرب العجوز لانها ايام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتي في عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فاتبعتها الريح حتى قتلتها (حسوما) اي متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم احدا (فترى القوم فيها) اي في تلك الليالي والايام (صرعى) اي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت (كانهم اعجاز نخل خاوية) اي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) اي من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر فلم يبق منهم احد * قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء اي ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء اي ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعني قرى قوم لوط ويريد اهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) اي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعصوا رسول ربهم) قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الاثنين جميعا (فاخذهم اخذة رابية) يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انا لما طغى الماء) اي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه

والعقائد الفاسدة التي استحقوا بها العذاب المخلد والعقاب المؤبد (وكانوا يقولون) اي من جملة عقائدهم انكار البعث (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون) اي الجاهلون المصرون على جهلهم وانكار ما يخالف عقائدهم الباطلة من الحق (لآكلون من شجر من زقوم) اي من نفس متعبدة اللذات والشهوات منغمسة فيها منجذبة الى السفليات من الطبيعيات لتعودكم بها وبفوائدها (فمالئون منها) ومن ثمراتها الوبية البشعة المحرقة التي هي الهيآت المنافية للكمال الموجبة للوبال (البطون) لشدة حرصكم ونهمكم وضراوتكم بها لشرهكم وسقمكم (فشاربون عليه من الحميم) من الوهميات الباطلة والشبهات الكاذبة التي هي من باب الجهل المركب في المهالك والمعاطب المستلذة الاعمال الشيطانية والاعمال البهيمية الظلمانية (فشاربون

الصلاة والسلام وهو الطوفان ﴿حملناكم فى الجارية﴾ يعنى حملنا آباءكم وانتم فى اصلابهم فصح خطاب الحاضرين فى الجارية اى السفينة التى تجرى فى الماء ﴿لنجعلها﴾ اى لنجعل تلك الفعلة التى فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه ﴿لكم تذكرة﴾ اى عبرة وموعظة ﴿وتعيها﴾ اى تحفظها ﴿اذن واعية﴾ اى حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل اذن فتكون عظة وعبرة لمن ياتى بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة * قوله عز وجل ﴿فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة﴾ يعنى النفخة الاولى ﴿وحملت الارض والجبال﴾ اى رفعت من اماكنها ﴿فدكتا دكة واحدة﴾ اى كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ اى قامت القيامة ﴿وانشقت السماء فهى يومئذ واهية﴾ اى ضعيفة لتشققها ﴿والملك﴾ يعنى الملائكة ﴿على ارجائها﴾ يعنى نواحيها واقطارها وهو الذى لم ينشق منها فالمعنى ان الملائكة تكون على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ اى فوق رؤسهم يعنى الحملة ﴿يومئذ﴾ اى يوم القيامة ﴿ثمانية﴾ يعنى ثمانية املاك وجاء فى الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال تيوس الجبل وروى السدى عن ابى مالك قال ان الصخرة التى تحت الارض السابعة ومنتهى الخلائق على ارجائها يحملها اربعة من الملائكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبى صلى الله عليه وسلم امية بن ابى الصلت فى شئ من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه ۞ والنسر للاخرى وليث يرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب * عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا فى البطحاء فى عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندرى قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان وامالات وسبعون سنة وبعد التى فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذى وابو داود وزاد فى رواية وليس يخفى عليه من اعمال بنى آدم شئ * عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وارض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة

شرب الهيم) اى التى بها الهيام من الابل وهو داء لارى معه لشدة شغفكم وكلبكم بها (هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم) باظهاركم بوجودنا وظهورنا فى صوركم (فلولا تصدقون افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه) بافاضة الصورة الانسانية عليه (ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه) بانزال الصور النوعية عليه (ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم الماء الذى تشربون) ماء العلم الذى تشربونه بتعطش استعدادكم (ءانتم انزلتموه من المزن) من مزن العقل الهيولانى (ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا) بصرفه فى تدابير المعاش وترتيب الحياة الدنيا (فلولا تشكرون افرايتم النار) نار المعانى القدسية (التى تورون) بقدح زناد الفكر (ءانتم

والكرسى مسيرة خمسمائة عام ومابين الكرسى والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لايخفى عليه شئ من اعمالكم اخرجه ابوسعيد الدرامى وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود فى قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش قرون مابين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبدالله بن عمر قال الذين يحملون العرش مابين موق احدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس فى قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدتهم الا الله عز وجل ﴿ يومئذ تعرضون ﴾ اى على الله تعالى للحساب ﴿ لاتخفى منكم خافية ﴾ اى فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لايخفى عليه شئ منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لايخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا فى الدنيا فانه يظهر احوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم ❊ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذى وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم ❊ قوله تعالى ﴿ فاما من اوتى ﴾ اى اعطى ﴿ كتابه بيمينه فيقول هاؤم ﴾ اى تعالوا ﴿ اقرؤا كتابيه ﴾ والمعنى انه لما بلغ الغاية فى السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله واقربائه ﴿ انى ظننت ﴾ اى علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن فى الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام ﴿ انى ملاق حسابيه ﴾ اى فى الآخرة والمعنى انى كنت فى الدنيا استيقن انى احاسب فى الآخرة ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ اى فى حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقى الثواب وامن من العقاب ﴿ فى جنة عالية ﴾ رفيعة ﴿ قطوفها دانية ﴾ اى ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا ﴿ كلوا ﴾ اى يقال لهم كلوا ﴿ واشربوا هنيئا بما اسلفتم ﴾ اى بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة ﴿ فى الايام الخالية ﴾ اى الماضية يريد ايام الدنيا ﴿ واما من اوتى كتابه بشماله ﴾ قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها ﴿ فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ﴾ وذلك لما نظر فى كتابه ورأى قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ﴿ ولم ادر ماحسابيه ﴾ اى لم ادر اى شئ حسابى لانه لاطائل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له ﴿ ياليتها كانت القاضية ﴾ تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية عن كل مابعدها والقاطعة للحياة اى مااحيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده اكره منه اليه اى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما

انشأتم شجرتها) اى القوة الفكرية (ام نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة) تذكيرا للعهد الازلى فى العالم القدسى (ومتاعا للمقوين) للذين لازاد لهم فى السلوك من العلم والعمل (فسبح باسم ربك العظيم فلا اقسم بمواقع النجوم) اى اوقات اتصال النفس المحمدية المقدسة بروح القدس وهى اوقات وقوع نجوم القرآن اليه فيا لها اوقاتا شريفة واتصالات نورية اومساقط النجوم وهى اوقات غيبته عن الحواس وافول حواسه فى مغرب الجسد عند تعطيلها بانغماس سره فى الغيب وانخراطه فى سلك القدس بل غيبته فى الحق واستغراقه فى الوحدة (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وانى يعلمون واين هم وعلم ذلك (انه لقرآن كريم) اى علم مجموع له كرم وشرف قديم وقدر رفيع (فى كتاب مكنون) هو قلبه المكنون فى الغيب عن الحواس وماعدا المقربين من الملائكة المطهرين لان العقل القرآنى مودع فيه كما قال عيسى عليه السلام لاتقولوا العلم

ذاقه من الموت (ماأغنى عنى ماليه) اى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيأ (هلك عنى سلطانيه) اى ضلت عنى حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا (خذوه) اى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه (فغلوه) اى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) اى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى الدنيا (ثم فى سلسلة) وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة (ذرعها) اى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد اوغيرها (سبعون ذراعا) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوفل البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اى ذراع هو * عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رضاضة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت فى رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرضاص الحصباء الصغار وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو اشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها * وقوله تعالى (فاسلكوه) اى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره (انه كان لايؤمن بالله العظيم) اى لا يصدق بوحدانية الله وعظمته (ولا يحض على طعام المسكين) اى ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يأمر اهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يأمر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثانى بالاطعام (فليس له اليوم ههنا حميم) اى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه ويشفع له (ولا طعام الا من غسلين) يعنى صديد اهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله اهل النار (لا يأكله الا الخاطئون) اى الكافرون * قوله عز وجل (فلا اقسم) قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا اقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكأنه لوضوحه استغنى عن القسم * وقوله (بما تبصرون ومالا تبصرون) يعنى بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون ومالا تشاهدون اقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعنى على ظهر الارض ومالا تبصرون اى ما فى بطنها وقيل بما تبصرون يعنى الاجسام ومالا تبصرون يعنى الارواح وقيل بما تبصرون يعنى الانس ومالا تبصرون يعنى الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة ومالا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما اظهره الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه ومالا تبصرون هو

فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ويأتى به بل العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى الله بآداب الروحانيين يظهر عليكم او الروح الاول الذى هو محل القضاء ومأوى الروح المحمدى بل هو هو (لا يمسه الا المطهرون) من الارواح المجردة المطهرة عن دنس الطبائع ولوث تعلق المواد (تنزيل من رب العالمين) لان علمه ظهر على المظهر المحمدى فهو منزل منه على مدرجته منجما (افبهذا الحديث انتم مدهنون) متها ونون ولا تبالون به ولا تتصلبون فى القيام بحقه وفهم معناه كمن يلين جانبه ويداهن فى الامر تساهلا وتهاونا به (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) اى قوتكم القاى رزقكم الحقيقى تكذيبه لاحتجابكم بعلومكم وانكاركم مالبس من جنسه كانكار رجل جاهل ما يخالف اعتقاده كان علمه نفس تكذيبه اورزقكم الصورى اى لداومتكم على التكذيب كأنكم تجعلون التكذيب غذاكم كما تقول للمواظب

ماستأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه * ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (انه)
يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول
اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد
توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف
يصح اضافته الى الرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به واما اضافته الى
الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب
العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد انه قول
الرسول المبلغ عن الله تعالى وفى الرسول مايدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله
تعالى * وقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) يعنى ان هذا القرآن ليس بقول رجل
شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه (قليلا ما تؤمنون) اراد بالقليل عدم
ايمانهم اصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن)
اى وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليلا ما تذكرون) يعنى
لا تذكرون البتة (تنزيل) اى هو تنزيل يعنى القرآن (من رب العالمين) وذلك
انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال
* قوله تعالى (ولو تقول علينا) اى اختلق علينا محمد (بعض الاقاويل) يعنى اتى بشئ
من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه (لاخذنا منه باليمين) اى لاخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا
منه باليمين اى بالحق قال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين اى سلبناه
القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذللناه واهناه كفعل السلطان بمن يريد ان
يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه اشرف العضوين
(ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعنى نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق
يجرى فى الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب
بالراس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع
وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة
عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب
عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته (فما منكم
من احد عنه حاجزين) اى مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب
علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين
بلفظ الجمع وهو وصف احد ردا على معناه (وانه) يعنى القرآن وذلك انه لما وصفه بانه
تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم بين ماهو فقال تعالى (لتذكرة)
اى لعظة (للمتقين) اى لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) فيه وعيد لمن كذب

(بالقرآن)

على الكذب الكذب غذاؤه
(فلولا اذا بلغت الحلقوم)
(وانتم حينئذ تنظرون
ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون فلولا
ان كنتم غير مدينين
ترجعونها) اى فلولا
ترجعون الروح عند بلوغها
الحلقوم (ان كنتم صادقين)
فى انكم غير مسوسين
مربوبين مقهورين يعنى
انكم مجبرون عاجزون
تحت قهر الربوبية والا
لامكنكم دفع ما تكرهون
اشد الكراهية وهو الموت
(فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم)
من جملة الاصناف الثلاثة
فله روح الوصول الى
جنة الذات وريحان جنة
الصفات وتجلياتها البهجة
المبهجة وجنة نعيم الافعال
ولذاتها (واما ان كان من
اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين) من
السعداء والابرار فله
السرور والحبور بلقاء اصحاب
اليمين وتحيتهم اياه بسلامة
الفطرة والنجاة من العذاب
والبراءة عن نقائص صفات
النفوس فى جنة الصفات
(واما ان كان من المكذبين
الضالين) من الاشقياء
والمعاندين للسابقين المنكرين

بالقرآن (وانه) يعنى القرآن (لحسرة على الكافرين) يعنى يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه انه حق معين لابطلان فيه ويقين لاشك ولاريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) اى نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة سأل سائل ﴾

وتسمى المعارج مكية وهى اربع واربعون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة فى السؤال والثانى انه من السيل ومعناه اندفع عليهم وادبعذاب وقيل سال وادمن اودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمزة من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن اى عن عذاب (واقع) اى نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافرين) وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين اى هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعاداع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ماسأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) اى ان العذاب واقع بهم لامحالة سواء طلبوه اولم يطلبوه اما فى الدنيا بالقتل واما فى الآخرة لان العذاب واقع بهم فى الآخرة لايدفعه عنهم دافع (من الله) اى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذى المعارج) قال ابن عباس ذى السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذى الدرجات وهى المصاعد التى تعرج الملائكة فيها وقيل ذى الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهى تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة فى معرض التخويف والتهويل افرد الروح بالذكر وهذا يقتضى ان الروح اعظم الملائكة (اليه) اى الى الله عز وجل (فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) اى من سنى الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بنى آدم من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد فى اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك كله فى ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكر ان مقدار مابين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس فى مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له اول وليس له آخر لانه يوم ممدود لاآخر له ولو كان له آخر كان منقطعا وهذا الطول فى حق

لكمالاتهم المحجوبين بالجهل المركب فلهم عذاب هيآت الاعتقادات الفاسدة وظلمات الجهالات الموحشة من فوق المشار اليه بقوله (فنزل من حميم) وعذاب الهيآت البدنية وتبعات سيآتهم العملية من تحت المشار اليه بقوله (وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) المذكور من احوال الفرق الثلاث وعواقبهم لهو حقية الامر وجلية الحال من معاينة اهل القيامة الكبرى المتحققين بالحق فى يقينهم وعيانهم والله تعالى اعلم

﴿ سورة الحديد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما فى السموات والارض) اظهر كل موجود تنزيهه عن الامكان وقبول الفناء بوجوده الاضافى وثباته (وهو العزيز) القوى الذى يقهرها ويجبرها (الحكيم) الذى يرتب كمالاتها وعن العجز بحدوثه وتغيره وعن جميع النقائص باظهار كمالات كل موجود ونظامها على ترتيب حكمى (له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل

الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى
الغى بسنده عن ابى سعيد الخدرى قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف
سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن
حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولى محاسبة
العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين الف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها فى
مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبى يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة
والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين الف سنة وانا افرغ منه فى ساعة من
نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى
ليس له دافع من الله فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع
فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتأخير (فاصبر) اى يا محمد على تكذيبهم
اياك (صبرا جميلا) اى لا جزع فيه وهذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (انهم
يرونه) اى العذاب (بعيدا) اى غير كائن (ونراه قريبا) اى كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب
وقيل الضمير فى يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على
جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا فى قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه (يوم تكون
السماء كالمهل) اى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) اى الصوف
المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات الوان احمر وابيض وغرابيب سود
ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف
الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير
هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) اى لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى
لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله الشفاعة
اولا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله فى الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم
القيامة (يبصرونهم) اى يرونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن او انس الا وهو نصب عين صاحبه
فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال
ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك
لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم اى يعرفونهم اما المؤمن فيعرف ببياض وجهه
واما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) اى يتمنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ) اى
عذاب يوم القيامة (ببنيه وصاحبته) اى زوجته (واخيه وفصيلته) اى عشيرته وقيل قبيلته
وقيل اقربائه الاقربين (التى تؤويه) اى تضمه ويأوى اليها (ومن فى الارض جميعا) يعنى انه
يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيه) اى ذلك الفداء من عذاب الله
(كلا) اى لا ينجيه من عذاب الله شئ ثم ابتدأ فقال تعالى (انها لظى) يعنى النار ولظى اسم من اسمائها
وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اى تلتهب (نزاعة للشوى) يعنى الاطراف
كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال
ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان

شئ قدير هو الاول) الذى
يبتدئ منه الوجود الاضافى
باعتبار اظهاره (والآخر)
الذى ينتهى اليه باعتبار
امكانه وانتهائه احتياجه
اليه فكل شئ به يوجد
وفيه يفنى فهو اوله وآخره
فى حالة واحدة باعتبارين
(والظاهر) فى مظاهر
الاكوان بصفاته وافعاله
(والباطن) باحتجابه بماهياته
وبذاته (وهو بكل شئ
عليم) لان عين ماهيته
صورة من صور معلوماته
اذ صور الاشياء كلها فى
اللوح المحفوظ وهو يعلم
اللوح مع تلك الصور بعين
ماهية اللوح المنقش بتلك
الصور فعلمه بها عين علمه
بذاته (هو الذى خلق
السموات والارض فى ستة
ايام) من الايام الالهية اى
الآلات الستة التى هى من
زمان آدم الى زمان محمد
عليهما السلام جميع مدة
دور الخفاء اى احتجب بها
فظهر الخلق دونه اذ الخلق
احتجاب الحق بالاشياء
وهذا الزمان زمان
الاحتجاب كما ذكر فى
الاعراف (ثم استوى على
العرش) على عرش القلب
المحمدى بالظهور فى جميع

ثم كله فذلك دابها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه واطرافه (تدعو) يعنى النار الى نفسها (من ادبر)
اى عن الايمان (وتولى) اى عن الحق فتقول له الى يا مشرك الى يا منافق الى قال ابن عباس تدعو
الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اى تعذب قال
اعرابى لآخر دعاك الله اى عذبك الله (وجمع فأوعى) يعنى وتدعو من جمع المال فى الوعاء ولم يؤد
حق الله منه (ان الانسان خلق هلوعا) قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا
وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره
ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعنى اذا اصابه الفقر لم يصبروا
واذا اصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق
ما يحب والصبر على ما يكره قيل اراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل
فقال تعالى (الا المصلين) وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع
(الذين هم على صلوتهم دائمون) يعنى يقيمونها فى اوقاتها وهى الفرائض فان قلت كيف قال على
صلوتهم دائمون ثم قال بعده على صلواتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادائها
وان لا يتركوها فى شئ من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع
الى الاهتمام بحالها وهو ان يأتى بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو
سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق
القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور
المقارنة للصلاة فهى ان لا يلتفت فى الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فى جميعها بالخشوع
والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء
والسمعة وخوف ان لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى فى سؤال قبولها وطلب الثواب
فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيآتها وروى
البغوى بسنده عن ابى الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلوتهم دائمون
اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا عن خلفه (والذين
فى اموالهم حق معلوم) يعنى الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هى صدقة التطوع وذلك
بان يوظف الرجل على نفسه شيأ من الصدقة يخرجه على سبيل الندب فى اوقات معلومة (للسائل)
يعنى الذى يسأل الناس (والمحروم) يعنى الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين
يصدقون بيوم الدين) اى يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة
(والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اى خائفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب
ربهم غير مأمون) يعنى ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغى ولا اجتنب
المحظورات بالكلية كما ينبغى بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغى ان يكون العبد
بين الخوف والرجاء * وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون) تقدم تفسيره فى سورة المؤمنين * قوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اى
يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها

الصفات غير محتجب بعضها
بعض ولا الذات بالصفات
ولا الصفات بالذات بل
استوت كلها فى الظهور فى
اليوم السابع او فى صور
المراتب الست من الجواهر
والاعراض المذكورة فى
ق ثم استوى على عرش
الروح الاعظم بالتأثير فى
جميع الاشياء فى الصورة
الرحمانية بالسوية والظهور
باسم الرحمن (يعلم ما يلج فى
الارض) ارض العالم
الجسمانى من الصور النوعية
لانها صور معلوماته (وما
يخرج منها) من الارواح
التى تفارقها والصور التى
تزايلها عند الفناء والفساد
وهى التى تنزل من السماء
وتعرج فيها او ما ينزل من
سماء الروح من العلوم
والانوار الفائضة على
القلب وما يعرج فيها من
الكليات المنتزعة من
الجزئيات المحسوسة وهيآت
الاعمال المزكية (وما ينزل
من السماء وما يعرج فيها وهو
معكم اينما كنتم) لوجودكم
به وظهوره فى مظاهركم
(والله بما تعملون بصير)
لسبق علمه به وكونه منقوشا
فى اربعة الواح فى عالم
ملكوته بحضرته يولح ايل

بالذكر لفضلها الان بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى (اولئك) يعني من هذه صفته (في جنات مكرمون) ❊ قوله تعالى (فمال الذين كفروا) اى فما بالهم (قبلك مهطعين) اى مسرعين مقبلين اليك مادى اعناقهم ومديمى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال الله تعالى مالهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزين) يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات في تفرقة (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذبوا نبيي (كلا) اى لا يدخلها ثم ابتدا فقال تعالى (انا خلقناهم مما يعلمون) اى من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشئ واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوى باسناد الثعلبي عن بشر بن جحش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم انى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة واخرجه ابن الجوزى في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الآية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهى والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا اقسم) يعني واقسم وقد تقدم بيانه (برب المشارق والمغارب) يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه (انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله (وما نحن بمسبوقين) اى بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بمن هو خير منكم (فذرهم يخوضوا) اى في اباطيلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث) يعني القبور (سراعا) اى الى اجابة الداعي (كانهم الى نصب) يعني الى شئ منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها (يوفضون) اى يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها (خاشعة ابصارهم) اى ذليلة خاضعة (ترهقهم ذلة) اى يغشاهم هو ان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعني القيامة الذى كانوا يوعدون به في الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم

❊ تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام ❊

مكية وهى ثمان وعشرون آية ومائتان واربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل (انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك) اى بان خوف قومك وحذرهم

الغفلة في نهار الحضور ويولج نهار الحضور في ليل الغفلة ويستر الجمال بالجلال ويحجب الجلال بالجمال (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور) بما اودع الصدور من اسراره ودقائق الغفلة والحضور وحكمتهما ولطائف التستر والتجلي وفائدتهما لا يعلمها الا هو (آمنوا بالله) الايمان اليقيني بتوحيد الافعال (ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) اى لا تحتجبوا بافعال الحق في ايمانكم بتوحيد الافعال عن افعال الخلق فتقعوا في الجبر وحرمان الاجر بل شاهدوا افعال الحق بالايمان به جمعا في مظاهر التفاصيل بحكم الشرع ليحصل لكم التوكل ويسهل عليكم الانفاق من مال الله الذى هو في ايديكم وجعلكم مستخلفين فيه بتمكينكم واقداركم على التصرف فيه بحكم الشرع اذ الاموال كلها لله واختصاص نسبة التصرف انما هو بحكمه في شريعته (فالذين آمنوا

من قبل ان يأتيهم عذاب اليم ﴾ يعنى الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا ﴿ قال ياقوم انى لكم نذير مبين ﴾ اى انذركم وابين لكم ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ اى وحدوه ولا تشركوا به شيأ ﴿ واتقوه ﴾ اى وخافوه بان تحفظوا انفسكم مما يؤثمكم ﴿ واطيعون ﴾ اى فيما آمركم به من عبادة السورالله وتقواه ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ اى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ماسلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب ﴿ ويؤخركم الى اجل مسمى ﴾ اى الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ﴿ ان اجل الله اذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لايؤخر قال الزمخشرى ان قلت كيف قال ويؤخركم مع الاخبار بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لاتتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل لايؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان ﴿ قال ﴾ يعنى نوحا عليه الصلاة والسلام ﴿ رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا ﴾ اى نفارا وادبارا عن الايمان ﴿ وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم ﴾ اى ليؤمنوا بك فتغفر لهم ﴿ جعلوا اصابعهم فى آذانهم ﴾ لئلا يسمعوا دعوتى ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ اى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرونى ﴿ واصروا ﴾ على كفرهم ﴿ واستكبروا ﴾ عن الايمان بك ﴿ استكبارا ﴾ اى تكبرا عظيما ﴿ ثم انى دعوتهم جهارا ﴾ اى معلنا قال ابن عباس باعلى صوتى ﴿ ثم انى اعلنت لهم ﴾ اى كررت لهم الدعاء معلنا ﴿ واسررت لهم اسرارا ﴾ قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بينى وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل مايحتاجون اليه فى الدنيا وروى الشعبى ان عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له مارأيناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لانه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار

منكم ﴾ بشهود الافعال ﴿ وانفقوا ﴾ عن مقام التوكل ﴿ لهم اجر كبير ﴾ فى جنة الافعال ﴿ ومالكم لاتؤمنون بالله ﴾ وقد اعتضد السببان الداخلى والخارجى الموجب اجتماعهما للايمان ايجابا ذاتيا اما الخارجى فدعوة الرسول الذى هو السبب الفاعلى واما الداخلى فاخذ الميثاق الازلى وهو الاستعداد الفطرى الذى هو السبب القابلى وقوة الاستدلال ﴿ والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ﴾ بالقوة اى ان بقى نور الفطرة والايمان الازلى فيكم ﴿ هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ﴾ من بيان تجليات الافعال والصفات والذات ﴿ ليخرجكم من الظلمات الى النور ﴾ ظلمات صفات النفس والهيآت البدنية المستفادة من الحس الى تنور القلب ومن ظلمات صفات القلب الى نور الروح ومن ظلمات وجوداتكم وانياتكم الى نور الدين وهى الظلمات المشار اليها بقوله ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض ﴿ وان الله بكم لرؤف رحيم ﴾ يدفع آفة النقصان عنكم

فتلاهذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم اى يرسل ماء السماء وذلك لان ماء المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماء المطر من قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

يعنى المطر مدرارا اى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اى متتابعا (ويمددكم باموال وبنين) اى يكثر اموالكم واولادكم (ويجعل لكم جنات) اى البساتين (ويجعل لكم انهارا) وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه (مالكم لا ترجون لله وقارا) قال ابن عباس اى لاترون لله عظمة وقيل معناه لاتخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه مالكم لاتعرفون لله حقا ولاتشكرون له نعمة وقيل معناه مالكم لاترجون فى عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا (وقد خلقكم اطوارا) يعنى تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لايشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) اى بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعنى فى سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بنى تميم وانما اتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعنى مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا (والله انبتكم من الارض نباتا) اراد مبدا خلق آدم واصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل فى موضع المصدر اى انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهى انه لوقال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثانى اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلايعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) اى فى الارض بعد الموت (ويخرجكم) اى منها يوم البعث (اخراجا) يعنى اخراجا حقا لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اى طرقا واسعة ❊ قوله تعالى (قال نوح رب انهم عصونى) اى لم يجيبوا دعوتى (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) يعنى اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) يعنى كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا بالتشديد والتخفيف والتشديد اشد واعظم فى المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لاتذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس فى مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله (وقالوا) يعنى القادة للاتباع (لاتذرن آلهتكم) اى لاتتركن عبادتها (ولاتذرن

بهبة الاستعداد وتوفيق الهداية الى ازالة الحجب ببعث الرسول وتعليمه اياكم رحيم بافاضة الكمالات مع حصول القبول بتزكية النفوس وتصفية الاستعدادات (ومالكم الاتنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) اى بذلوا اموالهم وانفسهم قبل الفتح المطلق الذى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعراج التام والوصول الى حضرة الوحدة (اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد) لقوة استعدادهم وشدة انوار باطنهم الاصلية عرفوه والفوه بتشام الروح وظهرت عليهم كمالاتهم من غير واسطة تأثيره فيهم وهم الذين غلبت عليهم القوة القدسية التى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار واما الذين انفقوا من بعد فلضعف استعداداتهم وقلة نوريتها احتاجوا الى قوة تأثيره فيهم واخراج كمالاتهم الى الفعل (وقاتلوا وكلا وعد الله) المثوبة (الحسنى) لحصول اليقين وظهور الكمال كيف كان مع

وداولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) هذه اسماء آلهتهم وانما افردها بالذكروان كانت داخلة فى جملة قوله ولاتذرن آلهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة هى اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلماماتوا كان اتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم فى العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة اولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد اماود فكانت لكلب دومة الجندل واماسواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان وامانسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس فى قوله ولاتذرن وداولاسواعاولايغوث ويعوق ونسرا قال كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانو يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبدود وعبد يغوث وعبدالعزى ونحوذلك من الاسماء (وقد اضلوا كثيرا) اى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس (ولاتزد الظالمين الاضلالا) يعنى ولاتزد المشركين بعبادتهم الاصنام الاضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لايؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الامن قدآمن وقيل انما اراد بالضلال فى امر الدنيا وما يتعلق بها لا فى امر الآخرة (مما خطاياهم اغرقوا) اى بالطوفان (فادخلوا نارا) اى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولايمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول اصح (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) يعنى احدا يدور فى الارض فيذهب ويجئ من الدوران وقيل اصله من الدار اى نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير

تفاوت الدرجات بما لا تحصى اذ الآخرون هم الذين حازوا الكمال الخلق فى مقام النفس الذين اقرضوا الله اموالهم رغبة فى الاضعاف من الثواب وكرامة الاجر والاولون هم السابقون الذين تجردوا عنها ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم فى طريق الحق فهم المؤمنون الذين (والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم) لكونهم على الصراط المستقيم متوجهين الى وجه الله بتوحيد الذات والمتأخرون هم الذين يسعى نورهم بايمانهم لكونهم اصحاب اليمين من المؤمنين والمؤمنات الكائنين فى مقام القلب واليقين (بشراكم اليوم) خطاب لكلا الفريقين مع تغليب السابقين لذكر الجنات الثلاث ووصف الفوز بالعظيم اذ عظم الفوز انما هو للفرقة الثالثة واما فوز من دونهم من اصحاب الجنتين فموصوف بالكبير والكريم (جنات تجرى من تحتها

وينشأ الصغير على ذلك ﴿ ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ﴾ انما قال نوح هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام نسائهم وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم نكن معهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب ﴿رب اغفر لي﴾ وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ماصدر مني من ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس اولانه ترك الاحتمال ﴿ ولوالدي﴾ وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمخا بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام من ابائه كافر وكان بينهما عشرة اباء ﴿ ولمن دخل بيتي مؤمنا ﴾ اى دارى وقيل مسجدى وقيل سفينتى ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ وهذا عام فى كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ فى الدعاء ﴿ ولا تزد الظالمين الا تبارا ﴾ اى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم جميعا والله اعلم

تفسير سورة الجن

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن ﴾ اختلف الناس قديما وحديثا فى ثبوت وجود الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا فى ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائى يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهى كونهم حاصلون فى الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوى وسفلى اولا يمتنع فى بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام فى الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة اوشاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية فى تمام الماهية وليست البنية شرط للحياة وهذا قول الاشعرى وجمهور اتباعه وشذ تاويل المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

﴿ فصل ﴾ اختلف الرواة هل راى النبى صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه وقد تقدم حديثه فى تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخارى ومسلم قال ابن عباس ماقرا رسول الله

الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات) اى المستعدون الا قوياء الاستعداد والضعفاء المحجوبون بصفات النفوس وهيآت الابدان المغمسون فى ظلمات الطبائع وغسق الآثام الذين قد بقى فيهم مسكة من نور الفطرة ولم تنطف بالكلية يشتاقون به الى نور الكمال الحاصل لفريق المؤمنين ويلتمسونه ويطلبونه فى حسرات وزفرات عند بروزهم عن حجاب البدن بالموت وظهور الحرمان محبوسين واقفين فى حضيض النقصان متندمين عند تبين الخسران والمؤمنون يمرون كالبرق الخاطف لا يلتفتون اليهم (للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نور كم) بجنسية الاستعداد وظاهر الاسلام (قيل ارجعوا وراءكم) الى الدنيا ومحل الكسب فان النور انما يكتسب بالآلات البدنية والقوى الجسمانية من الحواس الظاهرة والباطنة بالاعمال الحسنة والعلوم الحقة (بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

صلى الله عليه وسلم على الجن ولارآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقدحيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وماذاك الامن شئ قدحدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن زاد فى رواية وانما اوحى اليه قول الجن اخرجاه فى الصحيحين قال القرطبى فى شرح مسلم فى حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذى حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما اعلمه الله عزوجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم وان النبى صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة ومن كفربه فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضى ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبى والله اعلم عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها فى كل سنة مرة فى الجاهلية واول الاسلام وتهامة كل مانزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة وادمن اودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل اوحى الى امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن لتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر مابين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قرأة النبى صلى الله عليه وسلم (فقالوا) اى لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضى الله عنهما بليغا اى ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدى الى الرشد) اى يدعو الى الصواب بمعنى التوحيد والايمان (فآمنا به) اى بالقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) اى ولن نعود الى ماكنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وانه تعالى جد ربنا) اى جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدفينا اى عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد الاينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل الاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علاملك ربنا (مااتخذ صاحبة ولاولدا) اى انه تعالى جلال ربنا وعظمته

هو البرزخ الهيولانى الذى يحتجبون به على حسب اقتضاء هيآتهم الظلمانية (له باب) هو القلب اذلا يطلع من عالم القدس على عالم الرجس الامن طريق القلب (باطنه) وهو عالم القدس (فيه الرحمة) اى النور والروح والريحان وجنة النعيم من المراتب المذكورة (وظاهره) الذى يلى النفس وهو عالم الرجس ومقر تلك النفوس المظلمة من الاشقياء (من قبله) اى من جهته (العذاب) الذى يستحقونه بحسب هيآتهم وتنوعها وهذا الباب لا مفتح له من جهة ظاهره الذى الى الاشقياء بل هو مسدود مغلق لا ينفتح ابدا وامامن جهة باطنه فكلما شاء اهل الجنة من السابقين انفتح لهم فاطلعوا على اهل النار وتعذباتهم ويدخلون عليهم فيتطفئ لهب النار من نورهم بل تحرق نورهم النار بالنسبة اليهم دون الجهنميين فتقول جهنم جز يامؤمن فان نورك اطفألهبى (ينادونهم الم نكن معكم) فى الفطرة الاولى وعين جمع الصفات (قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) ابتليتموها بالذات الحسية والشهوات البدنية والصفات البهيمية والسبعية (وتربصتم)

عن ان يتخذ صاحبة اوولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص (وانه كان يقول سفيهنا) يعني جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) اى كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة الحد فى كل شئ (واناظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اى كنا نظن ان الانس والجن صادقون فى قولهم ان الله صاحبة وولدا وانهم لايكذبون على الله فى ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله ※ قوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب فى الجاهلية كان اذا سافر فامسى فى ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوى باسناد الثعلبى عن كردم بن ابى السائب الانصارى قال خرجت مع ابى الى المدينة فى حاجة وذلك اول ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال ياعامر الوادى جارك فنادى منادلانراه ياسرحان ارسله فأتى الحمل يشتدى حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمته فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن (فزاد وهم رهقا) وذكره ابن الجوزى فى تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعنى عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق فى كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وانهم ظنوا) يعنى الجن (كما ظننتم) اى يامعشر الكفار من الانس (ان لن يبعث الله احدا) يعنى بعد الموت (وانا) يعنى يقول الجن (لمسنا السماء) اى طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام اهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعنى من الملائكة (شديدا وشهبا) اى من النجوم (واناكنا نقعد منها) اى من السماء (مقاعد للسمع) يعنى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما مازاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ماهذا الامن امر قد حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث فى الارض اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه فى شدة الحراسة وكانوا يسترقون فى بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب فى الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية (وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض) اى برمى الشهب (ام اراد بهم ربهم رشدا) ومعنى الآية لاندرى هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم صلاح وخير (وانا منا الصالحون) اى

(وان)

باستيلاء التخيلات من الامآل والامانى الغالبة بدواعى الحسد والطمع (وارتبتم) بالاستيلاء الوهميات على المعقولات وغلبة الاوهام على العقول (وغرتكم الامانى) بدواعى الوهم ومقتضى التخيل (حتى جاء امر الله) من الموت وحصول العقاب (وغركم بالله الغرور فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هى مولاكم وبئس المصير الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولايكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لتأثير الذكر فى القلوب واحيائها (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات) من المؤمنين بالغيب فى مقام النفس لقوله (واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله) من اهل الايقان فى مقام القلب لقوله لهم اجرهم اى من جنة النفس ونورهم من جنة القلب بتجلى الصفات (اولئك هم

المؤمنون المخلصون (ومنا دون ذلك) اى دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين فى الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) اى جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشئ قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا اى سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا فى اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين اى علما وايقنا (ان لن نعجز الله فى الارض) اى لن نفوته ان اراد بنا امرا (ولن نعجزه هربا) اى ان طلبنا فلن نعجزه اينما كنا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به) اى لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) اى نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) يعنى ظلما وقيل مكروها يغشاه (وانا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) اى الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله اندادا (فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) اى قصدوا طريق الحق وتوخوه (واما القاسطون) يعنى الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) يعنى وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد تمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمنى الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر ان يعذب النار بالنار ❊ قوله عز وجل (وان لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التى كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا (لاسقيناهم ماء غدقا) اى لوسعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا يعنى كفار مكة على الطريقة يعنى على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعنى كثيرا وذلك بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا ولاعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه اى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل فى معنى الآية لو استقاموا اى ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتنوا به فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهى طريقة الهدى والقول بان الآية فى الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر (ومن يعرض عن ذكر ربه) اى عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (نسلكه) اى ندخله (عذابا صعدا)

الصديقون) بقوة اليقين (والشهداء) اهل الحضور والمراقبة الذين حجبوا عن الذات والصفات فى مقاماتهم اى ليسوا من اهل الايمان الغيب ولا من اهل الايقان (عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) بجحيم الطبيعة (اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم) لما حقر الحياة الحسية النفسية الفانية وصورها فى صورة الخضراء السريعة الانقضاء دعاهم الى الحياة العقلية القلبية الباقية فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم اى تستر صفات النفس بنور القلب (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) العالم الجسمانى باسره لاحاطة القلب به وبصوره اونفرهم عن الحياة البشرية ودعاهم الى الحياة الالهية

قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة ❊ قوله تعالى ﴿ وان المساجد لله ﴾ يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى ﴿ فلا تدعوا مع الله احدا ﴾ قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فأمر الله عز وجل المؤمنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وان المساجد لله وروى عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره (م) عن العباس بن عبد المطلب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعضاء على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر كف شعره عقصه وغرز طرفه في اعلى الضفيرة وقد نهى عن ذلك ❊ قوله عز وجل ﴿ وانه لما قام عبد الله ﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يدعوه ﴾ يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة ﴿ كادوا ﴾ يعني الجن ﴿ يكونون عليه لبدا ﴾ يعني يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفؤا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض ﴿ قال ﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر ﴿ انما ادعوا ربي ﴾ وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربي ﴿ ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ﴾ اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضررا ولا اسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى ﴿ قل اني لن يجيرني من الله احد ﴾ اي لن يمنعني منه احد ان عصيته ﴿ ولن اجد من دونه ملتحدا ﴾ اي ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه ﴿ الا بلاغا من الله ورسالاته ﴾ اي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله عز وجل فانما انا مرسل لا املك الا ما ملكت ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾

اي سابقوا الى مغفرة تستر ذواتكم ووجوداتكم التي هي اصل الذنب العظيم بنور ذاته وجنة عرضها سموات الارواح وارض الاجساد باسرها اي الوجود المطلق كله الشامل للوجودات الاضافية باجمعها ﴿ اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾ الايمان العلمي اليقيني على الاول والايمان العيني والحق على الثاني ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم ﴾ من الحوادث الخارجية والبدنية والنفسانية ﴿ الا في كتاب ﴾ هو القلب الكلي المسمى باللوح المحفوظ ❊ لتعلموا علما يقينا انه ليس من لكسبكم وحفظكم وحذركم وحراستكم فيما آتاكم مدخل وتأثير ولا لعجزكم واهمالكم وغفلتكم وقلة حيلتكم وعدم احترازكم واحتفاظكم فيما فاتكم مدخل فلا تحزنوا على فوات خير ونزول شر ولا تفرحوا بوصول خير وزوال شر اذ كلها مقدرة من قبل ان نبرها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم

يعنى ولم يؤمن ﴿ فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ يعنى العذاب يوم القيامة ﴿ فسيعلمون ﴾ اى عند نزول العذاب ﴿ من اضعف ناصرا واقل عددا ﴾ اهم ام المؤمنون ﴿ قل ان أدرى ﴾ اى ماادرى ﴿ اقريب ماتوعدون ﴾ يعنى العذاب وقيل يوم القيامة ﴿ ام يجعل له ربى امدا ﴾ اى اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لايعلمه الا الله عز وجل ﴿ عالم الغيب ﴾ اى هو عالم ماغاب عن العباد ﴿ فلا يظهر ﴾ اى فلا يطلع ﴿ على غيبه ﴾ اى الغيب الذى يعلمه وانفرد به ﴿ احدا ﴾ اى من الناس ثم استثنى فقال تعالى ﴿ الا من ارتضى من رسول ﴾ يعنى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على مايشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشرى وفى هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شئ من الارتضاء وادخله فى السخط قال الواحدى وفى هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على مايكون من حياة او موت ونحو ذلك فقد كفر بما فى القرآن فاما الزمخشرى فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه فى الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين فى ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغى ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لادلالة فيها على شئ من ذلك والذى تدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه ان لايظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى لايظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى فى الآية دلالة على انه لايظهر شيأ من الغيوب لاحد ثم انه يجوز ان يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر مايدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن فى امتى احد فانه عمر بن الخطاب اخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى امتى منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم ففى هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولا نسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولا يجوز للولى ان يدعى خرق العادة مع التحدى اذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبى لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن

ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال) اى متبختر من شدة الفرح بما آتاه (فخور) به لعدم يقينه وبعده عن الحق بحب الدنيا وانجذابه الى الجهة السفلية عنافاته للحضرة الالهية واحتجابه بالظلمات عن النور (الذين يبخلون) لشدة محبة المال (ويأمرون الناس بالبخل) لاستيلاء الرذيلة عليهم (ومن يتول) اى يعرض عن الله بالتوجه الى العالم السفلى والجوهر الفاسق الظلمانى (فان الله هو الغنى) عنه لاستغنائه بذاته (الحميد) لاستقلاله بكماله اى يخذله ويمهله (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) بالمعارف والحكم (وانزلنا معهم الكتاب) اى الكتابة (والميزان ليقوم الناس بالقسط) اى العدل لانه آلته (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد) اى السيف لانه مادته وهى الامور التى بها يتم الكمال النوعى وينضبط النظام الكلى المؤدى الى صلاح المعاش والمعاد اذ الاصل المعتبر والمبدا الاول هو العلم والحكمة والاصل المعول عليه فى العمل والاستقامة فى طريق الكمال

فليس بمتمع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى اعلم ❁ قوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) اى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات (رصدا) اى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاء ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم) اى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم (ان) اى ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل (قد ابلغوا رسالات ربهم) فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيوجب فيه الثواب (واحاط بما لديهم) اى علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شئ من امورهم (واحصى كل شئ عددا) قال ابن عباس احصى ماخلق وعرف ماخلق لم يفته شئ حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

❁ تفسير سورة المزمل ❁

❁ هى مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله واصبر على مايقولون وقيل غير آية وهى ان ربك يعلم انك تقوم الآية وهى عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا

❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁

❁ قوله عز وجل (ياايها المزمل) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف قال المفسرون كان النبى صلى الله عليه وسلم يتزمل فى ثيابه اول ماجاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملونى زملونى حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل ياايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة اى حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبى والرسول لانه كان فى اول الامر ومبدئه ثم خوطب بالنبى والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل فى ثوبه فنودى ياايها المزمل (قم الليل) اى للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة فى ابتداء الاسلام (الا قليلا) اى صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى (نصفه) اى قم نصف الليل (او انقص منه قليلا) اى الى الثلث (او زد عليه) اى على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدرى متى ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقرؤا ماتيسر منه قيل ليس فى القرآن سورة نسخ آخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول آخرها ستة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك فى حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على

(النبى)

هو العدل ثم لا ينضبط النظام ولا يتمشى صلاح الكل الا بالسيف والقلم اللذان يتم بهما امر السياسة فالاربعة هى اركان كمال النوع وصلاح الجمهور ويجوز ان تكون البينات اشارة الى المعارف والحقائق النظرية والكتاب اشارة الى الشريعة والحكم العملية والميزان الى العمل بالعدل والسوية والحديد الى القهر ودفع شرور البرية وقيل البينات العلوم الحقيقية والثلاثه الباقية هى النواميس الثلاثة المشهورة المذكورة فى الكتب الحكمية اى الشرع والدينار المعدل للاشياء فى المعاوضات والملك واياما كان فهى الامور المتضمنة للكمال الشخصى والنوعى فى الدارين اذ لا يحصل كمال الشخص الا بالعلم والعمل ولا كمال النوع الا بالسيف والقلم اما الاول فظاهر واما الثانى فلان الانسان مدنى بالطبع محتاج الى التعامل والتعاون لا تمكن معيشته الا بالاجتماع والنفوس اما خيرة احرار بالطبع منقادة للشرع واما شريرة عبيد بالطبع آبية للشرع فالاولى

النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال
انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
الست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت
فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المؤمنين قالت الست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان
الله افترض القيام فى اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا
حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ثم نزل التخفيف فى آخر
هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة * وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا)
قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات واربعا وخمسا وقيل الترتيل
هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره فى اثر بعض بالمد والاشباع
والتحقيق وترتيلا تأكيد فى الامر به وانه لابد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل
اتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلى من حضور القلب والتأمل والفكر فى حقائق الآيات
ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر
الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير
القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع فى القراءة لايحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من
الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

* فصل * (خ) عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا
ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم * عن ام سلمة رضى الله عنها وقد سألها
يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا
هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائى * وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول
مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية ابى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق)
عن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة
الفتح فرجع فى قراءته (ق) عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال انى
لاقرا المفصل فى ركعة قال عبد الله هذا كهذا الشعر ان اقواما يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم
ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ نفع ان افضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر
التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر
عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله
لايجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين نغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت
والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل * عن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه
وسلم بآية من القرآن اخرجه الترمذى وللنسائى عن ابى ذر نحوه وزادوا الآية ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم * عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض

يكفيها فى السلوك طريق
الكمال والعمل بالعدالة
اللطف وسياسة الشرع
والثانية لابدلها من القهر
وسياسة الملك (ومنافع
للناس وليعلم الله من ينصره
ورسله بالغيب ان الله قوى
عزيز ولقد ارسلنا نوحا
وابرهيم وجعلنا فى ذريتهما
النبوة والكتاب فمنهم مهتدو
كثير منهم فاسقون ثم قفينا
على آثارهم برسلنا وقفينا
بعيسى ابن مريم وآتيناه
الانجيل وجعلنا فى قلوب
الذين اتبعوه رأفة ورحمة
ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله فما رعوها حق
رعايتها فآتينا الذين آمنوا
منهم اجرهم وكثير منهم
فاسقون يا ايها الذين آمنوا)
الايمان اليقينى (اتقوا الله)
بالتجرد عن صفاتكم والتنزه
عن ذواتكم (وآمنوا
برسوله) بالاستقامة فى
اعمالكم واحوالكم على
طريق المتابعة (يؤتكم
كفلين من رحمته) فى جنة
النفس (ويجعل لكم نورا)
من انوار الروح وتجليات
الصفات فى مقام القلب
(تمشون به) تسيرون به فى
الصفات (ويغفر لكم) ذنوبكم

فى

وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل ان يقراه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل لقراءته ولا يتأجله اخرجه ابوداود وزاد غيره فى رواية لايجاوز تراقيهم * عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا القرآن وفينا العربى والعجمى فقال اقرؤا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه اخرجه ابوداود * عن ابن مسعود قال لاتنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة * قوله تعالى ﴿ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعنى كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهى فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اى ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين فى صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا فى الوحى وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحى يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهذا اشده على فيفصم عنى وقد وعيت ماقال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد له وجهه وفى رواية كان اذا نزل عليه الوحى عرفنا ذلك فى فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم اى ينفصل عنى ويفارقنى وقد وعيت ماقال اى حفظت وقولها ليتفصد عرقا اى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة فى الالوان غبرة مع سواد * وقوله تعالى ﴿ ان ناشئة الليل ﴾ اى ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التى قبلها وقال ابن ابى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهى عبارة عن الامور التى تحدث وتنشأ فى الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هى قيام آخر الليل وقيل اوله وقيل اى ساعة قام الانسان من الليل فقد نشا روى عن زين العابدين على بن الحسين انه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه (هى اشد وطاء) قرئ بكسر الواو ومع المد يعنى من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل اكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء اى اشد على المصلى واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت

ذنوب ذواتكم (والله غفور) بافناء البقيات (رحيم) بهبة الوجودات الحقانية بعد فناء الانيات (لئلا يعلم اهل الكتاب) اى المحجوبون بالرين عن الحق اوبطريق الضلالة ودين الباطل عن الصراط المستقيم ودين الحق (الا يقدرون على شيء من فضل الله) لانه موهوب لا يمكن اكتسابه (وان الفضل بيد الله) اى فى تصرفه وتحت ملكه وقدرته (يؤتيه من يشاء) موهبة لا كسبا منه (والله ذوالفضل العظيم) الذى هو نهاية الكمال والله تعالى اعلم

﴿ سورة المجادلة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظهرون منكم من نسائهم ماهن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان

صلاتهم اول الليل هى اشدوطأيقول هى اجدر ان يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذانام لايدرى متى يستيقظ وقيل اثبت للغير وا حفظا للقراءة من النهار وقيل هى اوطأللقيام واسهل على المصلى من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل افرغ للقلب من النهار ولايعرض له فى الليل حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الرياء وهو قوله تعالى ﴿ واقوم قيلا ﴾ اى اصوب قراءة واصح قولا من النهار لهداة النــاس وسكون الاصوات وقيل معنــاه بين قولا بالقرآن والحاصل ان عبــادة الليل اشد نشــاطا واتم اخلاصا وابعــد عن الرياء واكثر بركة وابلغ فى الثواب وادخل فى القبول ﴿ان لك فى النهار سبحا طويلا﴾ اى تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فى حوائجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك افضل من الليل ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ اى بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح ﴿وتبتل اليه تبتيلا﴾ قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شئ سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتمــاس ماعندالله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد فى العبادة وقيل يقال للعابد اذاترك كل شئ واقبل على العبادة قدتبتل اى انقطع عن كل شئ الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه فى المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله انبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجئ به على معناه مراعاة لحق النواصل وقيل الاصل فى تبتل ان يقال بتلت تبتيلا وتبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انماعدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى ان المقصود انماهو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لايكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لايكون منقطعا اليه الا انه لابد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه ﴿ رب المشرق والمغرب ﴾ يعنى ان التبتل والانقطاع لايليق الى الله تعالى الذى هو رب المشرق والمغرب ﴿ لااله الاهو فاتخذه وكيلا ﴾ اى فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذيا محمد ربك كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء ﴿واصبر على مايقولون ﴾ اى من التكذيب لك والاذى ﴿ واهجرهم هجرا جميلا ﴾ اى واعتزلهم اعتزالا حسنا لاجزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ اى دعنى ومن كذبك لاتهتم به فانى اكفيكه ﴿ اولى النعمة ﴾ اى اصحاب النعم والترفه نزلت فى صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت فى المطعمين ببدر ﴿ ومهلهم قليلا ﴾ يعنى الى يوم بدر فلم يكن الايسير حتى قتلوا ببدر وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ﴿ان لدينا﴾ اى عندنا فى الآخرة ﴿ انكالا ﴾ يعنى قيودا عظاما ثقالا لاتنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد ﴿ وجحيما وطعاما ذاغصة ﴾ اى غير سائغ فى الحلق لاينزل ولايخرج وهو الزقوم والضريع ﴿ وعذابا اليما ﴾ اى وجيعا ﴿ يوم ترجف الارض والجبال ﴾ اى تزلزل وتحرك وهو يوم القيامة ﴿ وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴾ يعنى رملا سائلا وهو الذى اذا اخذت منه شيأ تبعك مابعده ﴿ انا ارسلنا اليكم ﴾ يعنى يااهل مكة ﴿رسولا﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿شاهدا

تماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا) باماتتهم عن مراقد الابدان (فينبئهم بما عملوا) لانتقاش صور اعمالهم فى الواح نفوسهم (احصاه الله) باثباته فى الكتب الاربعة المذكورة (ونسوه) لذهولهم عنه باشتغالهم باللذات الحسية وانهماكهم فى الشواغل البدنية (والله على كل شئ شهيد) حاضر معه رقيب (الم تر ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الاهو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم) لا بالعدد والمقارنة بل بامتيازهم عنه بتعيناتهم واحتجابهم

عليكم) اى بالتبليغ وايمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى وآذاه لانه رباه (فعصى فرعون الرسول فاخذناه) اى فرعون (اخذا وبيلا) اى شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) اى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم اى فى الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وباى شئ تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم فى الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعنى شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعا وتسعين ومنكم واحدثم قال انتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا اما مايتعلق بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز اهل الجنة من اهل النار واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهى الاثرة فى باطن عضد الحمار وقوله انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهى ان ذلك اوقع فى نفوسهم وابلغ فى اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها واما مايتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث فى قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثانى انه فى القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل فى شدة الامر وهوله يقال فى اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصى الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبى

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد

عنه بما هياتهم وانياتهم وافتراقهم منه بالامكان اللازم لما هياتهم وهوياتهم وتحققهم بوجوبه اللازم لذاته واتصاله بهم بهويته المندرجة فى هوياتهم وظهوره فى مظاهرهم وتستره بماهياتهم ووجوداتهم المتخصصة واقامتها بعين وجوده وايجابهم بوجوبه فبهذه الاعتبارات هو رابع معهم ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم ولهذا قيل لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة وقال امير المؤمنين عليه السلام العلم نقطة كثرها الجاهلون (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) انما نهوا لان التناجى اتصال واتحاد بين اثنين فى امر يختص بهما لايشاركهما فيه ثالث وللنفوس عند الاجتماع والاتصال تعاضد وتظاهر يتقوى ويتأيد بعضها بالبعض فيما هو سبب الاجتماع لخاصية الهيئة الاجتماعية التى لاتوجد فى الافراد فاذا كانت شريرة يتناجون فى الشر ويزداد فيهم الشر ويقوى فيهم المعنى الذى يتناجون به بالاتصال والاجتماع ولهذا ورد بعد

ان هول ذلك اليوم يجعل الولد ان شيبا حقيقة لان الطفل لاتمييزله وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة ايضا وان السماء مع عظمها تنفطر به وتنشق فما ظنك بغيرهـا من الخلائق وقيل تنشق انزول الملائكة وقيل به اى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اى بامره وهيبته (كان وعده مفعولا) اى كائنا لا محالة فيه ولاخلف (ان هذه) اى آيات القرآن (تذكرة) اى مواعظ يتذكر بها (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالايمان والطاعة * قوله تعالى (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) اى اقل من ثلثى الليل (ونصفه وثلثه) اى تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعنى ان العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لايفوته علم مايفعلون فيعلم القدر الذى يقومون من الليل والذى ينامون منه (علم ان لن تحصوه) يعنى ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لايصيب ماامر الله به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) اى فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم مالم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلاة وذلك لان القراءة احد اجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ماتيسر عليكم وقال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن ابى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا فى اول ركعة بالحمد واول آية من البقرة ثم قام فى الثانية فقرا بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا بوجهه فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ماتيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس وذلك فى حق الامة وثبت قيام الليل فى حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثانى ان المراد بقوله فاقرؤا ماتيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لايعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوى باسناده عن انس رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين آية فى يوم اوليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مائة آية كتب من القانتين ومن قرا مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرا خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيى الدين فى كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال فى رواية من قرأ اربعين آية بدل خمسين وفى رواية عشرين وفى رواية عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبر انك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم ارد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان اعبد الناس واقرأ القران فى كل شهر مرة قال قلت يا نبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأ فى كل عشر قال قلت يا نبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه فى سبع ولاتزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف

النهى (ويتناجون بالاثم) الذى هو رذيلة القوى البهيمية (والعدوان) الذى هو رذيلة القوى الغضبية (ومعصيت الرسول) التى هى رذيلة القوة النطقية بالجهل وغلبة الشيطنة الا ترى كيف نهى المؤمنين بعد هذه الآية عن التناجى بهذه الرذائل المذكورة وامرهم بالتناجى بالخيرات ليتقووا بها لهيئة الاجتماعية ويزدادوا فيها فقال (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جنهم يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان معصيت الرسول وتناجوا بالبر) اى الفضائل التى هى اضداد تلك الرذائل من الصالحات والحسنات المخصوصة بكل واحدة من القوى الثلاث (والتقوى) اى الاجتناب عن اجناس الرذائل المذكورة (واتقوا الله) فى صفات نفوسكم (الذى اليه تحشرون) بالاعراب منه عند التجرد منها (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله

فقال تعالى ﴿علم ان سيكون منكم مرضى﴾ يعنى ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عز وجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه ﴿وآخرون يضربون الارض﴾ يعنى المسافرين للتجارة ﴿يبتغون من فضل الله﴾ اى يطلبون من رزق الله وهو الربح فى التجارة ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾ يعنى الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل فى النهار بالاعمال الشاقة فاولم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرا عبد الله وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ﴿فاقرؤا ماتيسر منه﴾ اى من القرآن وانما اعاده للتأكيد ﴿واقيموا الصلاة﴾ يعنى المفروضة ﴿وآتوا الزكوة﴾ اى الواجبة ﴿واقرضوا الله قرضا حسنا﴾ قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق ﴿وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ اى ثوابه واجره ﴿هو خيرا واعظم اجرا﴾ يعنى ان الذى قدمتم لانفسكم خير من الذى اخرتموه ولم تقدموه وروى البغوى بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يارسول الله مامنا احد الاماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ماتقولون قالوا مانعلم الا ذلك يارسول الله قال مامنكم رجل الامال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يارسول الله انما قال مال احدكم ماقدم ومال وارثه مااخر ﴿واستغفروا الله﴾ اى لذنوبكم وتقصيركم فى قيام الليل ﴿ان الله غفور رحيم﴾ اى بجميع الذنوب والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المدثر ﴾

﴿وهى مكية قيل غير آية من آخرها وهى ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة والف حرف وعشرة احرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴿ياايها المدثر﴾ (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت اباسلمة بن عبد الرحمن عن اول مانزل من القرآن قال ياايها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال ابوسلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذى قلت فقال لى جابر لاحدثك الا ماحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم ارشيأ ونظرت عن شمالى فلم ارشيأ ونظرت خلفى فلم ارشيأ فرفعت رأسى فرايت شيأ فاتيت خديجة فقلت دثرونى فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت ياايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفى رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادى وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش فى الهواء يعنى جبريل فاخذتنى رجفة شديدة ( )عن جابر رضى الله عنه من رواية الزهرى عن ابى سلمة عنه قال سمعت رسول الله

وعلى الله فليتوكل المؤمنون ياايها الذين آمنوا اذاقيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) اى افسحوا من ضيق التنافس فى الجاه والنخوة فانه من الهيآت النفسانية واستيلاء القوة السبعية وركود النفس فى ظلمة الانية واحتجابها عن الانوار القلبية والروحية فتنزهوا عنها يفسح الله لكم بالتجريد عن الهيآت البدنية والامداد بالانوار فتنشرح صدوركم وتنفسح ويتسع مكانكم فى فضاء عالم القدس (واذاقيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم) الايمان اليقينى (والذين اوتوا العلم) اى علم افات النفس ودقائق الهوى وعلم التنزه منها بالتجريد (درجات) من الصفات القلبية والمراتب الملكوتية والجبروتية فى عالم الانوار (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم ويعاقبكم بتلك الهيآت (ياايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) لان الاتصال بالرسول فى امر خاص لايكون الالقرب روحانى او مناسبة قلبية اوجنسية

راسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالسا على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى فانزل الله عز وجل ياايها المدثر الى والرجز فاهجر وفى رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلى وذكره وفيه قال ابو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمى الوحى بعد وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضى الله عنها المخرج فى الصحيحين ايضا فى بدء الوحى وسيأتى فى موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا باسم ربك الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذى عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرا باسم ربك الذى خلق كما صرح به فى حديث عائشة وقول من قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن على الاطلاق ضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحى كما صرح به فى رواية الزهرى عن ابى سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله فى الحديث وهو يحدث عن فترة الوحى الى ان قال وانزل الله تعالى ياايها المدثر ويدل عليه ايضا قوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء ثم قال وانزل الله تعالى ياايها المدثر وايضا قوله ثم حمى الوحى بعد وتتابع فالصواب ان اول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرا باسم ربك الذى خلق وان اول ما نزل بعد فترة الوحى سورة المدثر فحصل بهذا الذى بيناه الجمع بين الحديثين والله اعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذى يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحى اى عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه فى النزول قوله فجئثت منه روى بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروى بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله وحمى الوحى بعد وتتابع اى كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرهما وقوله وصبوا على ماء فيه انه ينبغى لمن فزع ان يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله اعلم ٭ واما التفسير فقوله عز وجل ياايها المدثر اصله المتدثر وهو الذى يتدثر فى ثيابه ليستدفئ بها واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثرونى وقيل معناه ياايها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا (قم فانذر) اى حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذى تحملته (وربك فكبر) اى عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك فطهر) فيه اربعة اوجه احدها ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثانى ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز ٭ اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين ٭ الوجه الثانى معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسات وفى الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس فى الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك

نفسانية واياما كان وجبت الصدقة اما الاول والثانى فيجب فيهما تقديم الانسلاخ عن الافعال والصفات والتجرد عن الخارجيات من الا والاموال سبباب وقطع التعلقات المسمى بالترك ثم محو الآثار والهيآت الباقية منها فى النفس المسمى بالتجريد عندهم ثم قطع او النظر عن افعاله صفاته والترقى الى مقام الروح فى الاول والى مقام القلب فى الثانى حتى يصفو له مقام التناجى الروحى مع النبى فى الاسرار الالهية والمسارة القلبية فى الامور الكشفية ولهذا قال ابن ع ر رضى الله عنه كان لعلى عليه السلام ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كانت احب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى واما الثالث فيجب فيه تقديم الخيرات ببذل الاموال شكر التلك النعمة حتى تبقى وتزيد (ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا) فى الاولين للتخلف عن المقامين بالوقوف مع النفس وفى الثالث لشح النفس والفقر (فان الله غفور) للصفات النفسانية بانوار صفاته

فطهر عن ان تكون مغصوبة اومحرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب * الوجه الثالث معناه حل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه * الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لاتلبسها على معصية ولا غدرا اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى

واني بحمد الله لاثوب فاجر * لبست ولامن غدرة اتقنع

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب فى ذلك ان الثوب كالشئ الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كايمال الكرم فى ثوبه والعفة فى ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره * وقوله تعالى (والرجز فاهجر) يعنى اترك الاوثان ولاتقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال (ولاتمنن تستكثر) يعنى لاتعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهى مختص بالنبى صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيأ لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وان يتواضع لذلك الذى اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود فى حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما ربا آن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لاتعط شيأ لمجازاة الدنيا اعط لله واردبه وجه الله وقيل معناه لاتمنن على الله بعملك فتستكثره ولايكثرن عملك فى عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لاتمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من امر الوحى كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لاتمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به وقيل معناه لاتمنن لاتضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لاتمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل (ولربك فاصبر) اى على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عزوجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله (فاذا نقر فى الناقور) اى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهى النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح (فذلك يومئذ) يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة (يوم عسير) اى شديد (على الكافرين) يعنى يعسر عليهم فى ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم (غير يسير) اى هين فان قلت مافائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لايسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين * قوله تعالى (ذرنى ومن خلقت

(رحيم) بافاضة انوار التجليات والمشاهدات والمعارف والمكاشفات الموجبة لوجدان تلك الصدقة فى الاولين او فتور لرذيلة الشح وكربة الفقر رحيم بالتوفيق لاكتساب الفضيلة وتيسيرها واعطاء المال فى الثالث وكذا الاشفاق والتوبة انما يكونان لما ذكرتم امر عارض التخلف المذكور ورذيلة الشح وشدة الفقر اذ بصلاة الحضور والمراقبة فى مقام القلب يحصل الاول وبزكاة الترك والتجريد يحصل الثانى وبطاعة الله ورسوله فى الاعمال الخيرية يحصل الثالث لان الخير عادة وببركة الطاعة ينتفى الفقر لحصول الاستغناء بالله قال الله تعالى من اصلح امر آخرته اصلح الله امر دنياه (ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم) لان الموالاة لا تكون ثابتة حقيقة الا مع الجنسية والمناسبة فاذا كانت وجب

وحيدا) اى خلقته فى بطن امه وحيدا فريدا لامال له ولاولد وقيل معناه خلقته وحدى
لم يشاركنى فى خلقه احد والمعنى ذرنى واياه فانا اكفيكه نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة
المخزومى وكان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) اى كثيرا يمد بعضه بعضا دائما
غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه فقيل كان الف
دينار وقيل اربعة آلاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه
كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان
بالطائف لاتنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) اى حضورا
بمكة لايغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا اى
رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة
وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا)
اى بسطت له فى العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة فى قومه وكان الوليد من
اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش (ثم يطمع) اى يرجو (ان ازيد) اى ازيده مالا
وولدا تمهيدا (كلا) اى لاافعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان
ماله وولده حتى هلك (انه كان لآياتنا عنيدا) اى معاندا والمعنى انه كان معاندا
فى جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكرا للكل وقيل كان كفره
كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر وافحشه (سارهقه
صعودا) يعنى سأكلفه مشقة من العذاب لاراحة له فيها * وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة فى النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا
ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى باسناد
الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سارهقه صعودا قال هو جبل من
نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت
وقال الكلبى الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الكافر ان يصعدها لايترك يتنفس فى صعوده
يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها فى اربعين
عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه
فذلك دأبه ابدا * قوله عز وجل (انه فكر وقدر) اى فكر فى الامر الذى يريده ونظر فيه
وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اى وقدر ذلك الكلام
فى قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم الى قوله المصير قام النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه
يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى
مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا
من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما
يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال ابوجهل انا

ازالتها والاوجب الاحتراز
من سرايتها بالصحبة والموالاة
وانما تمكن الموالاة مع عدمها
اذا كانت بسبب خارجى
من نفع اولذة زالت بزواله
والا لما امكنت ولهذا نفى
الموالاة الحقيقية بينهم بنفى
موجبها فقال ماهم منكم
انما هى محض النفاق
(ويحلفون على الكذب
وهم يعلمون اعد الله لهم
عذابا شديدا انهم ساء ما
كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم
جنة فصدوا عن سبيل الله
فلهم عذاب مهين لن تغنى
عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيأ اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم ويحسبون
انهم على شئ الا انهم هم
الكاذبون استحوذ عليهم
الشيطان) اى الوهم
(فأنساهم ذكر الله) بتسويل
اللذات الحسية والشهوات
البدنية لهم وتزيين الدنيا
وزبرجها فى اعينهم (اولئك
حزب الشيطان الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون
ان الذين يحادون الله
ورسوله اولئك فى الاذلين
كتب الله لاغلبن انا ورسلى
ان الله قوى عزيز لاتجد
قوما يؤمنون بالله واليوم

اكفيكموه فانطلق حتى جاس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى اراك حزينا يا ابن اخى فقال وما يمنعنى ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابى كبشة وابن ابى قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابى جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر اى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر فى نفسه ماذا يمكنه ان يقول فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) اى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على اى حال قدر من الكلام (ثم نظر) اى فى طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) اى كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر فى شئ يدبره (ثم ادبر) اى عن الايمان (واستكبر) اى حين دعى اليه (فقال ان هذا) اى الذى يقوله محمد ويقرؤه (الا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعنى يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى (سأصليه) اى سأدخله (سقر) هو اسم من اسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما ادراك ما سقر) اى وما اعلمك اى شئ هى سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لا تبقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صد عنى واعرض عنى وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار وقيل معناه لا تبقى احدا من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحوم اولئك شيأ الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اى لا تبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهى لا تبقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة اى مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) اى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء فى الآثار اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع من ابن ابى كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعنى الشجعان افيعجز كل عشر منكم ان تبطش بواحد منهم يعنى خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة بن خلف الجمحى انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى انتم اثنين وروى عنه انه قال انا امشى بين ايديكم

الآخر) الايمان اليقينى (يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) لان المحبة امر روحانى فاذا ايقنوا وعرفوا الحق واهله غلبت قلوبهم وارواحهم نفوسهم واشباحهم فمسخت المحبة الروحانية والمناسبة الحقيقية بينهم وبين الحق واهله المحبة الطبيعية المستندة الى القرابة واتصال اللحمة لان الاتصال الروحانى اشد واقوى والذ واصفى من الطبيعى (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان) بالكشف واليقين المذكر للعهد الاول الكاشف عنه (وايدهم بروح منه) لاتصالهم بعالم القدس او بنور تجلى الذات (ويدخلهم جنات) من الجنان الثلاث (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) انهار علوم التوحيد والتشريع (رضى الله عنهم) بمحو صفاتهم بصفاته بنور التجلى (ورضوا عنه) بالاتصال بصفاته (اولئك حزب الله) السابقون الذين لا يلتفتون الى غيره ولا يثبتونه (الا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بالكمال المطلق

على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأنزل الله تعالى (وماجعلنا اصحاب النار الاملائكة) يعني الارجالا آدميين فمن ذايغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة (وماجعلنا عدتهم) اى عددهم في القلة (الافتنة للذين كفروا) اى ضلالة لهم حتى قالوا ماقالوا وقيل فتنتهم هي قولهم لم لم يكونوا عشرين وماالحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هي قولهم كيف يقدر هذا العددا لقليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن افعال الله تعالى لاتعلل ولايقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الآحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لهذه الحكمة وماسوى ذلك من الاعداد فكثير لايدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطى هذا القليل من القوة والقدرة مايقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شئ قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) يعني ان هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل انهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعني من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا في كتابهم واخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ماعندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) اى ولايشك (الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون)يعني في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من اهل الكفر والنفاق (وليقول الذين في قلوبهم مرض) اى شك ونفاق (والكافرون) اى مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فأخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) يعني اى شئ اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعاداله والمعنى اى غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا (كذلك) اى كما اضل من انكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال (وما يعلم جنود ربك الاهو) هذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان الاتسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل

سورة الحشر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) اى نظر بنظر القهر اليهم فتأثروا به لاستحقاقهم لذلك ومخالفة الحبيب ومشاقته ومضادته ولوجود الشك في قلوبهم وكونهم على غير بصيرة من امرهم وبينة من ربهم اذ لوكانوا اهل يقين ماوقع الرعب في قلوبهم ولعرفوا رسول الله بنور اليقين وآمنوا به فلم يخالفوه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) لانه متحقق بالله فكل ما امر به

كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وماهى) يعنى النار (الا ذكرى للبشر) اى الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها (كلا) اى لايتعظون ولايتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفى اصحابه خزنة النار وقيل كلاهنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذا دبر) اى ولى ذاهبا وقيل ادبر بمعنى اقبل تقول العرب ادبرنى فلان اى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار (والصبح اذا اسفر) اى اضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبرى) يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ماانذر بشئ ادهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه ياايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر (لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) اى يتقدم فى الخير والطاعة او يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن اوكفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ماشئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتأخر * قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) اى مرتهنة فى النار بكسبها ومأخوذة بعملها (الا اصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذى عليه واختلفوا فى اصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولاابالى وقيل هم الذين كانوا ميامين اى مباركين على انفسهم وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (فى جنات) اى هم فى بساتين (يتساءلون عن المجرمين) اى يتساءلون الجرمين وعن صلة فيقولون لهم (ماسلككم فى سقر) قيل وهذا يقوى قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التى توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ماسلككم اى يقول المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ماسلككم اى ادخلكم وقيل ماحبسكم فى سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع (قالوا) مجيبين لهم (لم نك من المصلين) اى لله فى الدنيا (ولم نك نطعم المسكين) اى لم نتصدق عليه (وكنا نخوض مع الخائضين) اى فى الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) اى بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة (حتى اتانا اليقين) يعنى الموت قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون

فهو امر الله وما نهى عنه نهى الله لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (للفقراء المهاجرين) اى التاركين المجردين المهاجرين عن مقام النفس (الذين اخرجوا) اى اخرجهم الله اذ لو خرجوا بنفوسهم لاحتجبوا بها وبرؤية الترك والتجريد فوقعوا فى مقام النفس مع حجاب العجب الذى هو اشد من الذنب (من ديارهم واموالهم) من مواطنهم ومألوفاتهم اى صفات نفوسهم ومعلوماتهم (يبتغون فضلا من الله) من العلوم والفضائل الخلقية (ورضوانا) من الاحوال والمواهب السنية من انوار تجليات الصفات (وينصرون الله ورسوله) ببذل النفوس لقوة اليقين (اولئك هم الصادقون) فى الايمان اليقينى لتصديق اعمالهم دعواهم اذ علامة وجدان اليقين ظهور اثره على الجوارح بحيث لاتمكن حركاتها الا على مقتضى شاهدهم من العلم (والذين تبوؤا الدار والايمان) اى المقر الأصلى الذى هو الفطرة الاولى والعهد

روى البغوى بسنده عن انس رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول للرجل منهم يافلان فيقول ماتريد فيقول اماتذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يافلان فيقول ماتريد فيقول اما تذكر رجلا وهب لك وضوا يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (فمالهم عن التذكرة معرضين) اى عن مواعظ القرآن (كانهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرئ بالكسر اى نافرة وقرئ بالفتح اى منفرة مذعورة محمولة على النفار (فرت من قسورة) قيل القسورة جماعة الرماة لاواحدله من لفظه وهى رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هى حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابوهريرة هى الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر فى البلادة والبله وذلك انه لايرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شئ (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يامحمد بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك (كلا) اى لايؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات (بل لايخافون الآخرة) اى لايخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لوخافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت (كلا) اى حقا (انه تذكرة) يعنى انه عظة عظيمة (فمن شاء ذكره) اى اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه (وما يذكرون الا ان يشاء الله) اى الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا (هو اهل التقوى واهل المغفرة) اى هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ماسلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان تتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه * عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقانى فلم يجعل معى الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده سهيل بن عبدالله القطيعى وليس بالقوى فى الحديث وقد تفرد به عن ثابت والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة القيامة مكية ﴾

وهى اربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (لااقسم بيوم القيامة) اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا فى لفظ لافقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض فى كلام العرب واشارهم قال امرؤ القيس

الاول الذى هو محل الايمان وموطنه ولهذا قرنه به فان النفس موطن الغربة (من قبلهم) اى من قبل هجرة المهاجرين من دار الغربة التى هى النفس اليها لان هذه الدار هى الدار الاصلية المتقدمة على ديارهم ولهذا قال عليه السلام حب الوطن من الايمان فهم الذين لم يسقطوا عن الفطرة ولم يحتجبوا بحجاب النفس فى النشأة وبقوا على صفائها بخلاف الاولين الذين تكدروا وتغيروا ثم رجعوا الى الصفاء بالسير والسلوك (يحبون من هاجر اليهم) لوجود الجنسية فى الصفاء وتحقق المناسبة الاصلية والقرابة الحقيقية بالوفاء وتذكر العهد السابق بالموافقة فى الدين والاخاء (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا) اوتى المهاجرون من الحظوظ لسلامة قلوبهم عن آفات النفوس وطهارتها عن دواعى الحرص وتنزهها عن محبة الحظوظ وتيقنها بالاقسام (ويؤثرون على انفسهم) لتجردهم وتوجههم الى جناب القدس وترفعهم عن مواد الرجس وكون

﴿ لا وابيك ابنة العامرى لايدعى القوم انى افر ﴾

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ماذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقول الله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في اوله واجيب عنه بان القرآن في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجئ ذكر الشئ في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله ياايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن ماانت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كانه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوى في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك ❊ وقوله ﴿ ولا اقسم بالنفس اللوامة ﴾ قيل هى التى تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هى التى تندم على مافات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول ياليتنى لم افعل وقال الحسن هى نفس المؤمن ان المؤمن ماتراه الا يلوم نفسه ماأردت بكلامى ماأردت بأكلى وان الكافر يمضى ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هى النفس الشريفة التى تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشريفة التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هى النفس الشقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيامة فتقول ياحسرتا على مافرطت في جنب الله فان قلت اى مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة تظهر احوال النفس اللوامة من الشقاوة او السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكانه قال اقسم بيوم القيمة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى ﴿ ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ﴾ وقيل جواب القسم قوله ﴿ بلى قادرين على ان نسوى بنانه ﴾ ومعنى ايحسب الانسان ايظن هذا الكافر ان العظام

الفضيلة لهما امرا ذاتيا باقتضاء الفطرة وفرط محبة الاخوان بالحقيقة والاعوان في الطريقة ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ فتقديمهم اصحابهم على انفسهم لمكان الفتوة وكمال المروة وقوة التوحيد والاحتراز عن حظ النفس وخوف الرجوع الى المطالب الجزئية بعد وجدان الذوق من المطالب الكلية ﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ بعصمة الله وكلاءته فان النفس مأوى كل شر ووصف ردئ وموطن كل رجس وخلق دنئ والشح من غرائزها المعجونة في طينتها لملازمتها الجهة السفلية ومحبتها الحظوظ الجزئية فلا ينتفى منها الا عند انتفائها ولكن المعصوم من تلك الآفات والشرور من عصمه الله ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ بالكمالات القلبية ﴿ والذين جاؤا من بعدهم ﴾ بعد الذين هاجروا الى الفطرة اى اخذوا في السلوك وقطع منازل النفس متضرعين قائلين بلسان الافتقار ﴿ يقولون ربنا اغفر لنا ﴾ هيآت الرذائل وصفات النفوس بأنوار القلوب ﴿ ولاخواننا الذين

بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد مانسفتها الريح فطيرتها في اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اى لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وماعلم ان القادر على الابداء قادر على الاعادة نزلت هذه الآية في عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة وهو ختن الاخنس ابن شريق الثقفى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنى جارى السوء يعنى عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثنى متى تكون القيامة وكيف امرها وحالها فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم فقال عدى بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم او من بك او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعنى هذا الكافر ان لن نجمع عظامه يعنى بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفوس ولا يستوى الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق هذا قول المنكر او يجمع الله العظام بلى قادرين يعنى على جمع عظامه وتأليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ماهو اعظم من ذلك وهو ان نسوى بنانه يعنى انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه اظن الكافر ان لن نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى تستوى البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه آخر مايتم به الخلق * قوله تعالى (بل يريد الانسان ليفجر امامه) اى ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ماعاش لا ينزع عن المعاصى ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسئل ايان يوم القيامة) اى متى يكون يوم القيامة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعدا لقيام الساعة قال الله تعالى (فاذا برق البصر) اى شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التى كان يكذب بها فى الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق اى شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) اى اظلم وذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) يعنى اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فهناك نار الله الكبرى (يقول الانسان) يعنى الكافر المكذب (يومئذ) اى يوم القيامة (اين المفر) اى المهرب وهو موضع الفرار (كلا) اى لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله (لا وزر) اى لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس الب علينا فيك ليس لنا * الا السيوف واطراف القنا وزر

سبقونا بالايمان) ذنوب التلوينات بظهور تلك الصفات والضلالة بعد الهدى (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) بالاحتجاب بالهيآت السبعية والشيطانية ورسوخها فى قلوبنا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف) تستر تلك الهيآت بأنوار الصفات (رحيم) بافاضة الكمالات واراءة التجليات (الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لاحتجابهم بالخلق عن الحق بسبب جهلهم بالله وعدم معرفتهم له اذ لو عرفوه لعلموا ان لا مؤثر غيره ولا قدرة ولا عظمة وقدرته ولم يبق عظم الخلق ولا اثرهم وقدرهم عدهم كما قال امير المؤمنين عليه السلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق

ومعنى الآية انه لاشئ يعصمهم من امر الله تعالى لاحصن ولاجبل يوم القيامة يستندون اليه
من النار (الى ربك يومئذ المستقر) يعنى مستقر الخلق وقال عبدالله بن مسعود اليه المصير
والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اى موضع قرارهم من جنة اونار
وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله (ينبؤا الانسان
يومئذ بما قدم واخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح اوسيئ
ومااخر بعد موته من سنة حسنة اوسيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بماقدم من المعصية
واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله وآخره
وهوماعمله فى اول عمره وفى آخره وقيل بماقدم من ماله لنفسه قبل موته وماأخر من ماله لورثته
(بل الانسان على نفسه بصيرة) اى بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون
عليه بعمله وهى سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء فى البصيرة لان المراد من الانسان
جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفى رواية عن ابن عباس بل الانسان
على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة (ولو القى معاذيره) يعنى ولو اعتذر بكل عذر وجادل
عن نفسه فانه لاينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه مايكذب
عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور
واغلق الابواب ليخفى مايعمل فان نفسه شاهد عليه وفى هذا فى حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة
فتشهد عليه جوارحه بما عمل فى الدنيا * قوله عز وجل (لاتحرك به لسانك لتعجل به) (ق) عن ابن
عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل لاتحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج
من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه
قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله
عليه وسلم كما اقرأه وفى رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى
وقال فيه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى كان ممايحرك لسانه وشفتيه
فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التى فى لاأقسم بيوم القيامة لاتحرك به
لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا ان نجمعه فى صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق
فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفى رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت
منه فقيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه اى نجمعه فى صدرك وقرآنه اى
تقرأه ومعنى الآية لاتحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة
الحال عليه لتعجل به اى بأخذه (ان علينا جمعه) اى جمعه فى صدرك وحفظك اياه (وقرآنه)
اى وقراءته عليك والمعنى سنقرئك يامحمد بحيث تصير لاتنساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) اى
لاتكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا
فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحى

فى عينك (لا يقاتلونكم
جميعا الا فى قرى محصنة
او من وراء جدر بأسهم
بينهم شديد) لكونهم غير
مقهورين هناك بقهر الله
ولاواقعا ظل قهر الرسول
وهيبته وعكس نور تأييده
وتنور نفسه بالاتصال بعالم
القدس عليهم (تحسبهم
جميعا) لاتفاقهم فى الظاهر
(وقلوبهم شتى) لانتفاء
الجمعية الحقيقية بنور التوحيد
عنها وتجاذب دواعيها لتفنن
تعلقاتها بالامور السفلية
وتفرقها عن الحق بالباطل
لاحتجابها بالكثرة عن
الوحدة (ذلك بأنهم قوم
لايعقلون) فيختارون طريق
التوحيد العلمى ويتنحون
عن السبل المتفرقة الوهمية
فان طريق العقل واحد
وطرق شيطان الوهم
متفرقة وتشتت القلوب
يوهن العزائم ويضعف
القوى (كمثل الذين من
قبلهم قريبا ذاقوا وبال
امرهم ولهم عذاب اليم
كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر
قال انى برئ منك انى اخاف
الله رب العالمين) اى مثل
اخوانهم المنافقين فى اغوائهم
كمثل الشيطان اى الوهم

ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه (ثم ان علينا بيانه) اى ان نبينه بلسانك فتقرأه كما اقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شئ من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شئ سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك ❊ قوله تعالى (كلا) اى حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) اى تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة (وجوه يومئذ) اى يوم القيامة (ناضرة) من النضارة وهي الحسن وقال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها ناظرة) قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وابى صالح انهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امر لها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهرى ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشئ بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اى انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة * للورد طال بها حوزى وتنساسى

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكر فيه وتدبرا بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون ان يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

﴿ فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة ﴾ قال علماء اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها في الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذى قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة وقيل

الانسانى ازين للانسان حال كونه على الفطرة اللذات الحسية والشهوات البدنية وحرضه على مخالفة العقل بالهوى والاحتجاب بالطبيعة ليقع في الردى فلما احتجب بها عن الحق وانغمس في ظلمة النفس تبرأ منه بادراك المعانى دونه والتقرب الى جناب الحق بالترقى الى الافق العقلى والاطلاع على بعض الصفات الالهية واستشعار الخوف بادراك آثار العظمة والقدرة وانوار الربوبية (فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها) لكونهما جسمانيين ملازمين للطبيعة ونيرانها المتفننة وآلامها المتنوعة (وذلك جزاء الظالمين) الذين وضعوا العبادة غير موضعها فعبدوا صنم الهوى وطاغوت البدن واتخذوا آلهتهم اهواءهم (يا ايها الذين آمنوا) الايمان الغيبى التقليدى (اتقوا الله) في اجتناب المعاصى والسيآت والرذائل واكتساب الحسنات والطاعات والفضائل (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) لما بعد الموت من الصالحات (واتقوا الله) في الاحتجاب بالاعراض

باقى شبههم واجوبتها مشهورة مستفاضة فى كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئى ولاغير ذلك واما الاحاديث الواردة فى اثبات الرؤية فمنها ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وقال وقدروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير ابن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لاتضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لاينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لاينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لاتشبيه المرئى بالمرئى * عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان اناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه الترمذى وليس عنده فى اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقدروى مثل هذا الحديث عن ابى سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد اخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد * عن ابى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال ياابارزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابوداود (م) عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيأ ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث فى الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم * قوله عزوجل (ووجوه يومئذ باسرة) اى عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما ادركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار (تظن) اى تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (ان يفعل بها فاقرة) ان يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذى يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هى ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) اى حقا (اذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

والاعراض وتوسيط الحق للمشتبهات (ان الله خبير بما تعملون) بأعمالكم ونياتكم فيجازيكم بحسبها كما قال عليه السلام لكل امرئ مانوى او آمنوا الايمان التحقيق اتقوا الله فى الاحتجاب عنه بأفعالكم وصفاتكم ولتنظر نفس ماقدمت لغد من محقرات الاعمال والصفات فانها حجب حاجزة ووسائل مردودة مذمومة واتقوا الله فى البقيات والتلوينات فان الله خبير بما تعملون بنفوسكم وما تعملون به لابنفوسكم (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) بالاحتجاب بالشهوات الجسمانية والاشتغال باللذات النفسانية (فأنساهم انفسهم) حتى حسبوها البدن وتركيبه ومزاجه فذهلوا عن الجوهرة القدسية والفطرية النورية (اولئك هم الفاسقون) الذين خرجوا عن الدين القيم الذى هو فطرة الله التى فطر الناس عليها وخانوا وغدروا وجاسوا ونبذوا عهد الله وراء ظهورهم فخسروا (لا يستوى) الناسون الغادرون الذين هم (اصحاب

ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقى

(وقيل) يعنى وقال من حضره (من راق) اى هل من طبيب يرقيه ويداويه مما انزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب (وظن) اى ايقن الذى بلغت روحه التراقى (انه الفراق) يعنى الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد (والتفت) اى اجتمعت (الساق بالساق) اى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ماهو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الآخرة وكان فى آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا فى الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى (الى ربك يومئذ المساق) اى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم * قوله تعالى (فلا صدق ولا صلى) يعنى اباجهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) اى اعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى اهله يتمطى) اى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل اصله يتمطط اى يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه (اولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يليه مايكرهه وقيل معناه انك اجدر بهذا العذاب واحق واولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية اخذ بمجامع ثوب ابى جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فأولى (ثم اولى لك فأولى) قال فقال ابوجهل اتوعدنى يا محمد والله ماتستطيع انت ولاربك ان تفعلا بى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اشد وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابوجهل (ايحسب الانسان ان يترك سدى) اى هملا لايؤمر ولاينهى ولايكلف فى الدنيا ولايحاسب فى الآخرة (الم يك نطفة) اى ماء قليلا (من منى يمنى) اى يصب فى الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقة) اى صار الانسان علقة بعد النطفة (فخلق فسوى) اى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه (فجعل منه) اى من الانسان (الزوجين) اى الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والانثى) اى خلق من مائه اولادا ذكورا واناثا (اليس ذلك) اى الذى فعل هذا وانشأ الاشياء اول مرة (بقادر على ان يحيى الموتى) اى بقادر على اعادته بعد الموت * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لااقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل

النار) المؤمنون المحققون المتقون الموفون بعهدهم الذين هم (اصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون) والخاسرون لفرط غفلتهم وذهاب تمييزهم كانهم لايفرقون بين الجنة والنار والا لعملوا بمقتضى تمييزهم (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) اى قلوبهم اقسى من الحجر فى عدم التأثر والقبول اذ الكلام الالهى بالغ من التأثير مالا امكان للزيادة وراءه حتى لو فرض انزاله على جبل لتأثر منه بالخشوع والانصداع (هو الله الذى لااله الا هو) لما كان الاسلام مبنيا على الجمع والتفصيل كثر تكرارهما فى المبانى اى لااله فى الوجود الا هو فجمع ثم فصل بقوله (عالم الغيب والشهادة) والعلم مبدأ التفصيل اذ عالميته هى تميز الحقائق واعيان الماهيات فى عين الجمع اى صور الماهيات فى عالم الغيب عن عالميته ووجوداتها فى عالم الشهادة هى بعينها ظهرت فى مظاهر محسوسة لابمعنى الانتقال بل بمعنى الظهور

بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فباى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله اخرجه ابو داود *وله عن موسى بن ابى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة هل اتى وتسمى سورة الانسان ايضا ﴾

وهى مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكى ومدنى فالمكى منها قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا وباقيها مدنى قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدنى من اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكى حكاه الماوردى وهى احدى وثلاثون آية ومائتان واربعون كلمة والف اربعة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ هل اتى ﴾ اى قد اتى ﴿ على الانسان ﴾ يعنى آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ حين من الدهر ﴾ يعنى مدة اربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن انس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم فى الجنة تركه ماشاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما رآه اجوف عرف انه خلق لا يتمالك قوله يطيف به اى يدور حوله فلما رآه اجوف اى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك اى لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروى فى تفسير الآية ان آدم بقى اربعين سنة طينا واربعين سنة حمأ مسنونا واربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ﴿ لم يكن شيأ مذكورا ﴾ اى لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيأ ولم يكن شيأ يذكر روى عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعنى ليته بقى على ما كان عليه وروى نحوه عن ابى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان وهم بنو آدم بدليل قوله ﴿ انا خلقنا الانسان ﴾ فالانسان فى الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيأ مذكورا يعنى انهم كانوا نطفا فى الاصلاب ثم علقا ومضغا فى الارحام لم يذكروا بشئ انا خلقنا الانسان يعنى ولد آدم ﴿ من نطفة ﴾ اى من منى الرجل ومنى المرأة ﴿ امشاج ﴾ اى اخلاط قال ابن عباس وغيره يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقيل هى نطفة مشجت اى خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج ﴿ نبتليه ﴾

والبطون كظهور الصورة المعلومة على القرطاس بالكتابة فكل ماظهر فعن علمه السابق ظهر (هو الرحمن) بافاضة وجودات الماهيات وصورها النوعية على المظاهر باعتبار البداية (الرحيم) بافاضة كمالاتها فى النهاية ثم كرر التوحيد الذاتى باعتبار الجمع لينبه على ان هذه الكثرة المعتبرة باعتبار تفاصيل الصفات لاتنافى وحدته الذاتية كالاضافيات والسلبيات المعدودة بعده (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) اى الغنى المطلق الذى يحتاج اليه كل شئ المدبر للكل فى ترتيب النظام الحكمى الذى لا يمكن كون اتم واكمل منه (القدوس) المجرد عن المادة وشوائب الامكان فى جميع صفاته فلا يكون شئ من صفاته بالقوة وفى وقت دون وقت (السلام) اى المبرأ عن النقائص كالعجز (المؤمن) لاهل اليقين بانزال السكينة (المهيمن) الحافظ لمن امنه على حالة الامن من كل مخوف (العزيز) القوى الذى يغلب ولا يغلب (الجبار) الذى يجبر كل

اى لنختبره بالامر والنهى (فجعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبليه لان الابتلاء لايقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه اناخلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه مايصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها (اناهديناه السبيل) اى بيناله سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لايطلق اسم السبيل الاعليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وانزال الكتب (اماشاكرا واما كفورا) يعنى اماموحدا طائعالله واما مشركا بالله فى علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل فى معنى الآية اماؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء اى بيناله الطريق ان شكر اوكفر وقيل المراد من الشاكر الذى يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذى لايقر بوجوب الشكر عليه ثم بين مالالفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر فقال تعالى (انا اعتدنا) اى هيأنا فى جهنم (للكافرين سلاسل) اى يشدون بها (واغلالا) اى فى ايديهم تغل بها الى اعناقهم (وسعيرا) يعنى وقودا لاتوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ماعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى (ان الابرار) يعنى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع فى الطاعة (يشربون من كأس) يعنى فيها شراب (كان مزاجها كافورا) قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال اهل المعانى اراد كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لايشرب وقال ابن عباس هو اسم عين فى الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التى تسمى كافورا ولايكون فى ذلك ضرر لان اهل الجنة لايمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ماعنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل (عينا) بدلا من الكافور وقيل اعنى عينا (يشرب بها) اى يشرب منها (عبادالله) قال ابن عباس اولياء الله (يفجرونها تفجيرا) اى يقودونها الى حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لايمتنع عليهم * قوله تعالى (يوفون بالنذر) لما وصف الله تعالى ثواب الابرار فى الاخرة وصف اعمالهم فى الدنيا التى يستوجبون بهذا الثواب والمعنى كانوا فى الدنيا يوفون بالنذر والنذر الايجاب والمعنى يوفون بمافرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرذلك من الواجبات وقيل النذر فى عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيأ ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله على كذا وكذا من صدقة او صلاة اوصوم اوحج اوعمرة يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضى اوقدم غائبى كان لله على كذا واونذر فى معصية لايجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصى الله فلا يف به وفى رواية فليطعه ولايعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانذر فى معصية الله

احد على ماأراد (المتكبر) المتعالى عن ان يصل اليه غيره ويقارنه فى الوجود (سبحان الله عما يشركون) باثبات الغير (هو الله الخالق) المقدر المظاهر على حسب ماأراد ظهوره من اسمائه وصفاته (البارئ) المفصل المميز بعضها عن بعض بالهيآت المتميزة فى عين ذاته (المصور) لصورة تفاصيل مظاهر صفاته (له) هذه (الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الظاهرة فى صور المخلوقات المصورة الباطنة فى صور المبدعات المغيبة ليسبح ذاته على لسان اسمائه وصفاته والله اعلم

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) عدو الله هو الذى خالف عهده واعرض بقلبه عن جنابه فبالضرورة يكون مشركا بمحبة الغير وعدوا للكل موحد ينفى الغير لكون كل منهما فى عدوة حينئذ ولهذا قال (عدوى وعدوكم) واشار الى كون الموالاة بينهما عرضيا لاذاتيا بقوله

وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذى وابوداود والنسائى (ق) عن ابن عباس قال استفتى
سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره
ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفى الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة فى وصفهم
باداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ﴿ ويخافون يوما كان
شره مستطيرا ﴾ اى منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه فى اهل السموات واهل الارض
وفى اولياء الله واعدائه وقيل فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة
وكورت الشمس والقمر وفى الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شئ على الارض
من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته * قوله عز وجل
﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ اى حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى
بانهم يؤثرون غيرهم على انفسهم بالطعام ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع
الاحسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اى لحب الله
﴿ مسكينا ﴾ يعنى فقيرا وهو الذى لا مال له ولا يقدر على الكسب ﴿ ويتيما ﴾ اى صغيرا وهو الذى
لا اب له يكتسب له وينفق عليه ﴿ واسيرا ﴾ قيل هو المسجون من اهل القبلة يعنى من المسلمين
وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله بالاسرى ان يحسن اليهم وان اسرهم يومئذ اهل
الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرى وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز
ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المرأة
لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان يعنى اسرى وقيل غريمك
اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى رجل من الانصار
يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاءه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة
ارغفة وبقى له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروى عن ابن عباس انها نزلت فى على بن
ابى طالب رضى الله تعالى عنه وذلك انه عمل ليهودى بشئ من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه
ثلثه واصلحوا منه شيأ يأكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثانى فلما فرغ اتى
يتيم فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقى فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسأل فاعطوه ذلك
وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل من اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى
وآثر على نفسه ﴿ انما نطعمكم لوجه الله ﴾ اى لاجل وجه الله تعالى ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾
قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين
من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدى بهم غيرهم فى ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون
لاجل الله تعالى لا يراد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافأة او لطلب الحمد من الناس
او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴿ انا نخاف من ربنا يوما ﴾ يعنى ان احساننا
اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم ﴿ عبوسا ﴾ وصف ذلك اليوم بالعبوس
مجازا كما قال نهاره صائم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف
اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة ﴿ قمطريرا ﴾ يعنى شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه

(تلقون اليهم بالمودة) ثم
بين امتناع كونه ذاتيا
ببيان المنافاة الذاتية بينهما
وعدم المناسبة والجنسية
من جميع الوجوه بقوله
(وقد كفروا بما جاءكم من
الحق يخرجون الرسول
واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم
ان كنتم خرجتم جهادا فى
سبيلى وابتغاء مرضاتى
تسرون اليهم بالمودة وانا
اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم)
ثم اشار الى ان وقوعها
لا يكون الا عند الجنسية
وحدوث الميل الى الشرك
فان وقعت فلابد لها بقوله
(ومن يفعله منكم فقد ضل
سواء السبيل) اى طريق
الوحدة ثم اشار الى ان
العرضية لا يجوز ان يختارها
اهل التحقيق لان السبب
الموجب لها امور فانية
لا يبقى نفعها الا فى الدنيا
والعاقل يجب ان يختار
الامور الباقية دون الفانية
بقوله (ان يثقفوكم يكونوا
لكم اعداء ويبسطوا اليكم
ايديهم والسنتهم بالسوء
وودوا لو تكفرون لن
تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم)
اى لا تنفع لمن اخترتم موالاة
العدو الحقيق لاجله لان
القيامة الصغرى مفرقة

بالتعبس وقيل العبوس الذى لاانبساط فيه والقمطرير الشديدوقيل هواشد مايكون من الايام واطوله فى البلاء (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) اى الذى يخافونه (ولقاهم نضرة) اى حسنا فى وجوههم (وسرورا) اى فى قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) اى على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذروالايثار (جنة وحريرا) اى ادخلهم الجنة والبسهم الحرير (متكئين فيها) اى فى الجنة (على الارائك) جمع اريكة وهى السرر فى الحجال ولاتسمى اريكة الا اذا اجتمعا (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يعنى لايؤذيهم حر الشمس ولابرد الزمهرير كما كان يؤذيهم فى الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشرى قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه فى لغة طيئ وانشد

وليلة ظلامها قداعتكر * قطعتها والزمهرير مازهر

والمعنى ان الجنة ضياء لايحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) اى قريبة منهم ظلال اشجارها (وذللت) اى سخرت وقربت (قطوفها) اى ثمارها (تذليلا) اى يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا وعلى اى حال ارادوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب) قيل هى الكيزان التى لاعرا لها كالقدح ونحوه (كانت قواريرا قوارير من فضة) قال اهل التفسير ارادبياض الفضة فى صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى ان آنية اهل الجنة من فضة بيضاء فى صفاء الزجاج والمعنى يرى ما فى باطنها من ظاهرها قال الكلبى ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التى فى الدنيا من الرمل والقوارير التى فى الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج (قدروها تقديرا) اى قدروا الكؤس على قدرريهم وكفايتهم لاتزيدولاتنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم (ويسقون فيها) اى فى الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التى يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل فى شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل * باتابفيها واريامشورا

الارى العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن عباس

فكان طعم الزنجبيل به * اذذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عندالعرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب اهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ماذكر الله تعالى فى القرآن مما فى الجنة وسماه ليس له مثل فى الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لايشبه زنجبيل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) اى سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنات وقيل سميت بذلك لانها فى غاية السلاسة تتسلسل فى الحلق ومعنى تسمى توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) اى فى الخدمة

بينكم تفريقا ابديا لعدم الاتصال الحقيقى الباقى بعد الموت بينكم وهذا معنى قوله (يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) اى يفصل الله بينكم وبين ارحامكم واولادكم كما قال يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ثم علمهم طريق التوحيد بالتأسى بالموحد الحقيقى الصادق ابراهيم النبى عليه السلام واصحابه (قدكانت لكم اسوة حسنة فى ابرهيم والذين معه اذقالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الاقول ابرهيم لابيه لأستغفرن لك) اى لاطلبن لك الغفران بمحو صفاتك وسيآت اعمالك بالنور الالهى (وما املك لك من الله من شئ) الا الطلب واما وجود ذلك فأمر متعلق بمشيئة الله وعنايته كما انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء (ربنا عليك توكلنا) بالخروج عن افعالنا بشهود افعالك (واليك انبنا) بمحو صفاتنا بمطالعة صفاتك

وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون ﴿ اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴾ يعنى فى بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان اصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتثارهم فى الخدمة ❊ قوله عز وجل ﴿ واذا رأيت ﴾ قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت ببصرك ونظرت به ﴿ثم﴾ يعنى الى الجنة ﴿ رأيت نعيما ﴾ اى لا يوصف عظمه ﴿ وملكا كبيرا ﴾ قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال ولا انتقال ﴿ عاليهم ﴾ اى فوقهم ﴿ ثياب سندس خضر ﴾ وهو مارق من الديباج ﴿ واستبرق ﴾ وهو ماغلظ منه وكلاهما داخل فى اسم الحرير ﴿ وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ يعنى طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدى ولم تدنسه الا رجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد ﴿ ان هذا كان لكم جزاء ﴾ اى يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد اعده لهم فى الآخرة ﴿ وكان سعيكم مشكورا ﴾ اى شكرتكم عليه واثبتكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات ❊ قوله عز وجل ﴿ انا نحن نزلنا عليك ﴾ اى يا محمد ﴿ القرآن تنزيلا ﴾ قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شئ بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذى انزله اليه وحى منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التى حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ اى لعباداته فهى من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك فى تأخير الاذن فى القتال وقيل هو عام فى جميع التكاليف اى فاصبر لحكم ربك فى كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ﴿ ولا تطع منهم آثما او كفورا ﴾ يعنى وكفورا قيل اراد به اباجهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه ابوجهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلى لاطأن عنقه وقيل اراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ماصنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتى واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصى اى

﴿والیك المصير﴾ بفناء ذواتنا ووجوداتنا فى ذاتك وهو التوحيد التام ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ اى انا لا نخافهم ولا نرى لهم تأثيرا ولا وجودا ولكننا نعوذ بعفوك من عقابك حتى لا تعاقبنا بهم ولا تبلينا بأيديهم بسبب ما فرط منا من السيآت والظهور بالصفات ﴿واغفر لنا﴾ ذنوب تفريطاتنا بالعقوبة ﴿ربنا انك انت العزيز﴾ القوى على عقابنا بهم وعلى دفعهم عنا وقمعهم وقهرهم ﴿الحكيم﴾ لا يفعل احد الامرين ولا يختاره الا بمقتضى الحكمة ثم كرر وجوب التأسى بابراهيم واصحابه واثبته لمن كان فى بداية التوحيد فى مقام الرجاء وتوقع الكمال ﴿لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ برفع موجب العداوة الذى هو الكفر اذ الاحتجاب ليس امرا فطريا بل الايمان بمقتضى الفطرة الاصلية والحجاب وانما حدث الكفر عند الاحتجاب

معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه ﴿ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ﴾ قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة الظهر والعصر ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه ولسانه * قوله عز وجل ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ يحبون العاجلة ﴾ يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ﴿ ويذرون وراءهم ﴾ يعني امامهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له ﴿ نحن خلقناهم وشددنا ﴾ اي قوينا واحكمنا ﴿ اسرهم ﴾ اي خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا ﴿ واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ﴾ اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ﴿ ان هذه ﴾ اي السورة ﴿ تذكرة ﴾ اي تذكير وعظة ﴿ فمن شاء اتخذ ﴾ اي لنفسه في الدنيا ﴿ الى ربه سبيلا ﴾ اي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما تمسك بها القدريه يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة ورد عليهم قوله عز وجل في سياق الآية ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ اي لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد لجميع مايصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه ﴿ ان الله كان عليما ﴾ اي باحوال خلقه ومايكون منهم ﴿ حكيما ﴾ اي حيث خلقهم مع علمه بهم ﴿ يدخل من يشاء في رحمته ﴾ اي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت الجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق ﴿ والظالمين ﴾ يعني المشركين ﴿ اعد لهم عذابا اليما ﴾ اي مؤلما والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المرسلات ﴾

مكية وهي خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا ﴾ اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها * الاول ان المراد باسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي ارسلها نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد في القلوب فيلجؤن الى الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح

بالنشأة والانغمار في الغواشي الطبيعية ﴿ والله قدير ﴾ قادر على رفعها واذا ارتفعت ظهرت المودة الحقيقية بنور الوحدة الذاتية ومقتضى الاخوة الايمانية ﴿ والله غفور ﴾ يستر تلك الهيآت المظلمة الخارجية بنور صفاته ﴿ رحيم ﴾ يرحم اهل النقصان فيجبره بافاضة كمالاته ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ﴾ لان العدالة هي ظل المحبة والمحبة ظل الوحدة فاظهرت العدالة في مظهر الا وقد تعلقت محبة الله به او لا اذ لا ظل بغير الذات والله تعالى اعلم ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن

كانها القت الذكر والمعرفة فى القلوب عند هبوبها * الوجه الثانى ان المراد باسرها الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفا الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقى هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم * الوجه الثالث ان المراد باسرها آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعنى ان آيات القرآن تنشر انوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى آيات القرآن وهى الذكر الحكيم الذى يلقى الايمان والنور فى قلوب المؤمنين * الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيأ واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما فى القسم عذرا او نذرا اى الاعذار والانذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى (انما توعدون) اى من امر الساعة ومجيئها (لواقع) اى لكائن نازل لامحالة وقيل معناه ان ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) اى محى نورها وقيل محقت (واذا السماء فرجت) اى شقت وقيل فتحت (واذا الجبال نسفت) اى قلعت من اماكنها (واذا الرسل اقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم (لاى يوم اجلت) اى اخرت وضرب الاجل لجمعهم كانه تعالى يعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى (وما ادراك ما يوم الفصل) اى وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) اى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب * قوله تعالى (ألم نهلك الاولين) يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش اى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين) اى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (الى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لايعلم ذلك غيره (فقدرنا) قرئ بالتشديد من التقدير اى

اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور

﴿ سورة الصف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) من لوازم الايمان الحقيقى الصدق وثبات العزيمة اذ خلوص الفطرة عن شوائب النشأة يقتضيهما وقوله لم تقولون ما لا تفعلون

قدرناذلك تقديرا ﴿فنعم القادرون﴾ اى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة اى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه فى احسن صورة وهيئة ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ اى المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة ﴿الم نجعل الارض كفاتا﴾ يعنى وعاء واصله الضم والجمع ﴿احياء وامواتا﴾ يعنى تكفتهم احياء على ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها ﴿وجعلنا فيها﴾ اى فى الارض ﴿رواسى شامخات﴾ يعنى جبالا عاليات ﴿واسقيناكم ماء فراتا﴾ يعنى عذبا ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ يعنى ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث * قوله عز وجل ﴿انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون﴾ يعنى يقال للمكذبين يوم القيامة فى الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله ﴿انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب﴾ يعنى دخان جهنم اذا سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ﴿لا ظليل﴾ اى ان ذلك الظل لا يظل من حر ﴿ولا يغنى من اللهب﴾ اى لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب ﴿انها﴾ يعنى جهنم ﴿ترمى بشرر﴾ جمع شرارة وهى ما تطاير من النار ﴿كالقصر﴾ يعنى كالبناء العظيم ونحوه وقيل هى اصول النخل والشجر العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر ﴿كانه﴾ يعنى الشرر ﴿جمالات﴾ جمع الجمال وقال ابن عباس هى حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الجمال ﴿صفر﴾ جمع اصفر يعنى ان لون ذلك الشرر الصفر وانشد بعضهم

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء فى الحديث ان شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شئ من الصفرة وقيل هى قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شئ مجموع غليظ اصفر ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ * قوله عز وجل ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ يعنى بحجة تنفعهم قيل هذا فى بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان فى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختصمون وفى بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآى بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافى والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقه المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد اى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر فى الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار فى الدنيا فلم يبق لهم عذر فى الآخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم فى ذلك العذر الفاسد ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ يعنى انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع

يحتمل الكذب وخاف الوعد فمن ادعى الايمان وجب عليه الاجتناب عنهما بحكم الايمان والا فلا حقيقة لايمانه ولهذا قال ﴿كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾ لان الكذب ينافى المروة التى هى من مبادى الايمان فضلا عن كماله اذ لا ايمان الاصلى هو الرجوع الى الفطرة الاولى والدين القيم وهى تستلزم اجناس الفضائل بجميع انواعها التى اقل درجاتها العفة المقتضية للمروأة والكاذب لا مروأة له فلا ايمان له حقيقة وانما قلنا لا مروأة له لان النطق هو الاخبار المفيد للغير المعنى المداول عليه باللفظ والانسان خاصته التى تميزه عن غيره هى النطق فاذا لم يطابق الاخبار لم تحصل فائدة النطق فيخرج صاحبه عن الانسانية وقد افاد ما لم يطابق من اعتقاد وقوع غير الواقع فدخل فى حد الشيطنة فاستحق المقت الكبير عند الله باضاعة استعداده واكتساب ما نافيه من اضداده وكذا الخلف لانه قريب من الكذب ولان صدق العزم وثباته من

العذاب عنهم لاجرم قال فى حقهم ويل يومئذ للمكذبين (هذا يوم الفصل) يعنى بين اهل
الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد فى الحقوق والمحاكمات (جمعناكم والاولين)
يعنى مكذبى هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية (فان كان لكم كيد
فكيدون) اى ان كانت لكم حيلة تحتالون لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون الحيل يومئذ
منقطعة لاتنفع وهذا فى نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين)
※ قوله عزوجل (ان المتقين) اى الذين اتقوا الشرك (فى ظلال) جمع ظل وهو ظل
الاشجار (وعيون) اى فى ظلهم عيون ماء (وفواكه مما يشتهون) اى يتلذذون بها (كلوا
واشربوا) اى يقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة
وما اعظمها من نعمة او يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) اى خالص اللذة
لايشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الطاعات (انا كذلك نجزى المحسنين)
قيل المقصود منه تذكير الكفار مافاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لوكانوا من المتقين المحسنين
لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين) ※ قوله
عزوجل (كلوا وتمتعوا قليلا) يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا الى منتهى
آجالكم وهذا وان كان فى ظاهر اللفظ امرا الا انه فى المعنى نهى بليغ وزجر عظيم (انكم
مجرمون) اى مشركون بالله مستحقون للعقاب لاجرم اتبعه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين
واذا قيل لهم اركعوا لايركعون) اى واذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لايصلون فعبر عن الصلاة
بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين
يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) اى
بعد نزول القرآن اذا لم يؤمنوا به فبأى شئ يؤمنون والله اعلم

﴿ تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل ﴾

مكية وهى اربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عزوجل (عم) اصله عن ما (يتساءلون) عن اى شئ يتساءلون يعنى المشركين
ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك اى شئ زيد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما
بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عماذا تساءلوا فقال تعالى
(عن النبأ العظيم) يعنى الخبر العظيم الشان قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل
هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به (الذى هم فيه مختلفون) فمن فسر النبأ العظيم
بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر وشعر وكهانة اونحو ذلك مما قالوه فى القرآن
ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم
الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم فى القرآن
(كلا) هى ردع وزجر وقيل هى نفى لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا (سيعلمون)
اى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعنى فى القيامة (ثم كلا سيعلمون) وعيد على اثر وعيد

لوازم الشجاعة التى هى
احدى الفضائل اللازمة
لسلامة الفطرة واول
درجاتها فاذا انتفت انتفى
الايمان الاصلى بانتفاء
ملزومه فيثبت المقت من الله
(ان الله يحب الذين يقاتلون
فى سبيله صفا كأنهم بنيان
مرصوص) لان بذل النفس
فى سبيل الله لا يكون الا
عند خلوص النفس فى محبة
الله اذ المرء انما يحب كل
مايحب من دون الله لنفسه
فأصل الشرك ومحبة الانداد
محبة النفس فاذا سمح بالنفس
كان غير محب لنفسه واذا
لم يحب نفسه فبالضرورة
لم يحب شيأ من الدنيا واذا
كان بذله للنفس فى الله وفى
سبيله لا للنفس كما قال ترك
الدنيا للدنيا كانت محبة الله
فى قلبه راجحة على محبة كل
شئ فكان من الذين قال
فيهم والذين آمنوا اشد
حبا لله واذا كانوا
كذلك يلزم محبة الله اياهم
لقوله يحبهم ويحبونه
وبالحقيقة لا تكون محبة
الله الا منه (واذ قال موسى
لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد
تعلمون انى رسول الله اليكم
فلما زاغوا) عن مقتضى
علمهم لفرط الهوى وحب

وقيل معناه كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى (الم نجعل الارض مهادا) اى فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام (والجبال اوتادا) يعنى للارض حتى لاتميد (وخلقناكم ازواجا) يعنى اصنافا ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) اى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف فى الاعمال (وجعلنا الليل لباسا) اى غطاء وغشاء يستتر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) اى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وماقسم لكم من رزقه (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولافطور على ممر الزمان الى ان ياتى امر الله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة (وانزلنا من المعصرات) يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء اى وانزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هى السحاب وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرات السحابة التى حان لها ان تمطر ولم تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو المغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) اى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى (لنخرج به) اى بذلك الماء (حبا) اى مايا كله الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) اى ماينبت فى الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام (وجنات الفافا) اى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى (ان يوم الفصل) اى الحساب (كان ميقاتا) اى لما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلائق ليقضى بينهم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى النفخة الاخيرة (فتأتون افواجا) يعنى زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت ابوابا) يعنى فكانت ذوات ابواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابواب وطرق (وسيرت الجبال) اى عن وجه الارض (فكانت سرابا) اى هباء منبثا كالسراب فى عين الناظر (ان جهنم كانت مرصادا) اى طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند اولها عن شهادة ان لااله الاالله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسأل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها تامة

الدنيا (ازاغ الله قلوبهم) عن طريق الهدى وحجبهم عن نور الكمال لاقبالهم على الجهة السفلية وميلهم عن مقتضى الفطرة الاصلية (والله لايهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مقتضى الفطرة التى هى الدين القيم الى نور الكمال لزوال الاستعداد وعدم القابل (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) اذ وضع نوره فى الظلمة وصرف بضاعة البقاء مع وجود الداعى اى الاستعداد الفطرى فى متاع الفناء مع وجود الداعى الخارج الذى هو الى الى الاسلام الذى هو مقتضى ذلك النور الاصلى (والله لا يهدى القوم الظالمين) الموصوفين بهذه الصفة الى النور الكمالى اى نور ذاته وسبحات وجهه لما ذكر فى الفاسقين (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم

جاز الى السابع فيسال عن المظالم فان خرج منها والايقال انظروا فان كان له تطوع اكملت به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اى معدة لهم وقيل هو من رصدت الشئ ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اى تنظرهم (للطاغين) اى الكافرين (مآبا) اى مرجعا يرجعون اليها (لابثين فيها) اى فى جهنم (احقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثناعشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن على بن ابى طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر الف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهى متناهية وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها * احدها ماروى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ماهو الاانه اذا مضى حقب دخل حقب اخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبدالله بن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا * الوجه الثانى ان لفظ الاحقاب لايدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لايذوقون فيها اى فى تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذى يبدلونه لاتوقيت للبثهم فيها * الوجه الثالث ان الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لايذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اى روحا وراحة وقيل لايذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) اى يغنيهم من عطش (الا حميما وغساقا) اى لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذى انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار (جزاء وفاقا) اى جزيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلاذنب اعظم من الشرك ولاعذاب اعظم من النار (انهم كانوا لايرجون حسابا) اى لايخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولاانهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) اى التى جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) اى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال قال وقد سألنى اعرابى منهم يستفتينى الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير (وكل شئ) اى من الاعمال (احصيناه) اى بيناه واثبتناه (كتابا) اى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لايزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم بجميع مافعلوه من خير وشر وانا اجازيهم على قدر اعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) اى يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم الاعذابا) قيل هذه الآية اشد آية فى القرآن على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه * قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) اى فوزا اى نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه كل مايشتهون (واعنابا) التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن

(اترابا)

والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركين يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) الا عان التقليدى لان التجارة المنجية من العذاب الاليم التى دعاهم اليها انما تكون للمحتجبين عن نور الله بصفات النفوس وهيآتها (تؤمنون بالله ورسوله) تحقيقا ويقينا استدلاليا (و) بعد صحة الاستدلال وقوة اليقين (تجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم) لان بذل المال والنفس فى سبيل الله لايكون الا عن يقين (ذلكم خير لكم) لانهما ستصيران الى الفناء فاذا بعتموهما بالباقيات من اللذات المستعلية عليهما كان خيرا لكم (ان كنتم تعلمون) علما يقينيا (يغفر لكم ذنوبكم) ذنوب سيآت اعمالكم وهيآت نفوسكم المظلمة (ويدخلكم جنات) من جنات النفوس لانهم كانوا تاجرين باذاين الانفس والاموال للاعواض عاملين بقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم

(اترابا) يعنى مستويات فى السن (وكأساً دهاقا) قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافيـة (لايسمعون فيها) اى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم (لغوا) اى باطلا من الكلام (ولا كذابا) اى تكذيبا والمعنى انه لايكذب بعضهم بعضا ولاينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) اى جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اى كافيا وافيا وقيل حسـابا يعنى كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطابا) اى لايقدر الخلق ان يكلموا الرب الاباذنه وقيل لايملكون منه خطابا اى لايملكون شفاعة الا باذنه فى ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبريل عليه الصلاة والسـلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ماخلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم اعظم من السموات والارض والجبال وهو فى السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجئ يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بنى آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بنى آدم وما نزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة (لايتكلمون) يعنى الخلق كلهم اجلالا لعظمـة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (الا من اذن له الرحمن) اى فى الكلام (وقال صوابا) اى حقا فى الدنيا وعمل به وقيل قال لااله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لايشفعون الا فى شخص اذن الرحمن فى الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا فى الدنيا وهو لااله الا الله (ذلك اليوم الحق) اى الكائن الواقع لامحالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) اى سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله ومايتقرب به اليه (انا انذرناكم) اى خوفناكم فى الدنيا (عذابا قريبا) اى فى الآخرة وكل ماهو آت قريب (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) يعنى من خير او شر مثبتا فى صحيفته ينظر اليه يوم القيـامة (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) قال عبدالله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص اناخلقناكم وسخرناكم لبنى آدم وكنتم مطيعين لهم ايام حياتكم فارجعوا الى ماكنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال ياليتنى كنت فى الدنيا فى صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون فحينئذ يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ماانعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال ياليتنى كنت ترابا يعنى متواضعا فى طاعة الله فى الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليـه بانه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى مافيه آدم وبنوه المؤمنون

واموالهم بأن لهم الجنـة (تجرى من تحتها الانهار) انهار علوم التوكل وتوحيد الافعـال وعلوم الشرائع والاخلاق (ومسـاكن طيبة فى جنـات عدن) كمقام التوكل وسائر منازل النفوس ومقاماتها (ذلك الفوز العظيم) بالنسبة الى من ليس له هذه المقامات فى تلك الجنات لا العظيم المطلق (واخرى تحبونها) وتجارة اخرى اربح منها واجل محبـوبة اليكم هى (نصر من الله) بالتأييد الملكوتى والكشف النورى (وفتح قريب وبشر المؤمنين) بالوصول الى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام الرضا وانما قال تحبونها لان المحبة الحقيقية لا تكون الا بعد الوصول الى مقام القلب وانما سماها تجارة لاستبدالهم صفات الله تعـالى مكان صـفاتهم (ياأيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين) الحواريون هم الذين خلصوا عن ظلمة النفوس وسـواد الهيآت الطبيعية بالوصول الى مقام القـلب وتنـور وابنـور الفطرة الاصلية فابيضت

من الثواب والرحمة وماهوفيه من الشدة والعذاب قال ياليتني كنت ترابا قال ابو هريرة رضى الله عنه يقول التراب لاولا كرامة لك من جعلك مثلى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النازعات مكية ﴾

وهى ست وقيل خمس واربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا) اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الكلمات هل هى صفات لشئ واحد ام لاشياء مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد بقوله (فالمدبرات امرا) وصف لشئ واحد وهم الملائكة * الوجه الاول فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى الملائكة تنزع ارواح الكفار من اقاصى اجسامهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اى والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن اى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعنى الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح فى الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع فى جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعنى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة * الوجه الثانى فى قوله والنازعات غرقا يعنى النفس حين تنزع من الجسد فتغرق فى الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هى نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده فى الجنة قبل ان يموت وقال على ابن طالب هى ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعنى ارواح المؤمنين حين تسبح فى الملكوت فالسابقات سبقا يعنى استباقها الى الحضرة المقدسة * الوجه الثالث فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعنى النجوم تنشط من افق الى افق اى تذهب والسابحات سبحا يعنى النجوم والشمس والقمر يسبحون فى الفلك فالسابقات سبقا يعنى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير * الوجه الرابع فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى خيل الغزاة تنزع فى اعنتها وتغرق فى عرقها وهى الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهى السابحات فى جريها وهى السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية * الوجه الخامس فى قوله والنازعات غرقا يعنى الغزاة حين تنزع قسيها فى الرمى فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا اى السهام فى الرمى والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعنى الخيل والابل حين يخرجها اصحابها الى الغز * والوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيأ واحدا فقوله والنازعات يعنى ملك

وجوههم الحقيقية بالتصفية (من انصارى الى الله) اى من معى متوجها الى نصرة الله بالسلوك فى صفاته (قال الحواريون) الصافون (نحن انصار الله) ننصره باظهار كمالات صفاته فى مظاهرنا فسلكوا فى صفاته واظهروا انوارها حتى بلغوا الكمال القابى والتكميل بالتأثير (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بهم وبتأثير صحبتهم لقبول استعداداتهم (وكفرت طائفة) لاحتجابهم بصفاتهم (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) بالتأييد النورى (فاصبحوا ظاهرين) غالبين عليهم بالحجج النيرة والبراهين الواضحة والله تعالى اعلم

﴿ سورة الجمعة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الموت ينزع النفوس غرقا حتى بلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعنى النفس تنشط من القدمين يعنى تجذب والسابحات سبحا يعنى السفن والسابقات سبقا يعنى مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات * اما قوله فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عزوجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا اربعة املاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى اقسم الله بهذه الاشياء لشرفها والله ان يقسم بما يشاء من خلقه اويكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الراجفة) يعنى النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شئ ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعنى النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحيى كل شئ باذن الله عزوجل وقيل الراجفة التى تزلزل الارض والجبال والرادفة التى تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوى بسند الثعلبى عن ابى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه * قوله عزوجل (قلوب يومئذ واجفة) اى خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن اماكنها (ابصارها خاشعة) اى ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعنى المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (ائنا لمردودون فى الحافرة) يعنى انرد الى اول الحال وابتداء الامر فنصير احياء بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان فى حافرته اى رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ واول الشئ ويقال رجع فلان فى حافرته اى فى طريقه الذى جاء منه بحفره بمشيته فحصل باثر قدميه حفر فهى محفورة فى الحقيقة وقيل الحافرة الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى ائنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشى عليها وقيل الحافرة النار (ائذا كنا عظاما نخرة) اى بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التى يمر فيها الريح فتنخر اى تصوت (قالوا) يعنى المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيامة (تلك اذا كرة خاسرة) اى رجعة غابنة يعنى ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فانما هى) يعنى النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) اى صيحة واحدة يجمعون بها جميعا (فاذاهم بالساهرة) يعنى وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هى التى كثر الوطء عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا فى بطن ارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هى ارض الشام وقيل ارض القيامة وقيل هى ارض جهنم * قوله عزوجل (هل اتاك حديث موسى) يعنى قد اتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه

مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) كل وضع لا تطلع العقول البشرية على سببه فهو من طور وراء العقل المشوب بالوهم لامتناع وقوع التخصيص من غير مخصص كوضع حروف التهجى وايام الاسابيع بل وضع اللغات كلها فان فى كل بقعة من بقاع الارض لغة لاشك ان اول التكلم بها امر توقف فى اقتضاء استعداد خاص باجتماع امور سفلية وعلوية لا يمكننا ضبطها ولو قلنا بالاصطلاح لكان لا يخلو ايضا من سبب يوجب الاصطلاح على ذلك الوضع

ليناسبه (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) اى المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب الى فرعون انه طغى) اى علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الى ان تزكى) اى تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله (واهديك الى ربك) اى ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعنى عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فاراه) اى ارى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعنى اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعنى فرعون بانها من الله (وعصى) اى تمرد واظهر التجبر (ثم ادبر) اى اعرض عن الايمان (يسعى) بعمل الفساد فى الارض (فحشر) اى فجمع قومه وجنوده (فنادى) اى لما اجتمعوا (فقال) يعنى فرعون لقومه (انا ربكم الاعلى) اى لا رب فوقى وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها وربهم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) اى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه فى الدنيا ويدخله النار فى الآخرة وقيل اراد بالآخرة والاولى كلمتى فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة (ان فى ذلك) اى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) اى عظة (لمن يخشى) اى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى (أانتم اشد خلقا ام السماء بناها) معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السماء عندكم فى تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خالق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى (رفع سمكها) يعنى علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) اى اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (واغطش) اى اظلم (ليلها) والغطش الظلمة (واخرج) اى واظهر وابرز (ضحاها) اى نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزاء النهار فى النور والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) اى بسطها ومدها قال امية بن ابى الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وانت على طيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما قلت خلق الله الارض اولا مجتمعة ثم سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك (اخرج منها ماءها ومرعاها) اى فجر من الارض عيونها ومرعاها اى رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستعير

المخصوص فأيام الاسبوع وضعت بازاء الايام الالهية التى هى مدة الدنيا وقد اشتهر فيما بين الناس فى جميع الاعصار ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة على عدد الكواكب السبعة فكل الف سنة يوم من ايام الله لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وتقيد مدة الدنيا بالسبعة هو ان جميع مدة دور الخفاء المطلق ستة آلاف سنة ويبتدئ الظهور فى السابع مع ظهور محمد عليه السلام كما قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى ويزداد الى تمام سبعة آلاف سنة من لدن آدم عليه السلام اول الانبياء الى زمان المهدى عليه السلام وينقضى الخفاء بالظهور التام لقيام الساعة ووقوع القيامة الكبرى وعند ذلك يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والحساب ويتميز اهل النار واهل الجنة ويرى عرش الله بارزا كما حكى حارثة رضى الله عنه عن شهوده وهى فى الآخرة فالستة منها هى التى خلق فيها السموات والارض لان الخلق حجاب الحق فمعنى خلق اختفى لهما

الرعى للانسان على سبيل التجوز (والجبال ارساها) اى اثبتها (متاعا لكم ولانعامكم) اى الذى اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم ❊ قوله عزوجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعنى النفخة الثانية التى فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ما سعى) اى ما عمل فى الدنيا من خير او شر (وبرزت الجحيم لمن يرى) يعنى انه ينكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فأما من طغى) اى كفر (وآثر الحيوة الدنيا) اى على الآخرة (فان الجحيم هى المأوى) اى لمن هذه صفته (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) اى المحارم التى يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فان الجنة هى المأوى) اى لمن هذه صفته ❊ قوله عزوجل (يسئلونك) اى يا محمد (عن الساعة ايان مرساها) اى متى ظهورها وقيامها (فيم انت من ذكراها) اى لست فى شئ من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (الى ربك منتهاها) اى منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم اى فيم هذا السؤال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اى من علاماتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (انما انت منذر من يخشاها) اى انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعنى الكفار (يوم يرونها) اى يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) اى فى الدنيا وقيل فى قبورهم (الا عشية او ضحاها) فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كانه قيل الا عشية او ضحى يومها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

❊ تفسير سورة عبس مكية ❊

وهى احدى واربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عزوجل (عبس وتولى) اى كلح وقطب وجهه وتولى اى اعرض بوجهه (ان جاءه الاعمى) يعنى ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشى الفهرى من بنى عامر بن لؤى واسم امه عاتكة بنت عبدالله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة ابن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وابى بن خلف واخاه امية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقرأنى وعلمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت انزلت عبس

فأظهرهما وبطن واليوم السابع هو يوم الجمع وزمان الاستواء على العرش بالظهور فى جميع الصفات وابتداء يوم القيامة الذى طلع فجره ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله فالمحمديون اهل الجمعة ومحمد صاحبها وخاتم النبيين وانما سمى يوم الجمع لانه وقت الظهور فى صورة الاسم الاعظم لجميع الصفات ووقت استوائه فى الظهور بجميعها بحيث لا تختلف بالظهور والخفاء ولهذا السر ندبت الصلاة يوم الجمعة وقت الاستواء وكرهت فى سائر الايام ويسمى هذا الظهور عين الجمع لاجتماع الكل فيه ولهذا المعنى سميت الجمعة جمعة واتفق اهل الملل كلها من اليهود وغيرهم ان الله فرغ من خلق السموات والارض فى اليوم السابع الا ان اليهود قالوا انه السبت وابتداء الخلق من الاحد وعلى ما اولنا يكون هو يوم الجمعة وكون الاحد ابتداء الخلق مؤول بأن احدية الذات منشأ الكثرة وان جعلنا الاحد اول الايام ووقت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور

وتولى فى ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله ارشدنى
وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول اترى بما اقول بأسا فيقول لا ففى هذا انزلت
اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (وما يدريك) اى اى شئ يجعلك داريا (لعله يزكى)
اى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (اويذكر) اى يتعظ (فتنفعه
الذكرى) اى الموعظة (امامن استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال
(فانت له تصدى) اى تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه (وماعليك الايزكى)
اى لايؤمن ولايهتدى وانما عليك البلاغ (وامامن جاءك يسعى) يعنى يمشى يعنى ابن ام
مكتوم (وهو يخشى) اى الله عز وجل (فانت عنه تلهى) اى تتشاغل وتعرض عنه
(كلا) اى لاتفعل بعدها مثلها (انها) يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) اى
موعظة للخلق (فمن شاء) اى من عباد الله (ذكره) اى اتعظ به يعنى القرآن ثم
وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل (فى صحف مكرمة) يعنى القرآن فى اللوح
المحفوظ (مرفوعة) اى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السماء السابعة (مطهرة)
يعنى الصحف لايمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بأيدى سفرة) قال ابن عباس يعنى كتبة
وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل
من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم اثنى عليهم بقوله (كرام) اى هم كرام على الله (بررة)
اى مطيعين له جمع بار * قوله عز وجل (قتل الانسان) اى لعن الكافر وطرد (ما اكفره)
ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اى اعجبوا من كفره
وقيل معناه اى شئ حمله على الكفر نزلت هذه الآية فى عتبة بن ابى لهب وقيل فى امية بن خلف وقيل
فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة فى كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغى معه ان يعلم ان الله
تعالى خالقه منه فقال تعالى (من اى شئ خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال
تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعنى خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره
يعنى خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده (ثم السبيل يسره) اى سهل له طريق
خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل احد ما خلق
له وقدر عليه (ثم اماته فاقبره) اى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى
للسباع والوحوش والطيور او اقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذاقبر يدفن فيه وهذه
تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات * ثم قال تعالى (ثم اذاشاء انشره) اى احياه بعد موته للبعث
والحساب وانما قال تعالى ثم اذاشاء انشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله
تعالى متى شاء ان يحيى الخلق احياهم (كلا) ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه
وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب (لما يقض ما امره) اى لم
يفعل ما امره به ربه ولم يؤد مافرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع
الاعتبار فقال تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قدرة ربه فيه اى كيف قدره ربه ويسره ودبره
له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى (انا صببنا

الخفاء وفى السادس ابتداء
الظهور وازداد فى الخواص
حتى ينتهى الى تمام الظهور
وارتفاع الخفاء فى آخره
عند خروج المهدى ويوم
الظهور فى السابع الذى
هو السبت ولما كان هذا
اليوم اى يوم الجمعة موضوعا
بازاء هذا المعنى ندب الناس
فيه الى الفراغ من الاشغال
الدنيوية التى هى حجب
كلها والحضور والاجتماع
فى الصلاة واوجب السعى
الى ذكر الله فيه وترك
البيع لكى تتظاهر النفوس
بهيئة الاجتماع فى صلاة
الحضور المعد للوصول
الى حضرة الجمع عسى ان
يتذكر احدهم بالفراغ عن
الاشغال الدنيوية التجرد
عن الحجب الخلقية وبالسعى
الى ذكر الله السلوك فى
طريقه والصلوة مع
الاجتماع الوصول الى
حضرة الجمع فيفلح (ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون)
سر ذلك وحقيقته (فاذا
قضيت الصلوة فانتشروا)
الامر بالانتشار (فى
الارض وابتغوا من فضل
الله) وابتغاء الفضل بعد
انقضاء الصلاة اشارة
الى الرجوع الى التفصيل
بعد الفناء فى الجمع بالصلاة

الماء صبا ﴾ يعنى المطر ﴿ ثم شققنا الارض شقا ﴾ اى بالنبات ﴿ فانبتنا فيها ﴾ اى بذلك الماء ﴿ حبا ﴾ يعنى الحبوب التى يتغذى بها الانسان ﴿ وعنبا ﴾ يعنى انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اتبعه الحب ﴿ وقضبا ﴾ يعنى القت وهو الرطب سمى بذلك لانه يقتضب اى يقطع فى كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذى تعلف به الدواب ﴿ وزيتونا ﴾ وهو مايعصر منه الزيت ﴿ ونخلا وحدائق ﴾ جمع حديقة ﴿ غلبا ﴾ يعنى غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا ﴿ وفاكهة ﴾ يعنى جميع الوان الفاكهة ﴿ وابا ﴾ يعنى الكلأ والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل الفاكهة مايأكله الناس والاب مايأكله الدواب وقال ابن عباس ماانبتت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمى ان ابا بكر سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله مالا اعلم (خ) عن انس ان عمر قرأ وفاكهة وابا وقال فما الاب ثم قال ماكلفنا او قال ماامرنا بهذا لفظ البخارى وزاد غيره ثم قال اتبعوا مابين لكم هذا الكتاب ومالا فدعوه ﴿ متاعا لكم ﴾ يعنى الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ﴿ ولانعامكم ﴾ ثم ذكر اهوال القيامة فقال تعالى ﴿ فاذا جاءت الصاخة ﴾ يعنى صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اى تبالغ فى اسماعهم حتى تكاد تصمها ﴿ يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ﴾ اى انه لايلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب فى ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ماواسيتنى بمالك والابوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفنى حقى والبنون يقولون ماعلمتنا وماارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل من اخيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقربونهم فى الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم فى الدار الآخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهما اشد من تعلقه بالابوين ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ اى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يافلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ اى مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا ضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضوء وقيل من الغبار فى سبيل الله ﴿ ضاحكة ﴾ اى عند الفراغ من الحساب ﴿ مستبشرة ﴾ اى بالسرور وفرحة بما نالت من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ اى سواد وكآبة للهم الذى نزل بهم ﴿ ترهقها قترة ﴾ اى تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل فى الارض والقترة ماارتفع من الغبار فلحق بالسماء ﴿ اولئك ﴾ اى الذين صنع بهم هذا ﴿ هم الكفرة الفجرة ﴾ جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

الحقيقية فان الوقوف مع الجمع حجاب الحق عن الخلق وبالذات عن الصفات فالانتشار هو التقلب فى الصفات حال البقاء بعد الفناء بالوجود الحقانى والسير بالله فى الخلق وابتغاء فضل الله هو طلب حظوظ تجليات الاسماء والصفات والرجوع الى مقام ارض النفس وتوفية حظوظها بالحق وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا) اى احضروا الوحدة الجمعية الذاتية فى صورة الكثرة الصفاتية بحيث لم تحتجبوا بالكثرة عن الوحدة فضلوا بعد الهداية ولازموا طريق الاستقامة فى توفية حقوق الحق والخلق معاو مراعاة الجمع والتفصيل جميعا (لعلكم تفلحون) بالفلاح الاعظم الذى هو حكمة وضع الجمعية (واذا راو تجارة اولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) اى اين هم وهذا المعنى وانى لهم هذه المعاملة لقد بعدوا فذهلوا واحتجبوا فلهوا (قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة) اى ان لم ترأ فطرتكم بهمتكم الى هذا المعنى فاعملوا للاعواض الباقية عند الله

﴿ تفسير سورة التكوير مكية ﴾

وهي تسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه راى العين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

※ قوله عز وجل ﴿اذا الشمس كورت﴾ قال ابن عباس اظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشئ الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (خ) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جماد فالقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم ﴿ واذا النجوم انكدرت ﴾ اي تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع ﴿ واذا الجبال سيرت ﴾ اي عن وجه الارض فصارت هباء منثورا ﴿ واذا العشار عطلت ﴾ يعني النوق الحوامل التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة ﴿واذا الوحوش﴾ يعني من دواب البر ﴿حشرت﴾ اي جمعت يوم القيامة ليقتص بعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شئ موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة ﴿ واذا البحار سجرت ﴾ قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم اهل النار وقيل سجرت اي يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال ابي ابن كعب ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذا انصدعت الارض صدعة واحدة الى السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر بعد هذه قوله تعالى ﴿واذا النفوس زوجت﴾ روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس اعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت

فانها خير من الامور الفانية التي عندكم وفوضوا امر الرزق اليه بالتوكل فان الله هو (والله خير الرازقين) والله تعالى اعلم

﴿ سورة المنافقون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون) هم المتذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الاصلي الى نور الايمان والاستعداد العارضي الذي حدث برسوخ الهيآت الطبيعية والعادات الرديئة الى الكفر وانما هم كاذبون في شهادة الرسالة لان حقيقة معنى الرسالة لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم الذين يعرفون الله ويعرفون بمعرفته رسول الله فان معرفة الرسول لا تمكن الا بعد معرفة الله وبقدر العلم بالله يعرف الرسول فلا يعلمه حقيقة الا من انسلخ عن علمه وصار عالما بعلم الله وهم محجوبون من الله بحجب ذاتهم وصفاتهم وقد اطفؤا

نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد (واذا الموؤدة سئلت) يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لمايطرح عليها من التراب فيؤدها اي يثقلها حين تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها حية البسها جبة صوف اوشعر وتركها ترعى الابل والغنم في البادية واذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبها وزينيها حتى اذهب الى احمائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموؤدة في النار اخرجه ابوداود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الواد ولم يئدفا فتخر به الفرزدق في شعره فقال

ومنا الذي منع الوائدات ✽ واحيا الوئيد فلم تواد

(بأي ذنب قتلت) معناه تسئل الموؤدة فيقال لها باي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كشطت) اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وازيلت عن فيها (واذا الجحيم سعرت) اوقدت لاعداء الله تعالى (واذا الجنة ازلفت) اي قربت لاولياء الله (علمت نفس مااحضرت) يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير اوشر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا ✽ قوله عزوجل (فلااقسم) لازائدة والمعنى اقسم وقدتقدم ذلك في قوله لااقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعني النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن علي بن ابي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها اي ترجع وراءها في الفلك وتكنس اي تستتر وقت اختفائها وقيل انها تخنس اي تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لاترى بالنهار وقيل هي الظباء وهي رواية عن ابن عباس واصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو ان تأوى الى كناسها وهو الموضع الذي يأوي اليه الوحش (والليل اذا عسعس) اي اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرف الليل (والصبح اذا تنفس) اي اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفي تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة وكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولماذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عزوجل (ذي قوة) وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسه فنفحه بجناحه نفحة القاه الى اقصى جبل بالهندوانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في اسرع

نور استعداداتهم بالغواشي البدنية والهيآت الظلمانية فاني يعرفون رسول الله حتى يشهدوا برسالته (ذلك ب)سبب (انهم آمنوا) بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد (ثم كفروا) اي ستروا ذلك النور بحجب الرذائل وصفات نفوسهم (فطبع على قلوبهم) برسوخ تلك الهيآت وحصول الرين من المكسوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية (فهم لا يفقهون) معنى الرسالة ولا علم التوحيد والدين (واذارايتهم تعجبك اجسامهم) لان التناسب في اشكالهم وحسن مناظرهم ورواثهم وكمال صباحتهم ووسامتهم دل على استعدادهم من جهة الفراسة وتم بنور فطرهم ولهذا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لقولهم واستمع الى كلامهم فان الصباحة وحسن المنظر لايكون الامن صفاء الفطرة في الاصل ولما رأى غلبة الرين على قلوبهم وانطفاء نور استعدادهم وابطال الهيآت البدنية العارضية خواصهم الاصلية ايس منهم وتعجب من حالهم بقوله انى يؤفكون اي يصرفون عن النور الى الظلمة وعن

من ردالطرف (عندذى العرش مكين) اى فى المنزلة والجاه (مطاع ثم) اى فى السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله (امين) يعنى على وحى الله تعالى الى انبيائه (وماصاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا ايضا من جواب القسم اقسم على ان القران نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان مايقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعنى راى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التى خلق فيها (بالافق المبين) يعنى بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام انى احب ان اراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لايسعنى ذلك قال فبمنى قال لايسعنى ذلك قال فبعرفات قال لايسعنى ذلك قال بحراء قال ان يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت فاذاهو بجبريل قد اقبل من حيال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ مابين المشرق والمغرب وراسه فى السماء ورجلاه فى الارض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يامحمد لاتخف فكيف لورايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصعو يعنى العصفور حتى مايحمل عرش ربك الاعظمته (وماهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) اى الوحى وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء (بظنين) قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولايبخل به عليكم ويخبركم به ولايكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراءة الظاء اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو اراد البخل لقال وماهو بالغيب (وماهو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) يعنى ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه (فأين تذهبون) فأين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه اى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم (ان هو) يعنى مافى القرآن (الاذكر للعالمين) اى موعظة للخلق اجمعين (لمن شاء منكم ان يستقيم) اى يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وماتشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين) اعلمهم الله ان المشيئة فى التوفيق للاستقامة اليه وانهم لايقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لايعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الانفطار مكية ﴾

وهى تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

الحق الى الباطل وروى عن بعض الحكماء انه رأى غلاما حسنا وجهه فاستنطقه لاذكائه وطنته فما وجد عنده معنى فقال مااحسن هذا البيت لوكان فيه ساكن وهذا معنى قوله (وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة) اى اجرام خالية عن الارواح لانفع فيها ولا ثمر كالاخشاب المسندة الى الجدران عند الجفاف وزوال الروح النامية عنها فهم فى زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الانسانى بمابها (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) لان الشجاعة انما تكون من اليقين واليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون فى ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات اهل الشك والارتياب فلذلك غلبهم الجبن والخور فاحذرهم فقد بطل استعدادهم فلا يهتدون بنورك ولا تؤثر فيهم صحبتك (لووا رؤسهم) لضراوتهم بالامور الظلمانية واعتيادهم بالكمالات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (اذا السماء انفطرت) اى انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى
تساقطت (واذا البحار فجرت) اى فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا
واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (واذا القبور بعثرت) اى بحثت وقلب ترابها وبعث من
فيها من الموتى احياء (علمت نفس ماقدمت واخرت) يعنى علمت فى ذلك اليوم ما قدمت
من عمل صالح اوسيئ واخرت بعدها من حسنة اوسيئة وقيل ماقدمت من الصدقات واخرت
من الزكوات وهذه احوال يوم القيامة * قوله عز وجل (ياايها الانسان ماغرك بربك
الكريم) اى ماخدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ماصنعت وضيعت ماوجب عليك
والمعنى ماذا امنك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى ابى الاشريق واسمه اسيد بن
كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله هذه الآية وقيل
الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ماالذى غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل
الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى اول مرة بربك الكريم
اى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود
مامنكم من احد الاسيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا بن آدم ماغرك بى يا ابن آدم ماذا
عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيامة
فيقول لك يا ابن آدم ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرنى ستورك المرخاة وقال
يحيى بن معاذ لو اقامنى بين يديه وقال ماغرك بى اقول غرنى برك بى سالفا وآنفا وقال ابو بكر
الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم وقال بعض اهل الاشارة انما
قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته فى الاجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم
(الذى خلقك) اى اوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) اى جعلك سويا سالم الاعضاء
تسمع وتبصر (فعدلك) اى عدل خلقك فى مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل
معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (فى اى صورة ماشاء ركبك)
اى فى اى شبه من اب اوام اوخال اوعم وجاء فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضر
كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ فى اى صورة ماشاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك فى صورة انسان
وان شاء فى صورة دابة اوحيوان وقيل فى اى صورة ماشاء ركبك من الصور المختلفة بحسب
الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفى هذه دلالة على قدرة الصانع المختار
القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة
وان المدبر المختار هو الله تعالى * قوله عز وجل (كلا بل تكذبون بالدين) اى بيوم الحساب
والجزاء (وان عليكم لحافظين) يعنى رقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم (كراما)
اى على الله (كاتبين) اى يكتبون اقوالكم واعمالكم (يعلمون ماتفعلون) يعنى من خير او
شر * قوله عز وجل (ان الابرار) يعنى الذين بروا وصدقوا ايمانهم باداء ماافترض الله عليهم
واجتناب معاصيه (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (وان الفجار لفى جحيم) روى ان سليمان بن
عبد الملك قال لابى حازم المزنى ليت شعرى مالنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك

البهيمية والسبعية فلا يألفون
النور ولا يشتاقون اليه
ولا الى الكمالات الانسانية
لمسخ الصورة الذاتية
(ورأيتهم يصدون) يعرضون
لانجذابهم الى الجهة السفلية
والزخارف الدنيوية فلا
ميل فى طباعهم الى الجهة
العلوية والمعانى الاخروية
(وهم مستكبرون) لغلبة
الشيطنة واستيلاء القوة
الوهمية واحتجابهم بالانانية
وصور الغيرية (سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
ان الله لايهدى القوم
الفاسقين) لرسوخ الهيآت
الظلمانية فيهم وزوال قبول
استعداداتهم للهداية لفسقهم
وخروجهم عن دين الفطرة
القيم (هم الذين يقولون
لاتنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا ولله
خزائن السموات والارض)
لاحتجابهم بافعالهم عن رؤية
فعل الله وبما فى ايديهم عما
فى خزائن الله فيتوهمون
الانفاق منهم لجهلهم وكذا
توهموا العزة والقدرة
لانفسهم لاحتجابهم بصفاتهم
عن صفات الله فقالوا
(يقولون لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها

تعلم مالك عندالله قال ابن اجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يصلونها يوم الدين) يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) اى عن النار ثم عظم شان ذلك اليوم فقال تعالى (وما ادراك مايوم الدين) قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى اى شئ اعلمك به لولم نعرفك احواله (ثم ماادراك مايوم الدين) التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) اى لاتملك نفس كافرة لنفس كافرة شيأ من المنفعة (والامر يومئذ لله) يعنى انه لم يملك الله فى ذلك احداشيأ كما ملكهم فى الدنيا والله اعلم

﴿ تفسير سورة المطففين مدنية ﴾

فى قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهى من قوله ان الذين اجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهى قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة من الهجرة وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (ويل) اى قبح وهى كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد فى جهنم (للمطففين) يعنى الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لايكاد المطفف يسرق فى الكيل والوزن الا الشئ اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) يعنى انهم اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اى اشتروا شيأ استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم او وزنوهم) يعنى واذا كالوا لهم او وزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) اى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا او يدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق يحتاجون الى المعاملات وهى مبنية على امر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة (الايظن) اى الايعلم ويستيقن (اولئك) اى يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (انهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعنى من قبورهم (لرب العالمين) اى لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا الايظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم فى رشحه الى انصاف

الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولم يشعروا ان العزة والقوة والقدرة كلها انوار ذات الله تعالى وصفاته اللازمة لذاته فبقدر القرب منه والفناء فيه والمحوفى صفاته تظهر على المظاهر الانسية ولا اقرب اليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المؤمنين المحققين الموقنين فلا اعز منه عليه السلام من جميع الخلق ثم الذين يلونه من المؤمنين (ولكن المنافقين لايعلمون) لمكان احتجابهم وشدة ارتيابهم ولقد قيض من نفس من تكلم بهذا الكلام من اخرجه وحبسه ولم يدعه يدخل المدينة حتى اقربان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان القائل لذلك هو عبدالله بن ابى فلما رجعوا الى المدينة سل ابنه السيف ومنع اباه من الدخول فلم يزل حبيسا فى يده حتى اذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد هو بعزة الله ورسوله والمؤمنين (ياايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) ان صدقتم فى الايمان فان قضية الايمان غلبة حب الله على

اذنيه وروى مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى اوميلين قال سليم بن عامر والله ماادرى مايعنى بالميل مسافة الارض اوالميل ماتكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه ❊ قوله عزوجل (كلا) قيل انه ردع وتنبيه اى ليس الامر على ماهم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلام ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) اى الذى كتبت فيه اعمالهم (لفى سجين) قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرنى عن قول الله عزوجل ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى ارض فتأبى ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لفى سجين لفى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفى حبس وضيق شديد (وما ادراك ماسجين) اى ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولاقومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين (كتاب مرقوم) ليس هذا تفسيرا للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اى مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لاينسى ولايمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه علم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اى مختوم وهو بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين) وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) اى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء (ومايكذب به) اى بيوم القيامة (الا كل معتد) اى متجاوز عن نهج الحق (اثيم) هو مبالغة فى الاثم وهو المرتكب الاثم والمعاصى (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) اى اكاذيب الاولين ❊ قوله عزوجل (كلا) اى لايؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى قال الله بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصى غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذى على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على

محبة كل شئ فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم بالاموال غالبة فى قلوبكم على محبة الله فتحتجبوا بهم عنه فتصيروا الى النار فتخسروا نور الاستعداد الفطرى باضاعته فيما يفنى سريعا وتجردوا عن الاموال بانفاقها وقت الصحة والاحتياج اليها ليكون فضيلة فى انفسكم وهيئة نورية لها فان الانفاق انما ينفع اذا كان عن ملكة السخاء وهيئة التجرد فى النفس فأما عند حضور الموت فالمال للوارث لاله فلا ينفعه انفاقه وليس له الا التحسر والتندم وتمنى التأخير فى الاجل بالجهل فانه لوكان صادقا فى دعوى الايمان وموقنا بالآخرة تيقن ان الموت ضرورى وانه مقدر فى وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تاخره (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فأصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون)

قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين الغطية والمعنى انه يغشى القلب شئ كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم في الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذى ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من اثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار ومايكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله فى حق المؤمنين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب فى حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت انفسهم فى الدنيا وقيل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقال الشافعى فى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله تدخلون النار فقال عز من قائل (ثم انهم لصالوا الجحيم) اى لداخلوا النار (ثم يقال) اى تقول لهم الخزنة (هذا) اى هذا العذاب (الذى كنتم به تكذبون) يعنى فى الدنيا (كلا) اى ليس الامر كما توهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار لفى عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله واعلاها (وما ادراك ما عليون) تنبيها له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم فى عليين فيه ما اعد الله لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون اى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن * قوله تعالى (ان الابرار) يعنى المطيعين لله (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (على الارائك) جمع اريكة وهى الاسرة فى الحجال (ينظرون) اى الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى اعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) يعنى انك اذا رأيتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب (يسقون من رحيق) يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم)

بأعمالكم ونياتكم فلا ينفع الانفاق فى ذلك الوقت ولا تمنى التأخير فى الاجل ووعد التصدق والصلاح لعلمه بأنه ليس عن ملكة السخاء ولا عن التجرد والزكاء بل من غاية البخل وحب المال كأنه يحسب انه يذهب به معه وبأن ذلك التمنى والوعد محض الكذب ومحبة العاجلة لوجود الهيئة المنافية للتصدق والصلاح فى النفس والميل الى الدنيا كما قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون والله اعلم

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم اليه المصير يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب

يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من ان تمسه الايدى الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل ان يكون المذكور فى هذه الآية فى اوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها (ختامه مسك) اى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اى ممزوج ختامه اى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عزوجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل اصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يضن ويبخل (ومزاجه من تسنيم) اى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى اوانى اهل الجنة على قدر مائها فاذا امتلأت امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى ولا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين (عينا يشرب بها) اى منها وقيل يشربها (المقربون) اى صرفا ※ وقوله عزوجل (ان الذين اجرموا) اى اشركوا يعنى كفار قريش اباجهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم من مترفى اهل مكة (كانوا من الذين آمنوا) اى من عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) اى منهم ويستهزؤن بهم (واذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء (يتغامزون) يعنى يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم (واذا انقلبوا الى اهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهين) اى معجبين بما هم فيه وقيل ينقلبون بذكرهم كأنهم يتفكهون بحديثهم (واذا رأوهم) يعنى رأوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ان هؤلاء لضالون) اى هم فى ضلال يأتون محمدا ويرون انهم على شئ قال الله عزوجل (وما ارسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) اى لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم ※ قوله عزوجل (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هو فيه من الشدة والبلاء فلما افضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما راوا حالهم وقال ابو صالح تفتح للكافرين ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدوه فى الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) جمع اريكة وهو السرير يتخذ فى الحجلة وهى الكلة يزين بها البيت وارائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى اليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى (هل ثوب

اليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا) لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذى هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ولم يجدوا منه الا البشرية انكروا هدايته فان كل عارف لا يعرف معروفه الا بالمعنى الذى فيه فلا يوجد النور الكمالى الا بالنور الفطرى ولا يعرف الكمال الا الكامل ولهذا قيل لا يعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما والا لما امكن به التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشئ فانه واجد للمعنى المصدق به بما فى نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شئ من النور الفطرى اصلا لم يعرفوا منه الكمال فانكروه ولم يعرفوا من الحق شيأ فيحدث فيهم طلب فيحتاجوا الى الهداية فانكروا الهداية (فكفروا) مطلقا اى حجبوا عن الحق والدين والرسول واعرضوا بالتوجه الى ما وجدوا من المحسوسات عن المعقول (وتولوا وقد استغنى الله) كمله لانه واجد كماله مشاهد له انه عرفوا او لم يعرفوا (والله غنى) بذاته عن ايمانهم

الكفار) اى جوزى الكفار (ما كانوا يفعلون) اى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثيب بمعنى قال اوس

سأجزيك اويجزيك عنى مثوب * وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى

والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الانشقاق وهى مكية ﴾

وخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات واربعمائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ اذا السماء انشقت ﴾ يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها ﴿ واذنت لربها ﴾ اى سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من الاذن وهو الاستماع ﴿ وحقت ﴾ اى حق لها ان تطيع امر ربها ﴿ واذا الارض مدت ﴾ يعنى مد الاديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل ﴿ والقت مافيها ﴾ اى اخرجت ما فى بطنها من الموتى والكنوز ﴿ وتخلت ﴾ اى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز ﴿ واذنت لربها وحقت ﴾ واختلفوا فى جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب او العقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقى كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ تكون الواو زائدة ﴿ يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا ﴾ اى ساع اليه فى عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده فى الامرين الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح فى لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح فى دنياك كدحا تصير به الى ربك ﴿ فملاقيه ﴾ اى فملاق جزاء عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك ﴿ فاما من اوتى كتابه بيمينه ﴾ يعنى ديوان عمله ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن ابى مليكة ان عائشة كانت لا تسمع شيأ لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت اوليس يقول الله عزوجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب ﴿ وينقلب الى اهله ﴾ يعنى فى الجنة من الحور العين والآدميات ﴿ مسرورا ﴾ اى بما اوتى من الخير والكرامة ﴿ واما من اوتى كتابه وراء ظهره ﴾ يعنى انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه ﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ يعنى عندما عطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ﴿ ويصلى سعيرا ﴾ اى ويقاسى التهاب النار وحرها ﴿ انه كان فى اهله ﴾ يعنى فى الدنيا ﴿ مسرورا ﴾ يعنى باتباع هواه وركوب شهواته ﴿ انه ظن ان لن يحور ﴾ اى لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع ﴿ بلى ﴾ اى ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب ﴿ ان ربه كان به

لا يتوقف كمال من كمالاته عليهم ولا على معرفتهم له ﴿ حميد ﴾ كامل فى نفسه بكمالاته الظاهرة فى مظاهر ذرات الوجود خصوصا على اوليائه وان لم تظهر عليهم اى ان لم يبصروه وان لم يحمدوه بتلك الكمالات لاحتجابهم عنها فهو حميد من كل موجود بكماله المخصوص به ﴿ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ اى ليس التغابن فى الامور الدنيوية فانها امور فانية سريعة الزوال ضرورية الفناء لا يبقى شئ منها لاحد فان فات شئ من ذلك او افاته احد ولو كان حياته فانما فات او افيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وانما الغبن والتغابن فى افاتة شئ لو لم يفته اتى دائما وانتفع به صاحبه سرمدا وهو النور الكمالى والاستعدادى فظهر الحسرة والغبن هناك فى اضاعة الربح

بصيرا) اى من يوم خلقه الى ان بعثه ✲ قوله عزوجل (فلا اقسم بالشفق) تقدم الكلام فى تفسير لااقسم فى سورة القيامة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته فى ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقى من النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابى حنيفة (والليل وماوسق) اى جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شئ الى ماواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم به (والقمر اذا اتسق) اى اجتمع وتم نوره وذلك فى الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركبن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد (طبقا عن طبق) يعنى سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة اسرى به فاصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن ايها الناس حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك فى موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون فى الآخرة على غير الحال التى كانوا عليها فى الدنيا وقال ابن عباس يعنى الشدائد واهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم واحوالهم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل فى معنى الآية انه اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى اخرى (فما لهم لايؤمنون) يعنى بالبعث والحساب وهو استفهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) يعنى لايصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة وهذه السجدة احد سجدات القرآن عند الشافعى ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع ابى هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابى القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرا باسم ربك واذا السماء انشقت (بل الذين كفروا يكذبون) يعنى بالقرآن والبعث (والله اعلم بما يوعون) يعنى يجمعون فى صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب اليم) يعنى على عنادهم وكفرهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع ولا منقوص فى الآخرة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة البروج ﴾

رأس المال فى تجارة الفوز والنجاة كما قال فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فمن اضاع استعداده ونور فطرته كان مغبونا مطلقا فكمن اخذ نوره وبقى فى الظلمة ومن بقى نور فطرته ولم يكتسب الكمال اللائق به الذى يقتضيه استعداده او اكتسب منه شيأ ولم يبلغ غايته كان مغبونا بالنسبة الى الكامل التام فكما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقى هذا متحيرا فى نقصانه (ومن يؤمن بالله) بحسب نور استعداده (ويعمل صالحا) بمقتضى ايمانه فان العمل انما يكون بقدر النظر (يكفر عنه سيئاته) التى اتقى الله فيها بعمله (ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم) على حسب درجات اعماله فان آمن تقليدا واجتنب المعاصى وعمل بالطاعات يكفر عنه سيآت ذنوبه ويدخله جنات النفس على حسب درجات عمله وتقواه وان آمن تحقيقا واجتنب صفاته وعمل بالسلوك فى صفات الله ومرضاته يكفر عنه سيآت صفات نفسه ويدخله جنات القلب على قدر مراتبه فى

﴿ وهى مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمسة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والسماء ذات البروج) يعنى البروج الاثنى عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجب حكمة البارى جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها (واليوم الموعود) يعنى يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذى وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود اى عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود اى عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى (قتل اصحاب الاخدود) اى لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل فى الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك انى قد كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى اهلى واذا خشيت اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اى بنى انت افضل منى قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوى الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتنى قال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربى فقال اولك رب غيرى قال ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك اى بنى انه قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله عز وجل

الاعمال والمقامات وان آمن ايمانا عينيا وعمل بالمشاهدة واتقى الله فى وجوده يدخله جنات الروح بتكفير سيآت وجود قلبه وصفاته وان آمن ايمانا حقيقيا واتقى فى آنيته ورؤية فنائه يكفر عنه سيآت بقيته وتلوينه بظهور انائيته ويدخله جنات الذات (والذين كفروا) حجوا فى مقابلة المؤمنين ومراتبهم (اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) نار الطبقة التى حجبوا بها معذبين (ما اصاب من مصيبة) من هذه المصائب الحاجبة وغيرها (الا باذن الله) اى بتقديره ومشيئته على مقتضى حكمته (ومن يؤمن بالله) احد الايمانات المذكورة (يهد قلبه)الى العمل بمقتضى ايمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذى آمن به ويصل الى محل نظره (والله بكل شئ عليم) فيعلم مراتب ايمانكم وسرائر قلوبكم واحوال اعمالكم وآفاتها وخلوصها من الآفات (واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فان اكثر التخلف من الكمال والوقوع فى

(فاخذه)

فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بماشئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بماشئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ماآمرك به فقال وماهو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع نخل ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى به فانك ان فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له ارايت ماكنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود فى افواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امراة ومعها صبى لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام ياأماه اصبرى ولاتقاعسى فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وفى هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب فى مصلحة ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك والاكمه هو الذى خلق اعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق والاخدود الشق العظيم فى الارض واقحموه اى ارموه فيها وتقاعست اى تأخرت وكرهت الدخول فى النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل بن شراحيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه فسار اليه ذونواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثنى عشر الفا ثم غلب رياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبدالله بن ابى بكر ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبدالله بن تامر واضعا يده على ضربة فى راسه اذا اميطت يده عنها انبعثت واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليه الذى

الخسران والنقصان انما يقع من التقصير فى العمل وخور القدم لا من عدم النظر (الله لااله الاهو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ياايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى بعضهم لاحتجابكم بهم ووقوفكم معهم بالمحبة وشدة العلاقة وتشركونهم بالله فى المحبة بالتساوى فى المحبتين وتعبدونهم من دون الله بايثارهم عليه (فاحذروهم) اى احفظوا انفسكم عن محبتهم وشدة التعلق بهم والاحتجاب وعاقبوهم عند التماسهم ذلك اى ايثار حقوقهم على حقوق الله فى كل شئ من المحبة وغيرها (وان تعفوا) بالمداراة (وتصفحوا) عن جرائمهم بالحلم (وتغفروا) جناياتهم بالرحمة فلاذنب ولاحرج انما الذنب فى الاحتجاب بهم وافراط المحبة وشدة التعلق لافى مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فانه مندوب بل اتصاف بصفات الله (فان الله غفور رحيم) فعليكم التخلق باخلاقه (انما اموالكم واولادكم فتنة) ابتلاء وامتحان من الله اياكم (والله عنده اجر

وجد تم عليه وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما نهزم اهل اسفنديار قال عمر بن الخطاب اى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهما يسوا باهل كتاب فقال على بن ابى طالب بلى قدكان لهم كتاب وكانت الخمر قداحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذى اتيت وما لمخرج منه قالت المخرج منه انك تخطب الناس وتقول ان الله قداحل نكاح الاخوات فاذاذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قداحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذالله ان نؤمن بهذا او نقربه ماجاءنا به من نبى ولا انزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا به فخدلهم الاخدود واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه فى النار ومن اجاب اطلقه وروى عن على قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدواله اخدودا فملؤهانارا فمن تبع ذلك النبى رمى به فى النار ومن تابعهم تركوه فجؤا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى ياامام قعى ولاتقاعسى وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشأم والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاماالتى بالشأم فهو ابطاموس الرومى واماالتى بفارس فبختنصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واماالتى باليمن قذونواس يوسف فاماالتى بالشأم وفارس فلم ينزل ان فيهم قرآن وانزل فى التى بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عنداهل مكة فذكرالله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره فى الدين وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المؤمنين الذين القوافى النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم (اذهم عليها قعود) اى جلوس عند الاخدود (وهم) يعنى الملك الذى خدالاخدود واصحابه (على مايفعلون بالمؤمنين) اى من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم (شهود) اى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (ومانقموا منهم) قال ابن عباس ماكرهوا منهم (الاان يؤمنوا بالله) وقيل ماعابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله (العزيز) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لايغالب ولايدافع (الحميد) يعنى الذى يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهواهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذى له ملك السموات والارض) اى فهو المستحق للعبادة (والله على كل شئ) اى من افعالهم بالمؤمنين (شهيد) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين * قوله عز وجل (ان الذين فتنوا) اى عذبوا واحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) اى بالنار (ثم لم يتوبوا) اى لم يرجعوا عماهم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذاالوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان الله احرقهم

عظيم) لمن صبر فى مقام الابتلاء وراعى حق الله فيه وتدارك ماقصر مما يجب لهم عليه فاساء الخلق وخاف امر الله ءاامسك من المال وجمع ومنع حق الله فارتكب رذيلة البخل والعصيان ومافرط فى محبتهم ومراعاتهم فاضاع حق الله واحتجب بهم وكذا فى محبة المال فوضع فى المقت والخسران وماسرف فيه وانفقه فى المعاصى فكفر بنعمة الله وقعد عن القيام بشكرها وان اصاب مالا وولدا موافقا شكر ومابطر من شدة الفرح وماستغنى فطغى وان فاته شئ من ذلك صبر وماجزع من شدة الحزن فهلك وغوى (فاتقوا الله) فى هذه المخالفات والآفات فى مواضع البليات (مااستطعتم) بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم (واسمعوا) اى افهموا هذه الاوامر واعلموا بها (واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم) اموالكم التى ابتلاكم الله بها فى مراضيه وأنوا خيرا لكم اى اقصدوا فى الاموال والاولاد ماهو خير لكم (ومن يوق شح نفسه) بعصمة الله هذه الرذيلة المعجونة فى طينة النفس

بالنار التى احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم فى الآخرة ثم ذكر ماأعد للمؤمنين فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) * قوله عزوجل (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد (انه هو يبدئ ويعيد) اى يخلقهم اولا فى الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم فى القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) اى المحب لهم وقيل المحبوب اى يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة (ذو العرش) اى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات التعالى والجلال وذلك لايليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اى السرير العظيم اذ لايعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام ثم قال تعالى (فعال لما يريد) يعنى انه لايعجزه شئ ولا يمنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لايعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لايمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لاينصرهم منه ناصر (هل اتاك) اى قد اتاك (حديث الجنود) اى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (وثمود) وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) اى من قومك يامحمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم (والله من ورائهم محيط) اى عالم بهم لايخفى عليه شئ من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) اى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عزوجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش واصله فى حجر ملك والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الطارق ﴾

وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (والسماء والطارق) قيل نزلت فى ابى طالب وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نار افقزع ابو طالب وقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب ابو طالب فانزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك

(فأولئك هم المفلحون) الفائزون بمقام القلب وثواب الفضيلة (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم)

﴿ سورة الطلاق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له) بحسب مقتضى مقامه واجتناب ذنب حاله (مخرجا) من ضيق المقام والمكاسب الى سعة روح الحال والمواهب فمن يتقيه فى معاصيه يجعل له مخرجا من مضايق الهيآت المظلمة وعقوبات نيران الطبيعة (ويرزقه) ثواب جنة النفس وانوار

بالنهار وسمى النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق ❋ نمشى على النمارق

تريدان اباهم نجم فى علوه وشرفه (وما ادراك ما الطارق) قيل لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) اى المضئ المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه اى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمى بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ماتكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها يسلمها الى المقادير ثم يخل عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الاماقدر لها ❋ قوله عزوجل (فلينظر الانسان) يعنى نظر تفكر واعتبار (مم خلق) اى من اى شئ خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعنى من منى (دافق) اى مدفوق مصبوب فى الرحم واراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعنى ذلك الماء وهو المنى (من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثديى المرأة قيل ان المعنى يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثر مايخرج من الدماغ فينصب فى عرق فى ظهر الرجل وينزل فى عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهى الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر (انه على رجعه لقادر) يعنى ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة فى الاحليل وقيل قادر على رد الماء فى الصلب الذى خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لايخرج لقادر وقيل معناه وان الذى قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هى فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عزوجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من اداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدى الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من ادى الفرائض كما امر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها او انتقص منها كان وجهه اغبر (فما له) اى لهذا الانسان المنكر البعث (من قوة) اى يمتنع بها من عذاب الله (ولا ناصر) اى ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الرجع) اى ذات المطر سمى به لانه يجئ ويرجع ويتكرر (والارض ذات الصدع) اى تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول فصل) اى انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل (وماهو بالهزل) اى باللعب والباطل (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعنى يحتالون بالمكر بالنبى صلى

الفضائل من عالم الغيب (من حيث لا يحتسب) لعدم وقوفه منها ومن يتقيه فى افعال نفسه يجعل له مخرجا الى مقام التوكل ويرزقه تجليات الافعال من حيث لايحتسب ومن يتقيه فى صفات نفسه يجعل له مخرجا الى مقام الرضا ويرزقه روح اليقين وثمرات تجليات الصفات الالهية فى جنة القلب من حيث لا يحتسب لعدم شعوره بها ومن يتقيه فى وجوده والتنزه عنه يجعل له مخرجا من ضيق انانيته الى فسحة الوجود المطلق ويرزقه الموهوب من حيث لايحتسب ولا يخطر بباله (ومن يتوكل على الله) يقطع النظر عن الوسائل والانقطاع اليه من الوسايط (فهو حسبه) كافيه يوصل اليه ماقدر له ويسوق اليه ماقسم لاجله من انصبة الدنيا والآخرة (ان الله بالغ امره) اى يبلغ ما اراد من امره لا مانع له ولا عائق فمن تيقن ذلك ماخاف احدا ولارجا وفوض امره اليه ونجا (قد جعل الله لكل شئ قدرا) اى عين لكل امر حدا معينا ووقتا معينا فى الازل

الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيه (واكيد كيدا) يعنى اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار (فمهل الكافرين) اى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال تعالى (امهلهم رويدا) يعنى قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الاعلى ﴾

وهى مكية وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحد وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى) اى قل سبحان ربى الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ماروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اى اصل بأمر ربك الاعلى * عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اخرجه ابو داود (الذى خلق فسوى) اى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة (والذى قدر فهدى) قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شئ شكله فهدى اى فعرف كيف يأتى الذكر الانثى وقيل قدر مدة الجنين فى الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ماقدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر أى اعطى كل حيوان مايحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى (والذى اخرج المرعى) اى انبت العشب وماترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك (فجعله) يعنى المرعى بعد الخضرة (غثاء) اى هشيما يابسا باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل (احوى) اى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود * قوله عز وجل (سنقرئك) اى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعنى مايقرا عليك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة ان ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيأ بعد ذلك (الاماشاء الله) يعنى ان تنساه وهو مانسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الاماشاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا اخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان ينسيه شيأ (انه يعلم الجهر) يعنى من القول والفعل (وما يخفى) يعنى منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر

لا يزيد بسعى ساع ولا ينقص بمنع مانع وتقصير مقصر ولا يتأخر عن وقته ولا يتقدم عليه والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائى لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله) فى مراعاة وقته والاجتناب عن ذنب حاله (يجعل له من امره) من امر سلوكه (يسرا) اى متى راعى آداب مقامه واجتنب ذنوب حاله فى المواطن تيسر له الترقى منه الى اعلى ذلك اليسر المرتب على التقوى فى كل مرتبة (ذلك امر الله) وشأنه المخصوص به وهو التوفيق على حسب الاستعداد والفيض بقدر القبول (انزله اليكم) ثم كرر للمبالغة تفصيل ما اجمل فقال (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته) اى موانعه وهيآت نفسه الحاجبة عن الفيض المانعة للمزيد (ويعظم له اجرا) بافاضية ما يناسب حاله بحسب القبول والاستعداد الجديد من الكمال (اسكنوا

والعلانية (ونيسرك لليسرى) اى نهون عليك ان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤه فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) اى فعظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) اى مدة نفع الموعظة والتذكير اوالمعنى عظ انت وذكر ان نفعت الذكرى اولم تنفع انما عليك البلاغ (سيذكر من يخشى) اى سيتعظ من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) اى الذكرى ويتباعد عنها (الاشقى) اى فى علم الله تعالى (الذى يصلى النار الكبرى) اى النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هى نار الآخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) اى فى النار فيستريح (ولا يحيى) اى حياة طيبة تنفعه ※ قوله عز وجل (قد افلح من تزكى) اى تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يا نافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما هذه الآية فى هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادرى اى جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رايت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو انه كان فى علم الله تعالى انه سيكون ذلك فأخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد ※ قوله عز وجل (بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى) يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وانتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرا هذه الآية فقال لنا اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة غيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان اريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان اريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل فى الآخرة وهو خير وابقى (ان هذا) اى الذى ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع آيات (لفى الصحف الاولى) اى الكتب المقدمة التى نزلت قبل القرآن ذكر فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الآخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعنى ان هذا القدر المذكور فى صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور فى جميع صحف الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور فى هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه * عن ابى ذر رضى الله عنه قال دخلت المسجد فقال

(رسول)

هن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرى وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولى الالباب) اى اعتبروا بحال الامم الماضين من المنكرين المعاندين وما نزل بهم من العذاب والوبال فاتقوا الله فى اوامره ونواهيه ان خلصت عقولكم من شوب الوهم فان اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع الى الفطرة واذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يارسول الله قال ركعتان تركعهما
قلت يارسول الله هل انزل الله عليك شيأ مما كان فى صحف ابرهيم وموسى قال يا باذر اقرأ قد
افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفى
الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا
كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن راى الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل
اخرج هذا الحديث رزين فى كتابه وذكره ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه
شيأ * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر سبح اسم ربك
الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد فى ركعة ركعة اخرجه الترمذى والنسائى وعن
عبد العزيز بن جريج قال سألنا عائشة باى شىء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان
يقرأ فى الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية بقل يا ايها الكافرون وفى الثالثة بقل هو الله
احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب والله اعلم

﴿ تفسير سورة الغاشية ﴾

﴿ وهى مكية وست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (هل اتاك) اى قد اتاك يا محمد (حديث الغاشية) يعنى القيامة سميت غاشية لانها
تغشى كل شىء باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار (وجوه يومئذ)
يعنى يوم القيامة (خاشعة) يعنى ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه
اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعنى الذين عملوا ونصبوا
فى الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب
الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا فى ضلالة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤب
فى العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث
فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى
فانها تختص بمن احدث فى دين الاسلام شيأ ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه واما
الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل فى دين الاسلام او غير دين الاسلام فانه مردود عليه
اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الآية عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة
فى الآخرة فى النار وقيل عاملة ناصبة فى النار لانها لم تعمل لله فى الدنيا فاعملها وانصبها فى النار
بمعالجة السلاسل والاغلال وهى رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض فى النار كما
تخوض الابل فى الوحل وقيل يجرون على وجوههم فى النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من
حديد فى النار وهو قوله تعالى (تصلى نارا حامية) قال ابن عباس قد حميت فهى تتلظى على
اعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) اى متناهية فى الحرارة قد اوقدت عليها جهنم
مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون اليها وردا عطاشا فهذا شرابهم
ثم ذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام الا من ضريع) قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض

الايمان يقينيا فلذلك وصفهم
بالذين آمنوا اى الايمان
التحقيقى (قد انزل الله اليكم
ذكرا) اى فرقانا مشتملا
على ذكر الذات والصفات
والاسماء والافعال والمعاد
(رسولا) اى روح القدس
الذى انزله به فابدل منه
بدل الاشتمال لان انزال
الذكر هو انزاله بالاتصال
بالروح النبوى والقاء المعانى
فى القلب (يتلوا عليكم آيات
الله) اى يجلى عليكم صفاته
ويكشف لكم توحيدها
(مبينات) متجليات او
مجليات لانوار الذات
(ليخرج الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من الظلمات الى
النور) الايمان اليقينى من
ظلمات صفات القلب الى
نور الروح ومقام المشاهدة
(ومن يؤمن بالله) الايمان
العينى بالمشاهدة (ويعمل
صالحا) بالسير فى الله
بالله (يدخله جنات) من
مشاهدات تجليات صفاته
ومطالعات انوارها (تجرى
من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا) انهار علوم توحيد
الافعال والصفات والذات
(قد احسن الله له رزقا)
من تلك العلوم (الله الذى
خلق سبع سموات ومن

تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لاتقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولامريئة فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعا وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لاتاكله فانزل الله تعالى (لايسمن ولايغني من جوع) يعني ان هذا الطعام لاتقدر البهائم على اكله فكيف يقدر الانسان على اكله فهو لايسمن ولايغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية انه لاطعام لهم الامن ضريع وذكر في موضع آخر انه لاطعام لهم الامن غسلين فيكف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لاغير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين وصف اهل الجنة فقال تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) اى متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة (لسعيها راضية) اى لسعيها في الدنيا راضية في الاخرة حيث اعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية) قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض (لاتسمع فيها لاغية) اى ليس فيها لغو ولاباطل (فيها عين جارية) على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجرى حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة مالم يجئ اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى مواضعها (واكواب) يعني الكيزان التي لاعرا لها (موضوعة) يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوءة (ونمارق مصفوفة) يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها بجنب بعض اينما اراد ان يجلس ولى الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى (وزرابي) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية (مبثوثة) اى مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس * قوله عز وجل (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل مافي هذه السورة ممافي الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدا بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ماصنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهد الفيل الاالنادر منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الآية وسئل

الارض مثلهن) ان اخذنا السموات بمعناها الظاهر فالاراضي السبعة هي طبقات العناصر المشهوره فانها قوابل بالنسبة الى المؤثرات فهي ارضها التي تنزل عليها منها الصور الكائنة وهي النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء المسماة كرة الاثير التي تتولد فيها الشهب وذات الاذناب والذوائب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المنعوله للنسيم الشامله للطبقة الطينية التي هي السادسة وطبقة الارض الصرفة عند المركز وان حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفاء وغيب الغيوب اى عين جمع الذات فالارضون هي الاعضاء السبعة المشهورة (يتنزل الامر) امر الله بالايجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل (بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) والله تعالى اعلم

﴿ سورة التحريم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك

الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال للعرب وانفسه تأكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة او للركوب او للحمل او للبن او لاجل اللحم ولا توجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويأكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة ايام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من اعظم شيء عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم ﴿والى السماء كيف رفعت﴾ يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شيء ﴿والى الجبال كيف نصبت﴾ اى على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول ﴿والى الارض كيف سطحت﴾ اى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شيء ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿فذكر انما انت مذكر﴾ اى فعظ انما انت واعظ ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ اى بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال ﴿الا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير ﴿فيعذبه الله العذاب الاكبر﴾ وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذا كله ﴿ان الينا ايابهم﴾ اى رجوعهم بعد الموت ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ يعني جزاءهم بعد الرجوع الينا والله اعلم

﴿تفسير سورة الفجر وهي مكية وتسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية﴾

﴿ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿والفجر﴾ اقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي انها دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معاني هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر

والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم) الاهل بالحقيقة هو الذي بينه وبين الرجل تعلق روحاني واتصال عشقي سواء اتصل به اتصالا جسمانيا اولا وكل ما تعلق به تعلقا عشقيا فبا لضرورة يكون معه في الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النار كوقاية نفسه فانه زكى نفسه عن الهيآت الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة تنجذب اليها فيكون

الحيوانات فى طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذى الحجة لانه قرن به الليالى العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليال عشر) قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذى لا يحصل فى غيرها روى عن ابن عباس انها العشر الاول من ذى الحجة لانها ايام الاشتغال بأعمال الحج واخرج الترمذى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هى العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان احيا ليله وشد مئزره وايقظ اهله يعنى للعبادة وقيل هى العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابى سعيد الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر * عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالى العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر واما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالى والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذا يسر) اى اذا سار وذهب وقيل اذا جاء واقبل واراد به كل ليلة وقيل هى ليلة المزدلفة وهى ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه (هل فى ذلك) اى فيما ذكرت (قسم) مقنع ومكتفى فى القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لذى حجر) اى لذى عقل سمى بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى واصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجرة الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض

معها فى الهاوية محجوبا بها سواء هى قواها الطبيعية الداخلة فى تركيبه او نفوس انسانية منتكسة فى عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الاصفياء والاولياء ليحشر معهم فان المرء يحشر مع من احب (نارا وقودها الناس والحجارة) اى نارا مخصوصة من بين النيران بأن لا تتقد الا بالناس والحجارة لكونها نارا روحانية من صفات قهر الله تعالى مستولية على النفوس المرتبطة بالامور السفلية المقترنة بالاجرام الجاسية الارضية بسلسلة المحبة الروحانية فلما قرنت تلك النفوس انفسها بها حبا وهوى حشرت معها فى الهاوية (عليها) اى يلى امرها (ملائكة غلاظ) اعزاء جافية غلاظ الاجرام وهى القوى السماوية والملكوت الفعالة فى الامور الارضية التى هى روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثنا عشر المشار اليها بالزبانية التسعة عشر غير مالك الذى هو الطبيعة الجسمانية الموكلة بالعالم السفلى وجميع القوى

بين القسم وجوابه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عزوجل الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم ❊ وقوله (الم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد (كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة من هؤلاء فاما عاد فهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ماذكر فى نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك عاد وثمود وابقى اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة فى الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزروع ومنازلهم بوادى القرى هى التى قال الله تعالى (التى لم تخلق مثلها فى البلاد) وسموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعنى طولهم مثل العماد فى الشبه قال مقاتل كان طول احدهم اثنى عشر ذراعا وقوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد يعنى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا وداخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان باليا قوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضها وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فارسل معاوية الى

والملكوت المؤثرة فى الاجسام التى لو تجردت هذه النفوس الانسانية ترقت من مراتبها واتصلت بعالم الجبروت وصارت مؤثرة فى هذه القوى الملكوتية ولكنها لما انغمست فى الامور البدنية وقرنت انفسها بالاجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها محبوسة فى اسرها معذبة بأيديها (شداد) اى اقوياء لا لين ولا رأفة ولا رحمة فيهم لانهم مجبولون على القهر لا لذة لهم الا فيه (لا يعصون الله ما امرهم) لتسخيرهم وانقيادهم لامره وطاعتهم واذعانهم له لانهم وان كانوا قهارين مؤثرين بالنسبة الى ما تحتهم من اجرام هذا العالم وقواها فانهم مقهورون متأثرون بالنسبة الى الحضرة الالهية ولو لم يكن انقيادهم للامر الالهى طبعا لما كان لهم تأثير فى هذا العالم (ويفعلون مايؤمرون) لدوام تأثيرهم وعدم تناهى قواهم وقدرهم (ياايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) اذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيآت الا الجزاء على الاعمال لامتناع الاستكمال ثمة (انما تجزون

ماكنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله) بالرجوع اليه فى كل حال من احوالكم فان مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما ان اول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء عن الانانية والبقية وكذلك التوبة اولها الرجوع عن المعاصى واخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذى هو من امهات الكبائر عند اهل التحقيق (توبة نصوحا) اى توبة ترقع الخروق وترتق الفتوق وتصلح الفاسد وتسد الخلل فان خلل كل مقام وفساده ونقصانه لاينسد ولا ينصلح ولا ينجبر الا عند التوبة عنه بالترقى الى ماهو فوقه فاذا تاب عنه بالترقى وبرز عن حجاب رؤية ذلك المقام انجبر نقصه وتم وهو من النصح بمعنى الخياطة او توبة خالصة عن شوب الميل الى المقام الذى تاب عنه والنظر اليه بعدم الالتفات وقطع النظر عنه من النصوح بمعنى الخلوص (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) من ذنوب المقام الذى تبتم اليه عنه وحجبه وآفاته والنظر اليه او

كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى امر الملك ان نبنى فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليمانى واقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وامر الملك وزراءها وهم الف وزير ان يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل * قوله عز وجل (وثمود) اى وفعل بثمود مثل مافعل بعاد (الذين جابوا) اى قطعوا (الصخر) اى الحجر (بالواد) يعنى بوادى القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر واتخذوا مساكن فى الجبال وبيوتا (وفرعون ذى الاوتاد) سمى بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه الملك كما قيل * فى ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمى بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهى امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابى فقالت الهى واله ابيك واله السموات والارض واحد لاشريك له فقامت ودخلت على ابيها وهى تبكى فقال لها مايبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لاشريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالهك قالت لاافعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفرى بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله عز وجل فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا فى المهد صغارا اطفالا وقالت يااماه لاتجزعى فان الله قد بنى لك بيتا فى الجنة فاصبرى فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث فى طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد روى فى كذا فى جبل كذا فبعث رجلين فى طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلى وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم انى كتمت ايمانى مائة سنة ولم يظهر على احد فايما هذين

(الرجلين)

الرجلين كتم على فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وايماهذين الرجلين اظهر على فعجل
عقوبته فى الدنيا واجعل مصيره فى الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما
احدهما فاعتبر وآمن واما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك
غيرك قال نعم فلان فدعابه فقال احق مايقول هذا قال مارأيت مما يقول شيأ فاعطاه فرعون
واجزل واما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قدتزوج امراة من اجل نساء بنى
اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعنى ان
اصبر على مايأتى فرعون وانامسلمة وفرعون كافر فبيناهى كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها
فرعون فجاس قريبا منهـا فقالت يافرعون انت اشر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها
قال فاعـل بك الجنون الذى كان بهـا قالت مابى من جنون وان الهها والهك والهى واله
السموات والارض واحد لاشريك له فبصق عليها وضربها وارسل الى ابيها وامها فدعاهما
وقال لهما ان الجنون الذى كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك انى اشهد ان ربى
وربك ورب السموات والارض واحد لاشريك له فقال لها ابوها يا آسية الست من خير نساء
العالمين وزوجك اله العماليق قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان مايقول حقافقولا له ان يتوجنى
تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجاعنى ثم
مدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها مايصنع بها فرعون فعند
ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله روحها وادخلها
الجنة * قوله عز وجل (الذين طغوا فى البلاد) يعنى عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصى
وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فاكثروا فيها الفساد) يعنى القتل والفساد ضد الصلاح
فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتـناول جميع اقسام الاثم (فصب
عليهم ربك سوط عذاب) يعنى لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون فى الدنيا من العذاب
بالسوط وقيل هو اشارة الى ماخلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشئ بعضه ببعض
وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه
الذى ضربهم به العذاب وكان الحسن اذاقرأ هذه الآية يقول ان عندالله تعالى اسواطا كثيرة
فاخذهم بسوط منها (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق
العباد لايفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى
حكمه وامره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد اعمال بنى آدم والمعنى انه لايفوته شئ من اعمال العباد
كما لايفوت من بالمرصاد وقد قيل ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم * قوله عز وجل (فاما
الانسان اذاماابتلاه) اى امتحنه (ربه) اى بالنعمة (فاكرمه) اى بالمال (ونعمه) اى بما
وسع عليه (فيقول ربى اكرمن) اى بما اعطانى من المال والنعمة (واما اذا ماابتلاه) يعنى بالفقر
(فقدر عليه) اى فضيق عليه وقيل قتر (رزقه) اى وقد اعطاه مايكفيه (فيقول ربى اهانن)
اى اذلنى بالفقر قيل نزلت فى امية بن خلف الجمحى الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل
المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته
فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) اى ليس الامر

الاعتـداد به والميل اليـه
ورؤيته او التلوين الذى
يحدث بعـد الترقى عنـه
كالتلوين بظهور النفس
فى مقـام القلب وبظهور
القـلب فى مقـام الروح
وبظهور الانانية فى مقام
الوحدة (ويدخلكم جنات
تجرى من تحتها الانهار)
مترتبة على مراتب التوبة
(يوم لا يخزى الله النبى
والذين آمنوا معه) بظهور
الحجاب فى مقـام القرب
(نورهم يسعى بين ايديهم)
اى الذى لهم بحسب النظر
والكمال العلمى (وبايمانهم)
اى الذى لهم بحسب العمل
وكماله اذ النور العلمى من
منبع الوحدة والعملى من
جانب القـلب الذى هو
يمين النفس او نور السابقين
منهم يسعى بين ايديهم ونور
الابرار منهم يسعى بايمانهم
(يقولون ربنا اتمم لنا نورنا)
اى يعوذون به ويلوذون
الى جنابه من ظهور البقية
فانها ظلمة فى شهودهم فيطلبون
ادامة النور بالفناء المحض
او ادم علينا هذا الكمال
بوجـودك ودام اشراق
سبحـات وجهك يقولون
ذلك عن فرط الاشـتياق
مع الشهود كقوله

كذلك اى لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لايدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يضجر ويقلق (بل لايكرمون اليتيم) اى لايعطونه حقه الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه (ولا يحضون على طعام المسكين) اى لايطعمون مسكينا ولا يأمرون باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه ولايحض بعضهم بعضا على ذلك (ويأكلون التراث) اى الميراث (اكلا لما) اى شديدا والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الصبيان ويأكل كل شئ يجده لايسأل احلال ام حرام فيأكل الذى له ولغيره (ويحبون المال حبا جما) اى كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبه (كلا) اى لاينبغى ان يكون الامر هذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لايفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لاينفعهم الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) اى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شئ عليها من جبل وبناء وغيره حتى لايبقى على ظهرها شئ (وجاء ربك) اعلم ان هذه الآية من آيات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال فلابد من تأويل الاية فقيل فى تأويلها وجاء امر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الآيات (والملك صفا صفا) اى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكون سبع صفوف (وجئ يومئذ) يعنى يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود فى هذه الآية تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعنى يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) اى يتعظ الكافر ويتوب (وانى له الذكرى) يعنى انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) اى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة التى لاموت فيها (فيومئذ لايعذب عذابه احد) اى لايعذب احد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولايوثق وثاقه احد) يعنى لايبلغ احد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق هو الاسر فى السلاسل والاغلال وقرئ لايعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لايعذب عذابه هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه * قوله عز وجل (ياايتها النفس المطمئنة) اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التى قد ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب حين استشهد

ويبكى ان دنوا خوف الفراق * اويقول بعضهم وهم الذين لم يصلوا الى الشهود الذاتى (واغفر لنا انك على كل شئ قدير) ظهور البقايا بعد الفناء او وجود الاثبات قبله (ياايها النبى جاهد الكفار والمنافقين) للمضادة الحقيقية بينك وبينهم (واغلظ عليهم) لقوتك بالله منبع القوى والقدر ومعدن القهر والعزة عسى ان تنكسر صلابتهم وتلين شكيمتهم وعريكتهم فتنقهر نفوسهم وتذل وتخضع فتنفعل عن النور القهرى وتهتدى فتكون صورة القهر عين اللطف (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مادام هم هم اى ما داموا على صفتهم او دائما ابدا لزوال استعداده اوعدمه (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرات فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى

باحد وقيل فى حبيب بن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل
فى ابى بكر الصديق والاصح ان الآية عامة فى نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجعى
الى ربك) اى الى ماوعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا
قال عبدالله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله عزوجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة
من الجنة فيقال اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عنك راض
فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد فى انفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قدجاء من
الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلاتمر بباب الافتح لها ولا بملك الاصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن
جل جلاله فتسجدله ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع
عليه قبره سبعون ذراعا طوله وينبذله فيه الروح والريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه
نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلايوقظه الااحب
اهله اليه واذاتوفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اى من كساء انتن من كل
نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم وربك
عليك غضبان وقيل فى معنى قوله ارجعى الى ربك اى الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها
ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك
ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعى الى ثواب ربك وكرامته (راضية) اى عن الله بما اعدلك
(مرضية) اى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجعى الى ربك راضية مرضية فاذا كان
يوم القيامة قيل لها (فادخلى فى عبادى) اى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين (وادخلى
جنتى) قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائرقط فدخل نعشه
ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لايدرى من تلاها ياايتها النفس المطمئنة
ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال بعض اهل الاشارة
فى تفسير هذه الآية ياايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى ربك بتركها والرجوع اليه
هو سلوك سبيل الآخرة والله اعلم

﴿ تفسير سورة البلد ﴾

وهى مكية وعشرون آية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (لااقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لااقسم فى اول سورة القيامة والبلد
هى مكة فى قول جميع المفسرين (وانت حل بهذا البلد) اى مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة
مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اى حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ماتريد
من القتل والاسر ليس عليك ماعلى الناس من الاثم فى استحلالها احل الله عزوجل له مكة يوم
الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما واحل
دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن
ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل
لاحد قبلى ولاتحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة

من القوم الظالمين ومريم
ابنة عمران التى احصنت
فرجها فنفخنا فيه من روحنا
وصدقت بكلمات ربها وكتبه
وكانت من القانتين) ثم
بين ان الوصل الطبيعية
والاتصالات الصورية
غير معتبرة فى الامور
الاخروية بل المحبة الحقيقية
والاتصالات الروحانية
هى المؤثرة فحسب والصورية
التى بحسب اللحمة الطبيعية
والخلطة والمعاشرة لايبقى
لها اثر فيما بعد الموت ولا
تكون الا فى الدنيا بالتشابين
المذكورين وان المعتبر فى
استحقاق الكرامة عند
الله هو العمل الصالح
والاعتقاد الحق كاحصان
مريم وتصديقها بكلمات
ربها وطاعتها المعدة اياها
لقبول نفخ روح الله فيها
وقد يلوح بينهما ان النفس
الخائنة التى لاتفى بطاعة
الروح والقلب ولاتحسن
معاشرتهما ولاتطيعهما بامتثال
اوامرهما ونواهيهما وتحفظ
اسرارهما وتبيح مخالفتهما
وتسير بسير الاباحة باستراق
كلمة التوحيد والطغيان
بانتحال الكمال داخله فى
نار الحرمان وجحيم الهجران
مع المحجوبين ولاتغنى هداية

والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى فى الماضى وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه فى المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل فى معنى قوله وانت حل بهذا البلد اى انهم يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه (ووالد وما ولد) يعنى آدم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى كبد) قال ابن عباس فى نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه ايضا قال فى شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد مايكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشى منكبا وقيل منتصبا راسه فى بطن امه فاذا اذن الله فى خروجه انقلب راسه الى اسفل وقيل فى كبد اى فى قوة نزلت فى ابى الاشد اسيد ابن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه ويقول من ازالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه (ايحسب) يعنى ابا الاشد من قوته (ان لن يقدر عليه احد) يعنى ايظن لشدته فى نفسه انه لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى (يقول) يعنى هذا الكافر (اهلكت) اى انفقت (مالا لبدا) اى كثيرا من التلبيد الذى يكون بعضه فوق بعض يعنى فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (ايحسب ان لم يره احد) يعنى ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وقيل كان كاذبا فى قوله انه انفق ولم ينفق جميع ماقال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) يعنى ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كى يشكره وجاء فى الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه (وهديناه النجدين) قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين (فلا اقتحم العقبة) اى فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان يكون ذلك خيرا له من انفاقه فى عداوة من ارسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الامر الشديد وذكرا لعقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال الخير والبر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا اعتق رقبة او اطعم المساكين كان كمن اقتحم لعقبة وجاوزها وروى عن ابن عمران هذه العقبة جبل فى جهنم وقيل هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق

الروح او القلب عنها شيأ من الاغناء فى باب العذاب وان اغنت عنها فى باب الخلود وان القلب المقهور تحت استيلاء النفس الامارة الفرعونية الطالب للخلاص بالالتجاء الى الحق الذى قويت قوة محبة الله لصفائه وضعفت قوة قهره للنفس والشيطان لعجزه وضعفه لايبقى فى العذاب مخلدا ويخلص الى النجاة ويبقى فى النعيم سرمدا وان تعذب بمجاورتها حينا وتألم بأفعالها برهة وان النفس المتزينة بفضيلة العفة المشار اليها باحصان الفرج هى القابلة لفيض روح القدس الحاملة بعيسى القلب المتنورة بنور الروح المصدقة بكلمات الرب من العقائد الحكمية والشرائع الالهية المطيعة لله مطلقا علما وعملا سرا وجهرا المنخرطة فى سلك التوحيد جمعا وتفصيلا باطنا وظاهرا والله تعالى اعلم

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك الذى بيده الملك) الملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار

الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل بسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ماهى فقال تعالى (وماادريك ماالعقبة) اى وماادريك مااقتحام العقبة (فك رقبة) يعنى عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التى فى ملكه اويعطى مكاتبا مايصرفه فى فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوى بسنده عن البراء ابن عازب قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال لاعتق النسمه ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى ثمنها والمنحة الوكوف والفئ على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الامن خير وقيل فى معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التى يصير بها الى رضوان الله والجنة فهى الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار (اواطعام فى يوم ذى مسغبة) اى فى يوم ذى مجاعة والسغب الجوع (يتيماذا مقربة) اى ذاقرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة (اومسكينا ذا متربة) يعنى قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح فى التراب لايقيه شئ والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لاتنفع الامع الايمان بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى انه ان كان مؤمنا تنفعه هذه القرب وكان مقتحما العقبة وان لم يكن مؤمنا لاتنفعه هذه القرب ولايقتحم العقبة (وتواصوا بالصبر) يعنى وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه (وتواصوا بالمرحمة) اى برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله (اولئك) يعنى اهل هذه الخصال (اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة) يعنى مطبقة عليهم ابوابها لايدخل فيها روح ولايخرج منها غم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الشمس ﴾

وهى مكية وخمس عشرة آية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة واربعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والشمس وضحاها) اى اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل فى النهار كله وقيل الضحى هو الشمس لان حرها ونورها متلازما فاذا اشتد نورها قوى حرها وهذا اضعف الاقوال (والقمر اذا تلاها) اى تبعها وذلك فى النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر فى الاضاءة وخلفها فى النور وقيل تلاها فى الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك فى الليالى البيض وقيل تلاها تبعها فى الطلوع وذلك فى اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكانه تبعها (والنهار اذا جلاها) يعنى جلا ظلمة الليل بضيائه

تصريفه عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذى هو غاية العظمة ونهاية الازدياد فى العلو والبركة باعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح الذى هو التنزيه كقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ كلا بما يناسبه لان العظمة والازدياد والبركة تناسب الاجساد والتنزه يناسب المجردات عن المادة فمعنى تبارك وتعالى وتعاظم الذى يتصرف فى عالم الملك بيد قدرته لايتصرف فيه غيره فبيده كل ما وجد من الاجسام لا بيد غيره يصرفها كما يشاء (وهو) القادر على كل ما عدم من الممكنات يوجدها على ما يشاء فان قرينة القدرة تخص الشئ بالممكن اذا تعلق القدرة به فيقال انه مقدوره لانه ممكن (الذى خلق الموت والحياة) الموت والحياة من باب العدم والملكة فان الحياة هى الاحساس والحركة الارادية ولو اضطرارية كالتنفس والموت عدم ذلك عما من شأنه ان يكون له وعدم الملكة ليس عدما محضا بل فيه شائبة الوجود والا لم يعتبر فيه

وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا (والليل اذا يغشاها) اى يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس فى الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسماء وما بناها) اى ومن بناها وقيل والذى بناها فعلى هذا كانه اقسم به وعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اى والسماء وبنائها (والارض وما طحاها) اى بسطها وسطحها على الماء (ونفس وما سواها) اى عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس الشريفة المكلفة التى تفهم عنه خطابه وهى نفس جميع من خلق من الانس والجن (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتى وما تتقى وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور (م) عن ابى الاسود الديلى قال قال لى عمران بن حصين ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم من قدر قد سبق اوفيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لى يرحمك الله انى لم ارد بما سألتك الا لاختبر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق اوفيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كاننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير اوفيما يستقبل قال لا بل فيما الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا وكل ميسر لما خلق له وهذه اقسام اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على هذا القول انه قد دخل فى جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير رب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذى بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد افلح من زكاها) المعنى لقد افلح من زكاها اى فازت وسعدت نفس زكاها الله اى اصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) اى خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها واصله من دس الشئ اذا اخفاه وكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن احدانه يتولى تطهير نفسه او اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك

المحل القابل للامر الوجودى فلذلك صح تعلق الخلق به كتعلقه بالحياة وجعل الغرض من خلقهما بلاء الانسان فى حسن العمل وقبحه اى العلم التابع للمعلوم الذى يترتب عليه الجزاء وهو العلم الذى يظهر على المظاهر الانسانية بعد وقوع المعلوم فانه ليس الاعلم الله الكامن فى الغيب الظاهر بظهور المعلوم لان الحياة هى التى يتمكن بها على الاعمال والموت وهو الداعى الى حسن العمل الباعث عليه وبه يظهر آثار الاعمال كما ان الحياة يظهر بها اصولها وبهما تتفاضل النفوس فى الدرجات وتتفاوت فى الهلاك والنجاة وقدم الموت على الحياة لان الموت فى عالم الملك ذاتى والحياة عرضية (وهو العزيز) الغالب الذى يقهر من اساء العمل (الغفور) الذى يستر بنور صفاته من احسن (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) نهاية كمال عالم الملك فى خلق السموات لا ترى احكم

من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها * قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) اى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (اذ انبعث اشقاها) اى قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة لفظ البخاري في قوله عارم اى شديد ممتنع * قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) اى ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله (وسقياها) اى وشربها اى وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعني صالحا (فعقروها) يعني الناقة (فدمدم عليهم ربهم) اى فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم اى اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم احد (بذنبهم) اى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) اى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) اى لا يخاف الله تبعة من احد في هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما انزل الله بهم من العذاب ان يؤذيه احد بسبب ذلك والله اعلم

﴿تفسير سورة والليل﴾

وهي مكية واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة احرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل (والليل اذا يغشى) اى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله (والنهار اذا تجلى) اى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق (وما خلق الذكر والانثى) اى ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وان اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدا خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير ام وجواب القسم قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) اى بان اعمالكم المختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى ابو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها قوله موبقها اى مهلكها * قوله تعالى (فاما من اعطى) اى انفق ماله في سبيل الله عز وجل (واتقى) اى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف به اى ايقن ان الله

خلقا واحسن نظاما وطباقا منها واضاف خلقها الى الرحمن لانها من اصول النعم الظاهرة ومبادى سائر النعم الدنيوية وسلب التفاوت عنها لبساطتها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضا وحسن انتظامها وتناسبها ونفى الفطور لامتناع خرقها والتئامها وانما قال (ثم ارجع البصر كرتين) لان تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقق الحقائق واذا كان ذلك فيها عند طلب الخروق والشقوق لا يفيد الا الخسوء والحسور تحقق الامتناع وما اتعب من طلب وجود الممتنع (ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا) من السموات المعنوية اى العقل الانساني (بمصابيح) الحجج والبينات (وجعلناها رجوما للشياطين) لشياطين الوهم والخيال (واعتدنا لهم عذاب السعير) سعير الاحتجاب في قعير الطبيعة والهوى في هاوية العالم الجسماني والبرزخ الغاسق الظلماني او السماء المحسوسة التي هي اقرب الينا من السماء العقلية بمصابيح الكواكب

سيخلف عليه ماانفقه فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعدالله عزوجل الذى وعده انه يثيبه (فسنيسره) فسنهيئه فى الدنيا (لليسرى) اى للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله ❊ قوله عزوجل (واما من بخل) اى بالنفقة فى الخير والطاعة (واستغنى) اى عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) اى بلا اله الا الله اوكذب بما اوعده الله عزوجل من الجنة والثواب (فسنيسره للعسرى) اى فسنهيئه للشر بان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نسر عليه ان يأتى خيرا وفى الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم فى القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيدالله تعالى ووجوب العمل بما سبق له فى الازل (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال مامنكم من احد الاوقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم والاوقد كتبت شقية اوسعيدة فقالوا يارسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له امامن كان من اهل السعادة فيصير لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فامامن اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك اوغيرها بما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعنى سعى ابى بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها فى دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من ايديهم وان وجدها فى فم احدهم ادخل اصبعه فى فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطينى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة فقال الرجل ان لى نخلا ومافيه اعجب الى منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعها بحش يعنى حائطا له فيه نخل فقال هى لك فاتى ابو الدحداح النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تشتريها منى بنخلة فى الجنة فقال نعم فقال هى لك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصارى صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت فى ابى بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق الآيات يقتضى ذلك ❊ قوله عزوجل (ومايغنى عنه ماله) اى الذى بخل به (اذا تردى) اى اذا مات وقيل هوى فى جهنم (ان علينا للهدى) اى ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ماللمحسن من اليسرى وماللمسئ من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائى الى العمل بطاعتى واصرف

وجلناها بحيث ترجم بها النفوس البعيدة عن عالم لظلمة جواهرها بملازمة الغواسق الجسمانية المخالفة بجواهرها الخبيثة عن الجواهر المقدسة التى غلبت عليها ظلمة الكون وشدة الرين وتكدرت بمباشرة الشهوات الطبيعية وتلوثت بألواث التعلقات الجسمانية وامتزجت بها فترسخت فيها الهيئات المظلمة وتغيرت عن طباعها فتأثرت بتأثيرات الاجرام العلوية كما اشتاقت بسنخها عالمها رجمتها روحانيات الكواكب وطردتها الى جحيم العالم السفلى والزمتها مجاورة الهياكل المناسبة لهيآتها وملازمة البرزخ المشاكلة لطباعها والقتها فى عذاب تضاد الطبائع وسعير استيلاء طبائع تلك الغواسق (وللذين كفروا بربهم) حجبوا عن ربهم عامة سواء الشياطين الذين هم فى غاية البعد والمنافاة وقوة الشر وغيرهم من الضعفاء المحجوبين الذين ليسوا فى غاية الشرارة (عذاب جهنم) اى العالم السفلى الفاسق المضاد بطبعه لعالم النور (وبئس المصير) ذلك

اعدائى عن العمل بطاعتى وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للآخرة والاولى) اى لنا ما فى الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق (فانذرتكم) اى يا اهل مكة (نارا تلظى) اى تتوقد وتتوهج (لا يصلاها الا الاشقى) يعنى الشقى (الذى كذب) يعنى الرسل (وتولى) اى عن الايمان (وسيجنبها الاتقى) يعنى التقى (الذى يؤتى) اى يعطى (ماله يتزكى) اى يطلب عند الله ان يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق فى قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له ابوه اى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى اريد فأنزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك احد احد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابى بكر فى بنى جمح فقال لامية الا تتقى الله فى هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال ابو بكر افعل عندى غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر ابن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عميس وزهرة فأصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها واعتق الهندية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فرآهما ابو بكر وقد بعثهما سيدتهما يحتطبان لها وهى تقول والله لا اعتقهما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق ابى بكر اياهم وكان اسم ابى بكر عتيقا فقال فى ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا واخزى فاكها واباجهل * عشية هما فى بلال بسوأة
ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل * بتوحيده رب الانام وقوله * شهدت بان الله ربى على مهل
فان تقتلونى فاقتلونى فلم اكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل * فيارب ابراهيم والعبد يونس
وموسى وعيسى نجنى ثم لا تملى * لمن ظل يهوى الغى من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى ان امية بن خلف قال لابى بكر فى بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل (وما لاحد عنده) اى عند ابى بكر (من نعمة تجزى) اى من يديكافئه عليها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) اى لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له

المهوى المظلم المهين المحرق (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) لاهلها الاصوات المنكرة المنافية لاصوات الاناسى والروحانيين اولا نفسهم فانهم يصطرخون فيها بأصوات الحيوانات القبيحة المنظر المنكرة الصوت (وهى تفور) تغلى عليهم وتستولى وتعلو (تكاد تميز من الغيظ) اى تتفارق اجزاؤها من شدة غلبة التضاد عليها وشدة مضادتها لجواهر النفوس ولعمرى ان شدة منافرة الطباع بعضها بعضا تستلزم شدة العداوة والبغض المفضية لشدة الغيظ والحنق فتلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور والجوهر المجرد واصل فطرة النفس يشتد غيظها عليها وتحرقها بنار غضبها اعاذنا الله من ذلك (كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) والخزنة هم النفوس الارضية

عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته (ولسوف يرضى) اى بما يعطيه الله عز وجل فى الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل والله اعلم

﴿ تفسير سورة والضحى ﴾

وهى مكية واحدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والضحى) اختلفوا فى سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى ارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك ليلتين او ثلاثا فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى واخرجه الترمذى عن جندب قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت اصبعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

قال فابطا عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المرأة المذكورة فى الحديث المتفق عليه هى ام جميل امرأة ابى لهب القول الثانى قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذى القرنين واصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحى وجبريل عنه ان جروا كان فى بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا فى مدة احتباس الوحى عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما فلما نزل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ماجئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل انى كنت اليك اشد شوقا ولكنى عبد مأمور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله فى قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد فى الصيف والشتاء (والليل اذا سجى) قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) اى ما تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الآى وقيل معناه وما قلى احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة (وللآخرة خير لك من الاولى) اى الذى اعطاك ربك فى الآخرة خير لك واعظم من الذى اعطاك فى الدنيا وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هى الشفاعة فى امته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد واساله ما يبكيك وهو اعلم فاتى جبريل وسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم

والسماوية الموكلة بعالم الطبيعية السفلية وسؤالهم اعتراضهم ومنعهم اياها عن الفوز من الجحيم بحجة تكذيب الرسل ومنافاة عقائدها لما جاءت به ومعاندتها اياهم وعدم معرفتها بالله وكلامه وصممها عن الحق وانتفاء سماعها وعدم عقلها عن الله معارفه وآياته ودلائل توحيده وبيناته فانهم لو سمعوا او عقلوا لعرفوا الحق واطاعوا فنجوا وخلصوا الى عالم النور وجوار الحق فما كانوا فى اصحاب السعير (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) بتصور عظمته غائبين عن الشهود الصفاتى فى مقام النفس بتصديق الاعتقاد (لهم مغفرة) من صفات النفس (واجر كبير) من انوار القلب وجنة الصفات او الذين يخشون ربهم بطالعة صفات العظمة فى مقام القلب غائبين عن الشهود الذاتى لهم مغفرة من صفات القلب واجر كبير من انوار الروح وجنة الذات (واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق) لكون تلك السرائر عين

قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك فى امتك ولا نسوؤك (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتى لا يشرك بالله شيأ * عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيأ اخرجه الترمذى قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن على يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجى آية فى القرآن قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل فى معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه فى الدنيا النصر والظفر على الاتباع وكثرة الاعداء والفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلى دينه وان امته خير الامم واعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه فى الدنيا والآخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقيل الوحى وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل (الم يجدك يتيما) اى صغيرا (فآوى) اى الم يعلمك الله يتيما من الوجود الذى هو بمعنى العلم والمعنى الم يجدك يتيما صغيرا حين مات ابوك ولم يخلف لك مالا ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك ابى طالب حتى احسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابو طالب الى ان قوى واشتد وزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك اليه وايدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (ووجدك ضالا) اى عما انت عليه اليوم (فهدى) اى فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة اذ جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من انت فعرفك نفسك وحالك * قوله عز وجل (ووجدك عائلا فاغنى) يعنى فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه

علمه فكيف لا يعلم ضمائرها من خلقها وسواها وجعلها مرائى اسراره (وهو اللطيف) الباطن علمه فيها النافذ فى غيوبها (الخبير) بما ظهر من احوالها اى المحيط ببواطن ما خلق وظواهره بل هو هو بالحقيقة باطنا وظاهرا لا فرق الا بالوجوب والامكان والاطلاق والتقييد واحتجاب الهوية بالهذية والحقيقة بالشخصية (هو الذى جعل لكم الارض) ارض النفس (ذلولا فامنوا فى مناكبها) بأقدام الفطرة فى اعالى صفاتها واعز اطرافها وجهاتها واقهرها مذلة (وكلوا من رزقه) الذى ينال من جهتها اى العلم المأخوذ من الحس وهو الاكل من تحت الارجل المشار اليه بقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم (واليه النشور) بالعروج الى مقام الولاية وحضرة الجمع (ا امنتم من فى السماء) الذى قهر سلطانه سماء الروح وبهر نوره شمس العقل بالتأثير والتنوير (ان يخسف بكم الارض) ارض النفس بأن يحركها

الله بما آتاه وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى عز وجل مسئلة ووددت انى لم اكن سألت قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يارب زاد فى رواية الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم فى صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك ان يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كأنه قال مالك تقطع رجاءك عنى الست الذى ربيتك وآويتك وانت يتيم صغيرا اتظننى تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وان اتم نعمتى عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فاما اليتيم فلا تقهر) اى لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب فى الجاهلية تفعل فى امر اليتامى يأخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوى بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ويشير باصبعيه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (واما السائل فلا تنهر) يعنى السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك فى وجهه قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعى السائل بريدنا الى الآخرة يجئ الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشئ وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس فى وجهه ولا ينهر ولا يلاقى بمكروه (واما بنعمة ربك فحدث) قيل اراد بالنعمة النبوة اى بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التى آتاك الله وقيل النعمة هى القرآن امره ان يقراه ويقرئه غيره وقيل اشكره لما ذكره نعمه عليه فى هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر امره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى عطاء فليجزبه ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور اخرجه الترمذى * وله عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر الجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة فى قراءة اهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على راس

ويقلبها عليكم فتقهركم وتستولى عليكم فتذهب بنوركم وتهلككم وتجعلكم اسفل سافلين (فاذا هى) تضطرب عالية طياشة لاقرار لها ولا طمأنينة بالسكينة لما فى طباعها من الطيش والاضطراب (ام امنتم من فى السماء) ذلك العالى القهار (ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) حاصب صفات النفس ولذاتها وشهواتها المستعلية بريح الهوى على القلب فى جو الامانى والآمال فيها كهم هلاك المكذبين الذين تحركت نفوسهم بقهر من الله فاحتجبوا بظلماتها عن نور هداية الرسل فخسفوا ومسخوا وكان من حالهم ما يتعجب منه وعاينوا ما انذروا به من المنكر الفظيع (اولم يروا الى الطير) طير المعارف والحقائق والاشراقات النورية والمعانى القدسية (فوقهم) فى سماء الروح (صافات) انفسهن مترتبة متناسقة فيها (ويقبضن) عن النزول الى القلب (ما يمسكهن الا الرحمن) المسوى الاستعداد

كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان الوحى لما احتبس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت
والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الم نشرح ﴾

وهى مكية وثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

*قوله عز وجل (الم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير اى قد فعلنا ذلك ومعنى
الشرح الفتح بما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة
باذهاب الشواغل التى تصده عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان
والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره فى صغره (م) عن انس رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه
فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى
طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره فقالوا
ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط فى صدره
(ووضعنا عنك وزرك) اى حططنا عنك وزرك الذى سلف منك فى الجاهلية فهو كقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب امتك فأضافها اليه
لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر فى
اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذى ينقض ظهرك لو كان ذلك
الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول فى عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى
فى سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر (الذى انقض ظهرك) اى اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفى الذى
يسمع من المحمل اوالرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبى
صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه
بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك
على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل حسنات الابرار سيآت المقربين * وقوله عز وجل
(ورفعنا لك ذكرك) روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل
اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا
عبد الله وصدقه فى كل شئ ولم يشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك
بشئ وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا ينادى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل
صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد * وضم الاله اسم النبى مع اسمه

المهئ لقبولها المودع اياها
فيها المرتب لها بسعة رحمته
الواسعة الشاملة لكل
ما خلق وقدر المعطية كل
شئ خلقه وما يرسلهن الا
الرحيم المفيض لكل ما قدر
من الكمال بحسب الاستعداد
المظهر لكل ما دبر فى الغيب
من المعانى والصفات (انه
بكل شئ بصير) فى مكمن
غيبه فيعطيه ما يليق به
ويسويه بحسب مشيئته
ويودع فيه ما يريده بمقتضى
حكمته ثم يهديه اليه بتوفيقه
(امن هذا الذى هو جند
لكم ينصركم من دون
الرحمن) اى من يشار
اليه ممن يستعان به من
الاغيار حتى الجوارح
والآلات والقوى وكل
ما ينسب اليه التأثير والمعونة
من الوسايط فقال هو
جند لكم ينصركم من دون
الرحمن فيرسل ما امسك
من النعم الباطنة والظاهرة
او يمسك ما ارسل من النعم
المعنوية والصورية او
يحصل لكم ما منع ولم يقدر
لكم او يمنع ما اصابكم به
وقدر عليكم (ان الكافرون)
المحجوبون الذين ستروا
نور فطرتهم (الا فى غرور)
بالوسايط (امن) يشار

اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع
ذكره بان قرن اسمه فى قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء فى القرآن وغيره من كتب
الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك انه كان فى شدة بمكة فقال تعالى (فان
مع العسر يسرا) اى مع الشدة التى انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك
عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به (ان مع العسر يسرا) وانما كرره لتأكيد الوعد
وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا
فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى
يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون فى معنى قوله لن يغلب عسر
يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن
عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثانى هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم
اعادته كان الثانى غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثانى غير الاول واذا
قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثانى هو الاول فالعسر فى الآية مكرر بلفظ التعريف
فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا
ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف ابو على الحسن بن يحيى الجرجانى صاحب النظم هذا القول
وقال قد تكلم الناس فى قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة
واليسر نكرة فوجب ان يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل
ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف
اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل
مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون
كايسر اهل مكة فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله
نعمه عليه فى هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع
العسر يسرا اى لا يحزنك الذى يقولون فان مع العسر الذى فى الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز
ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطى المئين من الابل ويهب الهبة
السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من امور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه
تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذى فى الدنيا للمؤمن
يسرا فى الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره فى الآية الاولى ويسر
فى الآخرة وهو ما ذكره فى الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اى ان عسر الدنيا لن يغلب
اليسر الذى وعده الله المؤمنين فى الدنيا واليسر الذى وعدهم فى الآخرة انما يغلب احدهما
وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم ابدا غير زائل اى لا يجتمعان فى الغلبة فهو كقوله صلى
الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اى لا يجتمعان فى النقص قال القشيرى كنت يوما بالبادية بحالة
من الغم فالقى فى روعى بيت شعر فقلت

اليه منها فيقال (هذا الذى
رزقكم ان امسك) الرحمن
(رزقه) المعنوى او الصورى
(بل لجوا فى عتو) اى عناد
وطغيان لمضادتهم الحق
بالباطل الذى اقاموا عليه
ومنافاتهم النور بظلمة
نفوسهم (ونفور) اى
شراد لبعد طباعهم ونبوها
عنه (افمن يمشى مكبا على
وجهه) متنكسا بالتوجه
الى الجهة السفلية ومحبته
للذات الحسية وانجذابه
الى الامور الطبيعية (اهدى
امن يمشى سويا على صراط
مستقيم) منتصبا على صراط
التوحيد الموصوف
بالاستقامة التامة التى
لا يبلغ كنهها ولا يقدر قدرها
ولما فرق بين الفريقين
الضالين والمهتدين الموحدين
اشار الى توحيد الافعال
بقوله (قل هو الذى انشأكم
وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون)
وذكر من افعاله الابداء
والاعادة وبين ان المحجوبين
مع اعترافهم بالابداء مكرون
للاعادة فلاجرم بسواد
وجوههم رؤية ما ينكرونه
ويعاوها الكآبة ويأتيهم
من العذاب الاليم ما لا يدخل
تحت الوصف ولا يجيرهم

ارى الموت لمن اصـ * ـبح مغموما له اروح

فلما جن الليل سمعت ها تفا يهتف فى الهواء

الا ايها المرء الذى * الهم به برح * وقد انشد بيتا لم * يزل فى فكره يسنح

اذا اشتد بك العسر * ففكر فى الم نشرح * فعسر بين يسرين * اذا ابصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عنى وقال اسحق بن بهلول القاضى

فلا تيأس اذا عسرت يوما * فقد ايسرت فى دهر طويل * ولا تظنن بربك ظن سوء

فان الله اولى بالجميل * فان العسر يتبعه يسار * وقول الله اصدق كل قيل

وقال احمد بن سليمان فى المعنى * توقع لعسر دهاك سرورا * ترى العسر عنك بيسر تسرى

فا الله يخلف ميعاده * وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

قوله عزوجل (فاذا فرغت فانصب) لما عدالله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان لا يخلى وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك فى عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لا كره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته السبهلل الذى لا شئ معه وقيل السبهلل الباطل (والى ربك فارغب) اى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فى جميع احوالك لا الى احد سواه والله اعلم

تفسير سورة والتين

وهى مكية وثمان آيات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم واما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس

منهما احتجبوا به من الحق ونسبوا التأثير اليه لعجزه وانتفاء قدرته ولا الرحمن لانهم لم يتكلوا عليه برؤية جمع الافعال منه ونفى التأثير عن الغير فلم يؤمنوا به الايمان الحقيقى واذلك عرض بكفرهم وشركهم بقوله (قل هو الذى ذراكم فى الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين) اى لم نتوكل على غيره لانا شاهدنا الحضرة الرحمانية التى تصدر عنها الاشياء كلها فنعنا ذلك الايمان الحقيقى نسبة الفعل الى الغير فهو يجيرنا دونكم والله اعلم

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه اولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يأمن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لاينفر صيده ولايعضد شجره ولاتلتقط لقطته الالمنشد وهذه اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) يعنى فى اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الاالانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز والمنطق (ثم رددناه اسفل سافلين) يعنى الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لايستطيع حيلة ولايهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين امنوا وعملوا الصالحات) فانهم لايردون الى النار اوالى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلاتكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذى عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة مايضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ماكان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرا القرآن لم يرد الى ارذل العمر (فلهم اجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ماكان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) يعنى ياايها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات (بعد) اى بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) اى بالحساب والجزاء والمعنى فالذى يلجئك ايها الانسان الى هذا الكذب الاتتفكر فى صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على ان يبعثنى ويحاسبنى فالذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله بأحكم الحاكمين) اى بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين اهل التكذيب يوم القيامة * عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم من قرا والتين والزيتون فقرا أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذى وعن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الاخيرة فقرا فى احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا اوقراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة العلق ﴾

مكية وهى تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول سورة نزلت من القرآن واول مانزل خمس آيات من اولها

(ن) هو النفس الكلية (والقلم) هو العقل الكلى والاول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها والثانى من باب التشبيه اذ تنتقش فى النفس صور الموجودات بتأثير العقل كما تنتقش الصور فى اللوح بالقلم (ومايسطرون) من صور الاشياء وماهياتها واحوالها المقدرة على ما يقع عليها وفاعل مايسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والارواح المقدسة وان كان الكاتب فى الحقيقة هو الله تعالى لكن لما كان فى حضرة الاسماء نسب اليها مجازا اقسم بهما وبما يصدر عنهما من مبادى الوجود وصور التقدير الالهى ومبدا امره ومخزن غيبه لشرفهما وكونهما مشتملين على كل الوجود فى اول مرتبة التأثير والتأثر ومناسبتهما للقسم عليه (ماانت بنعمة ربك بمجنون) اى ماانت بمستور العقل مختل الادراك فى حالة كونك منعما عليك بنعمة الاطلاع على هذا المسطور بهما فانه لااعقل ممن اطلع على سر القدر واحاط بحقائق الاشياء فى نفس الامر

الى قوله مالم يعلم (ق) عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت اول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرا قال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة اي خديجة مالي واخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارای فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي وان يدركني يومك حيا انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

﴿ فصل ﴾ في هذا الحديث دليل صحيح على ان سورة اقرا اول مانزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول مانزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم او من غيره من الصحابة ومرسل الصحابة حجة عند جميع العلماء الاما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها قوى البشرية فبدئ باول علامات النبوة توطئة للوحي واما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجأه الحق اي جاءه الحق بالوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطاء المشددة المهملة اي عصرني وضمني ضما شديدا وهو قوله بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا

(وان لك لاجرا) من انوار المشاهدات والمكاشفات من هذين العالمين (غير ممنون) مقطوع لكونه سرمديا غير مادي فلا يتناهى وهم ماديون محجوبون عنه متضادون اياك في الحال والوجهة فلهذا ينسبونك الى الجنون لانحصار عقولهم وافكارهم في الماديات (وانك لعلى خلق عظيم) لكونك متخلقا باخلاق الله متأيد بالتأييد القدسي فلا تتأثر بمفترياتهم ولا تتأذى بمؤذياتهم اذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال وما صبرك الا بالله (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) عند كشف الغطاء بالموت ايكم المجنون بالحقيقة انت الذي كوشفت باسرار القدر واوتيت بجوامع الكلم ام هم الذين حجبوا عما في انفسكم من آيات الله والعبر وفتنوا بعبادة الصنم (ان ربك هو اعلم بمن) جن في الحقيقة (ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) واحتجب عن الدين وبمن عقل فاهتدى اليه اي لا يعلم احد كنه جنونهم وضلالهم الا الله لكونه في الغاية وكذا كنه اهتدائك

قوله زملونى زملونى كذاهو فى الروايات مكررتين ومعناه غطونى بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اى الفزع قولها كلا ابشر فوالله لايخزيك الله ابدا روى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزى اى لايفضحك الله ولايكسرك ولايهينك ولايذلك وروى بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون اى لايحزنك من الحزن الذى هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل اى الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم اى تعطى المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لايصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الانجيل بالعبرانية وفى رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربى يكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله تعالى ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف فى الانجيل فيكتب اى موضع شاء منه بالعبرانية ان ارادوا بالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذى نزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمى جبريل بذلك لان الله خصه بالوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله ياليتنى فيها اى فى ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اى شابا قويا حتى ابالغ فى نصرتك وهو قوله ان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا اى قويا بالغا قولها ثم لم يلبث ورقة ان توفى اى فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم قوله كى يتردى التردى الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه قوله تبدى له اى ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه اى قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجاش هو ماثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عز وجل (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امر ان يبتدئ القراءة باسم الله تأدبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرأ القران مفتتحا باسم ربك اى قل باسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون فى الآية دلالة على استحباب البداءة بالتسمية فى اول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ماتحمله من النبوة واعباء الرسالة (الذى خلق) يعنى جميع الخلائق وقيل الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه وقيل الذى خلق كل شئ (خلق الانسان) يعنى آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة (من علق) جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآى ايضا (اقرأ) كرره تأكيدا وقيل الاول اقرأ فى نفسك والثانى اقرأ للتبليغ وتعليم امتك ثم استأنف فقال تعالى (وربك الاكرم) يعنى الذى لايوازيه كريم ولا يعادله فى الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشئ من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك فى وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذى له الابتداء فى كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزى بكل حرف عشر حسنات (الذى علم بالقلم)

واهتداء من اهدى بهداك فلا توافقهم فى الظاهر كما لاتوافقهم فى الباطن فان موافقة الظاهر اثر موافقة الباطن وكذا المخالفة والا كان نفاقا سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء واما هم فلانهما كهم فى الرذائل وتعمقهم فى التلون والاختلاف لتشعب اهوائهم وتفرق امانيهم وميول قواهم وجهات نفوسهم يصانعون ويضمون تلك الرذيلة الى رذائلهم طمعا فى مداهنتك معهم ومصانعتك اياهم فلا يفتنك كثرة اموال من كان اغناهم وكثرة قومه وتبعه فتطيعه وتصانعه مع كثرة رذائله ودم على توافق الظاهر والباطن مستغنيا بالله مستظهرا به مصادقا لمن صدقك مصافيا لمن وافقك مصاحبا لصعاليك المؤمنين الزاهدين فى الدنيا (فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذامال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على

اى الخط والكتابة التى بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة مااستقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فاقيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه ﴿ علم الانسان مالم يعلم ﴾ قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان مالم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم

❊ قوله عز وجل ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ ان الانسان ليطغى ﴾ اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ﴿ ان ﴾ اى لان ﴿ رآه استغنى ﴾ اى رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى ابى جهل وكان قد اصاب مالا فزاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ﴿ ان الى ربك الرجعى ﴾ اى المرجع فى الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ﴿ ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ﴾ نزلت فى ابى جهل وذلك انه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن ابى هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له مالك قال ان بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله هذه الآية لاادرى افى حديث ابى هريرة اوشئ بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وامره بما امره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه (خ) عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رايت محمدا يصلى عند البيت لاطأن عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذى عيانا ومعنى ارايت تعجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير فى قوله عبدا تدل على انه كامل العبودية والمعنى ارايت الذى ينهى اشد الخلق عبودية وهذا دابه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك ايضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا ان يأذن فيه المولى او الزوج ﴿ ارايت ان كان على الهدى ﴾ يعنى العبد المنهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ او امر بالتقوى ﴾ يعنى بالاخلاص والتوحيد ﴿ ارايت ان كذب ﴾ يعنى ابا جهل ﴿ وتولى ﴾ اى عن الايمان وتقدير نظم الآية ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان اى اعجب من هذا ﴿ الم يعلم ﴾ يعنى ابا جهل ﴿ بأن الله يرى ﴾ يعنى يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم ﴿ كلا ﴾ اى لا يعلم ذلك ابو جهل ﴿ لئن لم ينته ﴾ يعنى عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ اى لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشئ اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية

الخرطوم) اى تغير وجهه فى القيامة الصغرى ونجعل آلة حرصه مشاكلا لهيئة نفسه كخرطوم الفيل مثلا ونذل اعز اعضائه بما فيه علامة غاية الذل لخسة نفسه المنجذبة الى مافى جهة السفل الجاذبة لمواد الرجس (انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا ياويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف

شعر مقدم الراس والسفع الضرب اى لنضربن وجهه فى النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) اى صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل اتنهرنى فوالله لاملأن عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فجاء ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم ما بها ناد اكثر منى فانزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه اى عشيرته وقومه فلينتصر بهم واصل النادى المجلس الذى يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه اهله سندع الزبانية يعنى الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار اليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع (كلا) اى ليس الامر على ما هو عليه ابو جهل (لا تطعه) اى فى ترك الصلاة (واسجد) اى صل لله (واقترب) اى من الله (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها يدل عليه ما روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت اخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة القدر ﴾

وهى مدنية وقيل انها مكية والقول الاول اصح وهو قول الاكثرين قيل انها اول ما نزل بالمدينة وهى خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (انا انزلناه) يعنى القرآن كناية عن غير مذكور (فى ليلة القدر) وذلك ان الله تعالى انزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه فى بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهى لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال وما يكون فى تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك فى بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه انه يحدثه فى تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض فى الازل قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالى من قولهم لفلان قدر عند الامير اى منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل

تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق) اى اذكر يوم يشتد الامر وتتفاقم شدته بحيث لا يمكن وصفها بمفارقة المألوفات البدنية والملاذ الحسية وظهور الاهوال والآلام النفسية بالهيآت الموحشة والصور المؤذية (ويدعون) على لسان الملكوت للجنسية الاصلية والمناسبة الفطرية (الى السجود) سجود الاذعان والانقياد لقبول الانوار الالهية والاشراقات السبوحية (فلا يستطيعون) الانقياد والاذعان لقبولها لزوال استعدادهم الاصلى بالهيآت المظلمة واحتجابهم بالغواشى الجسمانية والملابس الهيولانية (خاشعة ابصارهم) ذليلة متحيرة لذهاب قوتها النورية وعدم قدرتها على النظر الى عالم النور وبعدها عن ادراك شعاع مفيد السرور (ترهقهم ذلة) الركون الى السفليات والركود الى خساسة

سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

﴿ فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها ﴾ (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة * وروى عن عبدالله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي متنقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في اوقاتها المختلفة وهو قول مالك والثوري واحمد واسحق وابو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لاتنتقل عنها ابدا في جميع السنين ولاتفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابي حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبدالله بن عمر فقال يرحم الله اباعبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لايتكل الناس وقال جمهور العلماء انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي في اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ﴾

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى وعشرين (ق) عن ابي هريرة ان اباسعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني اريت هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رايت على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبدالله بن انيس قال كنت في مجلس لبني سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله

الانفعاليات وملازمة الطبيعيات (وقد كانوا يدعون)عند بقاء الاستعداد ووجود الآلات (الى السجود) سجود الانقياد بتهيئة الاستعداد لقبول الامداد من عالم الانوار (وهم سالمون) الاستعداد متمكنون على احراز السعادة في المعاد (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك) بسعادة من سعد وشقاوة من شقي ونجاة من نجا وهلاك من هلك وهداية من اهتدى وضلال من ضل (ولاتكن كصاحب الحوت) في استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب والاحتجاب عن حكم الرب حتى ردعن جناب القدس الى مقر الطبع (فالتقمه الحوت) حوت الطبيعة السفلية في مقام النفس وابتلى بالاجتنان في بطن حوت الرحم (اذنادى) ربه لقهر قومه واهلاكهم لفرط الغضب عن مقام النفس لاباذن

صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك فى صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلنى اليك رهط من بنى سلمة يسألونك عن ليلة القدر
فقال كم الليلة فقلت اثنتان وعشرون فقال هى الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا وعشرين
اخرجه ابوداود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال
اليه الشافعى ايضا (خ) عن الصنابحى انه سأل رجلا هل سمعت فى ليلة القدر شيئا قال اخبرنى
بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ
مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يارسول الله ان لى بادية اكون فيها وانا اصلى فيها بحمد الله
فمرنى بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع
قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلايخرج الالحاجة حتى يصلى الصبح فاذا صلى الصبح
وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق باديته اخرجه ابو داود ولمسلم عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها فى ماء
وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان
اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن ليلة اربع وعشرين
(ح) عن ابن عباس قال التمسوها فى اربع وعشرين وقيل هى فى ليلة خمس وعشرين دليله قوله
صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هى ليلة
سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابى بن كعب وابن عباس واليه ذهب احمد
(م) عن زر بن حبيش قال سمعت ابى بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول
من قام السنة اصاب ليلة القدر قال ابى والله الذى لااله الا هو انها لفى رمضان يحلف
ولايستثنى فوالله انى لاعلم اى ليلة هى هى الليلة التى امرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقيامها وهى ليلة سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لاشعاع
لها عن معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو
داود وقيل هى ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان
وقيل هى ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر
وانا اسمع فقال هى فى كل رمضان اخرجه ابوداود قال وروى موقوفا عليه

﴿ ذكر ليال مشتركة ﴾ عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة
القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث
وعشرين ثم سكت اخرجه ابو داود عن عتبة بن عبد الرحمن قال حدثنى ابى قال ذكرت
ليلة القدر عند ابى بكرة فقال ما انا بملتمسها بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم الافى العشر الاواخر فانى سمعته يقول التمسوها فى تسع يبقين اوفى سبع يبقين اوفى
خمس يبقين اوفى ثلاث يبقين اوآخر الشهر قال وكان ابوبكرة يصلى فى العشرين من رمضان كصلاته
فى سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد اخرجه الترمذى (ح) عن عبادة بن الصامت
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبى
صلى الله عليه وسلم انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون

الحق (وهو مكظوم) مملئ غيظا (او لاان تداركه نعمة) كاملة (من ربه) بالهداية الى الكمال لبقاء سلامة الاستعداد وعدم رسوخ الهيئة الغضبية والتوبة عن فرطات النفس والتنصل عن صفاتها (لنبذ بالعراء) اى بظاهر عالم الحس وطرد من جناب القدس بالكلية وترك فى وادى النفس (وهو مذموم فاجتباه) موصوف بالرذائل مستحق للاذلال والخذلان محجوب عن الحق مبتلى بالحرمان ولكنه اجتباه (ربه) برحمته لمكان سلامة فطرته وبقاء نوره الاصلى فقربه اليه وجعه الى ذاته بالقاء كلمة التوحيد اليه وايصاله الى مقام الجمع (فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وماهو الاذكر للعالمين) لمقام النبوة بالاستقامة حال البقاء بعد الفناء فى عين الجمع والله تعالى اعلم

﴿ سورة الحاقة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة) هى الساعة

خير الكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان اى تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى العشر فى سبع يبقين يعنى ليلة القدر وفى رواية فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى قال ابو عيسى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعى كان هذا عندى والله اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها فى كذا فقال التمسوها فى ليلة كذا قال الشافعى واقوى الروايات عندى فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوى وبالجملة ابهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا فى العبادة ليالى شهر رمضان طمعا فى ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الاعظم فى القرآن فى اسمائه ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الاواخر من رمضان ما لا يجتهد فى غيره (ق) عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولى اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسائى وابن ماجه * قوله عز وجل (وما ادراك ما ليلة القدر) اى اى شئ يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى اعمار الناس قبله او ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خيرا من الف شهر اخرجه مالك فى الموطا قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة * الوجه الثانى من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعنى الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هو عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم

الواجبة الوقوع التى لا ريب فيها ان اريد بها القيامة الصغرى او التى تحق فيها الامور اى تعرف وتحقق ان اريد بها الكبرى والمعنى ان الساعة ما هى وما اعلمك اى شئ هى اى لا يعرف شدتها وهو لها وما يظهر فيها من الاحوال على المعنى الاول او لا يعرف حقيقتها وارتفاع شأنها وانارة برهانها وما يبدو فيها احد الا الله وكلتا القيامتين تقرع الناس وتهلكهم وتفنيهم وتستأصلهم بالشدة والقهر واما تكذيبهم بالاولى فلاقبالهم من الدنيا وترك العمل لها وغفلتهم وغرورهم بالحياة الحسية واما بالثانية فلعدم وقوفهم عليها وانكارهم لها واحتجابهم عنها وقد يطابق مثل المكذبين بمثل المفرطين اى المقصرين والغالين بأن يقال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود) وهم اهل الماء القليل اى اهل العلم الظاهر المحجوبون عن العلوم الحقيقية (فأهلكوا بالطاغية) اى الحالة الكاشفة عن الباطن وعالم التجرد التى تطغى على علومهم ونفسها وهى خراب البدن (واما عاد) الغالون

ليسلموا عليهم ويعتذر واما قالوا ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قديقع من بعضهم (والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام قاله اكثر المفسرين وفى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم اوقاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزى وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) اى فى ليلة القدر (باذن ربهم) اى بامر ربهم (من كل امر) اى بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ماامر به وقضاه من كل امر * الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) اى سلام على اولياء الله واهل طاعة قال الشعبى هو تسليم الملائكة فى ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا اومؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال تعالى سلام (هى) يعنى ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لايقدر الله فى تلك الليلة ولايقضى الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لايستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوأ اويحدث فيها اذى (حتى مطلع الفجر) اى ان ذلك السلام والسلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة ﴾

﴿ وهى مدنية قاله الجمهور وفى رواية عن ابن عباس انها مكية وهى ثمان آيات واربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والمشركين) اى ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه فى دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثانى المشركون اهل الاوثان الذين لاينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين (منفكين) اى منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تاتيهم) اى حتى اتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضى (البينة) اى الحجة الواضحة يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدى فى بسيطه وهذه الآية من اصعب مافى القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين تقديره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التى هى الرسول ثم انه تعالى لم يذكر انهم منفكون عما ذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذى كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم تاتيهم البينة التى هى الرسول

المجاوزون حد الشرائع بالتزندق والاباحة فى التوحيد (فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها) هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية اى الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم فى اودية الهلاك سخرها الله (عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما) فى مراتب الغيوب السبعة التى هى لياليهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمانية الظاهرة لهم كالايام وهى الوجود والحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والتكلم اى على ماظهر منهم ومابطن تقطعهم وتستأصلهم (فترى القوم فيها صرعى) موتى لاحياة حقيقية لهم لانهم قائمون بالنفس لابالله كما قال كانهم خشب مسندة (كانهم اعجاز نخل خاوية) اى اقوياء بحسب الصورة لا معنى فيهم ولاحياة ساقطون عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى اذلا يقومون بالله (فهل ترى لهم من باقية) اى بقاء او نفس باقية لانهم فانون من اسرهم (وجاء فرعون)

ثم انكلة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضى انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعدذلك وماتفرق الذين اوتوا الكتاب الامن بعدماجاءتهم البينة وهذا يقتضى ان كفرهم قدازداد عندمجئ الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة فى الظاهر وهذا منتهى الاشكال فى ظنى قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذى لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوايقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لاننفك عما نحن عليه من ديننا ولانتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهومحمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وماتفرق الذين اوتوا الكتاب اى انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذاجاءهم الرسول ثم مافرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الامجئ الرسول ونظيره فى الكلام مايقول الفاسق الفقيرلمن يعظه لست بمنفك عما انافيه من الافعال القبيحة حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقافيقول واعظه لم تكن منفكاعن الفسق حتى توسرومانمست راسك فى الفسق او بعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وماتفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى الذى وقع كان بخلاف ماادعوا وثانيها ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الان تفسير لفظ حتى بهذا ليس من اللغة فى شئ وذكروجوها اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى ﴿ رسول من الله﴾ اى تلك البينة رسول من الله ﴿يتلوا﴾ اى يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿صحفا﴾ اى كتبا يريد ماتضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقراعن ظهر قلبه لاعن كتاب ﴿مطهرة﴾ اى من الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة اى لاينبغى ان يمسها الاالمطهرون ﴿فيها﴾ اى فى الصحف ﴿كتب﴾ اى الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الاحكام ﴿قيمة﴾ اى عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب فقال تعالى ﴿وماتفرق الذين اوتوا الكتاب﴾ يعنى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿الامن بعد ماجاءتهم البينة﴾ يعنى جاءتهم البينة فى كتبهم انه نبى مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا فى امره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ماامروا به فى كتبهم فقال تعالى ﴿وماامروا﴾ يعنى هؤلاء الكفار ﴿الاليعبدوا الله﴾ اى وامروا الا ان يعبدوا الله قال ابن عباس ماامروا فى التوارة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له ﴿مخلصين له الدين﴾ الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على مايجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذى يأتى بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على ان كل مأمور به فلابد وان يكون منويا فلابد من اعتبار النية فى جميع المأمورات قال اصحاب الشافعى الوضوء مامور به ودلت

النفس الامارة ﴿ومن قبله﴾ من قواها واعوانها ﴿والمؤتفكات﴾ من القوى الروحانية المنقلبة عن طباعها بالميل الى الظاهر والانقلاب عن المعقول الى المحسوس ﴿بالخاطئة﴾ بالخصلة التى هى خطأ وهى المجاوزة عن البواطن الى الظواهر ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ اى العقل الهادى الى الحق ﴿فأخذهم﴾ بالغرق فى بحر الهيولى ورجفة اضطراب مزاج البدن وخرابه ﴿اخذة رابية﴾ زائدة فى الشدة ﴿انا لما طغى الماء﴾ ماء طوفان الهيولى ﴿حملناكم فى الجارية﴾ فى جارية الشريعة المركبة من الكمال العلمى والعملى ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ لعالم القدس وحضرة الحق التى هى مقركم الاصلى وماواكم الحقيقى ﴿وتعيها اذن واعية﴾ اى تحفظها اذن حافظة لما سمعت من الله فى بدء الفطرة باقية على حالها النظرية غير ناسية لعهده وتوحيد وما اودعها من اسراره بسماع اللغو فى هذه النشأة وحفظ الباطل من الشيطان والاعراض عن جناب

هذه الآية على ان كل مأموربه يجب ان يكون منويا فيجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان ياتى بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى فالوافى ذلك لايجعل طلب الجنة مقصودا اولا لنجاة من النار مطلوبا وان كان لابد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا بربه عز وجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لاينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (حنفاء) اى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء اى حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء اى مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين احد منهم فمن لم يؤمن باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف (ويقيموا الصلاة) اى المكتوبة فى اوقاتها (ويؤتوا الزكوة) اى المفروضة عند محلها (وذلك) اى الذى امروا به (دين القيمة) اى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل فى الهاء القيمة الكتب التى جرى ذكرها اى وذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مال الفريقين فقال تعالى (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين) فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم اعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين فى العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب الرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله فى الدنيا وادخلهم اسفل سافلين فى الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم فى العذاب (فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية) اى هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك خير البرية) يعنى انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ان يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضى ويدبر قال السرى اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله لرضاء لك وقيل رضى الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) اى هذا الجزاء والرضا (لمن خشى ربه) اى لمن خاف ربه

(فى الدنيا)

الرحمن ولهذا لما نزلت قال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام سألت الله ان يجعلها اذنك ياعلى اذ هو الحافظ لتلك الاسرار كما قال والدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى النفخة الاولى التى للاماتة فى القيامة الصغرى اذ يمنع حمله على الكبرى قوله فاما من اوتى كتابه بيمينه وما بعده من التفصيل وهذا النفخ عبارة عن تأثير الروح القدسى بتوسط الروح الاسرافيلى الذى هو موكل بالحياة فى الصورة الانسانية عند الموت لازهاق الروح فيقبضه الروح العزرائيلى وهو تأثير فى ان واحد فلذلك وصفها بالوحدة (وحملت الارض والجبال) ارض البدن وجبال الاعضاء (فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة) وجعلتا اجزاء عنصرية متفرقة (وانشقت السماء) سماء النفس الحيوانية وانفشت لزهوق الروح بانفلاقها عنه (فهى يومئذ واهية) لاتقدر على الفعل ولاتقوى على التحريك

الدنيا وانتهى عن المعاصي (ق) عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرئك القرآن قال الله سماني لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه ﴿ شرح غريب الحديث ﴾ اما بكاء ابي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكره هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في امر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابي فهي ان يتعلم ابي القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط اساوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته على ابي ليتعلم ابي منه لا ليتعلم هو من ابي وقيل انما قرأ على ابي ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي والحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم راسا واماما في القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضي الله عنهم اجمعين والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزلزلة ﴾

وهي مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرا قل هو الله احد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (اذا زلزلت الارض زلزالها) اي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيامة (واخرجت الارض اثقالها) فمن قال ان الزلزلة تكون في الدنيا قال اثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون

والادراك حالة الموت (والملك) اي القوى التي تمدها وتأوي اليها وتعتمد عليها في الادراك وتجتمع مدركاتها عندها او تدرك بواسطتها او تظهر بها مدركاتها على ارجائها) اي جوانبها من الروح والقلب والعقل والجسم فافترقت عنها وتشعبت الى جهاتها الناشئة منها اولا (ويحمل عرش ربك) اي القلب الانساني (فوقهم يومئذ ثمانية) منهم هي الانوار القاهرة ارباب الاصنام العنصرية من الصور النوعية تحمله بالاجتماع من الطرفين العلوي والسفلي الفاعل والحامل عند البعث والنشور من كل طرف اربعة ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله بأربعة آخرين فيكون ثمانية ولكون تلك الاملاك مختلفة الحقائق بحسب اختلاف اصنافها العنصرية قال بعضهم انها مختلفة الصور ولكونها مستولية مستعلية على تلك الاجرام شبهت بالاوعال وقيل هم على صور الاوعال تشبيها لاجرامها بالجبال ولكونها

منه شيأ اخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه مايخرج من باطنها باقطاع
كبدها لان الكبد مستور فى الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب مايشوى عند العرب
من الجزور واستعار القئ للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى
فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو
ثقل عليها وسميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا (وقال الانسان
مالها) اى مالها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت مافى بطنها وفى الانسان وجهان احدهما انه
اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة انها من اشراط الساعة والمعنى
حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثانى انه اسم
للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر
جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية (يومئذ تحدث اخبارها) فيقول الانسان
مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ماعمل على ظهرها من خير او شر فتشكو العاصى وتشهد
عليه وتشكر الطائع وتشهد له * عن ابى هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون مااخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها
ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه اخبارها
اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (بان ربك اوحى لها) اى امرها بالكلام واذن
لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق فى الارض الحياة والعقل
والنطق حتى تخبر بما امر الله به وهذا مذهب اهل السنة * قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس)
اى عن موقف الحساب بعد العرض (اشتاتا) اى متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ
ذات الشمال الى النار (ليروا اعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف
اعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة) اى وزن نملة صغيرة وقيل
هو مالصق من التراب باليد (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس
مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا فى الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته
وسيآته فيغفر الله له سيآته ويثيبه بحسناته ويعذبه بسيآته وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده واهله وماله حتى يخرج من
الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى
نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه فى رجلين
وذلك انه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه وكان احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يطعمه
التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه انما يؤجر على مايعطى
ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة واشباه ذلك ويقول
انما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم فى القليل من
الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكبر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكبر والاثم
الصغير فى عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود احكم آية فى القرآن
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه

شاملة لتلك الاجرام بالغة
الى اقصاها حيث مابلغت
قال بعضهم ثمانية املاك
ارجلهم فى تخوم الارض
السابعة والعرش فوق
رؤسهم وهم مطرقون
مسبحون والله اعلم بحقائق
الامور (يومئذ تعرضون)
على الله بما فى انفسكم من
هيآت الاعمال وصور
الافعال (لاتخفى منكم خافية
فاما من اوتى كتابه) اى
اللوح البدنى الذى فيه
صور اعماله (بيمينه) اى
جانبه الاقوى الالهى الذى
هو العقل فيفرح به ويحب
الاطلاع على احواله من
الهيآت الحسنة وآثار
السعادة وهو معنى قوله
(فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه
انى ظننت) اى تيقنت (انى
ملاق حسابيه) لايمانى
بالبعث والنشور والحساب
والجزاء (فهو فى عيشة
راضية) اى حياة حقيقية
ابدية سرمدية (فى جنة)
من جنات القلب والروح
(عالية قطوفها) من مدركات
القلب والروح من المعانى و
الحقائق (دانية كلوا واشربوا
هنيأ بما اسلفتم فى الايام
الخالية) كلما شاؤا نالوها
(واما من اوتى كتابه

وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما انزل الله فيها شيأ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة العاديات ﴾

وهى مكية فى قول ابن مسعود وغيره مدنية فى قول ابن عباس وهى احدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والعاديات ضبحا) فيه قولان احدهما انها الابل فى الحج قال على كرم الله وجهه هى الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت اول غزاة فى الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحا مداعناقها فى السير واصله من حركة النار فى العود (فالموريات قدحا) يعنى ان اخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيورى النار وقيل هى النيران بجمع (فالمغيرات صبحا) يعنى الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به نقعا) اى هجن بمكان سيرها غبارا (فوسطن به جمعا) اى وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثانى فى تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هى الخيل العادية فى سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا غدت قال ابن عباس وليس شئ من من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من فزع او تعب وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعنى انها تورى النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة وقيل هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هى الخيل تغزو فى سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى اصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال فى الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس فى غفلة فى ذلك الوقت عن الاستعداد فأثرن به اى بالمكان نقعا اى غبارا فوسطن به جمعا اى دخلن به اى بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعد وهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول فى تفسير هذه الآيات اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها فى سبيل الله عز وجل

بشماله) اى جانبه الاضعف النفسانى الحيوانى فيتحسر ويتندم ويتوحش من تلك الصور والهيآت السمجة والقبائح التى نسيها واحصاها الله ويتنفر منها ويتمنى الموت عندها ويتيقن ان الذى صرف عمره فيه واكب بوجهه عليه من المال والسلطنة والجاه ما كان ينفعه بل يضره وهو معنى قوله (فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه) وينادى على لسان العزة والقهر الملكوت الموكل بعالم الكون والفساد من النفوس السماوية والارضية ان اى قيدوه بما يناسب هيئات نفسه من الصور واحبسوه فى سجين الطبيعة بما يمنع الحركات على وفق الارادة من الاجرام (ثم الجحيم) جحيم الحرمان ونيران الآلام (صلوه ثم فى سلسلة) الحوادث الغير المتناهية ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ليعذب بأنواع التعذيبات والسبعون فى

ولما ذكر الله تعالى المقسم عليه فقال تعالى (ان الانسان لربه لكنود) اى لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصى وقيل هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهى التى لاتنبت شيأ وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذى انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه على ذلك لشهيد) قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع (وانه) يعنى الانسان (لحب الخير) اى المال (لشديد) اى لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوى شديد (افلا يعلم) يعنى هذا الانسان (اذا بعثر) اى ابعثر واخرج (مافى القبور) يعنى من الموتى (وحصل مافى الصدور) اى ميز وابرز مافيها من الخير والشر (ان ربهم بهم) انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس (يومئذ لخبير) اى عالم والله تعالى خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى انه يجازيهم فى ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل مافى الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات التى فى القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله اعلم

﴿ تفسير سورة القارعه وهى مكية ﴾
وثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

※ قوله عز وجل (القارعة) اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اى شدائده والقارعة من اسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع فى الهول والشدة (وما ادراك ما القارعة) معناه لاعلم لك بكنهها لانها فى الشدة بحيث لايبلغها فهم احد وكيفما قدرت امرها فهى اعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش هذا الطير التى تراها تتهافت فى النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق فى البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم فى بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) اى كالصوف المندوف وذلك لانها تتفرق اجزاؤها فى ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة فى الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فامامن ثقلت موازينه) يعنى رجحت موازين حسناته قيل هو موزون وهو العمل

(الذى)

العرف عبارة عن الكثرة الغير المحصورة لا العدد المعين (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) اى كل ذلك بسبب كفره واحتجابه عن الله وعظمته وشحه لمحبة المال (ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم) لاستيحاشه عن نفسه فكيف لايستوحش غيره عنه وهو متنفر عن كل احد حتى عن نفسه (ولا طعام الا من غسلين) غسالات اهل النار وصديدهم وقد شاهدنا هم يأكلونها عيانا (لا يأكله الا الخاطئون فلا اقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) بالظاهر والباطن من العالم الجسمانى والروحانى الوجود كله ظاهر او باطنا (فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين) اى محض اليقين وهو الكلام

الذى له قدر وخطر عندالله تعالى وقيل هوجمع ميزان وهوالذى له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن فى احسن صورة فتوضع فى كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيآت الكافر فى اقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن ثقلت سيآته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة اويعفوالله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته واماالكافرون فقد قال فى حقهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن ابى بكر الصديق انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا ❊ قوله تعالى (فهو فى عيشة راضية) اى مرضية فى الجنة وقيل فى عيشة ذات رضاها صاحبها (وامامن خفت موازينه) اى رجحت سيآته على حسناته (فأمه هاوية) اى مسكنه النار سمى المسكن اما لان الاصل فى السكون الامهات وقيل معناه فام راسه هاوية فى النار والهاوية اسم من اسماء النار وهى المهوية التى لايدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع فى امر شديد يقال هوت امه اى هلكت حزنا ونكلا (وماادراك ماهية) الهاوية يعنى ثم فسرها فقال (نار حامية) اى حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى اعلم

❊ تفسير سورة التكاثر مكية ❊

وهى ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

قوله عزوجل (الهاكم التكاثر) اى اشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم ومانجيكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشئ اعرض عن غيره فينبغى للمؤمن العاقل ان يكون سعيه وشغله فى تقديم الاهم ومايقربه من ربه عزوجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التى هى سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ماروى عن مطرف بن عبدالله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الآية الهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الاما تصدقت فأمضيت اواكلت فافنيت اولبست فابليت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله (حتى زرتم المقابر) اى متم ودفنتم فى المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية فى اليهود قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنو فلان اكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت فى حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف ايهم

الوارد من عين الجمع اذ لو نشأ من مقام القلب لكان علم اليقين ولو نشأ من مقام الروح لكان عين اليقين فلما صدر من مقام الوحدة كان حق اليقين اى يقينا حقا صرفا لاشوب له بالباطل الذى هو غيره نسب القول الاولى الى الرسول ثم الى الحق ليفيد التوحيد الذاتى ثم قال (فسبح باسم ربك العظيم) اى نزه الله وجرده عن شوب الغير بذاتك الذى هو اسمه الاعظم الحاوى للاسماء كلها بأن لايظهر فى شهودك تلوين من النفس او القلب فتحجب رؤية الاثنينية او الانائية والا كنت مشبها لا مسبحا والله تعالى اعلم

❊ سورة المعارج ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج) اى المصاعد وهى مراتب الترقى من مقام الطبائع الى مقام المعادن بالاعتدال ثم الى مقام النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان فى مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم فى منازل السلوك كالانتباه واليقظة والتوبة والانابة الى آخر ماشار اليه اهل

اكثرفقال بنوعبد مناف نحن اكثرسيدا واعزعزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنوسهم مثل ذلك فكاثرهم بنوعبدمناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبرفلان وهذا قبرفلان فكاثرهم بنوسهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثرعددا فانزل الله هذه الآية وهذا القول اشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى فكأنه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول مجيباهب انكم اكثرمنهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) اى ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول يقرا الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو تعلمون علم اليقين) اى علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) اللام تدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعني مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني ان كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم الله به عليه واطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يارسول الله واى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذى يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابى بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله قال وانا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى اخرجكما فقوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا

السلوك من منازل النفس ومناهل القلب ثم في مراتب الفناء في الافعال والصفات الى الفناء في الذات مما لا يحصى كثرة فان له تعالى بازاء كل صفة مصعد بعد المصاعد المتقدمة على مقام الفناء في الصفات (تعرج الملائكة) من القوى الارضية والسمائية في وجود الانسان (والروح) الانسانى الى حضرته الذاتية الجامعة في القيامة الكبرى (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) اى في الادوار المتطاولة والدهور المتمادية من الازل الى الابد لا المقدار المعين الا ترى الى قوله في مثل هذا المقام في عروج الامر ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون (فاصبر صبرا جميلا) فان العذاب يقع في هذه المدة المتطاولة (انهم يرونه) لاحتجابهم عنه (بعيدا ونراه قريبا) حاضرا واقعا يتوهمه المحجوبون متأخرا الى زمان منتظر لغيبتهم عنه ونحن نراه حاضرا (يوم تكون السماء) سماء النفس الحيوانية متذائبة متفانية (كالمهل) على ما مر في قوله وردة كالدهان

حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذى باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذى يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لابد لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسأل عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى انقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله اعلم

﴿تفسير سورة العصر وهى مكية﴾

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهى ثلاث آيات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل اقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد فى الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل اراد بالعصر آخر طرفى النهار اقسم بالعشى كما اقسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى فى قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى لما قيل هى صلاة العصر والذى فى مصحف عائشة رضى الله عنها وحفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر وفى الصحيحين شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله وقيل اراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه فى قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان لفى خسر) اى لفى خسران ونقصان قيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم فى ايدى الناس اى الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة فى طاعة او معصية فان كانت فى معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت فى طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لا ينفك احد من خسران وقيل ان سعادة الانسان فى طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين فى طلبها فكانوا فى خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى فانهم ليسوا فى خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان فى طاعة الله تعالى فهو فى صلاح وخير وما كان بضده

(وتكون الجبال) جبال الاعضاء هباء منبثا على اختلاف الوانها (كالعهن ولا يسئل حميم حميما) لشدة الامر وتفاقم الخطب وتشاغل كل احد بما ابتلى به من هيآت نفسه واهوال ما وقع فيه مع ترائيهم (كلا) ردع عن تمنى الافتداء والانجاء فانه بهيئة اجرامه استحق عذابه وبمناسبة نفسه للجحيم انجر اليها الا ترى الى قوله (تدعوا من ادبر وتولى) فان لظى نار الطبيعة السفلية ما استدعت الا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجهه الى معدن الظلمة المؤثر بمحبته الجواهر الفاسقة السفلية المظلمة فانجذب بطبعه الى مواد النيران الطبيعية ونستدعته وجذبته الى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الافئدة فكيف يمكن الانجاء منها وقد طلبها بداعى الطبع ودعاها بلسان الاستعداد (ان الانسان خلق هلوعا) اى النفس بطبعها معدا لشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات فمن مال اليها بقلبه واستولى عليه مقتضى

جبلته وخلقته ناسب الامور السفلية واتصف بالرذائل التي اردؤها الجبن والبخل المشار اليهما بقوله (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) لمحبته البدن ومايلائمه وتسببه لشهواته ولذاته وانما كانتا ارد الجذبهما القلب الى اسفل مراتب الوجود قال النبي عليه الصلاة والسلام شر مافي الرجل شح هالع وجبن خالع (الا المصلين) اى الانسان بمقتضى خلقته وطبيعة نفسه معدن الرذائل الا الذين جاهدوا في الله حق جهاده وتجردوا عن ملابس النفس وتنزهوا عن صفاتها من الواصلين الذين هم اهل الشهود الذاتي (الذين هم على صلوتهم دائمون) فان المشاهدة صلاة الروح غابوا في دوام مشاهدتهم عن النفس وصفاتها وعن كل ما سوى مشهودهم * والمجردين الذين تجردوا عن اموالهم الصورية والمعنوية من العلوم النافعة والحقيقية وفرقوها على المستحق المستعد الطالب وعلى القاصر الممنو بالشواغل عن الطلب (والذين

فهو في خسر وفساد وهلاك (وتواصوا) اى اوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) اى على اداء الفرائض واقامة امر الله وحدوده وقيل اراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة الهمزة﴾

وهي مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*قوله عز وجل (ويل) اى قبح وقيل هو اسم واد في جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس في بعضهم قال الشاعر * اذا القيتك من كره تكاشرني * وان تغيبت كنت الهامز اللمزا * وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلزمهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي يهمز بلسانه يلمز بعينه وقيل لهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يرمق بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في اخنس بن شريق بن وهب كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لايقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لاينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى (الذي جمع مالا) وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو اعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو اكثر منه كالشيء الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشيء الحقير (وعدده) اى احصاه من العدد وقيل هو من العدة اى استعده وجعله ذخيرة وغنى له (يحسب ان ماله اخلده) اى يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن مارايت يقينا لاشك فيه اشبه بشك لايقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لايشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت

(كلا)

(كلا) ردعليه اى لايخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول على مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون مابقى الدهر وقيل معناه حقا (لينبذن) واللام فى لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول القسم معنى ومعنى لينبذن ليطرحن (فى الحطمة) اى فى النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها الهمزة اللمزة الذى يأكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التى تأكل اللحوم وتكسر العظام (وما ادراك ما الحطمة) اى نار لا كسائر النيران (نار الله) انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها (الموقدة) اى لاتخمد ابدا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة اخرجه الترمذى قال وروى عن ابى هريرة موقوفا وهو اصح (التى تطلع على الافئدة) اى يبلغ المها ووجعها الى القلوب والمعنى انها تأكل كل شئ حتى تنتهى الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شئ فى بدن الانسان وانه يتألم بادنى شئ فكيف اذا طلعت عليه واستولت عليه ثم انه مع لطافته لايحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس فى النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة (انها عليهم مؤصدة) اى مطبقة مغلقة (فى عمد ممددة) قال ابن عباس ادخلهم فى عمد فمدت عليهم بعماد وفى اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى اوتاد الاطباق التى تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الابواب عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وممددة صفة العمد اى مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الفيل ﴾

﴿ وهى مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) كانت قصة اصحاب الفيل على ماذكره محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدى ان النجاشى ملك الحبشة كان بعث ارباطا الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارباطا فى امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارباط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارباطا واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشى على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشى انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخل وتغوط فيها ولطخ بالعذرة فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشى يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما

يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) من اهل اليقين البرهانى والاعتقاد الايمانى بأحوال الآخرة والمعاد وهم ارباب القلوب المتوسطون (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اى اهل الخوف من المبتدئين فى مقام النفس السائرين عنه بنور القلب لا الواقفين معه او المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب فى مقام القلب من السالكين او فى مقام المشاهدة من التلوين فانه لا يؤمن الاحتجاب ما بقيت بقيته كما قال (ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون) من اهل العفة وارباب الفتوة (الا على ازواجهم اوما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم) التى استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية (وعهدهم) الذى هو اخذ الله ميثاقه منهم فى الازل (راعون) اى الذين سلمت فطرتهم ولم يدنسوها بالغواشى الطبيعية والاهواء النفسانية (والذين

وجمعا وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة فى الحبشة سائرا الى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذونفر بمن اطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه ابرهة واخذ ذانفر فقال يا ايها الملك استبقنى فان بقائى خير لك من قتلى فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل ايها الملك انى دليل بارض العرب وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث فى رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابارغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابورغال وهو الذى يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اموال اصحاب الحرم واصاب لعبد المطلب مائتى بعير ثم ان ابرهة ارسل بحناطة الحميرى الى اهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلنى اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يدانا سنخلى بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذونفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذانفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة او عشية ولكن سأبعث الى انيس سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد اصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وانا احب ان تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتى الى الملك ان يرد على مائتى بعير اصابها لى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الحبش ففعلوا

هم بشهاداتهم قائمون) اى يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فكل ما شهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير (والذين هم على صلوتهم) اى صلاة القلب وهى المراقبة (يحافظون) او صلاة النفس على الظاهر (اولئك فى جنات مكرمون) على اختلاف طبقاتهم فالفرقة الاولى فى جنات من الجنان الثلاث والمتوسطون من ارباب القلوب فى جنات من جنتين منها والباقون فى جنات النفوس دون الباقيتين (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب) من الموجودات التى اوجدها بشروق نوره عليها وغروبه فيها بتعينه بها اواعدمها بشروق نوره منها واوجدها بغروبه فيها (انا لقادرون على ان نبدل) ان نطلع نورنا منهم فنهلكهم ونجعله غاربا فى آخرين (خيرا منهم وما نحن بمسبوقين) فنوجدهم (فذرهم يخوضوا

واتى عبدالمطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لاارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدوا ابيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

لاهم ان العبد يمنـ * ـع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدالك

ثم ترك عبدالمطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشأم ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرام فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله عز وجل طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلنا عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا اهلك وليس كل قوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذى جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل

فانك لو رأيت ولن تراه * لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ بصرت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا
وكلهم يسائل عن نفيل * كان على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون فى كل منهل وبعث الله على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت انملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى واما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر شجعوا فحصبوا اى رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت ابويكسوم وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدى النجاشى قال امية بن ابى الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * ما يمارى فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث) من اجداث الابدان (سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) الى مقار ما يناسب هيآتهم من الصور والله تعالى اعلم

﴿سورة نوح عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله) بالمجاهدة والرياضة فى سبيله (واتقوه) بالتجرد عما سواه حتى صفاتكم وذواتكم (واطيعون) بالاستقامة (يغفر لكم من ذنوبكم) ذنوب آثار افعالكم وصفاتكم وذواتكم (ويؤخركم الى اجل مسمى) معين لا اجل بعده وهو الفناء فى التوحيد (ان اجل الله) الذى هو توفيه اياكم بذاته (اذا جاء لا يؤخر) بوجود غيره بل يفنى كل ما عداه (لو كنتم تعلمون قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) فى مقام الجمع بين الظلمة والنور الى التوحيد (فلم

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جرا اصحاب الفيل ان فئة من قريش اججوا نارا حين خرجوا تجارا الى ارض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فأسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان فى مكة يومئذ ابو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لايستغنى فيه عن رايك فقال ابو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيأ فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزرا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ما هى نجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب فى مناقيرها حصى كانها حصى الحذف قد اقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا احدا ثم دنوا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فأصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فاسا من فؤسهم فحفر حتى اعمق فى الارض فملأه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملأه ثم قال لابى مسعود اختر ان شئت حفرتى وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال ابو مسعود فاختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى ارى اجود المتاع فى حفرتى فهى لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس واصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود فى اهاليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم * واما التفسير فقوله عز وجل الم تر اى الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة

ردهم دعائى الا فرارا) لانهم كانوا بدنيين ظاهرين لا يرون النور الا الاضواء الجسمانى ولا الوجود الا للجواهر الجسمانية الغاسقة فينفروا عن اثبات نور وجرد انوارهم بالنسبة اليه ظلمات (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم) وتسترهم بنورك تصاموا عنه لعدم فهمهم وقصور استعدادهم او زواله (جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم) وتستروا بأبدانهم وتحجبوا بالشدة ميلهم اليها وتعلقهم بها واحتجابهم (واصروا) على ذلك ولم يعرموا التجرد (واستكبروا استكبارا) لاستيلاء صفات نفوسهم واستعلاء غضبهم (ثم انى دعوتهم جهارا) رات عن مقام التوحيد ودعوتهم الى مقام العقل وعالم النور (ثم انى اعلنت لهم) بالمعقولات الظاهرة (واسررت لهم اسرارا) فى مقام القلب بالاسرار اللطيفة ليتوصلوا اليها بالمعقولات (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا) اى اطلبوا ان يستركم ربكم بنوره فتنور قلوبكم وتتنوروا بالحقائق الالهية والاسرار الغيبية (يرسل السماء)

واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما وحد لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآى وفى قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل فى العقل ان طيرا تأتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوص وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو صلى الله عليه وسلم الداعى الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال انا الذى فعلت مافعلت بأصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك ﴿ الم يجعل كيدهم ﴾ يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة ﴿ فى تضليل ﴾ اى تضييع وخسار وابطال ماارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ماارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى ﴿ وارسل عليهم طيرا ابابيل ﴾ يعنى طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل الابابيل جماعات فى تفرقة قيل لاواحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لاتصيب شيأ الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ماحكاه ابن عباس وبعضها على ماحكاه غيره فأخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله اعلم ❊ قوله عز وجل ﴿ ترميهم بحجارة ﴾ قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره ﴿ من سجيل ﴾ قيل السجيل اسم علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكل فارسى معرب وقيل سجيل الشديد ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ يعنى كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة قريش ﴾

وهى مكية وقيل مدنية والاول اصح واكثر وهى اربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سماء الروح (عليكم مدرارا) بامطار المواهب والاحوال (ويمددكم بأموال) المكاسب والمقامات (وبنين) التأييدات القدسية من عالم الملكوت (ويجعل لكم جنات) ويجعل لكم انهارا الصفات فى مقام القلب وانهار العلوم (مالكم لاترجون لله وقارا) اى تعظيما يوقركم بالترقى فى الدرجات الى عالم الانوار (وقد خلقكم اطوارا) كل طور اشرف مما قبله وكان حالكم فيه احسن وشرفكم ازيد مما تقدمكم فما بالكم لا تقيسون الغيب على الشهادة والمعقول على المحسوس والمستقبل على الماضى فترتقون الى سماء الروح بسلم الشريعة والعلم والعمل كما ارتقيتم بسلم الطبيعة والحكمة والقدرة فى اطوار الخلقة (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) من مراتب الغيوب السبعة المذكورة ذات طباق بعضها فوق بعض (وجعل القمر) قمر القلب (فيهن نورا) زائدا نوره على نور النفس ونجوم القوى (وجعل الشمس) شمس الروح (سراجا) باهرا نوره (والله

❁ قوله عز وجل (لايلاف قريش) اختلفوا في هذه اللام قيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش اى اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذى عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لاتعلق بهما واجيب عن مذهب ابى بن كعب في جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لايلاف فقيل هى لام التعجب اى اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من الف الشئ الفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولاتنقطعا وقيل هو من الف كذا اى لزمه وآلفنيه الله اى الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشى (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من هاشم (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم وكافرهم لكافرهم * عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله علية وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم اى يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانة سأل معاوية عبدالله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر هى من اعظم دوابه يقال لها القرش لاتمر بشئ من الغث والسمين الا اكلته وهى تأكل ولاتؤكل وتعلو ولاتعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم وانشده شعر الجمحى

وقريش هى التى تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحـ * ـر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولاتـ * ـترك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حى قريش * يأكلون البلاد اكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطى حشرا كميشا

انبتكم من الارض) من ارض البدن (نباتا ثم يعيدكم فيها) بميلكم اليها وتلبسكم بشهواتها ولذاتها وهيآت نفوسكم الجسمانية وغواشيكم الهيولانية (ويخرجكم اخراجا) بالبعث منه في مقام القلب عند الموت الارادى (والله جعل لكم) تلك (الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا) سبل الحواس (فجاجا) خروقا واسعة او من جهتها سبل سماء الروح الى التوحيد كما قال امير المؤمنين عليه السلام سلونى عن طرق السماء فانى اعلم بها من طرق الارض اراد الطرق الموصلة الى الكمال من المقامات والاحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضا وامثال ذلك ولهذا كان معراج النبى صلى الله عليه وسلم بالبدن (قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) من رؤسائهم المتبوعين اهل المال والجاه المحجوبين عن الحق الهالكين الذين خسروا نور استعدادهم بالاحتجاب بهما وبالاولاد والاتباع او المحجوبين باموال العلوم الحاصلة بالعقل

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمى قصى مجمعا لذلك قال الشاعر * ابوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر * وقوله تعالى (ايلافهم) هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء الى اليمن لانها ادفأ ورحلة فى الصيف الى الشأم وكان الحرم واديا مجدبا لازرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لايتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشأم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل جاؤا طعامهم فى البحر على السفن الى مكة واهل البر جاؤا على الابل والحمير فألقى اهل الساحل بجدة واهل البر بالمحصب واخصب الشأم فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا فى ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبى كان اول من حمل السمراء يعنى القمح من الشأم ورحل اليها الابل هاشم بن عبدمناف وفيه يقول الشاعر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبدمناف * هلا مررت بهم تريد قراهم منعوك من ضر ومن اكفاف * الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى * والقائمين بكل وعد صادق والراحلين برحلة الايلاف * عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

* قوله عز وجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعنى الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع ضر وهو ماذكره فى سورة الفيل والثانى جلب نفع وهو ماذكره فى هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو (الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذى اطعمهم من جوع اى من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد فى البر والبحر وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد واخصبت اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اى بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد فى رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم

الشيطانى المشوب بالوهم ونتائج فكرهم المقتضية لمحبة البدن والمال (ومكروا مكرا كبارا وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الاضلالا) اى معبوداتكم التى عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذى عبدتموه بشهواتكم واحببتموه وسواع النفس ويغوث الاهل ويعوق المال ونسر الحرص (مما خطيئاتهم) اى من اجل اعمالهم المخالفة للصواب (اغرقوا) فى بحر الهيولى (فادخلوا نارا) نار الطبيعة (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) مل عن دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا به لتدمير قومه وقهرهم وحكم بظاهر الحال ان المحجوب الذى غلب عليه الكفر لايلد الامثله فان النطفة التى تنشأ من النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها

﴿ تفسير سورة الماعون ﴾

وهي مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبدالله بن ابي سلول المنافق

وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (ارايت الذي يكذب بالدين) قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) ولفظ ارايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت يا ايها الانسان او ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) اي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالاطعام * قوله تعالى (فويل للمصلين) يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراؤن وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساه عنها لا يبالي صلى او لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان او حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو في الصلاة من افعال المؤمن (الذين هم يراؤن) يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر

الظلمة لا تقبل الانفسا منها كالبذر الذي لا ينبت الا من صنفه وسنخه وغفل ان الولد سر ابيه اي حالته الغالبة على الباطن فربما كان الكافر باقي الاستعداد صافي الفطرة نقي الاصل بحسب الاستعداد الفطري وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ هو بينهم فدان بدينهم ظاهرا وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حاله النورية كولادة ابي ابراهيم اياه فلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التي غلبت على باطنه وجهته في تلك الحالة عما قال مادة ابنه كنعان فكان عقوبة لذنب حاله (رب اغفر لي ولوالدي) اي استرني بنورك بالفناء في التوحيد ولروحي ونفسي الذين هما ابوا القلب (ولمن دخل بيتي) اي مقامي في حضرة القدس (مؤمنا) بالتوحيد العلمي ولازواج الذين آمنوا ابي اي ونفوسهم فبلغهم الى مقام الفناء في التوحيد (وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين) الذين نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور (الا تبارا)

النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روى عن على انه قال هى الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهى رواية عن ابن عباس ويدل عليه ماروى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظى الماعون المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون مالايحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور فى البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها فى نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله اعلم

﴿ تفسير سورة الكوثر ﴾

وهى مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهى ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (انا اعطيناك الكوثر) الكوثر نهر فى الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان اناسا يزعمون انه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثير فى العدد او كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التى فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء فى تفسير الكوثر قد اعطيه النبى صلى الله عليه وسلم اعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل فى الكوثر الذى عليه جمهور العلماء انه نهر فى الجنة كما جاء مبينا فى الحديث (ق) عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يارسول الله قال انزلت على آنفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عزوجل خير كثير هو حوض ترد عليه امتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول ماتدرى ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا ياجبريل

هلا كا بالغرق فى بحر الهيولى وشدة الاحتجاب والله تعالى اعلم

﴿ سورة الجن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن) قدمر ان فى الوجود نفوسا ارضية قوية لا فى غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا على هيآت النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية ولا فى صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوى وتتجرد او تتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة بالاجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية او النارية او الدخانية على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوية امكنها ان تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا تستبعد ان ترتقى الى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اى النفوس المجردة ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى

قال هذا الكوثر الذى اعطاك ربك فاذا طينه اوطينته مسك اذفر شك الراوى * عن انس رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهرا عطانيه الله يعنى فى الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزور قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لايظمأ ابدا زاد فى رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوضى مابين جنبيه كما بين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفى رواية فيه اباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مابين ناحيتى وفى رواية لابتى حوضى كما بين صنعاء والمدينة وفى رواية مثل مابين المدينة وعمان وفى رواية قال ان قدر حوضى كما بين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء (م) عن ابى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها الا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله مابين عمان الى ايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل (م) عن ثوبان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لبعقر حوضى اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فاقول اى ربى اصحابى فيقال انك لاتدرى ما احدثوا بعدك (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى ربى اصحابى اصحابى فليقالن لى انك لاتدرى ما احدثوا بعدك وفى رواية ليردن على ناس من امتى الحديث وفى آخره فاقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابى او قال من امتى فيجلون عن الحوض فاقول رب اصحابى فيقول انه لاعلم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على امتى الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا

القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ولاتنكر ان تشتعل اجرامها الدخانية باشعة الكواكب فتحترق وتهلك او تنزجر من الارتفاع الى الافق السماوى فتتسفل فانها امور ليست بخارجة عن الامكان وقد اخبر عنها اهل الكشف والعيان الصادقون من الانبياء والاولياء خصوصا اكملهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان شئت التطبيق فاعلم ان القلب اذا استعد لتلقى الوحى وكلام الغيب استمع اليه القوى النفسانيه من المتخيلة والوهم والفكر والعاقلة النظرية والعملية وجميع المدركات الباطنة التى هى جن الوجود الانسانى ولما لم يكن الكلام الالهى الوارد على القلب بواسطة روح القدس من جنس الكلام المصنوع المتلقف بالفكر والتخيل او المستنتج من القياسات العقلية والمقدمات الوهميه والتخيليه قالوا (فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد) اى الصواب وذلك هو تأثرها بنور الروح

يانبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون الى فاقول يارب هؤلاء من اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن والذى نفسى بيده لاذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يارسول الله وتعرفنا قال نعم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم * عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ماانتم الاجزء من مائة الف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة اوثمانمائة اخرجه ابوداود

﴿فصل في شرح هذه الاحاديث وذكر مايتعلق بالحوض﴾ قال الشيخ محيي الدين النووى قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لايتأول ولايختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابي سعد وسهل بن سعد وجندب بن عبدالله وعبدالله بن عمرو وعائشة وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابي ذر وثوبان وانس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر الصديق وزيد بن ارقم وابي امامة وعبدالله بن زيد وابي برزة وسويد بن حبلة وعبدالله بن الصنابحي والبراء بن عازب واسماء بنت ابي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخارى ومسلم ايضا من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابوبكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ماسبق ذكره في الاحاديث وفيه بيان مااتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسماء بنت ابي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا مايقتضي كون الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية مابين جنبيه كما بين جرباء واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء في اليمن وفي رواية عرضه مثل طوله مابين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت في حديث واحد بل في احاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد مابين هذه البلاد المذكورة لاعلى التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظيم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة منع الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولامنافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض من ان العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء ولامانع يمنع من ذلك اذقد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم

وانتعاشها بمعانى الوحى وتنورها بنوره وتأثيرها في سائر القوى من الغضبية والشهوية وجميع القوى البدنية (فآمنابه) تنورنا بنوره واهتدينا الى جناب القدس (ولن نشرك بربنا احدا) اى ان نمله بمثال من جنس مدركاتنا فنشبه به غيره بل نشايع السر في التوجه الى جناب الوحدة ولن نتزوى الى عالم الكثرة لنعبد الشهوات بهوى النفس وتحصيل مطالبها من عالم الرجس فنعبد غيره (وانه تعالى جد) عظمة (ربنا) من ان نتصوره مدركة فنكيفه فيدخل تحت جنس فيتخذ (مااتخذ صاحبة) من صنف تحته اوولدا من نوع يماثله (وانه كان يقول سفيهنا) الذى هوالوهم (على الله شططا) بأن كان يتوهمه في جهة ويجعله من جنس الموجودات المحفوفة باللواحق المادية فيما بين المخلوقات صنفا اونوعا (وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن) انس الحواس الظاهرة ولاجن القوى الباطنة (على الله كذبا) فيما ادركوا منه وتوهمنا ان البصر يدرك شكله

وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم الا جزء من مائة الف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضربه مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من امتي فيقول ماتدري ما احدث بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقول انك لاتدري ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه وفي المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيماء التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك اي لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلموا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن ابي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام واصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لايقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر اصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر وكل هؤلاء يخاف ان يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ ابدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لايعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله ❁ شرح غريب الفاظ الاحاديث ❁ قوله فيختلج العبد منهم اي ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح اما جرباء فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخاري فيها المد والقصر اولى وهي قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهي آخر الحجاز واول الشأم واما صنعاء فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيد باليمن في الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء ودمشق قد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين اي يسيل فيه وفي الحديث الآخر يغت

وأونه والاذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقا مطابقا لما هو عليه قبل الاهتداء والتنور فعلمنا من طريق الوحي ان ليست في شيء من ادراكه بل هو يدركها ويدرك ماتدركه ولا تدركه (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) اي تستمد القوى الظاهرة الى القوى الباطنة وتتقوى بها (فزادوهم رهقا) غشيان المحارم واتيان المناهي بالدواعي الوهمية والنوازع الشهوية والغضبية والخواطر النفسانية (وانهم ظنوا كما ظننتم) قبل التنور بنور الهدى (ان لن يبعث الله احدا) عليهم العقل المنور بنور الشرع فيهذبهم ويزكيهم ويؤدبهم بالآداب الحسنة فيأتون مايشتهون بمقتضى طباعهم ويعملون على حسب غرائزهم واهوائهم ويتركون سدى بلا رياضة ويهملون هملا بلا مجاهدة (وانا لمسنا السماء) اي طلبنا سماء العقل لنستفيد من مدركاته ما نتوصل به الى لذاتنا ونسترق من مدركاته مايعين في تحصيل مآربنا كما كان قبل التأدب بالشرائع

بفتح الياو بالغين المعجمة وكسرها وتشديد الثاء المثناة فوق اى يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا قوله انى لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله اذود الناس اى اضرب الناس لاهل اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض اى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرط لكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى انا سابقكم الى الحوض كالمهيء له قوله سحقا اى بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذا غفى اغفاءة يعنى نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم ❊ قوله تعالى (فصل لربك وانحر) معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد اعطيتك مالا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذى اعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه (ان شانئك) يعنى عدوك ومبغضك (هو الابتر) يعنى هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تحدث معه فقال ذاك الابتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزلت فى الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اى المنقطع من كل خير قولهم فى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هى النخلة التى تخرج فى اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضربها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور ينبت فى جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذى لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى فى ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك

(فوجدناها ملئت حرسا شديدا) معانى حاجزة عن بلوغنا مقاصدنا وحكما مانعة لنا عن مشتهياتنا قوية (وشهبا) وانوارا قدسية واشراقات نورية تمنعنا من ادراك المعانى التى صفت عن شوب الوهم والوصول الى طور العقل المنور بنور القدس فان العقل قبل الهداية كان مشوبا بالوهم قريبا من افق الخيال والفكر مقصورا على تحصيل المعاش مناسبا للنفس وقواها فلما تنور بنور القدس بعد عن منازل القوى ومبالغ علمها وادراكها وهذا معنى قوله (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى نورا ملكوتيا وحجة عقلية تطردنا عن الافق العقلى وتحفظ العقل عن ان يميل الى النفس فتختلط بنا وتنزل الى ما ارتقينا اليه من المقاعد فنكتسب منه الآراء القياسية المؤدية الى موافقات البدن واماني النفس (وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض) ارض البدن من القوى فتبقى فى المجاهدة والرياضة ممنوعة من لذاتها محجوبة عن

هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير واتت الاعز الاشرف الاعظم والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة قل يا ايها الكافرون ﴾

وهي مكية وست آيات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا * عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرا قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل بربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذه التقسيم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (قل يا ايها الكافرون) الى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في دينا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما يأتي من ربي فانزل الله قل يا ايها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قراها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه واصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في ابي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ الرسالة بجميع ما اوحى الله اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكأنه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل الله علي وكان فيما نزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله عز وجل وقد انزل الله على قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله يا ايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله انهم لا يؤمنون (لا اعبد ما تعبدون) في معنى الآية قولان احدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم (ولا انتم عابدون ما اعبد) اي ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال (ولا انا عابد ما عبدتم) اي ولست في الحال بعابد معبودكم (ولا انتم عابدون ما اعبد) اي ولا انتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد

مشتهياتها وماتهواها (ام اراد بهم ربهم) بالاحكام الشرعية والمناهي الدينية والاوامر التكليفية (رشدا) استقامة وصوابا ومايوجب صلاحها فان مقصد الشرع وكمال النفس امر وراء مبالغ ادراك هذه القوى (وانا منا الصالحون) كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن (ومنا دون ذلك) من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة العامله بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية (كنا طرائق قددا) ذوي مذاهب مختلفة لكل طريقة ووجهة مما عينه الله ووكله به (وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا) اي تيقنا ان الله غالب علينا لن نعجزه كائنين في ارض البدن ولا هاربين الى سماء الروح لعجز كل احد مناعن فعل الآخر فكيف عن فعل مبدا القوى والقدر (وانا لما سمعنا الهدى) اي القرآن تنورنا (آمنا به) وصدقناه بامتثالنا اوامره ونواهيه كما قال عليه السلام لكل احد شيطان الا ان شيطاني اسلم على يدي (من

منهما ان يكون للحال والاستقبال ولكن يختص احدهما بالحال والثانى بالاستقبال لانه اخبر
اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ماتعبدون فى الحال ولا انتم عابدون
ما اعبد فى الاستقبال وما بمعنى من اى من اعبد ويحتمل ان تكون بمعنى الذى اى الذى اعبد القول
الثانى حصول التكرار فى الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت
الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع
لان الكفار راجعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار فى هذا
الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة
التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام
لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل فى دينك عاما فادخل
فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم (لكم دينكم ولى دين) اى لكم كفركم
ولى اخلاصى وتوحيدى والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ماشئتم وهذه الآية منسوخة
بآية القتال والله اعلم

❊ تفسير سورة النصر ❊

وهى مدنية وثلاث آيات وسبع عشرة وسبعة وسبعون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل (اذا جاء نصر الله والفتح) يعنى فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره
محمد بن اسحق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية
اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس
ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل فى عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل
فيه ومن احب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر فى عهد قريش
ودخلت خزاعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان بينهما اشر قديم ثم ان بنى بكر عدت
على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلى فى بنى
الدئل بنى بكر حين بقيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت
قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة
الى الحرم وكان ممن اعان بنى بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن
امية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر
يانوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انا لا اله له اليوم يا بنى بكر اصيبوا ثاركم فلعمرى
انكم لتسرقون فى الحرم افلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة
واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق
بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما اهاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فقال

يارب انى ناشد محمدا * حلف ابينا وابيه الا تلدا * قد كنتمو ولدا وكنا والدا
ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا * فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا

يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) بخس حق من حقوقه وكمالاته التى امكنت له وحظوظه ايضا فان النفس وان اطمأنت وتنورت قواها بحيث لا تزاحم السر ولا تعلوا القلب لم تمنع من الحظوظ بل عليها لتقوى بها هى وقواها على الطاعة وتنشط على الافعال الالهية حالة الاستقامة كتمتيع نفسه عليه السلام بنكاح تسع نسوة وغيره من التمتعات ولا رهق ذلة وقهر بالرياضة او بخس كمال ورهق رذيلة من الرذائل او لحوق هيئة معذبة موجبة للخسوء والطرد (منا المسلمون) المذعنون لطاعة القلب وامر الرب بالطبع كالعاقلة (ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الصواب كالوهم (فمن اسلم) انقاد واذعن (فأولئك تحروا رشدا) قصدوا الصواب والاستقامة (واما القاسطون) الجائرون (فكانوا لجهنم حطبا) حطبا لجهنم الطبيعة الجسمانية (وان لو استقاموا على الطريقة) من جملة الموحى لا من كلام الجن اى لو استقام الجن كلهم على طريقة

فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعوا احدا * وهم اذل واقل عددا * هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا * فانصر هداك الله نصرا ابدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت ياعمرو بن سالم ثم عرض لرسول صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتشهد بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بابى سفيان قد جاء يشدد فى العقد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحابه حتى لقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد فى العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا من الذى صنعوا فلما لقى ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يابديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال وهل اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابى سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال اى بنية ارغبت بى عن هذا الفراش ام رغبت به عنى فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس لم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يابنية بعدى شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم ذهب الى ابى بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لك الى النبى صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على على بن ابى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن على غلام يدب بين يديها فقال ياعلى انك امس القوم بى رحما واقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك ياابا سفيان لقد ارى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يابنت محمد هل لك ان تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بنى ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا الحسن انى ارى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله لا اعلم شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال لا والله ما اظن ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان فى المسجد فقال ايها الناس انى قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيأ ثم جئت ابن ابى قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته

التوجه الى الحق والسلوك فى متابعة السير السائر الى التوحيد (لأسقيناهم ماء غدقا) اى لرزقناهم علما جما كما ذكر فى انباء آدم للملائكة (لنفتنهم فيه) لنختبرهم هل يشكرون بالعمل به وصرفه فيما ينبغى من مراضى الله ام لا كما قال وبلوناهم بالحسنات (ومن يعرض عن ذكر ربه) فيحتجب بنعمته او يصرفها فيما لا ينبغى من الاعمال وينسى حق نعمته (يسلكه عذابا صعدا) بالرياضة الصعبة والحرمان عن الحظ حتى يتوب ويستقيم او بالهيئة المنافية المؤلمة ليتعذب عذابا شديدا شاقا غالبا عليه (وان المساجد) اى مقام كمال كل قوة وهو هيئة اذعانها وانقيادها للقلب الذى هو سجودها او كمال كل شئ حتى القلب والروح (لله) اى حق الله على ذلك الشئ بل صفة الله الظاهرة على مظهر ذلك الشئ (فلا تدعوا مع الله احدا) بتحصيل اغراض النفس وعبادة الهوى وطلب اللذات والشهوات بمقتضى طباعكم فتشركوا بالله وعبادته (وانه لما قام عبد الله) اى القلب المتوجه

اعدى القوم ثم اتيت على بن ابى طالب فوجدته الين القوم وقد اشار على بشئ صنعته فوالله ماادرى هل يغنى ذلك شيأ ام لا قالوا وماذاك قال امرنى ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله مازاد على ان لعب بك فمايغنى عنك ماقلت قال لا والله ماوجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهز فدخل ابو بكر على ابنته عائشة وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ماادرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبى صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار والمهاجرين عنه احد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولا يأتيهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ماهو فاعل خرج فى تلك الليالى ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة قال العباس فوالله انى لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وابو سفيان يقول مارأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتى فقال يا ابا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك ابى وامى قلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفنى ورجع صاحباه فخرجت اركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الى ويقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الى فلما رأى ابا سفيان على عجز

الى الحق الخاشع المطيع (يدعوه) بالاقبال اليه وطلب النور من جنابه ويعظمه ويجله (كادوا يكونون عليه لبدا) يزدحمون عليه باستيلاء ويحجبونه بالظهور والغلبة (قال انما ادعوا ربى ولا اشرك به احدا) اوحده والا التفت الى ماسواه فأكون مشركا (قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا) اى غيا وهدى انما الغواية والهداية من الله ان سلطنى عليكم تهتدوا بنورى والا بقيتم فى الضلال ليس فى قوتى ان اقسركم على الهداية (الا بلاغا من الله) اى ان ابلغكم بلاغا صادرا من الله (و) ابلغكم (رسالاته) من معانى الوحى واحكام الحق اى لا املك الا التبليغ والرسالات فهو استثناء من مفعول املك وقوله قل انى لن يجيرنى اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة والقدرة عليهم اى ان يجيرنى ايضا من الله احد ان ارادنى الله بضر اوغواية فيسلطكم اوغيركم على ولن اجد من دونه ملتحدا ملجا وملاذا ومهربا

البغلة قال ابوسفيان عدوالله الحمدلله الذى امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطئ قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذا عدوالله ابوسفيان قد امكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى اضرب عنقه قال فقلت يارسول الله انى قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لايناجيك الليلة احد دونى فلما اكثر عمر فى شأنه قلت مهلا ياعمر فوالله ماتصنع هذا الا انه رجل من بنى عبد مناف ولو كان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الى من اسلام الخطاب لو اسلم وماذاك الا لانى اعلم ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس الى رحلك فاذا اصبحت فاتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك ياابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله وانى رسول الله قال بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك والله ولقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى عنى شيأ بعد قال ويحك ياابا سفيان الم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بابى انت وامى مااحلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان فى النفس منها حتى الان شيأ فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يارسول الله ان ابا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هولاء ياعباس فاقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لاتمر قبيلة الاسألنى عنها فاذا اخبرته عنها فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته من الخضراء انما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره وفيها المهاجرون والانصار لايرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء ياعباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار قال مالاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك لحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ فى المسجد باعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بمالاقبل لكم به قالوا فمه قال قال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا ويحك وماتغنى عنا دارك قال من دخل المسجد فهو امن ومن اغلق عليه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث فى اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لاتبرح حيث امرتك ان تركز رايتى

ومحيصا ان اهلكنى او عذبنى على ايديكم اوغيركم والا املك النفع والضر والهداية والغواية لنفسى فكيف املك لكم شيأ منها (ومن يعص الله ورسوله) منكم فلم يقبل نوره ولم يسمع مابلغه رسول العقل (فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا) الطبيعة المحرقة باستيلائها عليه ابدا (حتى اذا رأوا) اى يكونون عليه لبدا يسنولون عليه بالازدحام حتى اذا رأوا (مايوعدون) فى الرسالات من وقوع القيامة الصغرى بالموت او الوسطى بظهور نور الفطرة واستيلاء القلب عليها او الكبرى بظهور نور الوحدة فسيظهر ضعفهم وقلة عددهم وخمود نارهم وانطفاؤها وكلالة حدهم وشوكتهم باحدى الاحوال الثلاث ولاينصر بعضهم بعضا لانقهارهم وعجزهم وفنائهم فيعلمون (فسيعلمون من اضعف ناصرا) من القلب (واقل عددا) وان كادوا ان يقهروه بالكثرة واستقلوه بالنسبة الى عددهم فان الواحد المؤيد من عندالله اقوى واكثر ولقد سبقت

حتى آتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة عليه بردحبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعا لله عزوجل حين رأى ما اكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبنى سليم ان يدخلوا من اسفل مكة وبنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبدمناف ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا بأسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا اناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لاتقاتلا الا من قاتلكما وامر سعد بن عبادة ان يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ماقال سعد بن عبادة ومانأمن ان يكون له فى قريش صولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب ادركه بهذه الراية فكن انت الذى تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثناعشر رجلا او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الارجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلا يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لايقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابى سرح وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن اهل مكة فاستأمنه له وعبدالله بن خطل رجل من بنى تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نقيد بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصارى الذى قتل اخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبنى عبدالمطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن ابى جهل فأما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته ام حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت فى طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومى وابوبرزة الاسلمى اشتركا فى دمه واما مقيس بن صبابة فقتلة نملة بن عبدالله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنت واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطأها رجل من الناس فرساله فى زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث بن ابى طالب قالت ام هانى لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الى رجلان من احمائى من بنى مخزوم وكانت عند

كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ان ينصركم الله فلا غالب لكم (قل ان ادرى اقريب ماتوعدون ام يجعل له ربى امدا) فى القيامة الصغرى من الفناء والدخول فى نار الطبيعة عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله او فى الاخريين من الموت الارادى والفناء الحقيقى لعدم الوقوف على قوة الاستعداد وضعفه فيقع عاجلا ام ضرب الله له غاية واجلا هو (عالم الغيب) وحده (فلا يظهر) يطلع (على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) اى اعده فى الفطرة الاولى وزكاه وصفاه من رسول القوة القدسية (فانه يسلك من بين يديه) اى من جانبه الالهى (ومن خلفه) وجهته البدنية (رصدا) حفظة امامن جهة الله التى اليها وجهه فروح القدس والانوار الملكوتية والربانية واما من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيآت النورية الحاصلة من هياكل الطاعات والعبادات يحفظونه من تخبيط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والاوهام

والخيالات بمعارفها اليقينية ومعانيها القدسية والواردات الغيبية والكشوف الحقيقية (ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم) ليظهر علمه تعالى فى مظاهر الرسل بما كان مكنونا فى استعدادهم فيكملوا بما امكنهم حمله من رسالاته وابلاغه (واحاط بما لديهم) من العقل الفرقانى والمعانى المكنونة فى فطرتهم ازلا فاظهرها (واحصى كل شئ عددا) اى ضبط كل شئ بالعقل الفرقانى وابراز الكمال التام جملة وتفصيلا كليا وجزئيا او ضبط عدد كل شئ مطلقا فى القضاء والقدر كليا وجزئيا والله تعالى اعلم

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

(ياايها المزمل) اى المتلفف فى غواشى البدن وملابسه (قم الليل) من نوم الغفلة سائرا فى سبيل الله سالكا مسالك بيداء النفس ومراحل مفازة القلب الى الله ايل مقام النفس واستيلاء الطبع (الا قليلا نصفه) بحكم الضرورة للاستراحة والاكل والشرب ومصالح البدن ومهماته التى لا يمكن التعيش بدونها وذلك هو

هبيرة بن وهب المخزومى قالت فدخل على على بن ابى طالب اخى فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا واهلا يا ام هانئ ماجاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر على بن ابى طالب فقال قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا نقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة واخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة اودم اومال يدعى فهى تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها خلفة فى بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية ثم قال يا معشر قريش ماترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه على بن ابى طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحى يارسول الله ان صفوان بن امية سيد قومى قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه فى البحر فامنه يارسول الله فقال هو آمن قال يارسول الله اعطنى شيأ يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابى وامى اذكرك الله فى نفسك ان تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال ويلك اعزب عنى لا تكلمنى قال فداك ابى وامى افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى اخاف على نفسى قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتنى قال صدق قال فاجعلنى فى ذلك بالخيار شهرين قال انت بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه مكة ارضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة

آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن ابى هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام الفتح بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الاوانها لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد من بعدى الاوانما احلت لى ساعة من نهار الاوانها ساعتى هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقطع شوكها ولا تحل ساقطتها الالمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفتدى واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام ابو شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لى يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابى شاه قال الاوزاعى يعنى الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعنى اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجئ النصران جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها اوتأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعنى فتح مكة فى قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذى هو تمام النعمة (ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا) يعنى زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله ☼ قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) يعنى فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم قال وما رأيت انه كان دعانى يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون فى قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى اكذلك تقول يا ابن عباس قال قلت لا قال فما هو قلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان انزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القول من سبحان

نصفه اى نصف كونه فى مقام الطبيعة من الزمان باسره ليكون الربع من الدورة التامة التى هى اربع وعشرون ساعة للاستراحة والربع لضروريات البدن (او انقص منه قليلا) ان كنت من الاقوياء حتى يبقى الثلث فيكون السدس للاستراحة والسدس لضروريات المعاش (اوزد عليه) قليلا ان كنت من الضعفاء حتى يصير الى الثلثين فيكون الثلث الاستراحة والثلث للضروريات والثلث للاشتغال بالله والسير فى طريقه (ورتل القرآن ترتيلا) اى فصل ما فى فطرتك من المعانى والحقائق مجموعة وفى استعدادك مكنونة باظهارها وابرازها بالتزكية والتصفية (انا سنلقى عليك) بتأييدك بروح القدس وافاضة نوره عليك حتى يخرج ما فيك بالقوة الى الفعل من المعانى والحكم (قولا ثقيلا) ذا وزن واعتبار (ان ناشئة الليل) اى النفس المنبعثة من مقام الطبيعة ومقيل الغفلة (هى اشد وطأ واقوم قيلا) موافقة للقلب واصوب قولا صادرا من العلم لا من التخيل والظن

الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرني ربي اني سأرى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا المزيد در جاتك في الدنيا والآخرة وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة ابي لهب ﴾

﴿ وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿تبت يدا ابي لهب﴾ (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليدوان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت

والظن والوهم (ان لك) في نهار مقام القلب وزمان طلوع شمس الروح (سبحا) اي سيرا وتصرفا وتقلبا في الصفات الالهية ومقامات الطريقة (طويلا) بلا امد ونهاية (واذكر اسم ربك) الذي هو انت اي اعرف نفسك واذكرها ولا تنساها فينساك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع الى الله بالاعراض عما سواه انقطاعا تاما معتدا به (رب المشرق والمغرب) اي الذي ظهر عليك نوره وطلع من افق وجودك بايجادك والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب بك (لا اله) في الوجود (الا هو) اي لا شيء في الوجود يعبد غيره هو الاول والآخر والظاهر والباطن (فاتخذه وكيلا) اي انسلخ عن فعلك وتدبيرك برؤية جميع الافعال منه فيكون امرك موكولا اليه يدبر امرك ويفعل بك ما يشاء فكنت متوكلا (واصبر على ما يقولون) واحبس نفسك عن الطيش والاضطراب والحركة في طلب الرزق والاهتمام به على

لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبدالعزى فعدل عنه الى الكنية لمافيه من الشرك الثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها (وتب) قيل الاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اى وقد اهلكت نفسه (ما اغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ماتقول يا ابن اخي حقا فانا افتدى نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما اغنى عنه ماله اى اى شئ تغني عنه ماله اى ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعني من المال وكان صاحب مواش اى ماجمع من المال اوما كسب من المال اى ربح بعد راس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي ثم اوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) اى نارا ذات لهب عليه (وامرأته) يعني ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (حمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لتؤذيهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله هي بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به وقيل حمالة الخطايا والآثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب في مصيرها الى النار (في جيدها) اى عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذي كانت تحتطب به فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات في عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الاخلاص ﴾

﴿ وهي مكية وقيل مدنية وهي اربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا ﴾

﴿ فصل في فضلها ﴾ (خ) عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن في ليلة

ماتوسوس اليك قوى نفسك وتلقي اليك من خواطر الوهم ودواعي الشهوة ونوازع الهوى فتبعثك وتتبعك في حوائجك (واهجرهم) بالاعراض عنهم (هجرا جميلا) مبنيا على العلم الشرعي والعقلي لاعلى الهوى والرعونة (وذرني والمكذبين اولي النعمة) واياهم فانهم المكذبون بمقام التوكل وتكفلي بحوائجك لاحتجابهم عما انعمت عليهم من نعمة الادراك والشعور والقدرة والارادة عني فلا يشعرون الا بقواهم وقدرهم ولا يصدقون قولي (ومهلهم قليلا) ريثما اسلب عنهم القوة والقدرة بتجلي الصفات فيظهر عجزهم (ان لدينا انكالا) قيودا شرعية وتكاليف مانعة لهم عن افعالها (وجحيما) من حر نار التعب في الطلب (وطعاما ذا غصة) من مخالفات طباعهم وحقوقهم بدل حظوظهم (وعذابا اليما) من انواع الرياضة والمجاهدة (يوم ترجف الارض) ارض النفس باستيلاء اشراقات انوار التجليات في القلب فتقشعر

فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يارسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزأ من القرآن (م) عن ابى هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضى الله عنهم فى كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن اقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لايعدو ثلاثة اقسام وهو الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او صفاته واسمائه اومعرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى التقديس فى ان يكون واحدا فى ثلاثة امور لايكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولايكون حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يولد ولا يكون احد فى درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا اسرار القرآن المجيد الذى تتناهى اسراره ولاتنقضى عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازى لعل الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف فى جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محى الدين النووى رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة انحاء قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة للصفات فهى ثلث القرآن وجزء من ثلاثة اجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشئ وتقاللته وتقاللته اى عددته قليلا فى بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى فى صفته اولان قارئها قد اخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهى متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل مالايليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير * عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتى مرة قل هو الله احد محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفى رواية عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدى ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وعنه ان رجلا قال يارسول الله انى احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذى عن ابى هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (قل هو الله احد) عن ابى بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله

وبضطرب وجبال هيآتها وصفاتها فتندك (وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه اخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ماتيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) فتنمحى وتذهب * او رغما يهيج عصيرا وانحراف المزاج

عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذى لم يلد ولم يولد لانه ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شئ اخرجه الترمذى وقال وقد روى عن ابى العالية ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابى بن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما فى سورة الرعد وقال جماعة ناس من احبار اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل نعته فى التورية فاخبرنا من اى شئ هو وهل يأكل ويشرب ومن يرث [illegible] ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد [illegible] والربوبية الموصوف بصفات [illegible] والعظمة المنفرد [illegible] احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل فى الاحد [illegible] ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل فى الاثبات والاحد فى النفى [illegible] واحدا وفى النفى ما رأيت احدا فيفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد ﴿ الله الصمد ﴾ قال ابن عباس الصمد الذى لاجوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان [illegible] المصمت الذى ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذى ليس باجوف معناه هو الذى لا يأكل ولا يشرب وهو الغنى عن كل شئ فعلى هذا الاعتبار وهو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف من اثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذى ليس باجوف شيآن احدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثانى اشرف من الانسان واعلى منه وهو البارئ جل وعز وقال ابى بن كعب الصمد الذى لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخارى فى افراده عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذى انتهى سودده وهى رواية عن ابن عباس ايضا قال هو السيد الذى كمل فيه جميع اوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود فى جميع الحوائج المرغوب اليه فى الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل فى جميع صفاته وافعاله وكلها دالة على انه المتناهى فى السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقى بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذى ليس فوقه احد وهو قول على وقيل هو الذى لا تعتريه الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذى لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذى ليس له زوال والآخر الذى

وعلمه بعض الكيفيات بعضها ان لدينا انكالا من الهيآت المنكرة والصور المعدبة المؤذية وجحيما من نيران الطبيعة وطعاما ذا غصة مما لا تستلذه من انواع الغسلين والزقوم والضريع وعذابا اليما تلك النيران والصور يوم ترجف ارض البدن بزهوق الروح بسكرات الموت وجبال [illegible] تفتت وتصير كذا [illegible] والله اعلم

﴿ سورة المدثر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا ايها المدثر) اى المتلبس بدثار البدن المحتجب بصورته (قم) عن ما ركنت اليه وتلبست به من اشغال الطبيعة وانتبه عن رقدة الغفلة (فانذر) نفسك وقواك وجميع من عداك عذاب يوم عظيم (وربك فكبر) اى ان كنت تكبر شيأ وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير لا تعظم فى عينك غيره ويصغر فى قلبك كل ماسواه بمشاهدة كبريائه (وثيابك فطهر والرجز) اى ظاهرك طهره اولا قبل تطهير باطنك عن مدانس الاخلاق ورذائل الافعال

ليس لملكه انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ماقيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضى ان لايكون فى الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شئ وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شئ وهو السميع البصير
* قوله عزوجل (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عزوجل ونفى عن نفسه ماقالوا بقوله لم يلد يعنى كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذى لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذى لم يكن له كفو احد اى ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له كفوا احد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عزوجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله ان يعيدنى كما بدأنى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الفلق وهى مدنية ﴾

وقيل مكية والاول اصح وهى خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا (م) عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن ايضا وانه من اول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (ج) عن زر بن حبيش قال سألت ابى بن كعب عن المعوذتين قلت يااباالوليد ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبدالله بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فقال قل قلت مااقول قال قل هو الله احد الله الصمد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح تكفيك كل شئ وفى رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت مااقول قال قل اعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل اعوذ برب الناس حتى تختمها ثم قال ماتعوذ الناس بافضل منهما اخرجه النسائى عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول ابى الدرداء

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (قل اعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم

ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدى الى العذاب (فاهجر) اى جرد باطنك عن اللواحق المادية والهيآت الجسمانية الفاسقة والغواشى الظلمانية الهيولانية (ولا تمنن تستكثر) ولا تعطى المال عند تجردك عنه مستغزرا طالبا للاعواض والثواب الكثير به فان ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همة بل خالصا لوجه الله افعل ما تفعل صابرا على الفضيلة له لا لشئ آخر وهذا معنى قوله (ولربك فاصبر) اولا تعط ماعطيت فى الزهد والطاعة والترك والتجريد مستكثرا رائيا اياه كثيرا فتحتجب برؤية فضيلتك وتبتلى بالعجب فيكون ذنب رؤية الفضيله اعظم من ذنب الرذيلة كما قال عليه السلام لولم تذنبوا لخشيت عليكم اشد من الذنب العجب العجب العجب بل اصبر على الفضيلة خالصا لوجه ربك لالغرض آخر هاربا عن الرذيلة بالطبع لا فضيلة لها اصلا فلا تبتهج برؤية زينتها بالفضيلة بل بفضل الله عليك فتتذلل وتخضع لاتتعزز وتستكبر (فاذا نقر فى الناقور فذلك

سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه وفى رواية انه يخيل اليه فعل الشئ وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت ياعائشة ان الله قد افتانى فيما استفتيته فيه قلت وماذاك يارسول الله قال جاءنى رجلان فجلس احدهما عند رأسى والآخر عند رجلاى ثم قال احدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودى من بنى زريق قال فيماذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال فى بئر ذروان ومن الرواة من قال فى بئر بنى زريق فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى اناس من اصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يارسول الله فاخرجه قال اما انا فقد عافانى الله وشفانى وخفت ان اثير على الناس منه شرا وفى رواية للبخارى انه كان يرى انه يأتى النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا اشد مايكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فى بئر كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى ولا رآه فى وجهه قط اخرجه النسائى وروى انه كان تحت صخرة فى البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم واسنان من مشطه وقيل كان فى وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغرورا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبى صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروى انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليل فنزلت المعوذتان (م) عن ابى سعيد الخدرى ان جبريل اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس اوعين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك

❁ فصل وقبل الشروع فى التفسير نذكر معنى الحديث وماقيل فيه وماقيل فى السحر وماقيل فى الرقى ❁ قولها فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع ولم يصنعه قال الامام المازرى مذهب اهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف مايقع منه الى خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله فى كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر مافيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لايمكن ان يكون مما لاحقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولايستنكر فى العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق اوتركيب اجسام او المزج بين قوى لايعرفها الا الساحر وانه لافاعل الا الله تعالى ومايقع من ذلك فهو عادة اجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره ام لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع ان ماقدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح فى القدرة قلت كل ماوقع فى الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ماروى الترمذى عن ابن ابى خزامة عن ابيه قال سألت

يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) اى نزع الروح عن الجسد فتنقر الهيآت الروحانية ومحاسن الصور والملاذ والادراكات عنه ويؤثر بالتفريق والتبديد فى ذلك المنقور وذلك عبارة عن النفخة الاولى للاماتة اوينقر فى البدن المبعوث فتنتقش فيها الهيآت المكتسبة الردية الموجبة للعذاب اوالحسنة المنجية الموجبة للثواب فيكون عبارة عن النفخة الثانية التى للاحياء وهو الاظهر فلا يخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على احد وان خفى يسره على غيرهم الا على المحققين من اهل الكشف والعيان (ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما ادراك ماسقر لا تبقى ولا تذر) بدل من قوله سأرهقه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ارايت رقى نسترق بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذى هذا حديث حسن وعن عمر سرمن سحر يه لى امر الله تعالى

﴿ فصل ﴾ وقد انكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذى ادعاه باطل لان الدلائل القطعية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل وما يتعلق ببعض امور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما يتخيله الانسان فى المنام فلا يبعد ان يتخيله فى اليقظة ولا حقيقة له وقيل ان يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فيكون اعتقاده على السداد قال القاضى عياض وقد جاء فى بعض روايات هذا الحديث مبينة ان السحر انما سلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس فى ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب اى مسحور قوله وجف طلعة ذكر يروى بالتاء ويروى بالباء وهو وعاء طلع النخل واما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بآيات من القرآن او اذكار وردت فى الحديث ويدل على صحة الاحاديث الواردة فى ذلك منها حديث ابى سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبى صلى الله عليه وسلم ومنها ماروى عن عبيد بن رفاعة الزرقى ان اسماء بنت عميس قالت يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افأسترقى لهم قال نعم فانه لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما النهى عنه منها ما كان فيه كفر او شرك او ما لا يعرف معناه مما ليس بعربى لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم * واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه فى التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجئ الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجئ النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر فى هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل اعوذ برب الوقت الذى يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن فى جهنم وقيل هو واد فى جهنم اذا فتح استعاذ اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكأن قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات ﴿ من شر ما خلق ﴾ قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذى شر وقيل من شر ما خلق

صعودا والصعود عقبة شاقة المصعد عن النبى صلى الله عليه وسلم جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا وهو والله اعلم اشارة الى طور النفس الذى هو اعظم اطوارها اى افقها الذى يلى الفطرة الانسانية يصعد اليه سنين متطاولة فى صور التعذيب وبرازخ الاحتجاب بهيآت وتحرق فيها كما قال عليه السلام يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت ويهوى فيه الى اسفل سافلين كذلك ينتقل دركه فى برازخ متنوعة ابدا فذلك الصعود هو سقر الطبيعة من اعلى طبقاتها الى اسفلها سأصليه اياها لا تبقى فيها شيأ الا اهلكته وافنته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد واهلكته مرة اخرى هكذا دائما ﴿ لواحة للبشر ﴾ مغيرة لظواهر الاجساد الى لون سواد خطاياهم وهيآت سيآتهم وذلك من خاصية تلك النار كما تغير النار الجسمانية الالوان والهيآت ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ هى

من الجن والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال ياعائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل فى الخسوف او اخذ فى الغيبوبة وقيل سمى به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل فى المحاق وهو آخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اى اقبل بظلمته من المشرق وقيل سمى الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات فى العقد) يعنى السواحر اللاتى ينفثن فى عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل والمراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم اللاتى سحرن النبى صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ فقط واختلفوا فى جواز النفث فى الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة التفل والنفث فى الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغى للراقى ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث فى العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعى فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ منه واراد الحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبى صلى الله عليه وسلم اولبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الناس ﴾

وهى مدنية وقيل مكية والاول اصح وهى ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (قل اعوذ برب الناس) انما خصص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذى يعيذ من شرهم وقيل ان اشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس اله الناس) انما وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية جامعة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها احد والسبب فى تكرير لفظة الناس يقتضى مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعنى الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفى (الخناس) يعنى الرجاع الذى من عادته ان يخنس اى يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه

الملكوت الارضية التى تلازم المادة من روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر الموكلة بتدبير العالم السفلى المؤثرة فيه تقمعهم بسياط التأثير وتردهم فى مهاويها (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) لتغلبهم وتقهرهم فان عالم الملك فى قهر عالم الملكوت وتسخره (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) الابتلاء المحجوبين وتعذيبهم وزيادة احتجابهم وارتيابهم (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) كتاب العقل الفرقانى (ويزداد الذين آمنوا) الايمان اليقينى العلمى (ايمانا) بالكشف والعيان فلا يرتابوا كما ارتاب الجاهلون بالجهل البسيط المحجوبون (ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) او ليستيقن الذين اوتوا الكتاب من المقلدين ويزداد المحققون تحقيقهم ولا يرتابوا كما ارتاب الجاهلون الذين لا اعتقاد لهم تحقيقا ولا تقليدا (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) نفاق وشك من الجاهلين بالجهل البسيط (والكافرون المحجوبون باعتقاداتهم الفاسدة من الجاهلين بالجهل

وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعنى الجن (والناس) وفى معنى الآية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثانى ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس الانسان كالناصح له فان قيل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكأنه تعالى امر ان يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على رأسه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح عنه بيديه رجاء بركتهما اخرجه مالك فى الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل واطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من اول القرآن الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تم تفسير الخازن بعون الله الملك المنان

المركب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) اى شيأ عجيبا كالمثل المستغرب المتعجب منه اى ماذكرنا عدتهم وما جعلناها كذلك الا ليكون سببا لظهور ضلال الضالين وهداية المهتدين كسائر الاسباب الموجبة ضلال من ضل وهداية من اهتدى مثل ذلك المذكور (كذلك يضل الله من يشاء) من اهل الشقاوة الاصلية (ويهدى من يشاء) من اهل السعادة الازلية (وما يعلم جنود ربك الا هو) عددها وكميتها وكيفيتها وحقيقتها الا هو لاحاطة علمه بالماهيات واحوالها (وما هى) اى وما سقر متصل بقوله سأصليه سقر من تمة او صافة وقوله وما جعلنا الى قوله الا هو اعتراض لبيان حال الزبانية (الا ذكرى) تذكرة (للبشر كلا والقمر والليل) انكار ان يكون تذكيرا لهم مطلقا فان اكثرهم غير مستعدين مطبوع على قلوبهم محكوم بشقاوتهم فلا يتعظون به ثم اقسم بالقمر اى بالقلب المستعد الصافى القابل للانذار المتعظ به المنتفع بتذكيره تعظيما له وبليل

ظلمة النفس (اذا دبر والصبح اذا اسفر) اى ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب بانشقاق نور الروح عليه وتلألؤ طوالعه وبصبح طلوع ذلك النور اذا اسفر زالت الظلمة بكليتها وتنور القلب (انها) اى سقر الطبيعة (لاحدى) الدواهى (الكبر) العظيمة اوحدية منها فردة لانظير لها من جملتها كقولك انه احد الرجال وانها لاحدى النساء تريد فردا منهم منذرة نذيرا (للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) اوانذارا اى فردا فى الانذار اياهم لا لكلهم بل للمستعدين القابلين الذين ان شاؤا تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات الى مقام القلب وان شاؤا تأخروا بالميل الى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا فيها (كل نفس بما كسبت) بمكسوبها (رهينة) عند الله لا فكاك لها لاستيلاء هيآت اعمالها وآثار افعالها عليها ولزومها اياها وعدم انفكاكها عنها (الا اصحاب اليمين) من السعداء الذين تجردوا عن الهيآت الجسدانية وخلصوا الى مقام الفطرة ففكوا رقابهم عن الرهن هم (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) من جنات الصفات والافعال يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين لاطلاعهم عليها وما اوجب تعذيبهم وبقاءهم فى سقر الطبيعة فأجاب المسؤلون بانا سألناهم عن حالهم بقولنا (ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين) بلسان الحال او القال انا كنا موصوفين بهذه الرذائل من اختيار الراحات البدنية ومحبة المال وترك العبادات البدنية والحالية والرياضات والخوض فى الباطل والهزؤ والهذيانات والتكذيب بالجزاء وانكار المعاد التى هى رذائل القوى الثلاث الموجبة للانغمار فى نار الطبيعة الهيولانية (حتى اتانا اليقين) اى الموت فرأيناه بما كنا ننكره عيانا (فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة) شافع من نبى او ملك لو قدر على سبيل فرض المحال لانهم غير قابلين لها فلا اذن فى الشفاعة لذلك فلا شفاعة فلا نفع فان الشفاعة هناك افاضة النور وامداد الفيض ولا يمكن الا عند قبول المحل بالصفاء ثم بين امتناع قبولهم لذلك وانتفاعهم بالشفاعة باعراضهم عن التذكرة وبلادة قلوبهم كقلوب الحمر وتمنياتهم الباطلة لعنادهم ولجاجهم وعدم خوفهم من الآخرة لعدم اعتقادهم وكل ذلك بمشيئة الله وقدره والله تعالى اعلم

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة) جمع بين القيامة والنفس اللوامة فى القسم بهما تعظيما لشأنهما وتناسبا بينهما اذ النفس اللوامة هى المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لاسبابها لانها تلوم نفسها ابدا فى التقصير والتقاعد عن الخيرات وان احسنت لحرصها على الزيادة فى الخير واعمال البر تيقنا بالجزاء فكيف بها ان اخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة ونسيانا وحذف جواب القسم لدلالة قوله (ايحسب الانسان الن نجمع عظامه) عليه وهو لتبعثن والمراد بالقيامة ههنا الصغرى لهذه الدلالة بعينها (بلى) اى بلى نجمعها (قادرين على ان نسوى بنانه) تسوية بنانه التى هى اطراف خلقته وتمامها بان نعدلها كما كانت وقيل فى بعض التفاسير الظاهرة على ان نضمها فنجعلها مسواة شيأ واحدا كحافر الحمير وخف البعير (بل يريد الانسان ليفجر امامه) ليدوم على الفجور بالميل الى اللذات البدنية والشهوات البهيمية فارزا رأسه فيما فيما بين يديه من الزمان الحاضر والمستقبل فيغفل عن القيامة لقصور نظره عنها وكونه مقصورا على اللذات العاجلة وفرط تهالكه عليها واحتجابه بها عن الآجلة سائلا عنها متعنتا مستبعدا اياها بقوله (يسأل ايان يوم القيامة فاذا برق البصر) اى تحير ودهش شاخصا من فزع الموت (وخسف القمر) قمر القلب لذهاب نور العقل منه (وجمع الشمس والقمر) شمس الروح وقمر القلب بان جعلا شيأ واحدا طالعا عن مغرب البدن لا يعتبر له رتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدا روحا واحدا (يقول الانسان يومئذ اين المفر) اى يطلب مهربا ومحيصا (كلا) ردع له عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ (الى ربك يومئذ المستقر) خاصة مستقر من نار اوجنة مفوض اليه لا الى غيره ولا الى اختياره واليه خاصة استقراره ورجوعه كقوله ان الى ربك الرجعى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم) من عمله الذى يوجب نجاته وثوابه من الخيرات والصالحات (واخر) ففرط وقصر فيه ولم يعمله (بل الانسان على

نفسه بصيرة) حجة بينة يشهد بعمله لبقاء هيآت اعماله المكتوبة عليه فى نفسه ورسوخها فى ذاته وصيرورة صفاته صور اعضائه فلاحاجة الى ان ينبأ من خارج (ولو القى معاذيره) اى ارخى ستوره فاختفى بها عند ارتكاب تلك الاعمال * او ولو القى اعذاره مجادلا عن نفسه بكل معذرة (لاتحرك به لسانك لتعجل به) اى الانسان عجول بالطبع كما قال خلق الانسان من عجل فلذلك اختار العاجلة واحتجب بها عن الآجلة الاترى انك مع وفور سكينتك وكمال وقارك بالله تعجل عند القاء الوحى اليك فنظهر نفسك لتلقفه وهو ذنب حالك وحجاب وجودك وهو معنى قوله ﴿ بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ فلاتعجل ولاتحرك لسانك به فظهور نفسك واضطرابها عجلة به ولتكن قواك هادية ونفسك غائبة عن مورد الوحى وقلبك سالما عن صفاتها خالصا فى التوجه آمنا عن حركة النفس (ان علينا جمعه وقرآنه) ان علينا جمعه فيك وقرآنه اى لكن جمعه فى مقام الوحدة وقرانك اياه بنا فانيا عن ذاتك وفى عين الجمع حيث لم يكن لك وجود ولا بقية ولا عين ولا اثر (فاذا قرأناه) اوجدناه حال فنائك فينا (فاتبع قرآنه) بالرجوع الى مقام البقاء بعد الفناء وظهور القلب والنفس فى ثم عند كونك فى مقام التفصيل (ثم ان علينا بيانه) واظهار معانيه فى حيز قلبك ونفسك مفصلة مشروحة (كلا) ردع له عن العجلة (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) سواء حالك وحالهم بحكم البشرية ومقتضى الطبيعة والنفس الطياشة (وجوه يومئذ ناضرة) للتنور بنور القدس والاتصال بعالم النور والسرور والنعيم الدائم متبهجة بزينة معارفها وهيآتها متبهجة ببهجة ذواتها منخرطة فى سلك الملكوت والجبروت (الى ربها ناظرة) اى الى حضرة الذات خاصة متوجهة متوقعة للرحمة التامة فى مقام انوار الصفات او ناضرة بنوره الى وجهه خاصة ناظرة مشاهدة ايام لاتلتفت الى ماسواه شاهدة لجمال ذاته وسبحات وجهه اومطالعة لحسن صفاته لاتشتغل بغيره (وجوه يومئذ باسرة) كالحة لجهامة هيآتها وظلمة مابها من الجحيم والنيران وسماجة ماتراه مما هنالك من الاهوال وانواع العذاب والخسران (تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذابلغت التراقى وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلاصدق ولاصلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) داهية تفصل فقار الظهر لشدتها وسوء حالها ووبالها وشتان مابين المرتبتين والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة الانسان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل اتى) اى قد اتى (على الانسان حين من الدهر لم يكن) فيه (شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) اى على وجه التقرير والتقريب اى كان شيأ فى علم الله بل فى نفس الامر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه فى عالم الغيب وعدم شعور من فى عالم الشهادة به (انا هديناه السبيل) سبيل الحق بادلة العقل والسمع فى حالتى كونه شاكرا مهتديا مستعملا لنعم المشاعر والآلات والوسايط فيما ينبغى ان يستعمل من الطاعات متوصلا بها الى المنعم (اما شاكرا واما كفورا) محتجبا بالنعم عن المنعم مستعملا لها فى غير مايجب ان يستعمل من المعاصى (انا اعتدنا للكافرين) المحتجبين بالنعم (سلاسل واغلالا وسعيرا) الميول والمحبات الى المشتهيات الجسمانية الموجبة لتقيدهم بها والحرمان عن المقاصد الحقيقية فى النيران واغلال الصور والهيآت المانعة عن الحركة فى طلب المراد وسعير التعذيب فى قعر الطبيعة وقهر الحق (ان الابرار) اى السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والافعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين الى عين الذات مع البقاء فى عالم الصفات وهم المتوسطون فى السلوك (يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا) محبة حسن الصفات لاصرفا بل كان فى شرابهم مزج من لذة محبة الذات وهى العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية وتفريح القلب المحترق بحرارة الشوق وتقويته فان للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض والكافور عين (يشرب بها) صرفة (عباد الله) الذين هم خاصته من اهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات لايفرقون

بين ﴾

بين القهر واللطف والرفق والعنف والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الاضداد وتستقر لذاتهم فى النعماء والسراء والرحمة والزحمة كما قال احدهم

هو اى له فرض تعطف ام جفا * ومشربه عذب تكدر ام صفا
وكلت الى المحبوب امرى كله * فان شاء احيانى وان شاء اتلفا

واما الابرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلى القهار والمبل والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك (يفجرونها تفجيرا) لانهم منابعها لا اثنينية ثمة ولا غيرية والا لم يكن كافورا لظلمة حجاب الانائية والاثنينية وسواده (يوفون بالنذر) اى الابرار يوفون بالعهد الذى كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الازل بانهم اذا وجدوا التمكن بالآلات والاسباب ابرزوا ما فى مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل واخرجوها الى الفعل بالتزكية والتصفية (ويخافون) يوم تجلى صفة القهر والسخط والانتقام لكونهم وصفيين (يوما كان شره مستطيرا) فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ باستيلاء الهيآت المظلمة والحجب الساترة للنور من صفات النفس على القلب وهو نهاية مبالغ الشر (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا) اى يتجردون عن المنافع المالية ويزكون انفسهم عن الرذائل خصوصا عن الشح لكون محبة المال اكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الايثار ويطعمون الطعام فى حالة احتياجهم اليه لدخلة الجوع من يستحقه ويؤثرون به غيرهم على انفسهم كما هو المشهود من قصة على واهل بيته عليهم الصلاة السلام فى شأن نزول الآية من الايثار بالفطور على المستحقين الثلاثة والصبر على الجوع والصوم ثلاثة ايام او يزكون انفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحانى من الحكم والشرائع مع كونه محبوبا فى نفسه على حب الله المسكين الدائم السكون الى تراب البدن واليتيم المنقطع عن تربية ابيه الحقيقى الذى هو روح القدس والاسير المحبوس فى اسر الطبيعة وقيود صفات النفس (انما نطعمكم لوجه الله) اى قائلين فى انفسهم ذلك ناوين بالاطعام رضا الله فان الابرار يقصدون بالخيرات مراضى الله لا الثواب لكونهم بارزين عن حجاب الافعال الى الصفات او لذات الله ومحبتها اذ الوجه عبارة عن الذات مع الصفات لكونهم سالكين سائرين فى بيداء الصفات الى مقصد الذات غير واقفين معها (لا نريد منكم جزاء) مكافاة (ولا شكورا) وثناء لعدم احتجابنا بالاغراض والاعواض (انا نخاف من ربنا) يوم تجلى السخط والغضب وظهوره فى صفة العبوس والقهر (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بتجليه فى صورة الرضا واللطف (ولقاهم نضرة وسرورا) نضرة الرضوان وسرور النعيم الدائم (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) بصبرهم عن اللذات النفسانية والتزيينات الشيطانية فى جنة الافعال مع انوار الصفات جنة الذات وحرير ملابس الصفات الالهية النورانية اللطيفة (متكئين فيها على الارائك) فى تلك الجنة على ارائك الاسماء التى هى الذات مع الصفات بحسب مقاماتهم ومراتبهم ودرجاتهم منها (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) شمس حرارة الشوق الهامع الحرمان ولا زمهرير برودة الوقوف مع الاكوان فان الوقوف مع الكون برد قاسر وثقل عاصر (ودانية عليهم ظلالها) ظلال الصفات قريبة منهم ساترة اياهم لاتصافهم بها وكونهم فى روحها (وذللت) لهم (قطوفها) من ثمار علوم توحيد الذات وتوحيد الصفات والاحوال والمواهب (تذليلا) تاما كلما شاؤا جنوها وتلذذوا وتفكهوا بها (ويطاف عليهم بآنية من فضة) هى مظاهر حسن الصفات من محاسن الصور وكونها من فضة نوريتها وبياضها وزينتها وبهاؤها (واكواب) من صور اوصاف المجردات اللطيفة والجواهر المقدسة لكونها بلا عرى التعلق بالمواد فلا يمكن قبضها بالعرى من غير الاتصال بذواتها ولكونها من عالم الغيب لم تكن مكشوفة الرأس كالاوانى (كانت قوارير) لصفائها وتلألؤ نور الذات من ورائها وكما قال فى تشبيه القلب بالزجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى اى فى صفاء الزجاجة وضياء الكوكب فكذلك ههنا قال (قوارير من فضة) اى هى فى صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة وبريقها (قدروها تقديرا) اى على حسب استعداداتهم ومبالغ ريهم على قدر اشواقهم وارادتهم كما قدروا

فى انفسهم وجدوها كما قيل لا تغيض ولا تفيض (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) زنجبيل لذة الاشتياق فانهم لاشوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذى هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن الاشتياق للسير فى الصفات وامتناع وصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين فى عين جميع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة (عينا فيها) بدل من زنجبيلا اى هو عين فى الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة مع الهجران (تسمى سلسبيلا) لسلاستها فى الحلق وذوقها فان العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال فى ذوق وسكر من حرارة عشقهم لايقاس به ذوق (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) من فيوض الاسماء الالهية المتجلية عليهم فى عالم القدس وهى الانوار الملكوتية والجبروتية المنكشفة عليهم فى حضرات الصفات وجناتها ولو كانت جناتهم من جنان الافعال لطافت عليهم الحور مكان الولدان لان الاسماء مؤثرة فى الافعال والصفات مصادرها ومبادى الآثار والهيآت وكونهم مخلدين بقاؤهم على التجرد ابدا (اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لنوريتهم وصفائهم وبساطة جواهرهم (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) اى تعلوهم ملابس سندس الاحوال والمواهب اللطيفة من انوار الصفات البهجة والخضرة عبارة عن البهجة والنضرة واستبرق الاخلاق الالهية (وحلوا اساور من فضة) اى زينوا بزينة المعانى المعقولة المنورة بنور الوجدان (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) من لذة محبة الذات والعشق الحقيقى الصرف الصافى عن كدر الغيرية واثنينية الصفات الطاهر عن دنس ظهور الانانية والبقية (ان هذا) المذكور من الجنة والاوانى والولدان والشراب (كان لكم جزاء) لقيامكم بحق تجليات الصفات (وكان سعيكم) من الاعمال القلبية فى مقامها كالخشية والهيبة عند تجلى العظمة والخضوع والانس عند تجلى صفة الرحمة والاخلاص فى طلب تجلى الوحدة وامثال ذلك (مشكورا) بهذا الجزاء (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) بذاتنا دون من عدانا (فاصبر لحكم ربك) التجلى الاحدى الذاتى فى مقام الفناء مع بلاء ظهور الانانية والبقية فان الرب فى مقام نزول الصفات هو الذات وحدها (ولا تطع منهم آثما) محتجبا بالصفات والاحوال او بذاته عن الذات وبصفات نفسه وهيآتها عن الصفات (او كفورا) محتجبا بالافعال والآثار واقفا معها بأفعاله ومكسوباته عن الافعال فتحتجب بموافقتهم (واذكر اسم ربك) اى ذاتك الذى هو الاسم الاعظم من اسمائه بالقيام بحقوقه واظهار كمالاته (بكرة واصيلا) فى المبدا والمنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الالهى بايجادها فى الازل وابداع كمالاته فيها وغروبه بتعينها واحتجابه بها واظهارها مع كمالاتها (ومن الليل) وخصص مقام النفس او القلب حال البقاء بعد الفناء والرجوع الى الخلق للتشريع بسجود الفناء والعبادة الحقانية فان الدعوة لاتمكن الا بحجاب القلب ووجود النفس (فاسجد له) سجود الفناء برؤية بقاء نفسك بالحق وفناء البشرية بالكلية فتكون موجودا به لابها وتزهه عن المعية والاثنينية والانانية وظهور البقية (وسبحه ليلا طويلا) بقاء دائما ابديا مادمت فى ذلك المقام (وان هؤلاء) اى المحجبين بالآثار والافعال او الصفات (يحبون العاجلة) اى شاهدهم الحاضر من الذوق الناقص (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) يوم التجلى الذاتى اى القيامة الكبرى الشاق المعتبر الذى لايحتمله احد (نحن خلقناهم) بتعيين استعداداتهم (وشددنا اسرهم) قويناهم بالميثاق الازلى والاتصال الحقيقى (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) بان نسلب افعالهم بافعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ونفنى ذواتهم بذواتنا فيكونوا ابدالا (ان هذه تذكرة) تذكير لسلوك طريق والسير فى (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) سبيلا الى (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) بمشيئتى بان اريدهم فيريدونى فتكون ارادتهم مسبوقة بارادتى بل عين ارادتى الظاهرة فى مظاهرهم ان الله كان عليما) بما اودع فيهم من العلوم (حكيما) بكيفية ابداعها وابرازها فيهم باظهار كمالهم (يدخل من يشاء فى رحمته) بافاضة ذلك الكمال المودع فيه عليه واظهاره (والظالمين) الباخسين حقهم الناقصين حظهم منها بالاحتجاب عنها او الواضعين نور فطرتهم الذى هو النور الالهى الاصلى الحاصل من اسمه المبدئ فى غير موضعه من محبة الانداد والاحتجاب بالآثار وعبادة الاغيار (اعدلهم عذابا) بالوقف على الرب لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار مولما بلاما شديدا

(سورة)

(سورة والمرسلات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا) اقسم سبحانه بأنوار القهر واللطف الموجبة للكمال والوقوف على احوال القيامة فقال والمرسلات اى الانوار القاهرة التى ارسلت الى النفوس الانسانية عرفا اى متتالية متتابعة بواده والوح والوامع وطوالع من قولهم جاؤا عرفا ثم تشتد وتقوى كالرياح العاصفة فتعصف بالصفات النفسانية والقوى البدنية والروحانية بتجليات صفات العظموت والجبروت فتقهرها وتدريها وان فسر العرف بالذى هو ضد النكر فمعناه والمرسلات للاحسان فان هذا القهر فى ضمنه لطف خفى كما قال سبقت رحمتى غضبى وقال امير المؤمنين عليه السلام واتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته (فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا) والانوار التى تنشر وتحيى ما اهلكته وافنته العاصفات من تجليات صفات المحبة والرحموت فتفرق بينها باقامة كل فى مقامها ليتميز بعضها من بعض وتفصل بين الحق والباطل من افعالها فتلق الذكراى العلم والحكمة لان العلم يستدعى دعاءه وجود باظاهرا فلا يمكن فيضانه فى حال الفناء بالتجلى القهرى ولا قبله والا لكان فكريا مستنبطا بالعقل المشوب بالوهم فكان شيطنة وشبها مختلطا فيها الحق بالباطل (فالملقيات ذكرا عذرا اونذرا) كلاهما بدل من ذكرا اى عذرا للمستغفرين المتصلين ومحو السيئاتهم وهيآت نفوسهم وصفاتهم وانذارا للمنغمسين فى ملابس الطبيعة والبدن المحجوبين بغواشيها ولذاتها وشهواتها عن الحق او مفعول لهما اى لمحو سيئات الاولين وذنوب صفاتهم وافعالهم وانذارا لآخرين اوحالا ن اى فيلقين ذكرا عاذرات ومنذرات (انما توعدون) من احوال القيامة الصغرى والكبرى (لواقع فاذا النجوم) اى الحواس (طمست) ومحيت بالموتى (واذا السماء) اى الروح الحيوانية (فرجت) وشققت وانفلقت من الروح الانسانية (واذا الجبال) اى الاعضاء (نسفت) اى فنيت واذريت (واذا الرسل) اى ملائكة الثواب والعقاب (اقتت) عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لها اما الايصال البشرى والروح والراحة واما الايصال العذاب والكرب والذلة (لاى يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك مايوم الفصل) اى ليوم عظيم اخرت عن معاجلة الثواب والعقاب فى وقت الاعمال اورسل البشر وهم الانبياء عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لهم للفرق بين المطيع والعاصى والسعيد والشقى فان الرسل يعرفون كلا بسيماهم (ليوم الفصل) بين السعداء والاشقياء وان فسرت القيامة بالكبرى فاذا النجوم القوى النفسانية محيت بالعاصفات واذا سماء العقل فرجت وشقت بتاثير نور الروح فيها واذا جبال صفات النفس نسفت بالتجليات الوصفية فى القيامة الوسطى بل جبال النفس والقلب والروح وكل اماتها الذاتى واذا الرسل الناشرات بالاحياء فى حال البقاء بعد الفنا عينت لوقت الفرق بعد الجمع وهو حال البقاء اى وقت الرجوع من الجمع الى التفصيل المسمى يوم الفصل اخرت من وقت الجمع الذى هو الفناء الى ذلك الوقت (ويل يومئذ للمكذبين الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وآمواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين) باحدى القيامتين المحجوبين عن الجزاء وقوله ويل يومئذ للمكذبين وما بعده يدل على ان المراد بما توعدون هو القيامة الصغرى (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) اى ظل شجرة الزقوم وهى النفس الخبيثة الملعونة الانسانية اذا احتجبت بصفاتها وانقطعت عن نور الوحدة بظلمة ذاتها فبقيت راسخة فى ارض البدن نابتة نابتة فى نار الطبيعة متشعبة الى شعب النفوس الثلاث البهيمية والسبعية والشيطانية وهى القوة الملكوتية المغلوبة بالوهم العاملة بمقتضى هوى النفس (لاظليل) كظل شجرة طوبى اى حال لها فى افادة الروح والراحة بخلاف حال ثلاث وهى النفس الطيبة المتنورة بنور الوحدة الوانية فى افعالها الصادرة عن العقل الغير المتشعبة الى الشعب المختلفة المتضادة (ولا يغنى من اللهب) من لهب نار الهوى طلب ما لا يبقى (انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) الدواعى العظيمة والتمنيات الباطلة كالجبال النارية مع الحرمان عن المتمنيات (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين) لفقدان

آلان النطق وعدم الاعتذار وذلك اليوم يوم طويل لانهاية لطوله والمواقف فيه مختلفة ففي بعض المواقف لا ينطقون وفي بعضها ايمكنهم النطق (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين) بالحشر العام في عين جمع الوجود مع الاولين ثم فرقنا بين السعداء منكم والاشقياء اوفصلنا بينكم بتمييزكم من السعداء وجمعناكم مع الاولين من الاشقياء المتوفين قبلكم في النار (فان كان لكم كيد فكيدون) تعجيز لهم وبيان لمقهوريتهم وعدم حيلتهم في رفع العذاب (ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين) المتزكين عن صفات النفوس وهيآت الاعمال المتجردين عنها (في ظلال) من الصفات الالهية (وعيون) من العلوم والمعارف والحكم والحقائق المستفادة من تجلياتها (وفواكه مما يشتهون) من لذات المحبات والمدركات (مما يشتهون) على حسب اراداتهم مقولا لهم (كلوا واشربوا هنيئا) اى كلوا من تلك الفواكه واشربوا من تلك العيون اكلا هنيئا وشربا هنيئا سائغا رافها (بما كنتم تعملون) من الاعمال الزكية والرياضات القلبية والقالبية (انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين) الذين يعبدون الله في مقام مشاهدة الصفات والذات من ورائها لقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) اخفضوا واخشعوا بالانكسار وتواضعوا لقبول الفيض بترك التجبر والاستكبار لايقبلون ولاينقادون وذلك اجرامهم الموجب لهلاكهم

﴿ سورة النبا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عم يتساءلون عن النبا العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا) النبأ العظيم هو القيامة الكبرى ولذلك قيل في امير المومنين على عليه السلام * هو النباء العظيم وفلك نوح * اى الجمع والتفصيل باعتبار الحقيقة والشريعة لكونه جامعا لهما (ان يوم الفصل) اى يوم يفصل بين الناس ويفرق السعداء من الاشقياء وبين كل طائفة من الفريقين باعتبار تفاوت الهيآت والصور والاخلاق والاعمال وتناسبها (كان) عند الله وفي علمه وحكمه (ميقاتا) حدا معينا ووقتا موقتا ينتهى الخلق اليه (يوم ينفخ في الصور) باتصال الارواح بالاجساد ورجوعها بها الى الحياة (فتأتون افواجا) فرقا مختلفة كل فرقة مع امامهم على حسب تباين عقائدهم واعمالهم وتوافقها وعن معاذ رضى الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت واما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا واما العمى فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون بأعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجبال فأهل الكبر الفخر والخيلاء صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفتحت السماء) سماء الروح عند العود الى البدن بأبواب الحواس الظاهرة والباطنة (فكانت ابوابا) اى ذات ابواب كثيرة هى طرق الشعور كأن كلها ابواب لكثرتها (وسيرت الجبال) جبال الحجب الساترة لهيآتهم وصفاتهم عن الاعين الحاجزة عن ظهورها من الابدان والاعضاء العارضة دون تلك الهيآت التى ظهرت في المحشر (فكانت سرابا) كقوله فكانت منبثا اى صارت

(شيأ)

شيأ كلا شئ فى انبثاثها وتفرق اجزائها (ان جهنم) الطبيعة (كانت مرصادا) حدا يرصد فيه كل احد يرصدهم عندها الملائكة اما السعداء فليجاوزتهم ويمرهم عليها لقوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقتضيا ثم ننجى الذين اتقوا وعن الصادق عليه السلام انه سئل عن الآية فقيل انتم ايضا واردوها فقال جزناها وهى خامدة واما الاشقياء فلكونها مآبهم كما قال (للطاغين مآبا) وكقوله ونذر الظالمين فيها جثيا (لابثين فيها احقابا) ازمنة متطاولة متتابعة اماغير متناهية ان كانت الاعتقادات باطلة فاسدة اومتناهية بحسب رسوخ الهيآت ان كانت الاعمال سيئة مع عدم الاعتقاد او مع الاعتقاد الصحيح (لايذوقون فيها بردا) روحا وراحة من اثر اليقين (ولا شرابا) من ذوق المحبة ولذتها (الا حميما) من اثر الجهل المركب (وغساقا) من ظلمة هيآت محبة الجواهر الفاسقة والميل اليها (جزاء وفاقا) موافقا لما ارتكبوه من الاعمال وقدموه من العقائد والاخلاق (انهم كانوا لا يرجون حسابا) اى ذلك العذاب لانهم كانوا موصوفين بهذه الرذائل من عدم توقع المكافآت والتكذيب بالآيات والصفات اى لفساد العمل والعلم فلم يعملوا اصالحا لرجاء الجزاء ولم يعلموا علما فيصدقوا بالآيات (وكل شئ احصيناه) من صور اعمالهم وهيآت عقائدهم ضبطناه ضبطا بالكتابة عليهم فى صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) اى بسببها ذوقوا عذابا بوازيها لامزيد عليه فانها بعينها معذبة لكم دون ماعداها والمعنى فذوقوا عذابها فانا لن نزيدكم عليها شيأ الا التعذيب بها الذى ذهلتم عنه (ان للمتقين) المقابلين للطاغين المتعدين فى افعالهم حد العدالة لما عينه الشرع والعقل وهم المتزكون عن الرذائل وهيآت السوء من الافعال (مفازا) فوزا ونجاة من النار التى هى مآب الطاغين (حدائق) من جنان الاخلاق (واعنابا) من ثمرات الافعال وهيآتها (وكواعب) من صور آثار الاسماء فى جنة الافعال (اترابا) متساوية فى الرتب (وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لان اهل جنة الآثار والافعال لامطمح لهم الى ماوراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطى (جزاء من ربك عطاء حسابا) كافيا يكفيهم بحسب هممهم ومطامح ابصارهم لانهم لقصور استعداداتهم لايشتاقون الى ماوراء ذلك فلاشئ الذلهم بحسب اذواقهم مما هم فيه (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) اى ربهم المعطى اياهم ذلك العطاء هو الرحمن لان عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فشربهم من اسم الرحمن دون غيره (لايملكون منه خطابا) لانهم لم يصلوا الى مقام الصفات فلا حظ لهم من المكالمة (يوم يقوم الروح والملئكة صفا) الانسانى وملائكة القوى فى مراتبهم صافين اى مرتبة كل فى مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم (لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن) يسر له بان هيأله استعداد المكالمة فى الازل ووفقه لاخراج ذلك الاستعداد الى الفعل بالتزكية (وقال صوابا) قولا حقا لا باطلا (ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) هو عذاب الهيآت الفاسقة من الاعمال الفاسدة دون ماهو ابعد منه من عذاب القهر والسخط وهو ماقدمت ايديهم والله تعالى اعلم

﴿ سورة النازعات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) اقسم بالنفوس المشتاقة التى غلب عليها النزوع الى جناب الحق غريقة فى بحر الشوق والمحبة والتى تنشط من مقر النفس واسر الطبيعة اى تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن كقولهم ثور ناشط اذ اخرج من بلد الى بلد او من قولهم نشط من عقاله والتى تسبح فى بحار الصفات فتسبق الى عين الذات ومقام الفناء فى الوحدة فتدبر بالرجوع الى الكثرة امر الدعوة الى الحق والهداية وامر النظام فى مقام التفصيل بعد الجمع وبالكواكب السيارة التى تنزع من المشرق الى المغرب مفرقة فى سيرها الى اقصى المغرب وتخرج من برج الى برج وتسبح فى افلاكها فيسبق بعضا فى السير

وتدبر امر العالم فيما نيط بها وبسيرها او بالملائكة من النفوس الفلكية التى تنزع الارواح البشرية من الا جسادا اغراقا فى النزع من اقاصى البدن انامله واظفاره والتى تخرجها من الابدان من قولهم نشط الدلو من البئر اذ اخرجها والتى تسبح فى جريها فيما امرت به فتسبق اليه فتدبر المأمور به على الوجه الذى امر به والمقسم عليه محذوف كما ذكر غير مرة اى لتبعثن ويدل عليه قوله (يوم ترجف الراجفة) اى تقع الواقعة التى ترجف لها ارض الجسد وجبال الاعضاء وهى النفخة الاولى او وقت زهوق الروح (تتبعها الرادفة) اى النفخة الثانية وهى الاحياء بالبعث (قلوب يومئذ واجفة) اى وقت وقوع الرجفة فى حال النزع (واجفة) مضطربة (ابصارها خاشعة) ذليلة (يقولون) المحجوبون المنكرون البعث على سبيل الانكار (أئنا لمردودون فى الحافرة) فى الطريقة الاولى من الحياة بعد صيرورتنا عظاما بالية فنحن اذا خاسرون ان صح ذلك (ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هى) اى الرادفة التى هى الرجفة الى الحياة بالبعث (زجرة) اى صيحة (واحدة) هى تأثير الروح الاسرافيلى فى تعلق هذه الروح المفارقة بالمادة القابلة لها دفعة فتحيا وذلك يوم القيامة الصغرى (فاذاهم) اى فاجؤا الحصول (بالساهرة) وقت هذه النفخة اى النفخ والكون بالساهرة فى آن واحد والساهرة ارض بيضاء مستوية اى عالم الروح الانسانى المفارق الغير الكامل فانها ارض بالنسبة الى سماء عالم القدس الذى هو مأوى الكمل سميت بالساهرة لنوريتها وبساطتها او الروح الحيوانى لاتصال الارواح الانسية الناقصة بها عند البعث فتلبثها بها ضرورة انجذابها الى المادة ويمكن ان يكون اشارة الى المحل الذى تتصل به الروح عند البعث لبياضه واستواء اجزائه (هل اتاك حديث موسى اذناداه ربه بالواد المقدس) الوادى المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التعلق بالموادواسمه (طوى) لانطواء الموجودات كلها من الاجسام والنفوس تحته وفى طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادى ونهاية هذا العالم هو الافق الا على الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل على صورته (اذهب الى فرعون انه طغى) اى ظهر بأنائيته وذلك ان فرعون كان ذانفس قوية حكيما عالما سلك وادى الافعال وقطع بوادى الصفات واحتجب بأنائيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها الى نفسه وذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه صلى الله عليه وسلم شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حى لقيامه بنفسه وهواها فى مقام توحيد الصفات وذلك من اقوى الحجب (هل لك الى ان تزكى) بالفناء عن انائيتك (واهديك الى ربك) الوحدة الذاتية بالمعرفة الحقيقية (فتخشى) وتلين انائيتك فتفنى (فأراه الآية الكبرى) اى الهوية الحقيقية بالتوحيد العلمى والهداية الحقانية فلم يرها لقوة حجابه ورسوخ توهمه (فكذب) فى ان وراء مابلغ من المقام رتبة (وعصى) امره لتفر عنه وعتوه (ثم ادبر) عن مقام توحيد الصفات الذى هو فيه لذنب حاله وتوجه الى مقام النفس بالكلية لعناده واستيلاء نفسه وشدة ظهورها بالدعوى (يسعى) فى دفع موسى بالمكايد الشيطانية والحيل النفسانية فرد عن جناب القدس مطرودا وازداد حجابه فتظاهر بقوله (فحشر فنادى فقال انا ربكم الا على) او نازع الحق لشدة ظهور انائيته رداء الكبرياء فقهر وقذف فى النار ملعونا كما قال تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ويروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) فيخشع وتلين نفسه وتنكسر فلا تظهر (ااتم اشدخلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواهاواغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى) اى تجلى نور الوحدة الذاتية الذى يطم على كل شئ فطمسه ويمحوه (يوم يتذكر الانسان ماسعى) سعيه فى الاطوار من مبدا فطرته الى فنائه وسلوكه فى المقامات والدرجات حتى وصل الى ما وصل فيشكره (وبرزت الجحيم) اى نار الطبيعة الآثارية (لمن يرى) ممن بصر بنور الله وبرز من الحجاب لله دون العمى المحجوبين

(الذين)

الذين يحترقون بناره ولايرونه فيومئذ يصير الناس فى شهوده قسمين (فأما من طغى) اى تعدى طور لفطرة الانسانية وجاوز حد العدالة والشريعة الى الرتبة البهيمية او السبعية وافرط فى تعديه (وآثر الحيوة الدنيا) الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية (فأن الجحيم هى المأوى) مأواه ومرجعه (واما من خاف مقام ربه) بالترقى الى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى على نفسه (ونهى النفس) لخوف عقابه او قهره (عن الهوى) هواها (فان الجنة هى المأوى يسئلونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها) مأواه على حسب درجاته (الى ربك منتهاها) اى فى اى شئ انت من علمها وذكرها انما الى ربك ينتهى علمها فان من عرف القيامة هوالذى انمحى علمه اولا بعلمه تعالى ثم فنيت ذاته فى ذاته فكيف يعلمها ولا علم له ولاذات فمن اين انت وغيرك من علمها بل لايعلمها الاالله وحده (انما انت منذر من يخشاها) لايمانه بها تقليدا (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها) اى وقت غروب نور الحق فى الاجساد او وقت طلوعه من مغربه اى وقت رؤيتهم القيامة بالفناء فى الوحدة تيقنوا ان لم يكن لهم وجود قط الا توهما باللبث فى عالم الاجسام والاحتجاب بالحس او فى عالم الارواح والاحتجاب بالعقل وهما المراد بقول من قال خطوتين وقد وصلت اى اذا جرت هذين الكونين فقد وصلت والله اعلم

﴿ سورة عبس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عبس وتولى) كان صلى الله عليه وسلم فى حجر تربية ربه لكونه حبيبا فكلما ظهرت نفسه بصفة حجبت عنه نور الحق حتى تحرك بنفسه لا بالله عوتب وادب كما قال ادبنى ربى فأحسن تأديبى الى ان تخلق باخلاقه تعالى فان التخلق باخلاقه كان بعد الوصول والفناء والتحقق به حال البقاء وهو الاستقامة وقت التمكين وانتفاء التلوين فلما نظر بظاهر الحال الى الكبراء وعظم فى عينه غنى الاغنياء واعرض عن الفقير اعتناء بالقوم وتقوى الاسلام بهم ان آمنوا واحتقارا للفقير وايمانه نبه بان مثلك لاينبغى ان ينظر الى ظاهر الحال فيتشاغل عن المستعد الطالب الضعيف بالغنى القوى بل يجب ان يكون نظرك مقصورا على الاستعداد وقبول الايمان فتعتبر ذلك دون غيره ولا تحتجب بالظاهر عن الباطن عسى ان يكون الفقير المتلهى عنه عاملا بالتزكية والتحلية بالغا حد الكمال فيصير مهديا هاديا لغيره والغنى المتصدى له لم يؤمن لعدم استعداده اولاستكباره وعناده (ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وماعليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى) بأس فى امتناعه عن الاسلام (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره) ردع له عن ذلك ولهذا روى انه ماعبس بعد نزول هذه الآية فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى (فى صحف مكرمة) عندالله هى الواح النفوس السماوية التى نزل القرآن اليها اولا من اللوح المحفوظ كما ذكر (مرفوعة) القدر والمكان (مطهرة) عن دنس الطبائع وتغيراتها (بايدى سفرة) اى كتبة هى العقول المقدسة المؤثرة فى تلك الالواح (كرام) لشرفها وقربها من الله (بررة) اتقياء لتقدسها عن المواد ونزاهة جوهرها عن التعلقات ثم لما بين ان القرآن تذكرة للمتذكرين تعجب من كفران الانسان واحتجابه حتى يحتاج الى التذكير وعدم النعم الظاهرة التى يمكن بها الاستدلال على المنعم بالحس من مبادى خلقته واحواله فى نفسه وماهو خارج عنه مما لايمكن حياته الا به وقررانه مع اجتماع الدليلين اى النظر فى هذه الاحوال الموجب لمعرفة الموجد المنعم والقيام بشكره وسماع الوعظ والتذكير بنزول القرآن (قتل الانسان مااكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض) فى الزمان المتطاول (ماامره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) الله به من شكر نعمته باستعمالها فى اخراج كماله الى الفعل والتوصل بها الى المنعم بل احتجب بها وبنفسه عنه (وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة) اى النفخة الاولى المذهبة للعقل والحواس (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته

وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة) يهتم كل احد بامر نفسه لايتفرغ الى غيره لشدة مابه واشتغاله بما يظهر عليه من احوال نفسه انقسم الناس قسمين السعداء المسفرة وجوههم المضيئة المتهللة بنوريه ذواتهم وصفاتها المستبشرة بما لقوا من هيآت اعمالهم ونعيم جناتهم والاشقياء مسودة وجوههم بسواد كفرهم وظلمة ذواتهم المغبرة بغبار هيآت فجورهم وقتام آثار اعمالهم (اولئك هم الكفرة الفجرة) اى اجتماع كفرهم وفجورهم هو السبب فى اجتماع السواد والغبرة على وجوههم

﴿ سورة التكوير ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة سئلت) اى اذا كورت شمس الروح بطى ضوئها الذى هو الحياة وقبضها عن البدن وازالتها واذا انكدرت نجوم الحواس بذهاب نورها واذا سيرت جبال الاعضاء بتفتيتها وجعلها هباء واذا عطلت عشار الارجل المنتفع بها فى السير عن الاستعمال فى المشى وترك الانتفاع بها او اموال النفسية المنتفع بها فان العشار انفس اموال العرب واذا حشرت وحوش القوى الحيوانية بان هلكت وافنيت من قولهم حشرتهم السنة اذا بالغت فى اهلاكهم او حشرت بالاحياء عند البعث واذا سجرت اى ملئت بحار العناصر بان فجر بعضها الى بعض واتصل كل جزء باصله فصار بحرا واحدا واذا زوجت النفوس بان تحشر كل نفس الى مايجانسه وتشاكله من صنف فصنفت اصنافا من السعداء والاشقياء كل مع قرنائه واذا سئلت موؤدة النفس الناطقة التى اثقلتها وأدتها النفس الحيوانية فى قبر البدن واهلكتها (باى ذنب قتلت) اى طلب باظهار الذنب الذى بهاستولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب او الشهوة او غيرهما فمنعتها عن خواصها وافعالها واهلكتها فأظهر فكنى عن طلب اظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام الوائدة والموؤدة فى النار لان النفس الناطقة فى العذاب مقارنة للنفس الحيوانية وفى الحديث سر اخر ليس هذا موضع ذكره (واذا الصحف نشرت) اى صحائف القوى والنفوس التى فيها هيآت الاعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث والعود الى البدن (واذا السماء) اى الروح الحيوانية او العقل (كشطت) ازيلت واذهبت (واذا الجحيم) اى نار آثار الغضب والقهر فى جهنم الطبيعة (سعرت) اوقدت للمحجوبين (واذا الجنة) اى نعيم آثار الرضا واللطف (ازلفت) قربت للمتقين (علمت) كل (نفس ما احضرت) ما حضرته ووقفت عليه بعد نسيانها وذهولها عنه (فلا اقسم بالخنس الجوار) اى الرواجع من الكواكب السيارة (الكنس) التى تدخل فى بروجها كالوحوش فى كناسها او النفوس الرواجع الى الابدان الجارية الداخلة مواضعها (والليل) اى ليل ظلمة الجسد الميت (اذا عسعس) اى ادبر بابتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع نور شمسه عليه (والصبح) اى اثر نور طلوع تلك الشمس (والصبح اذا تنفس) وانتشر فى البدن بافادة الحياة (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين) اى روح القدس النافث فى روع انسان (وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين) اى نهاية طور القلب الذى يلى الروح وهو مكان القاء النافث القدسى (وماهو على الغيب بظنين) اى ماهو بمتهم على مايخبر به من الغيب لامتناع استيلاء شيطان الوهم وجن التخيل عليه فيخلط كلامه ويمتزج المعنى القدسى بالوهمى والخيالى لان عقله ماستر بل صفى عن شوب الوهم (وماهو بقول شيطان رجيم) من القاء شيطان الوهم المرجوم بنور الروح فيكون كله وهميا كما ذكر (فأين تذهبون) اى بعد هذا الكلام من القاء الوهم ومزجه وصاحبه من الجنة بما لايخفى على احد فمن سلك هذه الطرق ونسبه الى احد الامور الثلاثة فقد بعد عن الصواب بما لايضبط ولا تقرب اليه بوجه كمن سلك طريقا بعده عن سمت مقصده فيقال اين تذهب (لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين) من جملة العالمين الاستقامة فى طريق السلوك والصراط المستقيم هو الطريق الذى عليه الحق لقوله ان ربى على صراط مستقيم فلا يشاء احد سلوكها الا بمشيئة الله فان طريقه لايسلك الا بارادته والله تعالى اعلم

(سورة)

(سورة الانفطار)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) اى اذا انفطرت سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها (واذا الكواكب) اى الحواس (انتثرت) بالموت وذهبت (واذا البحار) اى الاجسام العنصرية (فجرت) بعضها فى بعض بزوال البرازخ الحاجزة عن ذهاب كل الى اصله وهى الارواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع اجزائه الى اصلها (واذا القبور) اى الابدان (بعثرت) بحثت واخرج ما فيها من الارواح والقوى (علمت نفس ما قدمت واخرت يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) انكار للغرور بكرمه اى ان كان كونه كريما يسوغ الغرور ويسهله لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك اكثر من تجويز الكرم اياه والكرام الكاتبون هم النفوس السماوية والقوى الفلكية المنتقشة بما يصدر عنهم من الافعال اى ارتدعوا عن الغرور بالكرم بل انما عصيانهم للتكذيب بالجزاء اصلا الذى هو اعظم من الغرور وان الكرام الاشراف التى كرمت عن الكون والفساد يحفظون افعالكم ويكتبونها عليكم فضلا عن الملكين الموكلين بكم كما قال عن اليمين وعن الشمال قعيد فكيف تجترؤن على المعاصى وقد تكتب عليكم فى السماء والارض والله تعالى اعلم

﴿ سورة المطففين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا) الباخسين حقوق الناس فى الكيل والوزن يمكن ان يحمل بعد الظاهر على التطفيف فى الميزان الحقيقى الذى هو العدل والموزونات به هى الاخلاق والاعمال والمطففون هم الذين اذا اعتبروا كمالات انفسهم متفضلين (على الناس يستوفون) يستكثرونها ويزيدون على حقوقهم فى اظهار الفضائل العلمية والعملية اكثر مما لهم عجبا وتكبرا (واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون) اعتبروا كمالات الناس بالنسبة الى كمالاتهم اخسروها واستحقروها ولم يراعوا العدالة فى الحالين لرعونة انفسهم ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا (الا يظن اولئك) الموصوفون بهذه الرذيلة التى هى اخس انواع الظلم اى ليس فى ظنهم (انهم مبعوثون) فيظهر ما فى انفسهم من الفضائل والرذائل او يحاسب عليه ويرتدع فضلا عن العلم (ليوم عظيم) لا يقدر احد فيه ان يظهر ما ليس فيه ولا ان يكتم ما فيه لانقلاب باطنه ظاهره وصفته صورته فيستحيى ويذوق وبال رذيلته (يوم يقوم الناس) عن مراقد ابدانهم (لرب العالمين) بارزين له لا يخفى عليه منهم شئ (كلا) ردع عن هذه الرذيلة (ان كتاب الفجار لفى سجين وما ادراك ما سجين) اى ما كتب من اعمال المرتكبين للرذائل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل (لفى سجين) فى مرتبة من الوجود مسجون اهلها فى حبوس ضيقة مظلمة يزحفون على بطونهم كالسلاحف والحيات والعقارب اذلاء اخساء فى اسفل مراتب الطبيعة ودركاتها وهو ديوان اعمال اهل الشر ولذلك فسر بقوله (كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) اى ذلك المحل المكتوب فيه اعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيآت رذائلهم وشرورهم (وما يكذب به الا كل معتد) مجاوزه طور الفطرة الانسانية بتجاوزه حد العدالة الى الافراط والتفريط فى افعاله (اثيم) محتجب بذنوب هيآت صفاته (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين كلا) ردع عن هاتين الرذيلتين (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) اى صار صدأ عليها بالرسوخ فيها وكدر جوهرها وغيرها عن طباعها والرين حد من تراكم الذنب على الذنب ورسوخه تحقق عنده الحجاب وانغلاق باب المغفرة

نعوذبالله منه ولذلك قال (كلا) اى ارتدعوا عن الرين (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع عودها الى الصفاء الاول الفطرى كالماء الكبريتى مثلا اذا ورد اوصعد لم يرجع الى الطبيعة المائية المبردة لاستحالة جوهرها بخلاف الماء المسخن الذى استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود فى العذاب وحكم عليهم بقوله (ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون كلا ان كتاب الابرار لفى عليين) اى ما كتب من صور اعمال السعداء وهيآت نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة فى عليين وهو مقابل للسجين فى علوه وارتفاع درجته وكونه ديوان اعمال اهل الخير كما قال (وما ادراك ماعليون كتاب مرقوم) اى محل شريف رقم بصور اعمالهم من جرم سماوى اوعنصرى انسانى (يشهده المقربون) اى يحضر ذلك المحل اهل الله الخاصة من اهل التوحيد الذاتى (ان الابرار) السعداء الاتقياء عن دون صفات النفوس (لفى نعيم) من جنان الصفات والافعال (على الارائك) التى هى مقاماتهم من الاسماء الالهية فى حجال عالم القدس الخفى عن اعين الانس (ينظرون) الى جميع مراتب الوجود ويشاهدون اهل الجنة والنار وماهم فيه من النعيم والعذاب لاتحجب حجالهم عنه شيأ وتحجب اغيارهم عنهم (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجته ونوريته وآثار سروره (يسقون من رحيق) خمر صرف من المحبة الروحانية الغير الممزوجة بحب النفس للجواهر الجسمانية (مختوم) بختم الشرع لئلا تمتزج به النجاسات الشيطانية من المحبات الوهمية المحرمة والشهوات النفسانية المهيئة (ختامه مسك) هو حكم الشرع بالمباحات المطيبة للنفوس المقوية للقلوب (وفى ذلك) اى فى شرب رحيق المحبة الروحانية الصرفة المقيدة بقيد الشريعة ولذتها الصافية (فليتنافس المتنافسون فانه اعز من الكبريت الاحمر (ومزاجه من تسنيم) اى مزاج خمر الابرار من تسنيم العشق الحقيق الصرف وهو محبة الذات المعبر عنها بالكافور باعتبار الخاصية حال الجمع عبر عنها بالتسنيم باعتبار المرتبة حال التفصيل فانه فى اعلى رتب الوجود ويجرى كما قيل فى غير اخدود لتجرده عن المحل والتعين بصورة وصفه اى لهم مع محبة الصفات فى مقامها محبة الذات الصرفة بل ممزوجة بشرابهم لمشاهدتهم الذات من وراء حجب الصفات (عينا يشرب بها المقربون ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) اى التسنيم عين يشرب بها المقربون صرفة وهم الكاملون الواصلون الى توحيد الذات من اهل التمكين القائمين بالله فى مقام التفصيل بالاستقامة ففرق بين اهل الاستقامة فى مقام التفصيل واهل الاستغراق فى مقام الجمع باختلاف اسمهم واسم شرابهم مع اتحاد حقيقتهم وحقيقة شرابهم بأن سماهم مقربين للاشعار بالفرق مع القرب وسمى شرابهم التسنيم للاشعار بعلو الرتبة بالنسبة الى سائر الرتب وسمى اهل الاستغراق بعباد الله للاشعار بالمقهورية مع الاختصاص الموذنة بالفناء وسمى شرابهم بالكافور للاشعار بالوحدة الصرفة والبياض الخالص بلانسبة وفرق

﴿ سورة الانشقاق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا السماء انشقت) كقوله انفطرت (واذنت لربها) اى انقادت لامره بانفراجها عن الروح الانسانى انقياد السامع المطيع لآمره المطاع (وحقت) اى حق لها ووجب ان تنقاد لامر القادر المطلق ولا تمتنع وهى حقيقة بذلك (واذا الارض) ارض البدن (مدت) وبسطت بنزع الروح عنها (والقت ما فيها) من الروح والقوى (وتخلت) تكلفت فى الخلو عن كل ما فيها من الآثار والاعراض كالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح (واذنت لربها وحقت يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) ساع مجتهد فى الذهاب اليه بالموت اى تسير مع انفسك سريعا كما قيل انفاسك خطاك الى اجلك او مجتهد مجد فى العمل خيرا اوشرا ذاهبا الى ربك (فملاقيه) ضرورة والضمير اما للرب واما للكدح (فأما من اوتى كتابه بيمينه) بأن جعل من اصحاب اليمين فى الصورة الانسانية آخذا كتاب نفسه او بدنه بيمين عقله قارئا ما فيه من معانى العقل القرآنى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا)

يسيرا) بأن تمحى سيئاته ويعفى عنه ويثاب بحسناته دفعة واحدة لبقاء فطرته على صفائها ونوريتها الاصلية (وينقلب الى اهله مسرورا) ممن يجانسه ويقارنه من اصحاب اليمين مسرورا فرحا بصحبتهم ومرافقتهم وبما اوتى من حظوظه (واما من اوتى كتابه وراء ظهره) اى جهته التى تلى الظلمة من الروح الحيوانية والجسد فان وجه الانسان جهته التى الى الحق وخلفه جهته التى الى البدن الظلمانى بأن ردالى الظلمات فى صورالحيوانات (فسوف يدعوا ثبورا) لكونه فى ورطة هلاك الروح وعذاب البدن (ويصلى سعيرا) اى سعير نار الآثار فى مهاوى الطبيعة (انه كان فى اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور) اى ذلك لانه كان بطرا فى اهله بالنعم محتجبا بها عن المنعم ظانا انه لن يرجع الى ربه اوالى الحياة بالبعث لاعتقاده انه يحيا ويموت ولا يهلكه الا الدهر (بلى) ليحورن (ان ربه كان به بصيرا) فيجازيه على حسب حاله (فلا اقسم بالشفق) اى النورية الباقية من الفطرة الانسانية بعد غروبها واحتجابها فى افق البدن الممزوجة بظلمة النفس عظمها بالاقسام بها لامكان كسب الكمال والترقى فى الدرجات بها (والليل) اى وليل ظلمة البدن (وماوسق) جمعه من القوى والآلات والاستعدادات التى يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقى فى المقامات ونيل المواهب والكمالات (والقمر) اى قمر القلب الصافى عن خسوف النفس (اذا اتسق) اى اجتمع وتم نوره وصار كاملا (لتركبن طبقا عن طبق) اى مراتب مجاوزة عن مراتب وطبقات واطوار مرتبة بالموت ومابعده من مواطن البعث والنشور (فمالهم لايؤمنون) بها (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) بتذكير هذه الاطوار والمراتب لا يخضعون ولا ينقادون (بل الذين كفروا يكذبون) المحجوبون عن الحق محجوبون بالضرورة عن الدين (والله اعلم بما يوعون) فى وعاء انفسهم وبواطنهم من الاعتقادات الفاسدة والهيآت الفاسقة (فبشرهم بعذاب اليم) من نيران الآثار وحرمان الانوار مؤلم غاية الايلام لكن (الاالذين آمنوا) الايمان العلمى بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس وتزكيتها (وعملوا الصالحات) باكتساب الفضائل (لهم اجر غير ممنون) ثواب الآثار والصفات فى جنة النفس والقلب غير مقطوع لبراءته عن الكون والفساد وتجرده عن المواد والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة البروج ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والسماء ذات البروج) اى الروح الانسانى ذات المقامات فى الترقى والدرجات (واليوم الموعود) اى القيامة الكبرى التى هى آخر درجاته من كشف التوحيد الذاتى (وشاهد) اى الذى شهد الشهود الذاتى فى عين الجمع (ومشهود) اى الذات الاحدية ومعنى التنكير التعظيم اى شاهد لايعرفه احد ولايقدر قدره الا الله لفنائه فيه وانتفائه عينه واثره فكيف يعرف ومشهود لايعلمه احد الا هو ولعمرى انه عين الشاهد لافرق الا بالاعتبار وجواب القسم محذوف مدلول عليه بقوله (قتل) اى لتحجبن او لتلعنن (اصحاب الاخدود) اى لعن البدنيون المحجوبون بصفات النفس فى شقوق ارض البدن واوهادها (النار ذات الوقود) بدل الاشتمال من الاخدود للازمتها اياه وهى الطبيعة الآثارية المحرقة اربابها بالشهوات والامانى (اذهم عليها) اى على تلك النار (قعود) عاكفون ملازمون لايبرحون فيتنفسوا فى فضاء القدس ويذوقوا روح النفحات الالهية (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين) الموحدين اهل الكشف والعيان من الازدراء والاستحقار والاستهزاء والاستكبار (شهود) يشهد بعضهم على بعض بذلك (وما نقموا منهم) اى وما انكروا منهم (الا ان يؤمنوا) الايمان (بالله العزيز) الغالب على اعدائه بالقهر والانتقام والحجب والحرمان (الحميد) المنعم على اوليائه بالهداية والايقان (الذى له ملك السموات والارض) محتجب بهما عن الاشقياء ويتجلى فيهما على الاولياء (والله على كل شئ شهيد) حاضر يظهر ويتجلى على اوليائه على كل ذرة فلهذا آمن من آمن وانكر من انكر (ان) المحجوبين (الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات)

من قلوب اهل الشهود ونفوسهم بالانكار والاحتقار (ثم لم يتوبوا) اى بقوا فى الحجاب و لم يستبصروا فيرجعوا (فلهم عذاب جهنم) اى من تأثير نار الطبيعة السفلية (ولهم عذاب الحريق) حريق القهر من نار الصفات فوق نار الآثار.وذلك لشوقهم عند خراب البدن الى انوار الصفات فى عالم القدس وحرمانهم وطردهم بقهر الحق فعذبوا بالنارين جميعا (ان الذين آمنوا) الايمان العينى الحق (وعملوا الصالحات) فى مقام الاستقامة من الافعال الالهية المقتضية لتكميل الخلق وضبط النظام (لهم جنات) من الجنان الثلاث (تجرى من تحتها الانهار) انهار علوم توحيد الافعال والصفات والذات واحكام تجلياتها (ذلك الفوز الكبير) التام الذى لا فوز اكبر منه (ان بطش ربك) بالقهر الحقيق والافناء (لشديد) لا يبقى بقية ولا اثرا (انه هو يبدئ) البطش (ويعيد) اى يكرره اولا بافناء الافعال ثم يعيد بافناء الصفات ثم بالذات (وهو الغفور) يستر ذنوب وجودات المحبين وبقاياهم بنوره (الودود) للمحبوبين بايصالهم الى جنابه وتنعيمهم واكرامهم بكمالاته من غير رياضة (ذو العرش) اى المستوى على عرش قلوب احبائه من العرفاء (المجيد) ذو العظمة المتجلى بصفات الكمال من الجمال والجلال (فعال لما يريد) على مظاهرهم لاستقامتهم فيختارون اختياره فى افعالهم اويحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ويتجلى لمن يريد بجماله كالعارفين (هل اتاك حديث الجنود) المحجوبين اما بالانائية كفرعون ومن يدين بدينه او بالآثار والاغيار كثمود ومن يتصل بهم (فرعون وثمود بل الذين كفروا) حجبوا مطلقا فى اى مقام كان وباى شئ كان (فى تكذيب) لاهل الحق لوقوفهم مع حالهم (والله من ورائهم) فوق حالهم وحجابهم (محيط) يسع كل شئ وهم حصروه فى شاهدهم وماشاهدوا احاطته فلذلك انكروا (بل هو) اى هذا العلم (قرآن) جامع لكل العلوم (مجيد) لعظمته واحاطته (فى لوح) هو القلب المحمدى (محفوظ) عن التبديل والتغيير والقاء الشياطين بالتخييل والتزوير هذا اذا حمل اليوم الموعود على القيامة الكبرى فاما اذا اول بالصغرى فمعناها الروح ذات الابدان فان الابدان للارواح كالابراج اوالحواس فانها تخرج منها كالحمام من البروج وشاهد لعله وماعمل وجواب القسم ليهلكن البدنيون قتل اصحاب الاخدود اى اهلك القوى النفسانية الملازمة لاخدود البدن اذهم عليها عاكفون وهم على مايفعلون بمؤمنى القوى الروحانية من الاستيلاء عليهم وحجبهم عن مقاصدهم الشريفة وكمالاتهم النفيسة واستعبادهم فى اهوائهم وشهواتهم شهود بالسنة احوالهم ومانكر هذه القوى المحجوبة عن الكمالات المعنوية من الروحانيين الا الايمان بالله المجرد عن الاين والجهة الغالب على المحجوبين بالقهر الحميد المنعم على المهتدين بالهداية المحتجب بظواهر ملك السموات والارض الشهيد الظاهر على كل شئ ان هؤلاء الفاتنين بالاستيلاء والاستخدام لمؤمنى العقول ومؤمنات النفوس ثم لم يرجعوا بالرياضة واكتساب الملكات الفاضلة والانقياد لهم فلهم عذاب جهنم الآثار والطبيعة وعذاب حريق الشوق الى المألوفات مع الحرمان عنها ان الذين آمنوا الايمان العلمى من الروحانيين وعملوا الصالحات من الفضائل والاخلاق الحميدة لهم جنات من جنان الافعال والصفات وهى جنات النفوس والقلوب ذلك الفوز اى النجاة من النار والوصول الى المقصود الكبير بالنسبة الى الحالة الاولى ان بطش ربك اى اخذه للمحجوبين بالاهلاك والتعذيب لشديد فانه هو يبدئهم ويهلكهم ثم يعيدهم للعذاب وهو الغفور للتائبين المؤمنين من الروحانيين يستر لهم ذنوب هيآت السوء بنور الرحمة الودود لهم بالمحبة الازلية فيكرمهم بافاضة الكمالات والفضائل ذو العرش المستولى على القلب المجيد المنور بنوره جميع القوى فعال لما يريد المتجلى بالافعال على مظاهر الملك للقلب فيصحح مقام التوكل بالفناء فى توحيد الافعال والله تعالى اعلم

﴿ سورة الطارق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والسماء والطارق) اى والروح الانسانى والعقل الذى يظهر فى ظلمة النفس وهو النجم الذى يثقب ظلمتها وينفذ فيها فيبصر بنوره ويهتدى به كما قال وبالنجم هم يهتدون (وماادراك ماالطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ)

(مهيمن)

مهين رقيب يحفظها وهو الله تعالى ان اريد بالنفس الجملة وان اريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الانسانى (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر) اى ان الله على رجع الانسان فى النشأة الثانية لقادر كما قدر على ابدائه فى النشأة الاولى (يوم تبلى السرائر) تظهر وتعرف خفيات الضمائر بالمفارقة عن الابدان وجعل الباطن ظاهرا (فماله من قوة) فى نفسه يمتنع بها على قدرته (ولا ناصر) يمنعه و ينصره على الامتناع (والسماء ذات الرجع) اى والروح ذات الرجع فى النشأة الثانية (والارض) اى والبدن (ذات الصدع) بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه اوالشق وقت اتصاله به (انه) اى القرآن (لقول فصل) فارق بين الحق والباطل بين اى عقل فرقانى ظهر بعد ما كان قرانيا (وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا وا كيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا) بالكلام الذى ليس له اصل فى الفطرة ولا معنى فى القلب والله القادر والله اعلم

سورة الاعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح اسم ربك الاعلى) اسمه الاعلى والاعظم هو الذات مع جميع الصفات اى نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية باسرها وهو تسبيحه الخاص به فى مقام الفناء لان الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الالهية لم يكن الا له فذاته هو الاسم الاعلى عند بلوغ كماله ولكل شئ تسبيح خاص يسبح به اسما خاصا من اسماء ربه (الذى خلق) انشأ ظاهرك (فسوى) اى عدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الاتم المستعد لجميع الكمالات (والذى قدر) فيك الكمال النوعى التام (فهدى) الى ابرازه واظهاره واخراجه الى الفعل بالتزكية والتصفية (والذى اخرج المرعى) اى زينة الحياة الدنيا ومنافعها ومآكلها ومشاربها فانها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى (فجعله غثاء احوى) اى سريع الفناء وشيك الزوال كالهشيم والحطام البالى المسود فلا تلتفت اليه ولا تشتغل به فيمنعك عن تسبيحك الخاص من تنزيه ذاتك وتجريدها فتحتجب به عن كمالك المقدر فيك ولا تعد عيناك عنه اليه فانه الفانى وذلك هو الباقى ابد الا بزال (سنقرئك فلا تنسى) نجعلك قارئا لما فى كتاب استعدادك الذى هو العقل القرآنى من القرآن الجامع للحقائق فتذكره ولا تنساه ابدا (الا ما شاء الله) ان ينسيك ويذهلك عنها فيدخر للمقام المحمود اذا بعثت فيه (انه يعلم الجهر) اى ما ظهر فيك من الكمال (وما يخفى) بعد بالقوة (ونيسرك لليسرى) اى نوفقك للطريقة اليسرى اى الشريعة السمحة السهلة التى هى ايسر الطرق الى الله وهو عطف على سنقرئك اى نكملك بالكمال العلمى والعملى التام وفوق التام الذى هو التكميل وهى الحكمة البالغة والقدرة الكاملة (فذكر ان نفعت الذكرى) اى كمل الخلق بالدعوة ان كانوا قابلين مستعدين لقبول التذكرة فتنفعهم يعنى ان التذكير وان كان عاما لا ينفع الخلق كلهم بل هو مشروط بشرط الاستعداد فمن استعد قبل انتفع به ومن لا فلا اجل فى قوله ان نفعت الذكرى ثم فصل بقوله (سيذكر من يخشى) اى يتذكر ويتعظ وينتفع به من كان لين القلب سليم الفطرة مستعدا لقبوله يتأثر به لنوريته وصفائه (ويتجنبها الاشقى) اى يتحاماه المحجوب عن الرب العديم الاستعداد النائى القلب الذى هو اشقى من المستعد الذى زال استعداده واحتجب بظلمة صفات نفسه (الذى يصلى النار الكبرى) التى هى نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر فى مقام الصفات ونار الغضب والسخط فى مقام الافعال ونار جهنم الآثار فى المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت ابد الآبدين فما اكبر ناره واما الثانى فلا يصلى الا بنار الآثار (ثم لا يموت فيها) لامتناع انعدامه (ولا يحيى) بالحقيقة لهلاكه الروحانى اى يتعذب دائما سرمدا فى حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك اعيد الى الحياة وعذب فلا يكون ميتا مطلقا ولا حيا مطلقا (قد افلح من تزكى) اى فاز وظفر من تطهر عن صفات نفسه وظلمات بدنه بعد حصول استعداده (وذكر اسم ربه) اى الاسم الخاص الذى ربه به بافاضة كماله الذى يسأل

ربه بلسان استعداده كالعليم للجاهل والهادى للضال والغفار للمذنب وهو فى الحقيقة عين ذاته التى غفل هو عنها بحجاب الآثار والهيآت وصفات النفس وسائر الظلمات كما قال نسوا الله فانساهم انفسهم وذكره تعرفه وطلب كماله المخصوص به بالتأييد الربانى والتوفيق الالهى (فصلى) فعبد معبوده الذى هو الحق المتجلى له فى صورة ذلك الاسم الخاص الذى يعرف ربه به بعد رؤيته لكماله المقدر له (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) اى تغفلون وتحتجبون عن ذكر ذلك الاسم وصلاة الرب بالحياة الحسية وطيباتها وزخارفها لعدم التزكية وتؤثرونها بالمحبة على الحياة الحقيقية الدائمة الروحانية وهى افضل وادوم (والآخرة خير وابقى ان هذا) المعنى من انتفاع المستعد بالتذكير وعدم انتفاع العديم الاستعداد وتعذبه بالنار الكبرى وفلاح اهل التزكية والتحلية من المستعدين وهلاك المؤثرين للحياة الحسية منهم (لفى الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى) القديمة المنزهة عن التبديل والتغيير المحفوظة عند الله من الالواح النورية المجردة التى اطلع عليها النبيان المذكوران ونزل وعليهما الظهور على مظاهرها والسلام والله اعلم

﴿ سورة الغاشية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل اتاك حديث الغاشية) الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها اى القيامة الكبرى التى تغشى الذوات وتفنيها بنور التجلى الذاتى فينكشف الناس يوم اذ غشيت على من غشيته منقسمين اشقياء وسعداء والصغرى التى تغشى العقل بشدة السكرات وتلبس المغشى اهوالها فيكون الناس يوم اذ غشيتهم اما اشقياء واما سعداء (وجوه يومئذ) اى ذوات (خاشعة) اى ذليلة خائفة (عاملة ناصبة) تعمل دائبا اعمالا صعبة تتعب فيها كالهوى فى دركات النار والارتقاء فى عقباتها وحمل مشاق الصور والهيآت المتعبة المثقلة من آثار اعمالها اوعاملة من استعمال الزبانية اياها فى اعمال شاقة فادحة من جنس اعمالها التى ضريت بها فى الدنيا واتعابها فيها من غير منفعة لهم منها الا التعب والعذاب (تصلى نارا) من نيران آثار الطبيعة (حامية) مؤذية مؤلمة بحسب ما زاولها فى الدنيا من الاعمال (تسقى من عين آنية) من الجهل المركب الذى هو مشربهم والاعتقاد الفاسد المؤذى (ليس لهم طعام الا من ضريع) الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغالطات والخلافيات والسفسطة وما يجرى مجراها (لا يسمن) اى لا يقوى النفس (ولا يغنى من جوع) ولا يسكن داعية النفس ونهم الحرص على تعلمها والمباحثة عنها ويمكن ان يحشر بعض الاشقياء على صور طعامهم الشبرق اليابس كالزقوم لبعضهم والغسلين لبعضهم (وجوه يومئذ ناعمة) تظهر عليها نضرة النعيم من اللطافة والنورية لتجردهم (لسعيها) وجدها فى طريق البر واكتساب الفضائل والسير فى الله (راضية) شاكرة لا تندم ولا تتحسر ولا تتجرد عما عملت كالاولى (فى جنة) من جنان الصفات وحضرة القدس (عالية) رفيعة القدر من علو المكانة (لا تسمع فيها لاغية) لان كلامهم الحكمة والمعرفة والتسبيح والتحميد (فيها عين جارية) من عيون مياه علوم المعارف والذوق والكشف والوجدان والتوحيد (فيها سرر مرفوعة) من مراتب الاسماء الالهية التى بلغوها بالاتصاف بصفاتها رفعت قدرها عن مراتب الجسمانية (واكواب) من اوصاف الذوات المجردة ومحاسنها التى هى ظروف خمور المحبة (موضوعة) لنيلها على حالها فى محالها (ونمارق) من مقاماتهم ومقاعدهم فى مراتب الصفات فان لكل صفة من ابتداء تجليها وطوالع انوارها وكونها حالا الى كمال الاتصاف بها وكونها ملكا ومقاما مواضع اقدام ومقاعد فاذا استوفى السالك حظه منها بحسب استعداده وبلغ غاية مبلغه حتى تم سيره فيها وصارت ملكة له كان مقامه منها نمرقة على تلك الاريكة التى هى موضع ذلك الوصف مع الذات (مصفوفة) مرتبة (وزرابى) من مقامات تجليات الافعال التى تحت مقامات الصفات كالتوكل تحت الرضا (مبثوثة) مبسوطة تحتهم (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) الى الآثار الظاهرة بالحس فيعتبرون ويعبرون عنها الى تجلى الوصل الى تجلى الصفات (فذكر) عسى ان يكون فيهم مستعد

(يتذكر)

يتذكر ويتعظ فيترقى فى السلم المخلعة الى جناب الحق لامن اعرض واحتجب بهذه الآثار عن المؤثر فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو النار الكبرى المشار اليها فى سورة الاعلى المعدة للمحجوب المطلق فى جميع مراتب الوجود وقوله (انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) اعتراض اى ما اليك الا التذكير لا الغلبة والقهر كقوله انك لاتهتدى من احببت وما انت عليهم بجبار (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) اى خاصة الينا ايابهم لا الى غيرنا فانا نحاسبهم ونعذبهم بالعذاب الاكبر فان القهر والغلبة لنا لا لك

﴿سورة الفجر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والفجر) اقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن عند اول اثر تعلقه به (وليال عشر) ومحال الحواس العشرة الظاهرة والباطنة التى تتعين عند تعلقه به لكونها اسباب تحصيل الكمال وآلاتها (والشفع) اى الروح والبدن عند اجتماعهما وتمام وجود الانسان الذى يمكن به الوصول (والوتر) اى الروح المجرد اذا فارق (والليل اذا يسر) اى ظلمة البدن اذا ذهبت وزالت بتجرد الروح فيكون الاقسام بالمبتدا والمنتهى اوبالقيامة الكبرى وآثارها اى والفجر الذى هو مبتدا طلوع نور الحق تأثيره فى ليلة النفس وليال عشر من الحواس الراكدة الهادئة المظلمة المتعطلة عن اشغالها عند تجلى النور الالهى والشفع الذى هو الشاهد والمشهود قبل تجلى الفناء التام حال المشاهدة فى مقام الصفات والوتر اى الذات الاحدية عند الفناء التام وارتفاع الاثنينية والليل اى ظلمة الانائية اذا ذهبت وزالت بزوال البقية اوبالقيامة الصغرى اى فجر ابتداء ظهور نور الشمس الطالعة من مغربها وليال عشر اى الحواس المتكدرة المظلمة عند الموت والشفع اى الروح والبدن والوتر اى الروح المفارق اذا تجرد والليل اذا يسر والبدن اذا انقشع ظلامه عن الروح وزال بالموت (هل فى ذلك قسم لذى حجر) استفهام فى معنى الانكار اى هل عاقل يهتدى الى الاقسام بهذه الاشياء ووجه تعظيمها بالقسم بها وحكمة انتظامها فى قسم واحد وتناسبها فان عقول اهل الدنيا المشوبة بالوهم لاتهتدى الى ذلك وجواب القسم ليعذبن المحجوبون لدلالة قوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد) عليه اوفى معنى التقرير اى انما يهتدى الى ذلك اولوا الالباب الصافية المجردة عن شوب الوهم وجواب القسم ليثيبن العقلاء المعتبرون بحال المحجوبين دونهم (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما) اى الانسان يجب ان يكون فى مقام الشكر اوالصبر بحكم الايمان لقوله الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر لان الله تعالى لايخلو من ان يبتليه اما بالنعم والرخاء فعليه ان يشكره باستعمال نعمته فيما ينبغى من اكرام اليتيم واطعام المسكين وسائر مراضيه ولايكفر نعمته بالبطر والافتخار فيقول ان الله اكرمنى لاستحقاقى وكرامتى عنده ويترفه فى الاكل ويحتجب بمحبة المال ويمنع المستحقين اوبالفقر وضيق الرزق فيجب عليه ان يصبر ولايجزع ولايقول ان الله اهاننى فربما كان ذلك اكراما له بان لايشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له فى التوجه الى الحق والسلوك فى طريقه لعدم التعلق كما ان الاول ربما كان استدراجا منه (كلا اذا دكت الارض) اى البدن بالموت (دكا دكا) متفتتا (وجاء ربك) اى ظهر فى صورة القهر لمن برز عن حجاب البدن بالمفارقة (والملك صفا صفا) اى ظهر تأثير الملائكة من النفوس السماوية والارضية المرتبة فى مراتبهم فى تعذيبه بعد ما كان محتجبا عنهم بشواغل البدن (وجئ يومئذ بجهنم) اى برزت نار الطبيعة واحضرت للمعذبين (يومئذ يتذكر الانسان) خلاف ما اعتقده فى الدنيا وصار هيئة فى نفسه من مقتضيات فطرته فان ظهور البارى بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لايكون الالمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه مما هو فى نفس الامر كالمنكر والمتكبر (وانى له) فائدة (الذكرى) ومنفعته فان الاعتقاد الراسخ يمنع نفع هذا التذكير (يقول ياليتنى قدمت لحياتى فيومئذ لايعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد ياايتها

النفس المطمئنة) التي نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت الى الله من الاضطراب (ارجعى الى ربك راضية مرضية) في حال الرضا اى اذا تم لك كمال الصفات فلا تسكنى اليه وارجعى الى الذات في حال الرضا الذى هو كمال مقام الصفات والرضا عن الله لا يكون الا بعد رضا الله عنها كما قال رضى الله عنهم ورضوا عنه (فادخلى في عبادى) في زمرة عبادى المخصوصين من اهل التوحيد الذاتي (وادخلى جنتي) المخصوصة بي اى جنة الذات وقرئ في عبدى وقرئ في جسد عبدى اى حالة البعث والنشور ورد الارواح الى الاجساد والله أعلم

﴿ سورة البلد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لا اقسم بهذا البلد) اقسم بالبلد الحرام الذى هو البلد القدسى النازل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الافق الاعلى والوادى المقدس (وانت حل) مطلق (بهذا البلد) تفعل به ما تشاء غير مقيد بقيود صفات النفس والعادات (ووالد وما ولد) اى روح القدس الذى هو الاب الحقيقي للنفوس الانسانية كقول عيسى عليه السلام انى ذاهب الى ابى وابيكم السماوى وقوله تشبهوا بابيكم السماوى ونفسك التي ولدها هو اى روح القدس ونفسك الناطقة (لقد خلقنا الانسان في كبد) مكابدة ومشقة من نفسه وهواه او مرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب اذ الكبد في اللغة غلظ الكبد الذى هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل (ايحسب) لغلظ حجابه ومرض قلبه لاحتجابه بالطبيعة (ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا) كثيرا اى في المكارم للافتخار والمباهاة كقول العرب خسرت عليه كذا اذ انفق عليه يتفضل على الناس بالتبذير والاسراف ويحسبه فضيلة لاحتجابه عن الفضيلة وجهله ولهذا قال (ايحسب ان لم يره احد) اى ايحسب ان لم يطلع الله تعالى على باطنه ونيته حين ينفق ماله في السمعة والرياء والمباهاة لا على ما ينبغى في مراضى الله وهى رذيلة على رذيلة فكيف تكون فضيلة (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) الم ننعم عليه بالالات البدنية التي يتمكن بها من اكتساب الكمال ليبصر ما يعتبر به ويسأل عما لا يعلم ويتكلم فيه (وهديناه النجدين) الى طريق الخير والشر (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة) اى عقبة النفس وهواها الحاجبة للقلب بالرياضة والمجاهدة واى عقبة كؤد هى لا يدرى كنه مشقتها (فك رقبة) اى العقبة التي يجب اقتحامها تخليص رقبة القلب الاسير في قيد هوى النفس وفكها عن اسرها بالتجريد عن الميول الطبيعية بالكلية فان لم يكن الفك بالكلية بالرياضة واماتة القوى وقهر النفس فتكلف الفضائل والتزام سلوك طريقها واكتسابها حتى يصير التطبع طباعا وهو معنى قوله (او اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) فان الاطعام خصوصا وقت شدة الاحتياج للمستحق الذى هو وضع في موضعه من باب فضيلة العفة بل افضل انواعها والايمان من فضيلة الحكمة واشرف انواعها واجلها وهو الايمان العلمى اليقينى والصبر على الشدائد من اعظم انواع الشجاعة واخره عن الايمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والمرحمة اى التراحم والتعاطف من افضل انواع العدالة فانظر كيف عدد اجناس الفضائل الاربع التي يحصل بها كمال النفس بدأ بالعفة التي هى اول الفضائل وعبر عنها بعظم انواعها واخص خصالها الذى هو السخاء ثم اورد الايمان الذى هو الاصل والاساس وجاء بلفظة ثم لعدم رتبته عن الاولى في الارتفاع والعلو وعبر عن الحكمة به لكونه ام سائر مراتبها وانواعها ثم رتب عليه الصبر لامتناعه بدون اليقين واخر العدالة التي هى نهايتها واستغنى بذكر الرحمة التي هى صفة الرحمن عن سائر انواعها كما استغنى بذكر الصبر عن سائر انواع الشجاعة (اولئك اصحاب الميمنة) اى الموصوفون بهذه الفضائل هم السعداء اصحاب اليمن وسكان عالم القدس (والذين كفروا بآياتنا) اى حجبوا عن هذه الصفات التي هى آيات الله الحقيقية التي تعرف بها ذاته (هم اصحاب المشأمة) الشؤم وسكان عالم الرجس (عليهم نار مؤصدة) تستولى نار الطبيعة الآثارية مطبقة عليهم ابوابها محبوسين فيها ممنوعين من الروح والمراتب ابد الآبدين والله اعلم

(سورة)

﴿ سورة الشمس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والشمس وضحاها) اقسم بشمس الروح وضوئها المنتشر فى البدن الساطع على النفس (والقمر اذا تلاها) اى قمر القلب اذا تلى الروح فى التنور بها واقباله نحوها واستضاءته بنورها ولم يتبع النفس فينخسف بظلمتها (والنهار) ونهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستواء نورها (اذا جلاها) وابرزها غاية الظهور كالنهار عند الاستواء فى تجلية الشمس (والليل اذا يغشاها) اى ليل ظلمة النفس اذا سترت الروح فان وجود القلب الذى هو محل المعرفة وعرش الرحمن لا يكون الا بامتزاج نور الروح وظلمة النفس كانه موجود مركب منهما متولد من اجتماعهما ولولا ظلمة النفس لم تستبن المعانى فى القلب فلم تضبط كما فى حيز الروح لغاية صفائها ونوريتها وان كانت الثلاثة حقيقة واحدة تختلف اسماؤها بحسب اختلاف مراتبها (والسماء وما بناها) اى الروح الحيوانية التى هى سماء هذا الوجود والقادر الذى بناها (والارض وما طحاها) اى البدن والخالق الذى طحاها (ونفس) اى القوة الحيوانية المنطبعة فى الروح الحيوانية المسماة باصطلاح اهل الشرع والتصوف النفس مطلقا او الجملة او النفس الناطقة والحكيم الذى (وما سواها) عدلها بين جهتى الربوبية والدناءة لا فى ظلمة الجسم وكثافته ولا فى ضوء الروح ولطافته كما قال لا شرقية ولا غربية على الاول وعدل مزاجها وتركيبها على الثانى واعدها لقبول الكمال ووسطها بين العالمين على الثالث (فألهمها فجورها وتقواها) اى افهمها اياهما وشعرها بهما بالالقاء الملكى والتمكين من معرفتهما وحسن التقوى وقبح الفجور بالعقل الهيولانى (قد افلح) بالوصول الى الكمال وبلوغ الفطرة الاولى (من زكاها) وطهرها (وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) واخفاها فى تراب البدن عن نور الحق ورحمته وجواب القسم محذوف اى ليهلكن المحجوبون المكذبون لنبى بطغيانهم كما اهلكت ثمود لتكذيبهم نبيهم بطغيانهم لعدم قبول ذلك الالهام وبقائهم على الفجور واحتجاب العقل واستيلاء ظلمة النفس وقد مر تأويل الناقة وسقياها والله تعالى اعلم

﴿ سورة الليل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والليل اذا يغشى) اقسم بليل ظلمة النفس اذ استر نور الروح وبنهار نور الروح (والنهار اذا تجلى) فظهر من اجتماعهما وجود القلب الذى هو عرش الرحمن فان القلب يظهر باجتماع هذين له وجه الى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه الى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعانى والقادر العظيم القدرة الحكيم الباهر الحكمة الذى (وما خلق الذكر) الذى هو الروح (والانثى) التى هى النفس فؤاد القلب (ان سعيكم لشتى) اشتات مختلفة لانجذاب بعضكم الى جانب الروح والتوجه الى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم الى جانب النفس والانهماك فى الشر لغلبة الظلمة وتفصيل ذلك فى قوله (فأما من اعطى واتقى) اى آثر الترك والتجريد فرفض ما يشغله عن الحق وتركه بالسهولة واتقى عن هيآت النفس لجردها عن الميل الى مارفض والالتفات نحوه (وصدق) بالفضيلة (الحسنى) التى هى مرتبة الكمال بالايمان العلمى اذ لولم يتيقن بوجود كمال كامل لم يمكنه الترقى (فسنيسره لليسرى) اى فسنهيئه ونوفقه للطريقة اليسرى التى هى السلوك فى الله لقطع علائقه وقوة يقينه (واما من بخل واستغنى) آثر محبة المال وجمعه ومنعه واستغنى به عن كسب الفضيلة لاحتجابه به عن الحق (وكذب بالحسنى) بوجود مرتبة الكمال والفضيلة لاستغنائه بالحياة الدنيا واحتجابه بها عن عالم النور والآخرة (فسنيسره للعسرى) فسنهيئه بالخذلان للطريقة العسرى التى هى الانحطاط عن رتبة الفطرة الى قعر الطبيعة ودركات اسفل سافلين مأوى الحشرات

والديدان والحيلولة بينه وبين شهواته بالحرمان (وما يغني عنه ماله) الذى تعب فى تحصيله وافنى عمره فى حفظه (اذا تردى) اذا وقع فى قعر بئر جهنم وعمق الهاوية وهلك (ان علينا للهدى) بالارشاد الينا بنور العقل والحس والجمع بين الادلة العقلية والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار (وان لنا للآخرة والاولى) اى نعطيهما من توجه الينا فلا نحرم التارك المجرد عن ثواب الدنيا مع ثواب الآخرة فان من آثر الاشرف يكون الاخس تحت قدمه بالضرورة كقوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم (فأنذرتكم نارا تلظى) اى نارا عظيمة يبلغ لظاها جميع مراتب الوجود وهى النار الكبرى الشاملة للحجاب والقهر والسخط والتعذيب بالآثار ولهذا قال (لايصلاها الا الاشقى) العديم الاستعداد الخبيث الجوهر المشرك بالله فى المواقف الاربعة (الذى كذب) بالله لشركه (وتولى) واعرض عن الدين لعناده (وسيجنبها الاتقى) اى يتحاماها ويبعد عنها فى جميع مراتبها (الذى) اتقى ماعدا الله من ذاته وصفاته وافعاله وكل شئ من الاغيار والآثار بالاستغراق فى عين الجمع وهو الاتقى المطلق الذى لم يقف مع غير الله فيوقف على الله ويعذب ببعض النيران واما التقى فقد لايجتنب جميع مراتبها كالمجرد من الهيآت والافعال الواقف مع الصفات فانه وان كان مغفورا ذنوبه فقد حرم عن روح الذات ولذة المقربين فى حجاب وجوده (الذى يؤتى ماله يتزكى) الذى يعطيه فى حالة كونه متطهرا عن لوث محبة الانداد وتعلق الاغيار والالتفات الى ماسوى الله والاشتغال به مزكيا نفسه عن الشرك الخفى (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) اى لايؤتيه للمكافات والمعاوضة (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) باجتناب ماعداه ولكونه على اعلى مراتب التقوى وصف الوجه الذى هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالاعلى لان الله تعالى بحسب كل اسم له وجه يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ويعبده باستعداده والوجه الاعلى هو الذى له بحسب اسمه الاعلى الشامل لجميع الاسماء وان جعلته وصفا لربه فالرب هو ذلك الاسم (ولسوف يرضى) بالوصول اليه فى عين الجمع والشهود الذاتى ثم مشاهدة ذلك الوجه فى مقام التفصيل حال البقاء بعد الفناء لاستدعاء الرضا وجوده مع الوصف والله تعالى اعلم

﴿ سورة الضحى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك) اقسم بالنور والظلمة الصرفة القارة على حالها الذين هما اصل الوجود الانسانى وجماع الكونين على ان ربك ماتركك ترك مودع فى عالم النور وحضرة القدس مع بقاء المحبة والشوق فى مقام الصفات محجوبا عن الذات فان المودع لا بدله من محبة وشوق (وما قلى) اى وما قلاك فى عالم الظلمة والوقوف مع الكون بلا محبة وشوق فى مقام النفس محجوبا عن الرب وصفاته وافعاله ترك قال مبغض وذلك ان المحبوب الذى يسبق كشفه اجتهاده اذا كوشف بالتوحيد الذاتى ورفع غطاؤه ليعشق رد الى الحجاب وسد طريقه الى حضرة تجلى الذات ليشتد شوقه ويلطف سره وتذوب انائيته بنار الشوق ثم فتح طريقه ورفع حجابه بالكلية وكوشف بالحق الصرف ليكون ذوقه اتم وكشفه اكمل وكان صلى الله عليه وسلم فى هذا الاحتجاب يصعد الجبال ليرمى بنفسه فاذا نفدت طاقته رفع الحجاب ونزل (وللآخرة) اى وللحالة الآخرة التى هى التجلى بعد الاحتجاب واشتداد الشوق (خير لك من) الحالة (الاولى) لامنك فى الحالة الثانية عن التلوين بوجود البقية وظهور الانائية (ولسوف يعطيك ربك) الوجود الحقانى لهداية الخلق والدعوة الى الحق بعد هذا الفناء الصرف (فترضى) به حيث مارضيت بالوجود البشرى والرضا لايكون الا حال الوجود (الم يجدك يتيما) منفردا محجوبا بصفات النفس عن نور ابيك الحقيق الذى هو روح القدس منقطعا عنه ضائعا (فآوى) اى فأواك الى جنابه ورباك فى حجر تربيته وتأديبه وكفلك اباك ليعلمك ويزكيك (ووجدك ضالا فهدى) عن التوحيد الذاتى عند كونك فى عالم ابيك محتجبا

بالصفات عن الذات فهداك بنفسه الى عين الذات (ووجدك عائلا فأغنى) فقيرا عديما فانيا فيه بالفقر الذى هو سواد الوجه فى الدارين الذى هو الفناء المحض بعد الفقر الذى هو فخره اى فناء الصفات كما قال الفقر فخرى فأغناك بما اعطاك من الوجود الموهوب الموصوف بصفات الكمال الحقانى المتخلق بالاخلاق الربانية فاذ اتم كمالك فتخلق باخلاق وافعل بعادى مافعلت بك لتكون عبدا شكورا اى قائما بشكر نعمتى (فأما اليتيم) اى المنفرد المنكسر القلب المنقطع عن نور القدس المحتجب بحجاب النفس (فلا تقهر) والطف به بالمداراة والرفق وآوه الى نفسك بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة كما آويتك (واما السائل) اى المستعد المحجوب الضال عن طريق مقصده الطالب اياه (فلا تنهر) ولا تمنعه عن السؤال واهده كما هديتك (واما بنعمة ربك) من العلم والحكمة الفائض عليك فى مقام البقاء (فحدث) بتعليم الناس واغنائهم بالخير الحقيقى كما اغنيتك والله تعالى اعلم

﴿ سورة الانشراح ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك) استفهام بمعنى انكار انتفاء الشرح ليفيد ثبوته اى شرحنا لك صدرك وذلك لان الموحد فى مقام الفناء محجوب بالحق عن الخلق لفنائه وضيق الفانى عن كل شئ اذ العدم لا يقبل الوجود كما كان قبل الفنا محجوبا بالخلق عن الحق لضيق وعائه الوجودى وامتناع قبول وجود التجلى الذاتى الالهى فاذا رد الى الخلق بالوجود الحقانى الموهوب ورجع الى التفصيل وسع صدره الحق والخلق لكونه وجودا حقيا وذلك انشراح الصدر اى شرحناه بنورنا للدعوة والقيام بحقائق الانباء والوزر الذى يحمل ظهره على النقيض وهو صوت الكسر اى يكسره بثقله هو وزر النبوة والقيام باعبائها لانه فى مقام الشهود لم يجد للحق وجودا فضلا عن الفعل ولم يفرق بين فعل وفعل لشهوده لا فعاله تعالى فكيف يثبت خيرا وشرا ويأمر وينهى وهو لا يرى الا الحق وحده فاذا رد الى مقام النبوة عن مقام الولاية وجب بحجاب القلب ثقل ذلك عليه وكاد ان يقصم ظهره لاحتجابه عن الشهود الذاتى حينئذ فوهب التمكين فى مقام البقاء حتى لم يحتجب بالكثرة عن الوحدة وشاهد الجمع فى عين التفصيل ولم يغب عن شهوده بالدعوة وذلك هو شرح الصدر وهو بعينه وضع الوزر المذكور ورفع الذكر لان الفانى فى الجمع لا يكون شيأ فضلا عن ان يكون مذكورا واو بقى فى عين الجمع لما صح محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قولنا لا اله الا الله لفنائه ولما تم الاسلام لصحته بهما (فان مع العسر) اى الاحتجاب الاول بالخلق عن الحق (يسرا) واى يسر هو كشف الذات ومقام الولاية (ان مع العسر) اى الاحتجاب الثانى بالحق عن الخلق (يسرا) واى يسر هو شرح الصدر بالوجود الموهوب الحقانى ومقام النبوة (فاذا فرغت) عن السير بالله وفى الله وعن الله (فانصب) فى طريق الاستقامة والبر الى الله واجتهد فى دعوة الخلق (ولى ربك فارغب) اليه خاصة فى الدعوة اليه اى لا ترغب الا الى ذاته دون ثواب اوغرض آخر لتكون دعوتك وهدايتك به اليه والا لا كنت قائما به مستقيما اليه به بل زائغا عنه قائما بالنفس والله تعالى اعلم

﴿ سورة والتين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والتين) اى المعانى الكلية المنتزعة من الجزئيات التى هى مدركات القلب شبهها بالتين لكونها غير مادية معقولة صرفة مطابقة لجزئياتها مقوية للنفس لذيذة كالتين الذى لا نوى له بل هو لب كله مشتمل على حبات كالجزئيات التى هى فى ضمن الكليات مسمن للبدن فيه غذائية وتفكه (والزيتون) اى المعانى الجزئية التى هى مدركات النفس شبهها بالزيتون لكونها مادية معدة للنفس لادراك الكليات كالزيتون الذى له نوى وهو دابغ لآلات الغذاء مشه (وطور سينين) اى الدماغ الذى هو معدن الحس والتخيل المرتفع من ارض البدن كالجبل (وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) اى القلب الحافظ مافيه من المعانى الكلية او المأمون فساده وفناؤه لتجرده عن اختلاف الاشتقاق من الامانة او الامن اقسم بما يحصل به كمال الانسان ووجوده من المعانى الكلية والجزئية

والقلب والنفس اى المدركين ومدركاتهما تعظيما للانسان واظهارا لشرفه وتكريما على انه خلق الانسان (فى احسن تقويم) اى تعديل من جمع الظلمة والنور فيه والجمع بين الاضداد والموافقة بينها وجعله واسطة بين العالمين جامعا لهما وتسوية خلقه وخلقه وتحسين صورته ومعناه فى اعدل مزاج واكمل نوع وافضل مخلوق (ثم رددناه) لاحتجابه بالظلمة عن النور والوقوف مع رذائل الاخلاق والاعراض عن الفضائل (اسفل سافلين) من سفل خلقا ورتبة من اهل الدركات واقبح من قبح صورة وتركيبا واشوهه خلقة وشكلا ومنظرا وهم اصحاب النار فى سجين الطبيعة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بتغليب نور القلب على ظلمة النفس والكلى على الجزئى وكسبوا الفضائل والخيرات اى حصلوا الكمال العلمى والعملى فانهم فى درجات عالية من عالم القدس (فلهم اجر) من ثواب جنات القلوب والنفوس (غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين) لاتصال مدده من عالم القدس وبراءته عن الكون والفساد وابديته وجوده فما يجعلك كاذبا بسبب الجزاء ايها الانسان بان تكذب به فتكون كاذبا بعد وقوفك عن هذا الخلق العجيب الجامع لمراتب الوجود اسفلها واعلاها الحاصر لكمالات الكونين اشرفهما واخسهما (اليس الله بأحكم الحاكمين) فيحكم عليه بالوقف فى اى مرتبة من المراتب شاء فى اعلاها فيثيبه او اسفلها فيعاقبه

﴿ سورة العلق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقرأ باسم ربك) نزلت فى اول رتبة رده عليه السلام عن الجمع الى التفصيل ولهذا قيل هى اول سورة نزلت من القرآن ومعنى الباء فى باسم الاستعانة كما فى قوله كتبت بالقلم لانه اذا رجع الى الخلق عن الحق كان موجودا بالوجود الحقانى بعد الفناء عن وجوده موصوفا بصفاته فكان اسما من اسمائه لان الاسم هو الذات مع الصفة اى اقرأ بالوجود الذاتى الذى هو اسمه الاعظم فهو الآمر باعتبار الجمع والمأمور باعتبار التفصيل ولهذا وصف الرب (بالذى خلق) اى احتجب بصورة الخلق يعنى ظهرت بصورتك فقم بى فى صورة الخلق وارجع عن الحقية الى الخلقية وكن خلقا بالحق ولما رده الى الخلقية فى صورة الجمعية الانسانية وامره بالاحتجاب بها لتمكن الوحى والتنزيل والنبوة خص الخلق بعد تعميمه بالانسان فقال (خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم) اى البالغ الى النهاية فى الكرم الذى لا يمكن فوق غايته كرم لجوده بذاته وصفاته وهبك ذاته وصفاته فهو اكرم من ان يدعك فانيا فى عين الجمع فلا يعوض وجودك بنفسك شيأ ولو ابقاك على حال الفناء لم يظهر له صفة فضلا عن الكرم ومن قضية اكرميته انه الذى اثرك بأشرف صفاته الذى هو العلم وما ادخر عنك شيأ من كمالاته فلهذا وصف الاكرم ب(الذى علم بالقلم) اى القلم الاعلى الذى هو الروح الاول الاعظم اى علم بسببه وواسطته ثم لما كان فى اول حال البقاء ولم يصل الى التمكين اراد ان يمكنه ويحفظه عن التلوين بظهور انائيته وانحال صفة الله فقال (علم الانسان ما لم يعلم) اى لم يكن له علم فعلمه ووهب له صفة عالميته لئلا يرى ذاته موصوفة بصفة الكمال فيطغى بظهور الانائية ولهذا ردعه عن مقام الطغيان بقوله (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) اى بسبب رؤيته نفسه مستغنيا بكماله (ان الى ربك الرجعى) بالفناء الذاتى فلا ذات لك ولا صفة فارتدع عليه السلام متأدبا بأدب حاله وقال لست بقارئ اى ما انا بقارئ انما القارئ انت (ارأيت الذى) اى المحجوب الجاهل المستغنى بحاله وماله وقومه عن الحق (ينهى عبدا اذا صلى) اى عبدا عن صلاة الحضور والعبادة فى مقام الاستقامة بطغيانه (ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى) فى شركه ودعوته الى الشرك فرضا وتقديرا كما زعم او (ارأيت ان كذب وتولى) بالحق لكفره واعرض الدين المستقيم لعناده وطغيانه كما هو فى نفس الامر (الم يعلم بأن الله يرى) يراه فى الحالتين فيجازيه (كلا) ردع عن النهى عن الصلاة واثبات للقسم الثانى من الشرطية بنفى القسم الاول بالوعيد عليه (لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية) عنه وعن نسبة الكذب وخطأه اليه على ابلغ وجه وآكده وبيان احتجابه بقومه واتكاله على قوتهم وغفلته عن قهر الحق وسخطه بتسليط الملكوت السماوية والارضية الفعالة فى عالم الطبيعة عليه التى لا يمكن احدا مقاومتها (كلا لا تطعه) اى لا توافقه ودم على ما انت عليه من مخالفته بملازمة التوحيد (واسجد) سجود الفناء فى صلاة الحضور (واقترب) اليه بالفناء فى الافعال ثم فى

(الصفات)

الصفات ثم فى الذات اى دم على حالة فنائك التام فى مقام الاستقامة والدعوة حتى تكون فى حالة البقاء به فانيا عنك ولا يظهر فيك تلوين بوجود بقية من احدى الثلاث ولهذا قرأ عليه السلام فى هذه السجدة اعوذ بعفوك من عقابك اى بفعلك من فعلك واعوذ برضاك من سخطك اى بصفتك من صفتك واعوذ بك منك اى بذاتك من ذاتك وهو معنى اقترابه بالسجود وفى الحديث اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد والله تعالى اعلم

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا انزلناه فى ليلة القدر) ليلة القدر هى البنية المحمدية حال احتجابه عليه السلام فى مقام القلب بعد الشهود الذاتى لان الانزال لا يمكن الا فى هذه البنية فى هذه الحالة والقدر هو خطره عليه السلام وشرفه اذ لا يظهر قدره ولا يعرفه هو الا فيها ثم عظمها بقوله (وما ادراك ماليلة القدر) اى اى شئ عرفك كنه قدرها وشرفها (ليلة القدر خير من الف شهر) قد مر ان اليوم يعبر به عن الحادث كقوله وذكرهم بايام الله فكل كائن يوم واذا بنى على هذه الاستعارة كان كل نوع شهرا لاشتماله على الايام والليالى اشتمال النوع على الاشخاص وكل جنس سنة لاشتمالها على الشهور اشتمال الجنس على الانواع والالف هو العدد التام الذى لا كثرة فوقه الا بالتكرار والاضافة فيكنى به عن الكل اى هذا الشخص وحده خير من كل الانواع ثم بين وجه تفضيله وسبب خيريته فقال (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) اى القوة الروحانية والنفسانية بل الملكوت السماوية والارضية والروح (من كل امر) اى من جهة كل امر هو معرفة جميع الاشياء ووجوداتها وذواتها وصفاتها وخواصها واحكامها واحوالها وتدبيرها وتسخيرها (سلام هى) سلامة عن جميع النقائص والعيوب (حتى مطلع الفجر) وقت طلوع فجر الشمس الطالعة من مغربها وقرب الموت فحينئذ لا تكون سلامة اى سالمة اوسلام فى نفسها لكثرة السلام عليها من الله والملائكة والناس اجمعين

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين) اى حجبوا اما عن الدين وطريق الوصول الى الحق كاهل الكتاب واما عن الحق ايضا كالمشركين (منفكين) عما هم فيه من الضلالة (حتى تأتيهم البينة) اى الحجة الواضحة الموصلة الى المطلوب وذلك ان الفرق المختلفة المحتجبة باهوائهم وضلالاتهم من اليهود والنصارى والمشركين كانوا يتخاصمون ويتعاندون ويدعى كل حزب حقية ماعليه ويدعو صاحبه اليه وينسب دينه الى الباطل ثم يتفقون على انا لا ننفك عما نحن فيه حتى يخرج النبى الموعود فى الكتابين المأمور باتباعه فيه فنتبعه ونتفق على الحق على كلمة واحدة كما عليه الآن بعينه حال هؤلاء المتعصبين من اهل المذاهب المتفرقة وانتظارهم خروج المهدى فى آخر الزمان ووعدهم على اتباعه متفقين على كلمة واحدة ولا احسب حالهم الا مثل حال اولئك اذا خرج اعاذنا الله من ذلك فحكى الله قولهم وبين انهم مانفرقوا تفرقا قويا وما اشتد اختلافهم وتعاندهم الا من بعد ماجاءتهم البينة بخروجه لان كل فرقة بل كل شخص توهم انه يوافق هواه ويصوب رأيه لاحتجابه بدينه فلما ظهر خلاف ذلك ازداد كفره وعناده واشتدت شكيمته وضغينته (رسول) بدل من البينة اى الحجة الواضحة رسول (من الله يتلوا صحفا) من الواح العقول والنفوس السماوية لاتصاله بها بتجرده (مطهرة) من دنس الطبائع وكدر العناصر ودنس المواد وتحريف العباد (فيها كتب قيمة) اى مكتوبات ثابتة ابدية مستقيمة ناطقة بالحق والعدل لا تتغير ولا تتبدل ابدا هى اصول الدين القيم (وما امروا) اى اهل الكتابين المحجوبون باهوائهم عن الدين بما امروا فيهما (الا ليعبدوا الله) لان يخصصوا العبادة بالله (مخلصين له الدين) عن شوب الباطل والالتفات الى الغير (حنفاء ويقيمون الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عن كل طريق غير موصل اليه وعن كل ماسواه ويتوصلوا اليه بالعبادات البدنية والمالية اى ماامروا بما امروا الا للالتزام باصول ثلاثة التوحيد على الاخلاص وقطع النظر عن الغير فى

الطاعة والاعراض عما سواه والقيام بالعبادات البدنية من الاعمال المزكية كالصلاة التي هي العمدة في بابها كقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والقيام بحقائق الزهد من الترك والتجريد كالزكاة التي هي اساسها وذلك بعينه دين الكتب القيمة التي يتلوها هذا الرسول فالملة الحقيقية الحنيفية واحدة من لدن آدم الى يومنا هذا وهي ملازمة التوحيد وسلوك طريق العدالة الشاملة للاصلين الآخرين فلو لم يحتجبوا باهوائهم ولم يحرفوا كتبهم ويتعصبوا بظهور نفوسهم السبعة ولم يقفوا مع شهواتهم ولم يحتجبوا بتوهماتهم وتصوراتهم بظواهر اوضاعهم وعاداتهم وامانيهم ومراداتهم عن حقائق ما في كتبهم لكان دينهم هذا الدين بعينه فالحاصل ان المحجوبين من اى الفرق كانوا هم شر البرية في نار جهنم الآثار قعر بئر الطبيعة والموحدين بالتوحيد العلمى العاملين على قانون العدالة في اكتساب الفضائل (اولئك هم خير البرية) في جنان الخلد بحسب درجاتهم من جنات الافعال والصفات واعلى درجاتهم مقام كمال الصفات الذى هو الرضا (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) اى ذلك المقام مخصوص بمن علته الخشية الربانية عند تجليه بصفة العظمة واستولت الخشية على العبد وذلك ليس هو الخوف المنافى لمقام الرضا بل هو حكم التجلى واثره في النفس وكما اثبت القدر المشترك للمحجوبين من النار دون النار الكبرى التى للاشقين اثبت القدر المشترك للموحدين من الجنة دون الجنة العليا التى للعارفين الاتقين فلذلك كان اعلى درجاتها الرضا والسلام

﴿ سورة الزلزلة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا زلزلت الارض) ارض البدن عند نزع الروح الانسانى باضطراب الروح الحيوانى (زلزالها) الذى استوجبته في تلك الحالة المؤذنة بخرابها وانتقاض بنيتها (واخرجت الارض اثقالها) اى متاعها التى هى بها ذات قدر من القوى والارواح وهيآت الاعمال والاعتقادات الراسخة في القلب جمع ثقل وهو متاع البيت (وقال الانسان مالها) اى مالها زلزلت واضطربت ما طبعها ماداؤها الانحراف المزاج ام لغلبة الاخلاط (يومئذ تحدث اخبارها) بلسان حالها (بان ربك اوحى لها) اشار اليها وامرها بالاضطراب والخراب واخراج الاثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت (يومئذ يصدر الناس) عن مراقدهم ومخارج ابدانهم الى مواقفهم ومواطن حسابهم وجزائهم (اشتاتا) متفرقين سعداء واشقياء (ليروا اعمالهم) اى جزاءها بما اثبت في صحائف نفوسهم من صورها وهيآتها (فمن يعمل) من السعداء (مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل) من الاشقياء (مثقال ذرة شرا يره) والمخصص لعموم من في فمن يعمل في الموضعين قوله اشتاتا لان خيرات الاشقياء محبطة بالكفر والاحتجاب وشرور السعداء معفوة بالايمان والتوبة وغلبة الخيرات وسلامة الفطرة

﴿ سورة والعاديات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والعاديات ضبحا) اى النفوس المجتهدة السائرة في سبيل الله التى تعدو من شدة سيرها ورياضتها وجدها في سعيها كالخيل العادية تتنفس الصعداء من برحاء الشوق (فالموريات قدحا) فتورى نارا بقداح النتائج والاشتغال بنور العقل الفعال بقدح زناد الفكر وتركيب المعلومات بالفكر (فالمغيرات صبحا) اى التى تغير ما يتعلق بها مما في ظواهرها وخارجها من الماليات ومما في بواطنها وداخلها من هيآت صفات النفوس وآثار الافعال وميول الشهوات واللذات ووساوس الوهم والخيال بنور صبح التجلى الالهى وانوار الطوالع ومبادى الوصول تركا وتجريدا (فاثرن به نقعا) بنور ذلك التجلى وصبح يوم القيامة الكبرى ونقع تراب البدن بانهماكه وتلطيفه وتحفيفه بالرياضة ومنع الحظوظ لشدة التوجه الى الحق والاقبال اليه بالعشق وانزعاج القوى في مشايعة القلب والروح عن جانب البدن واشتغالها عنه بتلقى الانوار كما يقال اثار عنه الغبار اى افناه واهلكه وجعله كالغبار في التلاشى (فوسطن به جمعا) اى بذلك الصبح

(ونوره)

ونوره جمع عين الذات فاستغرقن فيه اى لطفن كثافة تراب البدن حتى يصير كالنقع فى اللطافة فوسطن بذلك النقع جمع الذات فان الوصول انما يكون بالابدان كمعراجه عليه السلام فانه كان بالبدن اى العاملات العاملات التاركات المجردات بنور التجلى المنهكات للابدان بالرياضة فالواصلات (ان الانسان لربه لكنود) اقسم بحرمة الشاكرين لانعمه الواصلين اليه بتوصلها على ان الانسان لكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغى ليتوصل بها اليه (وانه على ذلك لشهيد) لعلمه باحتجابه وشهادة عقله ونور فطرته انه لايقوم بحقوق نعم الله ويقصر فى جنب الله بكفرانه (وانه لحب الخير لشديد) اى وانه لحب المال لقوى اولاجل حب المال بخيل فلذلك يحتجب به غارزا رأسه فى تحصيله وحفظه وجمعه ومنعه مشغولا به عن الحق معرضا عن جنابه اوانه لحب الخير الموصل الى الحق منقبض غير هش منبسط (افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور) اى ابعد هذا الاحتجاب ومخالفة العقل لايعلم بنور فطرته وقوة عقله (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) عالم باسرارهم وضمائرهم واعمالهم وظواهرهم فيجازيهم على حسبها اذا بعثر اى بعث مافى قبور ابدانهم من النفوس والارواح وحصل مافى صدورهم اى اظهر مافى قلوبهم من هيآت اعمالهم وصفاتهم واسرارهم ونياتهم المكتومة فيها

﴿ سورة القارعة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش) الداهية التى تقرع الناس وتهلكهم وهى اما القيامة الكبرى او الصغرى فان كانت الكبرى فمعناها الحالة التى تفنى المقروع من تجلى الذات الاحدية وافناء البشرية بالكلية وهى حالة لايعرف كنهها ولايقدر قدرها تقرعهم يوم يكون الناس كالفراش اى يكونون فى ذلك الشهود فى الذلة وتفرق الوجهة كالفراش المنتشر واحقر واذل لانه لاقدر ولاوقع لهم فى عين الموحد كقوله لن يكمل ايمان المرء حتى يكون الناس عنده كالاباعر وكالفراش (المبثوث) اذا احترق وانبث بالنار لنظره اليهم بعين الفناء (وتكون الجبال) اى الاكوان ومراتب الوجود على اختلاف اصنافها وانواعها (كالعهن المنفوش) لصيرورتها هباء منبثا وانتفاعها وتلاشيها بالتجلى وان كان المراد بالناس المقروعين من اهل الكبرى فمعناها كالفراش المبثوث المحترق بنور التجلى المتلاشى لاغير وتكون الجبال اى ذواتهم وصفاتهم مع اختلاف مراتبها والوانها كالعهن المنفوش فى التلاشى الان قوله فامامن ثقلت موازينه واما من خفت موازينه لايساعده لانتفاء التفصيل هناك واعلم ان ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق اذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل وهبوطها وانحطاطها هو الخفة لان ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة اى المعتبرة الراجحة عند الله التى لها قدر ووزن عنده هى الباقيات الصالحات ولاثقل ارجح من البقاء الابدى والخفيفة التى لاوزن لها ولاقدر ولااعتبار عند الله هى الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات ولاخفة اخف من الفناء الصرف (فامامن ثقلت موازينه) بان كانت من العلوم الحقيقية والفضائل النفسانية والكمالات القلبية والروحانية (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا اى حياة حقيقية فى جنان الصفات فوق جنان الافعال (واما من خفت موازينه) بان كانت من الاعمال السيئة والرذائل النفسانية (فامه هاوية) اى مأواه قعر بئر جهنم الطبيعة الجسمانية التى تهوى فيها اهلها (وما ادراك ماهيه) حقيقتها وكنه حالها انها (نار) آثارية (حامية) بالغة الى نهاية الاحراق ويكون معنى امه هاوية انه هالك وما ادراك ما الداهية التى يهلك بها نار حامية وان كانوا من اهل الصغرى فمعناها الحالة التى تقرع الناس بشدتها وهى الموت يوم يكون الناس بفراقهم عن الابدان وانبعاثهم من مراقدها وقصدهم الى ضوء عالم النور وذلتهم وخشوعهم وتفرق مقاصدهم وتحيرهم بحسب تفرق عقائدهم واهوائهم كالفراش المبثوث وتكون جبال الاعضاء فى اختلاف الوانها واصنافها وتفرق اجزائها وتفتتها وصيرورتها هباء كالعهن المنفوش والباقى بحاله كما ذكر والله اعلم

(سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الهاكم التكاثر) اى شغلتكم اللذات الحسية والخيالية الفانية من نعيم الحياة الدنيا التى احتجبتم بها وحبستم كا لكم فيها واذهبتم طيباتكم من نور الاستعداد وصفاء الفطرة والعقل والمعقولات فيها عن اللذات العقلية والكمالات المعنوية الباقيه من نعيم الآخرة وذهب بكم المفاخرة والمباهاة بهذه الامور الفانية من كثرة الاموال والاولاد وشرف الآباء والاجداد كل مذهب (حتى زرتم المقابر) ما اكتفيتم بالموجودات منها وارتكبتم المفاخرة بالمعدومات السالفة من العظام البالية لشدة الحجاب وغلبة لذة الخيال وسلطنة شيطان الوهم اوحتى متم وافنيتم عمركم فيها وماتنبهتم طول عمركم على ما هو سبب نجاتكم (كلا) ردع عن الاشتغال بها وتنبيه على وخامة عاقبتها (سوف تعلمون) عند خراب الابدان وكشف غطاء الاكوان حين لاينفعكم العلم لانعدام الاسباب والآلات التى يمكن بها الاستكمال بالموت وخامة عاقبة الاشتغال بهذه الحسيات والوهميات الشريعة الزوال العظيمة الوبال لبقاء تبعاتها وتعذبكم بهيآتها واستيلاء نار آثارها (ثم كلا سوف تعلمون) تكرار الوعيد (كلا لوتعلمون علم اليقين) اى لوذقتم اللذات الحقيقية من العلوم اليقينية والادراكات النورية المستعلية على هذه الحسيات والخياليات الفانية لكان مالايدخل تحت الوصف من الندم والتحسر على فوات العمر العزيز فيها والذهول عنها (لترون الجحيم) اى والله لترون بسبب احتجابكم بهذه المحسوسات نار جحيم الطبيعة الآثارية (ثم لترونها عين اليقين) اتذوقنها عيانا يقينيا بالذوق والوجدان فوق العلم (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) اى شئ هو الدنيوى ولذاته الفانية الذى هذه عاقبته ومآله وتبعته ام الاخروى الباقى ابدا على حاله الذى كنتم تكرونه ويجوز ان يكون قوله لترون الجحيم سادا مسد جواب اولان القسم والشرط اذا اجتمعا اتحد جوابهما معنى وخص بالقسم لفظا سادا مسد جواب الشرط كقوله وان اطعتموهم انكم لمشركون اى والله لوعلمتم علم اليقين ووصلتم الى مرتبته لرايتم نار جحيم الطبيعة المحسوسة بالمحجوبين بهذه الرذائل من الانغماس فى الشهوات واللذات الوهمية والخيالية والكمالات الحسية والبدنية التى غرزتم رؤسكم فيها وتهالكتم عليها فانتهيتم منها الانتهاء البالغ ثم ما وقفتم على مرتبة العلم اليقينى اوجدانكم ذوقه ومعرفتكم لذته وبقاءه وحسنه وشرفه وبهاءه وبقاء تبعة ما انتم الآن فيه وفنائه وقبحه وحسنه ووباله فترقيتم الى رتبة العيان والمشاهدة فعاينتم الحقائق على ماهى عليه من الانوار القدسية والصفات الالهية فشاهدتم بنور العيان حقيقة الجحيم ووبال هذه اللذات ومالها من الاهيآت وعذاب النيران والحرمان ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اى شئ هو اهذا الذى انتم الآن فيه من النعيم الاخروى ام ذاك النعيم الدنيوى اولو تعلمون العلم اليقينى ايها المحجوبون بهذه الزخارف والخرافات لترون الجحيم من شدة الشوق واستيلاء نار العشق ثم لترون بذلك الشوق الى رتبة عين اليقين والمشاهدة فترون حقيقة نار العشق عيانا ثم لتسئلن بعد هذا الذوق عن النعيم الذى هو حق اليقين ماهو اى ثم لتجدن ذوق الوصول واثر مرتبة حق اليقين فيمكنكم الاخبار عنها والله تعالى اعلم

﴿سورة والعصر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر ان الانسان لفى خسر) اقسم بالعصر اى بامتداد بقاء الزمان ومافيه ومايحدث معه بمبدعه وعلته الذى هو الدهر الناس يضيفون تغيرات الامور والاحوال اليه ويجعلونه مؤثرا فيه كقولهم ومايهلكنا الا الدهر والمؤثر بالحقيقة هو الله تعالى كما قال عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر تعظيما له لظهوره تعالى بصفته وافعاله فى مظاهره على ان المحجوب به عنه فى خسر وهو الانسان لخسارته براس ماله الذى هو نور الفطرة والهداية الاصلية من الاستعداد الازلى باختيار الحياة الدنيا واللذات الدانية والاحتجاب بها وبالدهر واضاعة الباقى فى الفانى (الا الذين آمنوا) بالله الايمان العلمى اليقينى

(وعرفوا)

وعرفوا ان لامؤثر الاالله وبرزوا عن حجاب الدهر (وعملوا الصالحات) الباقيات من الفضائل والخيرات اى اكتسبوها فربحوا بزيادة النور الكمالى على النور الاستعدادى الذى هو رأس مالهم (وتواصوا بالحق) اى الثابت الدائم الباقى على حاله ابدا من التوحيد والعدل اى التوحيد الذاتى والوصفى والفعلى فانه الحق الثابت فحسب (وتواصوا بالصبر) معه وعليه عن كل ماسواه بالتمكين والاستقامة فان الوصول الى الحق سهل واما البقاء عليه والصبر معه بالاستقامة فى العبودية فأعز من الكبريت الاحمر والغراب الابيض فالمحوى ان نوع الانسان فى خسر الا الكاملين فى العلم والعمل المكملين بهما ويجوز ان يؤخذ العصر بمعنى المصدر من عصره يعصره اى وعصر الله الانسان بالبلاء والمجاهدة والرياضة حتى تصفو نقاوته ان الانسان الباقى مع الثقل الواقف مع حجاب البشرية فى خسر الا الذين اتصفوا بالعلم والعمل وتواصوا بالحق الثابت الذى هو الاعتقاد اليقينى اللازم للصفاوة الباقية بعد ذهاب الثقل وتواصوا بالصبر على العصر والانعصار بالبلاء والرياضة ولهذا قال عليه السلام البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال البلاء سوط من سياط الله يسوق به عباده اليه

﴿ سورة الهمزة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل لكل همزة لمزة) اى الذى تعود بالرذيلتين وضرى بهما فان هذه الصيغة للعادة والهمز اى الكسر من اعراض الناس واللمز اى الطعن فيهم رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لانهما يتضمنان الايذاء وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريد ان يتفضل على الناس ولايجد فى نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة اليهم ليظهر فضله عليهم ولايشعر ان ذلك عين الرذيلة وان عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتى القوة النطقية والغضبية ثم ابدل منه الوصف برذيلة القوة الشهوانية بقوله (الذى جمع مالا وعدده) وفى عدده اشارة ايضا الى الجهل لان الذى جعل المال عدة للنوائب لايعلم ان نفس ذلك المال يجر اليه النوائب لاقتضاء حكمة الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها وكذا فى قوله (يحسب ان ماله اخلده) اى لايشعر ان المقتنيات المخلدة لصاحبها هى العلوم والفضائل النفسانية الباقية لا العروض والذخائر الجسمانية الفانية ولكنه مخدوع بطول الامل مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الاجل والحاصل ان الجهل الذى هو رذيلة القوة الملكية اصل جميع الرذائل ومستلزم لها فلا جرم انه يستحق صاحبها المغمور فيها العذاب الابدى المستولى على القلب المبطل لجوهره (كلا) ردع عن حسبان وقوع الممتنع (لينبذن فى الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة) اى ليسقطن عن مرتبة فطرته الى رتبة الطبيعة الغالبة وهى الحطمة التى عادتها كسر كل ماوقع فى رتبتها باستيلاء قوتها عليه وهى النار الروحانية المنافية لجوهر القلب المؤلمة له ايلاما لايوصف كنهه المستعلية عليه النافذة فى اشرف وجهه وباطنه واعلاه الذى هو الفؤاد المتصل بالروح (انها عليهم مؤصدة) اى مطبقة مغلقة الابواب لاحتجاب القلب فى محلها بالمواد الجسمانية واستحكام الهيآت المظلمة واللواحق الهيولانية والصور البهيمية والسبعية والشيطانية فيه وامتناع تخلصه منها الى عالم القدس (فى عمد ممددة) من محيط فلك القمر الى المركز وهى الطبائع العنصرية التى صار مربوطا بها بالتعلق وسلاسل الميل والمحبة والله اعلم

﴿ سورة الفيل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قصة اصحاب الفيل مشهورة وواقعتهم كانت قريبة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى احدى ايات قدرة الله واثر من سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمه والهام الطيور والوحوش اقرب من الهام الانسان لكون نفوسهم ساذجة وتأثير الاحجار بخاصية اودعها

الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف لمية امثال هذه وقد وقع فى زماننا مثلها من استيلاء الفأر على مدينة ابيورد وافساد زروعهم ورجوعها فى البرية الى شط جيحون واخذ كل واحدة منها خشبة من الايكة التى على شط نهرها وركوبها عليها وعبورها بها من النهر وهى لاتقبل التأويل كأحوال القيامة وامثالها واما التطبيق فاعلم ان ابرهة النفس الحبشية لما قصد تخريب كعبة القلب الذى هو بيت الله بالحقيقة والاستيلاء عليها واراد ان يصرف حجاج القوى الروحانية الى قلس الطبيعة الجسمانية التى بناها واراد تعظيمها فخرأ فيها قرشى العاقلة العملية بالقاء فضلة الغذاء العقلى فيها من صور التأديب المخصوص بالامور الطبيعية كالعادات الجميلة والآداب المحمودة اوقع فيها شرارا من نار الشوق التى اوقدها عير قريش القوى الروحانية فأحرقها بالرياضة فساق جنوده وعبى جيوشه من جنس القوى النفسانية وصفاتها الظلمانية بالطبع كالغضب والشهوة وامثال ذلك وقدم فيل شيطان الوهم الذى لاينهزم عن جنود العقل ويعارضه فى الحرب والشيطان اكثر مايتشكل يكون بصورة الفيل كارآه معاذ فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال عليه السلام الشيطان لضيع خرطومه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس (الم يجعل كيدهم فى تضليل) جعل الله كيدهم فى تضييع (وارسل عليهم طيرا) طيور الافكار والاذكار بيضاء منورة بنور الروح (ابابيل) اى خرابق جماعات كصور القياسات وكثرة الاذكار (ترميهم بحجارة من سجيل) اى رياضة مما سجل وخص بكل واحد منهم كتب على كل واحد منها اسم المرمى بها بقلم الشرع والعقل وعين ان هذه الرياضة من جرة للقوة الفلانية مهلكة لها كالانقهار والتسخر للغضب والصوم للشهوة والضعة للتكبر والذلة للتجبر وامثال ذلك (فجعلهم) هلكى هامدة لاحراك بها (كعصف مأكول) اى كقوى نباتية اميتت وذهب قوتها وحاجيتها ووقفت عن فعلها لضعفها بالرياضة والله اعلم

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

(لايلاف قريش ايلافهم) القوى الروحانية وايقاع مؤالفتها وموافقتها ومسالمتها فى اكتساب الفضائل واتحادها فى التوجه نحو الكمال فى الرحلتين (رحلة الشتاء والصيف) وبعد شمس الروح عن سمت رؤسهم والاوى الى غور البدن وترتيب مصالح المعاش واصلاح احوال البدن والقيام بضرورياته وعمارته ورحلة صيف قرب تلك الشمس من سمت رؤسهم والرقى الى انجاد عالم القدس والتلقى لروح اليقين (فليعبدوا رب هذا البيت) بالتوحيد وتخصيص العبادة به والتوجه نحوه بعد معرفته (الذى اطعمهم) اطعمة المعانى اليقينية والمعارف الحقيقية والحقائق الالهية (من جوع) داعية الاستعداد وتقاضى الفطرة فى سنة الجهل البسيط (وآمنهم من خوف) استيلاء حبشة القوى النفسانية وتخطفهم اياهم ومنعهم عن الانقياد والسعى فى تخريب الديار والاسر عن الاختيار والاستئصال بالدمار والبوار والله الموفق والسورتان كانتا فى مصحف ابى سورة واحدة وبعض كبار الصحابة قراهما فى ثانية المغرب معا والسلام

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(ارايت الذى يكذب بالدين) اى هل عرفت الجاهل المحجوب عن الجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك) هو المرتكب جميع اصناف الرذائل المنهمك فيها لان الجهل والاحتجاب الذى هو رذيلة القوة النطقية اصل جميعها (الذى يدع اليتيم) يؤذى الضعيف ويدفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية وافراطها (ولا يحض) اهله (على طعام المسكين) ويمنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمية ومحبة المال واستحكام رذيلة البخل فى نفسه (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) اى للمؤمنين بهذه الصفات الذين ان صلوا غفلوا عن صلاتهم لاحتجابهم عن حقيقتها بجهلهم وعدم حضورهم والمصلين من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بأن اشرف افعالهم وصور حسناتهم سيئات وذنوب

(لعدم)

لعدم ماهى به معتبرة من الحضور والاخلاص واورد على صيغة الجمع لان المراد بالذى يكذب هو الجنس (الذين هم يراؤن) لاحتجابهم بالخلق عن الحق (ويمنعون الماعون) الذين يعان به الخلق ويصرف فى معونتهم من الاموال والامتعة وكل ماينتفع به لكون الحجاب حاكما عليهم بالاستئثار بالمنافع وحرمانهم عن النظر التوحيدى واحتجابهم بالمطالب الجزئية عن الكلية وعدم اعتمادهم بالجزاء فلا محبة لهم للحق للركون الى عالم التضاد والهبوط الى طبيعة الكون والفساد والاحتجاب عن حقيقة الاتحاد ولا عدالة فى انفسهم للاتصاف بالرذائل والبعد عن الفضائل ولاخوف ولا رجاء لغفلتهم عن الكمال والجهل بالمعاد فلا يعاونون احدا فلن يفلحوا ابدا والله اعلم

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا اعطيناك الكوثر) اى معرفة الكثرة بالوحدة وعلم التوحيد التفصيلى وشهود الوحدة فى عين الكثرة بتجلى الواحد الكثير والكثير الواحد وهو نهر فى الجنة من شرب منه لم يظمأ ابدا (فصل لربك) اى اذا شاهدت الواحد فى عين الكثرة فصل بالاستقامة الصلاة التامة بشهود الروح وحضور القلب وانقياد النفس وطاعة البدن بالتقلب فى هيا كل العبادات فانها الصلاة الكاملة الوافية بحقوق الجمع والتفصيل (وانحر) بدنة انائيتك لئلا تظهر فى شهودك بالتلوين ونسلبك مقام التمكين وكن مع الحق بالفناء الصرف باقيا ببقائه ابدا فلا تكون ابتر فى وصولك وحالك واتصال امتك الذين هم ذريتك بك (ان شانئك) مبغضك الذى على خلاف حالك المقطع عن الحق (هو الابتر) لا انت فانك الباقى ببقائه الدائم المتصل بك ذرياتك الحقيقية من اهل الايمان ابد الآبدين المذكور فيهم دهر الداهرين وهو الفانى بالحقيقة الهالك الذى لايوجد ولايذكر ولاينسب اليه ولد حقيقة والله اعلم

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل يا ايها الكافرون) الذى ستروا نور استعدادهم الاصلى بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة فحجبوا عن الحق بالغير (لا اعبد) ابدا وانا شاهد للحق بالشهود الذاتى (ما تعبدون) من الآلهة المجعولة بهواكم المصورة بخيالكم والممثلة المعينة بعقولكم لمكان حجابكم (ولا انتم عابدون) ابدا وانتم انتم اى على حالكم وما انتم عليه من احتجابكم (ما اعبد) لامتناع معرفة الحق من الذين طبع على قلوبهم بالرين (ولا انا) قط (عابد) فى الزمان الماضى قبل الكمال والوصول التام بحسب الاستعداد الاول والفطرة الاولى اى الذات المجردة وحدها (ما عبدتم) فيه بحسب استعداداتكم الاولية قبل الاحتجاب والرين لكمال استعدادى فى الازل وتوجهه الى الحق فى الفطرة ونقصان استعداداتكم ازلا (ولا انتم عابدون) بحسب ذلك الاستعداد (ما اعبد) اى ولا يمكنكم عبادة معبودى بحسب الفطرة لنقصها الذاتى والحاصل ان عبادتى معبودكم وعبادتكم معبودى على الحال التى نحن فيها من الاستعداد الثانى الذى هو كمالى واحتجابكم كلا هما محال فى الحال والاستقبال وكذا قبل هذا الاستعداد حال الاستعداد الاولى ايضا بحسب الذوات والاعيان انفسها كان غير ممكن فى الازل لوفور استعدادى وقصور استعداداتكم ومعناه سلب الامكان الاستقبالى والوصفى والذاتى والازلى ليفيد ضرورة السلب الازلية (لكم دينكم) من عبادة معبوداتكم (ولى دين) من عبادة معبودى اى لما لم يكن الوفاق بيننا تركتكم ودينكم فاتركونى ودينى والله اعلم

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذاجاءنصرالله) اى المدد الملكوت والتأييد القدسى بتجليات الاسماء والصفات (والفتح) المطلق الذى لافتح وراءه وهوفتح باب الحضرةالاحدية والكشف الذاتى بعد الفتح المبين فى مقام الروح بالمشاهدة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله) اى التوحيد والسلوك على الصراط المستقيم بتأثير نورك فيهم عندفراغك من تكميل نفسك (افواجا) مجتمعين كأنهم نفس واحدة تستفيض من فيض ذاتك قائمة مقام نفسك وهم المستعدون الذين كانت بين نفسه عليه السلام وانفسهم علاقة مناسبة ورابطة جنسية توجب اتصالهم به بقبول فيضه (فسبح) اى نزه ذاتك من الاحتجاب بمقام القلب الذى هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقى الى مقام حق اليقين الذى هو معدن الولاية (بحمد ربك) اى حامداله باظهار كمالاته واوصافه التامة عندالتجريد بالحمد الفعلى (واستغفره) واطلب ستره ذاتك بذاته كما كان حال الفناء قبل الرجوع الى الخلق ابدا (انه كان توابا) فابلا الرجوع من رجع اليه بافنائه بنوره ولما كمل الدين واستقرت دعوته التى كانت بعثته لاجلها امره بالرجوع الى مقام حق اليقين الذى لايستقر الابعد الموت ولذلك لما نزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم استبشر الاصحاب وبكى ابن عباس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مايبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال عليه السلام لقداوتى هذاالغلام علما كثيرا وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاءالله فعلم ابوبكر رضى الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه انه دعا فاطمة عليها السلام فقال يابنتاه نعيت الى نفسى فبكت قال لاتبكى فانك اول اهلى لحوقا بى فضحكت وتسمى هذه سورة التوديع وروى انه عاش بعدهاسنتين ونزلت فى حجة الوداع

سورة تبت

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبت يدا ابى لهب وتب) اى هلك ماهو سبب عمله الخبيث الذى استحق به الجحيم الملازم لنار الهلاك وهلك ذاته الخبيثة لاستحقاقها بحسب استعدادها اى استحق النار بذاته وبوصفه نارا على نار ولذلك ذكره بكنيته الدالة على لزومه اياها (ماأغنى عنه ماله وما كسب) اى مانفعه ماله الاصلى من العلم الاستعدادى الفطرى ولامكسوبه لعدم مطابقة اعتقاده لما فى نفس الامر وكلاهما متعاونان فى تعذيبه وما يجدى له احدهما (سيصلى نارا) عظيمة لاحتجابه بالشرك (ذات لهب) زائد على اصله لخبث اعماله وهيآتها فيصلى بالاعتقاد الفاسد والعمل السيئ هو (وامرأته) متقارنين فيها (حمالة الحطب) اى التى تحمل اوزار آثامها وهيآت اعمالها الخبيثة التى هى وقود نارجهنم وحطبها (فى جيدها حبل من مسد) قوى مماسداى فتل فتلا قويامن سلاسل النار لمحبتها الرذائل والفواحش فربطت هيآتها وآثامها بذلك الحبل الى عنقها تعذيبا لها بما يجانس خطاياها والله اعلم

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله احد) قل امر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل هو عبارة عن الحقيقة الاحدية الصرفة اى الذات من حيث هى بلا اعتبار صفة لايعرفها الا هو والله بدل منه وهو اسم الذات مع جميع الصفات دل بالابدال على ان صفاته تعالى ليست بزائدة على ذاته بل هى عين الذات لافرق الا بالاعتبار العقلى ولهذا سميت سورة الاخلاص لان الاخلاص تمحيص الحقيقة الاحدية عن شائبة الكثرة كما قال امير المؤمنين عليه السلام كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة واياه عنى من قال صفاته تعالى لاهو ولاغيره اى لاهو باعتبار العقل ولاغيره بحسب الحقيقة واحد خبر المبتدا والفرق بين الاحد والواحد ان الاحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها اى الحقيقة المحضة التى هى منبع العين

الكافورى بل العين الكافورى نفسه وهو الوجود من حيث هو وجود بلاقيد عموم وخصوص وشرط عروض والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهى الحضرة الاسمائية لكون الاسم هو الذات مع الصفة فعبر عن الحقيقة المحضة الغير المعلومة الالهية هو وابدل عنها الذات مع جميع الصفات دلالة على انها عين الذات وحدها فى الحقيقة واخبر عنها بالاحدية ليدل على ان الكثرة الاعتبارية ليست بشئ فى الحقيقة وما ابطلت احديته وما اثرت فى وحدته بل الحضرة الواحدية هى بعينها الحضرة الاحدية بحسب الحقيقة كتوهم القطرات فى البحر مثلا (الله الصمد) اى الذات فى الحضرة الواحدية بحسب اعتبار الاسماء هو السند المطلق لكل الاشياء لافتقار كل ممكن اليه وكونه به فهو الغنى المطلق المحتاج اليه كل شئ كما قال والله الغنى وانتم الفقراء ولما كان كل ما سواه موجودا بوجوده ليس بشئ فى نفسه لان الامكان اللازم للماهية لايقتضى الوجود فلا يجانسه ولا يماثله شئ فى الوجود (لم يلد) اذ معلولاته ليست موجودة معه بل به فهى به هى وبنفسها ليست شيأ (ولم يولد) لصمديته المطلقة فلم يكن محتاجا فى الوجود الى شئ ولما كانت هويته الاحدية غير قابلة للكثرة و الانقسام ولم يكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها اذ ما عدا الوجود المطلق ليس الا العدم المحض فلا يكافئه احد (ولم يكن له كفوًا احد) اذ لا يكافئ العدم الصرف الوجود المحض ولهذا سميت سورة الاساس اذ اساس الدين على التوحيد بل اساس الوجود وعن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اى هو مبنى صمديته

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعوذ برب الفلق) اى التجئ الى الاسم الهادى والوذ به بالاتصاف به والاتصال بروح القدس فى الحضرة الاسمائية لان الفلق هو نور الصبح المقدم على طلوع الشمس اى برب نور صبح تجلى الصفات الذى هو مقدمة طلوع نور الذات ورب نور صبح الصفات هو الاسم الهادى وكذا معنى كل مستعيذ بربه من شر شئ فانه يستعيذ بالاسم المخصوص بذلك الشئ كاستعاذة المريض مثلا بربه فانه يستعيذ بالشافى وكاستعاذة الجاهل من جهله بالعليم (من شر ما خلق) اى من شر الاحتجاب بالخلق وتأثيرهم فيه فان من اتصل بعالم القدس فى حضرة الاسماء واتصف بصفاته تعالى اثر فى كل مخلوق ولم يتأثر من احد لانهم فى عالم الآثار ومقام الافعال وقد ارتقى هو عن مقام الافعال الى مباديها من الصفات (ومن شر غاسق اذا وقب) اى من شر الاحتجاب بالبدن المظلم اذا دخل ظلامه كل شئ واستولى واثر بتغيرات احواله وانحراف مزاجه فى القلب لمحبة القلب له وميله اليه وانجذابه نحوه (ومن شر النفاثات فى العقد) اى القوى النفسانية من الوهم والتخيل والغضب والشهوة ونحوها التى تنفث فى عقد عزائم السالكين بابطالها بالدواعى الشيطانية وحلها ونكثها بالوساوس والهواجس (ومن شر حاسد اذا حسد) اى النفس اذا حسدت تنور القلب فانمحلت صفاته ومعارفه باستراق السمع فطغت وظهرت عليه وحجبته وذلك هو التلوين فى مقام القلب ويجوز ان يكون الغاسق هو النفس المستولية الحاجبة بظلمة صفاتها للقلب والحاسد هو القلب اذا ظهر فى مقام الشهود فان تلوين مقام الشهود بوجود القلب كما ان تلوين مقام القلب بوجود النفس وتخصيص هذه البلايا بالاستعاذة منها بعد الاستعاذة من المخلوقات عموما انما كان لان اكثر الاحتجاب منها دون ماعداها من المخلوقات عموما لاتصالها به وتعلقه بها والله تعالى اعلم

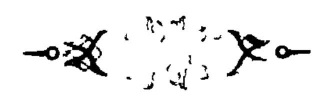
سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعوذ برب الناس) رب الناس هو الذات مع جميع الصفات لان الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه الذى اوجده وافاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الاسماء بحسب البداية المعبر عنه بالله

ولهذا قال تعالى مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى بالمتقابلين من الصفات كاللطف والقهر والجمال والجلال الشاملين لجميعها تعوذ بوجهه بعدما تعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه السورة عن المعوذة الاولى اذفيها تعوذ فى مقام الصفات باسمه الهدى فهداه الى ذاته (ملك الناس) ثم بين رب الناس بملك الناس على انه عطف بيان لان الملك هو الذى يملك رقابهم وامورهم باعتبار حال فنائهم فيه من قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالملك بالحقيقة هو الواحد القهار الذى قهر كل شئ بظهوره ثم عطف عليه (اله الناس) لبيان حال بقائهم بعد الفناء لان الاله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات باعتبار النهاية استعاذ بحجابه المطلق ففنى فيه فظهر كونه ملكا ثم رده الى الوجود لمقام العبودية فكان معبودا دائما فتم استعاذته به (من شر الوسواس الخناس) لان الوسوسة تقتضى محلا وجوديا كما قال (الذى يوسوس فى صدور الناس) ولاوجود فى حال الفناء فلاصدور ولاوسواس ولاموسوس بل ان ظهر هنالك تلوين بوجود الانائية فقال اعوذبك منك فلما صار معبودا بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما كان اولا موجودا بوجوده والوسواس اسم للوسوسة سمى به الموسوس لدوام وسوسته كان نفسه وسواس وانما استعاذ منه بالاله دون بعض اسمائه كما فى السورة الاولى لان الشيطان هو الذى يقابل الرحمن ويستولى على الصورة الجمعية الانسانية ويظهر فى صور جميع الاسماء ويتمل بها الا بالله فلم تكف الاستعاذة منه بالهادى والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى (الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس اى الرجاع لانه لا يوسوس الامع الغفلة وكلما تنبه العبد وذكر الله خنس فالخنوس عادة له كالوسواس عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه قوله (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس فان الموسوس من الشياطين جنسان جنى غير محسوس كالوهم وانسى محسوس كالمضلين من افراد الانسان اما فى صورة الهادى كقوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين واما فى صوره غيره من صور الاسماء فلا يتم ايضا الاستعاذة منه الا بالله والله العاصم

تم تفسير الشيخ الاكبر نفعنا الله بعلومه آمين



فهرست الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم للامام على بن محمد المعروف بالخازن

صحيفه

٢ (تفسير سورة يس عليه الصلاة والسلام)

٣ ذكر قصة بعث سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الرسل الى اهل انطاكية

١٢ (تفسير سورة والصافات)

١٩ ذكر الاشارة الى قصة الذبح

٢١ ذكر الاشارة الى قصة بعث الله تعالى سيدنا الياس عليه الصلاة والسلام نبيا الى بنى اسرائيل

٢٩ (تفسير سورة ص)

٣١ فصل فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام

٣٢ فصل اختلف العلماء فى سجدة ص

٤٢ فصل فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم اتانى ربى فى احسن صورة الخ

٤٤ (تفسير سورة الزمر)

٥٤ فصل ذكر احاديث تتعلق بقوله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم الخ

٥٨ (تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر)

٦٦ فصل فى ذكر الدجال

٧٠ (تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح)

٧٧ فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة

٧٩ تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى

٨٤ فصل فى ذكر التوبة وحكمها

٨٩ (تفسير سورة الزخرف)

٩٨ (تفسير سورة الدخان)

١٠١ ذكر قصة تبع على ماذكره ابن اسحق الخ

١٠٣ (تفسير سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة)

١٠٧ (تفسير سورة الاحقاف)

١١٤ فصل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه واصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة

صحيفه

١١٤ ذكر القصة فى ذلك (اى قوله تعالى واذصرفنا اليك نفرا من الجن الخ)

١١٨ (تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

١٢٤ فصل فى حكم الآية (يعنى قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الخ)

١٣١ (تفسير سورة الفتح)

١٤١ ذكر غزوة خيبر

١٥٣ ذكر صلح الحديبية

١٥٣ فصل فى فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٥٣ (تفسير سورة الحجرات)

١٦٠ فصل فى حكم قتال البغاة

١٦٦ (تفسير سورة ق)

١٦٩ فصل فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد الخ

١٧١ (تفسير سورة الذاريات)

١٧٢ فصل هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان الخ (وهو قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا الخ)

١٧٦ (تفسير سورة الطور)

١٨١ (تفسير سورة النجم)

١٨٤ فصل من كلام الشيخ محيى الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى وهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء

١٨٩ فصل فى بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة

١٩٤ (تفسير سورة القمر)

١٩٨ فصل فى سبب نزول الآية (اى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر) وماورد فى

صحيفه

القدر وما قيل فيه

٢٠١ (تفسير سورة الرحمن علا وعزوجل)
٢٠٩ (تفسير سورة الواقعة)
٢٢٠ (تفسير سورة الحديد)
٢٣٠ (تفسير سورة المجادلة)
٢٣٣ فصل فى احكام الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسائل
٢٤٠ (تفسير سورة الحشر)
٢٥٣ (تفسير سورة الممتحنة)
٢٦٠ (تفسير سورة الصف)
٢٦٣ (تفسير سورة الجمعة)
٢٦٥ فصل فى فضل الجمعة واحكامها واثم تاركها
٢٦٩ ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام (اى احكام الجمعة والخطبة)
٢٧٠ (تفسير سورة المنافقين)
٢٧١ ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية (اى قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الخ)
٢٧٤ (تفسير سورة التغابن)
٢٧٧ (تفسير سورة الطلاق)
٢٧٩ فصل اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة الخ
٢٨١ فصل فى حكم قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم
٢٨٣ (تفسير سورة التحريم)
٢٨٥ فصل اختلف العلماء فى لفظ التحريم الخ
٢٨٨ فصل وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور الخ
٢٩٠ (تفسير سورة الملك)
٢٩٣ (تفسير سورة ن)
٢٩٥ فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

صحيفه

٣٠٠ فصل فى شرح الفاظ حديث رؤية المؤمنين ربهم عزوجل يوم القيامة
٣٠٤ (تفسير سورة الحاقة)
٣٠٩ (تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج)
٣١٢ (تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام)
٣١٦ (تفسير سورة الجن)
فصل اختلاف الرواة هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن الخ
٣٢٢ (تفسير سورة المزمل عليه الصلاة والسلام)
٣٢٣ فصل عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٢٨ (تفسير سورة المدثر عليه الصلاة والسلام)
٣٣٤ (تفسير سورة القيامة)
٣٣٩ فصل فى اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى فى الآخرة
٣٤٢ (تفسير سورة هل اتى وتسمى سورة الانسان ايضا)
٣٤٧ (تفسير سورة المرسلات)
٣٥٠ تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل)
٣٥٤ (تفسير سورة النازعات)
٣٥٧ (تفسير سورة عبس)
٣٦٠ (تفسير سورة التكوير)
٣٦٢ (تفسير سورة الانفطار)
٣٦٤ (تفسير سورة المطففين)
٣٦٨ (تفسير سورة الانشقاق)
٣٦٩ (تفسير سورة البروج)
٣٧٣ (تفسير سورة الطارق)
٣٧٥ (تفسير سورة الاعلى)
٣٧٧ (تفسير سورة الغاشية)
٣٧٨ (تفسير سورة الفجر)
٣٧٩ (تفسير سورة البلد)

صحيفه

٣٨٤ (تفسير سورة الشمس)
٣٨٩ (تفسير سورة والليل)
٣٩٢ (تفسير سورة والضحى)
٣٩٥ (تفسير سورة الم نشرح)
٣٩٧ (تفسير سورة والتين)
٤٠٠ تفسير سورة العلق)
٤٠٢ (تفسير سورة القدر)
٤٠٦ (تفسير سورة البينة)
٤٠٩ (تفسير سورة الزلزلة)
٤١١ (تفسير سورة العاديات)
٤١٢ (تفسير سورة القارعة)
٤١٣ (تفسير سورة التكاثر)

صحيفه

٤١٥ (تفسير سورة العصر)
٤١٦ (تفسير سورة الهمزة)
٤١٧ (تفسير سورة الفيل)
٤٢١ (تفسير سورة قريش)
٤٢٤ (تفسير سورة الماعون)
٤٢٥ (تفسير سورة الكوثر)
٤٣٠ (تفسير سورة قل يا ايها الكافرون)
٤٣١ (تفسير سورة النصر)
٤٣٨ (تفسير سورة ابي لهب)
٤٣٩ (تفسير سورة الاخلاص)
٤٤١ (تفسير سورة الفلق)
٤٤٥ (تفسير سورة الناس)

فهرست تفسير الشيخ الاكبر

٢ سورة يس
١٤ سورة الصافات
٢٨ سورة ص
٥٧ سورة الزمر
٨٢ سورة المؤمن وهي غافر
١٥١ سورة السجدة
١٢١ سورة حم عسق
١٣٥ سورة الزخرف
١٥٧ سورة الدخان
١٧١ سورة حم الجاثية
١٨٢ سورة حم الاحقاف
٢٠٠ سورة محمد صلى الله عليه وسلم
٢٠٩ سورة الفتح
٢١٩ سورة الحجرات
٢٢٩ سورة ق
٢٤٥ سورة والذاريات
٢٥٣ سورة والطور
٣٥٩ سورة والنجم

٣٦٩ سورة القمر
٢٧٧ سورة الرحمن
٢٩٥ سورة الواقعة
٣٠٩ سورة الحديد
٣٢٤ سورة المجادلة
٣٣٣ سورة الحشر
٣٤٣ سورة الممتحنة
٣٤٨ سورة الصف
٣٥٤ سورة الجمعة
٣٦٠ سورة المنافقون
٣٦٦ سورة التغابن
٤٧٣ سورة الطلاق
٣٧٨ سورة التحريم
٣٢٨ سورة الملك
٣٩٧ سورة القلم
٤٠٤ سورة الطاغية
٤١٣ سورة المعارج
٤١٩ سورة نوح عليه السلام

صحيفه	
٤٣٥	سورة الجن
٤٣٦	سورة المزمل
[illegible]	سورة المدثر
[illegible]	سورة القيامة
[illegible]	سور الانسان
[illegible]	سورة والمرسلات
[illegible]	سورة النبا
[illegible]	سورة النازعات
[illegible]	سورة عبس
[illegible]	سورة التكوير
٤٥٧	سورة الانفطار
[illegible]	سورة المطففين
[illegible]	سورة الانشقاق
[illegible]	سورة البروج
[illegible]	سورة الطارق
[illegible]	سورة الاعلى
[illegible]	سورة غاشية
[illegible]	سورة [illegible]
[illegible]	سورة البلد
[illegible]	سورة الشمس
[illegible]	سورة الليل
[illegible]	سورة الضحى

صحيفه	
٤٦٧	سورة الانشراح
٤٦٧	سورة التين
٤٦٨	سورة العلق
٤٦٩	سورة القدر
٤٧٠	سورة البينة
٤٧٠	سورة الزلزلة
٤٧٠	سورة والعاديات
٤٧١	سورة القارعة
٤٧٢	سورة التكاثر
٤٧٣	سورة والعصر
٤٧٣	سورة الهمزة
٤٧٤	سورة الفيل
٤٧٤	سورة قريش
٤٧٤	سورة الماعون
٤٧٥	سورة الكوثر
٤٧٥	سورة الكافرون
٤٧٦	سورة النصر
٤٧٦	سورة تبت
٤٧٦	سورة الاخلاص
٤٧٧	سورة الفلق
٤٧٧	سورة الناس

تمت